



كتاب

# تسكين النظر وتجميل الظفر

في أخلاق الملك وسياسة الملك

تأليف  
أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد الماوردي

مراجعة وتقديم  
الدكتور حسن الشاذلي  
ترجمة وتقديم  
كلية الآداب - جامعة بيروت العربية

تحقيق  
محيي الدين الشاذلي  
المترجم وتقديم  
كلية الآداب - جامعة بغداد

١٩٨١

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر  
بيروت - ص. ب. ٧١٩

كتاب  
تسميات النظم وعجائب الظفر  
في أخلاق الملك وسياسة الملوك

□ جميع الحقوق محفوظة □

الطبعة الأولى  
١٤٠١هـ = ١٩٨١م



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## تقدیم

الحمد لله الذي هياً لي التعرف على أبي الحسن علي الماوردي منذ ثمان وثلاثين سنة، بقراءتي كتابه الشهير الأحكام السلطانية، عندما كنت أكتب بحثاً عن العدالة ونظمها في مصر، ضمن بحوث أطروحتي التي كنت أعدها للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة لندن، في موضوع جناح الأحداث في مصر. وكان كتابه هذا أحد مراجعي عن نظام العدالة تحت الحكم العربي الإسلامي.

وتدور الأيام وتمر الأعوام، وإذا بي، بتوفيق من الله، أكلف من قبل إدارة جامعة عين شمس، في أوائل سنة ١٩٧٥، بتنظيم مهرجان علمي في العام نفسه، تخليداً لذكرى عالم عربي كبير، ترك لي أمر اختياره. فرجعت إلى مكتبي وأوراقتي، وهداني الله إلى أبي الحسن علي الماوردي، الذي توفي، على الأرجح، سنة ٩٧٥م. وهكذا يكون المهرجان العلمي بمناسبة مرور ألف سنة على وفاته. وتحدد موعد المهرجان في تشرين ثانٍ (نوفمبر) ١٩٧٥، وأرسلت الدعوات إلى زملاء متخصصين من جامعات عربية شتى، من بينها جامعة بغداد.

وكان من بين السادة المدعوين، الزميل محي هلال السرحان، المدرس في قسم الدين بكلية الآداب بجامعة بغداد، الذي كان قد نشر له تحقيق لكتاب أدب القاضي لأبي الحسن علي الماوردي في جزئين كبيرين. وقد أحضر معه أصول تحقيق كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر للمؤلف نفسه، وطلب إلى القيام بإعداده للنشر والإشراف على نشره. وقد حاولت ذلك أكثر من مرة، ولكنني لم أوفق. وهذا ما أخر نشره ست سنوات. وعندما استقر بي المقام في

بيروت، أستاذاً لعلم الاجتماع بجامعة بيروت العربية، منذ تشرين أول (أكتوبر) ١٩٧٩، عرضت الأمر على السيد مصطفى كريدية، صاحب مكتبة النهضة العربية ببيروت، واقترحت عليه نشر الكتاب، ونشر بحوث المهرجان العلمي لأبي الحسن علي الماوردي. فرحب بالفكرة ووافق على الاقتراح، لا سيما أنه يحقق رغبته في الإسهام في نشر التراث الإسلامي العربي، الذي لا يزال جزء كبير منه، مخطوطات لم تر نور النشر بعد.

وإن من يقرأ هذا الكتاب، ويدقق النظر في حواشي صفحاته، ليتبين مدى العناية الذي تكبده الزميل محيي هلال السرحان في تحقيقه إياه. لقد توافرت له صورة من مخطوط الكتاب المحفوظ بمكتبة كلية الآداب بجامعة طهران، وصورة أخرى من مخطوط الكتاب المحفوظ بمكتبة مدينة «غوتا» في ألمانيا الغربية. الأولى شديدة الاختصار، والثانية كاملة، لكنها كثيرة التصحيف. وكانت المقابلة بينها بداية مسيرة البحث المضني، التي سلكها في تحقيقه. تلك المسيرة الطويلة التي شرحها في أمانة ووضوح، مبيناً ما بذله من جهد في التحقيق، وذلك في التمهيد الذي أورد فيه ملخصاً مقتضباً لحياة الماوردي، ومؤلفاته، وقيمة كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر، الذي عكف على تحقيقه، وما يحتوي عليه من موضوعات، والمصادر التي استند إليها، وسبب تأليفه إياه.

ولقد وجدت أن الدقة والضبط، يقضيان بأن يكون ترقيم الكتاب نفسه، مستقلاً عن ترقيم ما ورد قبله من تقديم، وتصدير، وتمهيد، حتى يتبين عدد صفحاته ككتاب على حدة، وتكون الإشارة إلى عباراته، على أساس ورودها في صفحاته المرقمة للكتاب نفسه كوحدة كلية. كذلك رأيت وضع محتويات له مفصلة لموضوعاته، تيسر للقارئ الاطلاع على ما يبغى قراءته بدون عناء، كما يفصح في لحظات عما يحتويه الكتاب من موضوعات شتى، تستوعب كل ما يشغل بال الملك من شؤون، لتدبير أمور رعيته وحفظ ملكه والفوز برضى الله والناس.

وغني عن البيان أن إعداد أصول كتاب للنشر، يتطلب بالضرورة مراجعتها  
مراجعة دقيقة، لتنقيتها من الهنات التي تشوب عمل كل إنسان مهما كان

دقيقاً. هذا فضلاً عما للاشتراك في الرأي من أثر، يظهر في إجراء بعض تغييرات طفيفة، ترفع من قيمة عمل الباحث الفرد. فإذا ما أضيف إلى ذلك، الجهد الذي يبذل في تصحيح عينات طبع الكتاب (البروفات)، يتضح جلياً ما عانيته كمراجع ومُعَدِّ للنشر ومشرف عليه. وليس ذلك بكثير على كتاب مثل كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر، الذي عمل فيه صاحبه أبو الحسن علي الماوردي، بقول الله عز وجل: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...».

وأشكر الله سبحانه وتعالى، أنه هياً لي الإسهام في هذا العمل النافع، ونجح مساعي في نشره، عسى أن يقرأه ذوو الإمرة والسلطان، ويتدبروا ما جاء به من حكم ومواعظ، لعلهم يتذكرون.

وعلى الله قصد السبيل،  
حسن الساعاتي

بيروت،  
صباح الخميس،  
٩ ربيع أول، ١٤٠١ هـ.  
١٥ كانون ثانٍ (يناير)، ١٩٨١ م.





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مَدخل

الحمد لله الذي سهّل التدبّر والنظر في أسرار أسمائه، ودقيق مخلوقاته وعظيم آلائه، وأظهر الدلائل على وجوده وبقائه، ووحدانيته في أرضه وسمائه، فأظهر الحق بساطع هديه وأصوائه، وعجّل الظفر على منكبيه وأعدائه، والصلاة والسلام على خير أصفیائه، ومن سار على نهجه من خلفائه، وعلمائه، إلى يوم حسابه وجزائه.

وبعد، فإن من الرجال الذين يزدان بهم تاريخ أمتنا الحافل بالآيات الساطعة على قدرتها وأصالة فكرها، والذين سهّلوا النظر في عظيم تشريعات هذه الأمة، وإظهار مكنوناتها وكنوزها الفكرية، عالماً جليلاً، برز في عهد عصيب، فأبلى البلاء الحسن في تدوين الجليل من الفروع الفقهية على وفق المذهب الشافعي، والشذرات المضيئة من لوامع السياسة الشرعية والنوادر العملية من الأحكام الدينية، والفضائل الخلقية، والآداب الاجتماعية، فأعطى للسانه والقلم راحةً رائعة للحكم والقيادة والسلوك، ذلكم هو أفضى القضاة الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي (المتوفى ٤٥٠هـ) الذي يسعدني ويشرفني أن أتقدم بتحقيق أحد كنوزه الفكرية في المجالين السياسي والاجتماعي، بعد تحقيقي جزئين فقط من كتاب أدب القاضي الذي هو قسم كبير من موسوعته الضخمة المسماة بالحاوي الكبير في الفقه الشافعي.

والذي دعاني إلى اختيار تحقيق هذا الكتاب - أعني كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر - أنني وجدته فلكاً مشحوناً بالفوائد العملية والنظرية

لسياسة البلدان وعمارتها، وذخيرة لا تنفذ من الحكم الجاهزة والأقوال  
السديدة، كانت عصارة تجارب الشعوب التي التقت ثقافاتهما في بغداد مهد  
العلم والمعرفة آنذاك؛ فاستطاع أن يمزج بينها، ويوبها، ليقدم زاداً فكرياً  
ينفع الراعي والرعية على السواء.

وقد سلكت في ذلك نحواً يتمثل في التقديم المبسر عن حياة  
المؤلف وكتبه، لاسيما بعد أن ذكرت جوانب من ذلك في مقدمة كتاب أدب  
المقاضي، فلا حاجة للإطالة هنا، بل اقتصر على ما يتصل بكتاب  
تسهيل النظر فقط.

أرجو الله أن يأخذ بأيدينا إلى ما فيه إحياء ديننا وعزة أمتنا، وأن ينفع  
بعملنا هذا.

وبهذه المناسبة أهتبل الفرصة لأعرب عن شكري لمن أسهم في إحياء  
ذكرى هذا المفكر العظيم، وأرجو أن تتحقق الفائدة ويعمم النفع في الدنيا  
والآخرة.

والله ولي التوفيق

محيي هلال السرحان

بغداد،

فجر الأربعاء

٩ رمضان ١٣٩٥هـ

٢٤ من أيلول ١٩٧٥م

# فهرس

## الصفحة

٥	.....	تقديم
٩	.....	مدخل
		الماوردي
		حياته، مؤلفاته، مكانته
١٣	.....	أ - حياة الماوردي
١٣	.....	١ - اسمه ونسبه ونسبته
١٣	.....	٢ - ولادته ووفاته
١٣	.....	٣ - تعليمه
١٥	.....	٤ - شيوخه في الحديث
١٥	.....	٥ - تلاميذه
١٥	.....	٦ - من رواة الحديث عنه
١٦	.....	ب - مؤلفات الماوردي
		كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر
		ذكره، تسميته، موضوعاته، قيمته، مصادره، تحقيقه
١٧	.....	أ - ذكر الكتاب بين كتب الماوردي
١٨	.....	ب - تسمية الكتاب
٢٢	.....	ج - موضوعات كتاب تسهيل النظر
٣٠	.....	ذ - قيمة كتاب تسهيل النظر وأهميته
٣٣	.....	هـ - مصادر الماوردي في كتابه تسهيل النظر
٣٥	.....	و - تحقيق كتاب تسهيل النظر
٤١	.....	ز - صور غلاف ولقطات وصفحات من مخطوطي الكتاب

يلي ذلك كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر محققا ومراجعا، ولصفحاته ترقيم مستقل

بها.



# تمهيد

## الماوردي

حياته، مؤلفاته، مكانته

أ - حياة الماوردي<sup>(١)</sup>:

- ١ - اسمه ونسبه ونسبته:  
هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي،  
أقضى القضاة.  
والماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد وعمله.
- ٢ - ولادته ووفاته:

ولد بالبصرة سنة (٣٦٤هـ = ٩٧٤م).

وتوفي ببغداد يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول من سنة خمسين  
وأربعمائة (أي ٣٠ ربيع الأول ٤٥٠هـ = ٢٧ حزيران ١٠٥٨م)، ودفن بباب  
حرب في بغداد يوم الأربعاء مستهل شهر ربيع الآخر منها.

٣ - تعليمه:

تلقى تعليمه الأول في البصرة وتتلّمذ على أبي القاسم الصيمري (عبد

---

(١) انظر مصادر ترجمته في هامش الصفحتين ١٤، ١٥ من الجزء الأول من كتاب أدب القاضي  
للماوردي بتحقيقنا، ويضاف هنا إلى الكتب المطبوعة ما يلي: ثمرات الأوراق (على هامش  
المستطرف) ١٦/١.

طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداوودي المالكي ١/٤٢٣-٤٢٥ رقم الترجمة ٣٦٨،  
طبقات الشافعية للأسنوي ٢/٣٨٧-٣٨٨ رقم الترجمة ١٠٣٢، الماوردي (الأحكام  
السلطانية والولايات الدينية - نظريته السياسية في ضوء بيئته التاريخية) لحازم طالب مشتاق  
(المطبعة العربية، بغداد، ١٩٧٠).

نظرية الماوردي في الخلافة (فصل من كتاب دراسات في حضارة الإسلام) لهاملتون جب (دار  
العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤)، ص ١٩٨-٢١٨، الماوردي بين التاريخ والسياسة  
للدكتور سعد زغلول عبد الحميد (مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٧٢)، من ٦٧ صفحة.  
وللاستزادة والتفصيل يرجع إلى ما كتبناه في مقدمة أدب القاضي للماوردي ص ١٤-٩٦.

الواحد بن الحسين المتوفى بعد ٣٨٦هـ) ونشأ في أسرة تحب العلم. وبعد أن أتمّ تعليمه هناك رحل إلى بغداد، وانضم إلى حلقات شيوخها ومنهم أبو حامد الأسفراييني، (أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد المتوفى ٤٠٦هـ) وعلى أبي محمد الباقفي (عبد الله بن محمد البخاري المتوفى ٣٩٨هـ) وغيرهما وبعد أن درس كثيراً اختير للقضاء ببلدان كثيرة، ثم عاد إلى بغداد فدرّس بها عدة سنين، وحدث فيها، وفسّر القرآن، وألّف فيها كتبه، ثم تلقب بأقضى القضاة في سنة ٤٢٩هـ وهولقب بمنح لأول مرة ويعني تقلده العمل والتحاقه بالخليفة لخدمته.

ثم اختير سفيراً بين الخليفة وبني بويه، ثم بينه وبين السلاجقة، ولم ينفصل عن الخليفة حتى في أخريات أيامه، يشاركهم في حل المشاكل والخصومات، ويحضر أفراحهم واحتفالاتهم. فعاش ستاً وثمانين سنة مليئة بالأحداث الجسام في عصر مضطرب قاس، كان فيه مثال الرجل المخلص لدينه، ولم يأل جهداً في النصح وقول الحق، ولو أدى ذلك إلى غضب الخليفة. كما يتمثل في حادثة تلقيب جلال الدولة بن بويه بلبق شاهنشاه الأعظم ملك الملوك، فامتنع الماوردي من ذلك، وأنه أفتى بجوازه بعضهم، وانقطع عن جلال الدولة، إلا أن الأخير شكر له موقفه وإشارته الحق، فأعادته إلى مكانه، بعد انفصال دام أكثر من شهرين.

لقد عاش حياته في تواضع مع منصبه وجاهه وماله الوفير، وفي صراحة بالغة، مع وجود المتملقين، وفي تأليف غزير، مع انشغاله بالأحداث الجسام، فكان أمراً عجيباً، حتى حكيت عنه الكرامات.

ولقد بلغ من العلم أن تسّم زعامة الشافعية في عهده، ونظر إليه الفقهاء نظرة إجلال فكانوا يقتبسون آراءه، لما عهد فيه من سلامة الاجتهاد وغزارة الحفظ، مما جعله يوسع الفقه الشافعي ويزيد من تفريعاته باجتهاده الواسع، حتى إن ابن الصلاح لما رأى سعة علمه وكثرة تفريعاته وذكره لأراء كثيرة، رماه بالاعتزال وإن كان بعيداً عن ذلك.

لقد كان - رحمه الله - فقيهاً، مفسراً، أصولياً، أديباً، شاعراً، لغوياً، مؤرخاً، مربياً، قاضياً، سياسياً، صوفياً، جغرافياً، فيلسوفاً، محدثاً.  
والعجب كل العجب أن تجتمع هذه الصفات كلها لواحد، فسبحان الله رب العالمين.

#### ٤ - شيوخه في الحديث:

روى الماوردي الحديث عن الحسن بن علي بن محمد الجبلي، ومحمد بن عدي بن زحر المنقري، ومحمد بن المعلي الأزدي، وجعفر بن محمد بن الفضل البغدادي وغيرهم.

#### ٥ - تلاميذه:

تفقه عليه كثيرون: منهم الخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣هـ) وابن خيرون (المتوفى ٤٨٨هـ) وعبد الملك بن ابراهيم أبو الفضل الهمداني الفرضي المعروف بالمقدسي (المتوفى ٤٨٩هـ) وأبو الفضائل محمد بن أحمد الربيعي الموصلبي (المتوفى ٤٩٤هـ).

#### ٦ - من رواة الحديث عنه:

روى الحديث عنه جماعات غفيرة منهم: علي بن سعيد أبو الحسن العبدري (المتوفى ٤٩٣هـ) ومهدي بن علي الأسفراييني القاضي، وعبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن وهو أبو سعيد بن أبي القاسم القشيري الملقب ركن الإسلام (المتوفى ٤٩٤هـ) وأخوه عبد الرحمن (المتوفى ٤٨٢هـ)، وعبد الغني بن نازل أبو محمد المصري الألواحي (المتوفى ٤٨٦هـ)، وأحمد بن علي بن بدران أبو بكر الحلواني (المتوفى ٥٠٧هـ) وأبو الغنائم محمد بن علي ميمون النرسي الكوفي العربي المعروف بابن المقرئ (المتوفى ٥١٠هـ) ومحمد بن أحمد بن عمر أبو عمر النهاوندي (المتوفى ٤٩٧هـ) وجماعات كثيرة آخرها أحمد بن عبيد الله بن كادش العكبري أبو العز (المتوفى ٥٢٦هـ).

ب - مؤلفات الماوردي :

للماوردي عدد من المؤلفات، وهي :

- ١ - كتاب تفسير القرآن: ويسمى (النكت والعيون) - لم يطبع.
- ٢ - كتاب الحاوي الكبير في الفقه الشافعي وهو كتاب كبير جداً وقد وقع في بعض النسخ في ثلاثين جزءاً، لم يطبع منه إلا كتاب أدب القاضي بجزئيه الأول والثاني، أما الثالث والرابع فهما في طريقيهما إلى الطبع إن شاء الله تعالى.
- ٣ - كتاب الإقناع في الفقه الشافعي - مفقود.
- ٤ - كتاب في البيوع - مفقود.
- ٥ - كتاب أعلام النبوة - مطبوع
- ٦ - كتاب الأحكام السلطانية - مطبوع.
- ٧ - كتاب قوانين الوزارة وسياسة الملك - مطبوع باسم (أدب الوزير، المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك).
- ٨ - كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر، وهو هذا الكتاب.
- ٩ - كتاب نصيحة الملوك - مخطوط لم يطبع.
- ١٠ - كتاب في النحو - مفقود.
- ١١ - كتاب الأمثال والحكم - مفقود.
- ١٢ - كتاب أدب الدنيا والدين - مطبوع.

\* \* \*



## كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر

ذكره، تسميته، موضوعاته، قيمته، مصادره، تحقيقه

أ - ذكر الكتاب بين كتب الماوردي:

أعلم أن كثيراً ممن ترجموا للماوردي لم يذكروا كتبه بالتفصيل<sup>(١)</sup> اعتماداً على شهرتها وانتشارها بينهم.

كما أن الذين ذكروا كتبه بالتفصيل كان كثير منهم قد أغفل ذكر هذا

الكتاب بين كتبه.

فعلى الرغم من أن كلاً من المنتظم<sup>(٢)</sup> ووفيات الأعيان<sup>(٣)</sup> وطبقات ابن السبكي<sup>(٤)</sup>، والنجوم الزاهرة<sup>(٥)</sup>، والمختصر في أخبار البشر<sup>(٦)</sup>، ومفتاح السعادة<sup>(٧)</sup>، والعبير<sup>(٨)</sup>، وتاريخ الإسلام<sup>(٩)</sup>. ومرآة الجنان<sup>(١٠)</sup>، وطبقات ابن قاضي شهة<sup>(١١)</sup>، وتاريخ ابن الوردي<sup>(١٢)</sup>، وروضات الجنات<sup>(١٣)</sup>، وعقد الجمان للعيني<sup>(١٤)</sup>، وطبقات المفسرين للسيوطي<sup>(١٥)</sup>، وشذرات الذهب<sup>(١٦)</sup>، والكنى والألقاب للقمي<sup>(١٧)</sup>، وغيرهم، قد ذكروا كتبه بالتفصيل، إلا أننا لا نجد لهذا الكتاب ذكراً عندهم. بل لا نجد للكتاب ذكراً إلا في ثلاثة من كتب المتقدمين، ونقل عنهم المحدثون.

وأقدم من ذكر هذا الكتاب هو ياقوت الحموي<sup>(١٨)</sup> (المتوفى ٦٢٦هـ).

وذكره من بعده صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي<sup>(١٩)</sup> (المتوفى

سنة ٧٦٤هـ).

- 
- (١) انظر قائمة المصادر في مقدمة أدب القاضي ١ / ١٤-١٦ عدا ما سنذكر الآن.
  - (٢) ج ٨، ص ١٩٩. (٢) ج ٢، ص ٤٤٤. (٤) ج ٣، ص ٣٠٣. (٥) ج ٥، ص ٦٤.
  - (٦) مجلد ١، ح ٤، ص ٨٥. (٧) مجلد ١، ص ٢٦٤، ومجلد ٢، ص ١٩٠-١٩١.
  - (٨) ج ٣، ص ٢٢٣. (٩) مخطوط، نسخة آيا صوفيا، ج ١١، ص ٤٨٤-٤٨٥.
  - (١٠) ج ٣، ص ٧٢.
  - (١١) مخطوط، نسخة كوبرلي، الورقة ١٣٦ آ.
  - (١٢) وهو المسمى بتممة المختصر في أخبار البشر ج ١، ص ٣٦٥.
  - (١٣) ج ٣، ص ٤٨٣.
  - (١٤) مخطوط، نسخة ولي الدين باستانبول، ج ٢٥، ص ١٦٨.
  - (١٥) ص ٢٥. (١٦) ج ٣، ص ٢٨٦. (١٧) ج ٣، ص ١١٦.
  - (١٨) معجم الأدباء، ج ١٥، ص ٥٢.
  - (١٩) الوافي بالوفيات، مخطوط، نسخة المتحف البريطاني، ج ١٢، الورقة ١٥٤ ب.

ثم جاء من بعدهم حاجي خليفة<sup>(١)</sup> (المتوفى سنة ١٠٦٧هـ).  
ثم جاء المتأخرون فنقلوا عنهم.

فقد ذكره إسماعيل باشا البغدادي<sup>(٢)</sup> (المتوفى سنة ١٣٣٩). ثم جاء بروكلمان<sup>(٣)</sup>، ووستفلد<sup>(٤)</sup>، ناقلين عن مفهرس مكتبة غوته<sup>(٥)</sup>، وتبعهم جرجي زيدان<sup>(٦)</sup>، وفاجنان<sup>(٧)</sup>، وعبد العزيز أمين الخانجي<sup>(٨)</sup>، ومصطفى السقا<sup>(٩)</sup>، وسعيد عبد الفتاح عاشور<sup>(١٠)</sup>، والزركلي<sup>(١١)</sup>.  
ب - تسمية الكتاب:

ثم إن الذين ذكروا هذا الكتاب ضمن تأليفه اختلفوا في تسمية الكتاب:

فقد ذكره كل من ياقوت<sup>(١٢)</sup> والصفدي<sup>(١٣)</sup> باسم «تعجيل النصر وتسهيل الظفر» ولم يتابعهما على ذلك أحد.  
وذكره حاجي خليفة<sup>(١٤)</sup> باسم «تسهيل النصر وتعجيل الظفر» وتابعه في ذلك عبد العزيز أمين الخانجي<sup>(١٥)</sup>.

- 
- (١) كشف الظنون، ١ / ٤٠٨.
  - (٢) هدية العارفين، ١ / ٦٨٩.
  - (٣) تاريخ الأدب العربي (بالألمانية). Br. G.L.S.11668. ، دائرة المعارف الإسلامية بالإنكليزية (مادة الماوردي) 3/416 Encyclop.
  - (٤) F.Wustefeld, Schaftiton No.395.
  - (٥) Pettsch, W.Die arabischen der Herzoghlichen Bibliothek ZoGotha, No.1872.
  - (٦) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ / ٣٨٥.
  - (٧) E.Fagnan: Mawerdi Les Status gouvernementaux ou Règles de droit et administratif traduits et annotés (Alger 1915).
  - (٨) مقدمة كتاب أدب الوزير في الصفحة (ح).
  - (٩) مقدمة كتاب أدب الدنيا والدين.
  - (١٠) مقال بعنوان: الأحكام السلطانية، مجلة تراث الإنسانية، المجلد الخامس، ص ٢١-٢٢.
  - (١١) الأعلام، ٥ / ١٤٦.
  - (١٢) معجم الأدباء، ١٥ / ٥٢.
  - (١٣) الوافي بالوفيات، ج ١٢، الورقة ١٥٤ ب.
  - (١٤) كشف الظنون، ١ / ٤٠٨.
  - (١٥) مقدمة أدب الوزير، الصفحة (ح).

أما إسماعيل باشا البغدادي<sup>(١)</sup> فقد ذكره باسم «تسهيل النظر وتعجيل الظفر» وتابعه على هذه التسمية سائر المحدثين، واكتفى الزركلي<sup>(٢)</sup> باسم «تسهيل النظر» فقط.

وفي خضم هذا الاختلاف ترجح لدينا تسميته باسم تسهيل النظر وتعجيل الظفر لأمر:

١ - لأن إسماعيل باشا البغدادي قد ذكر ذلك.

٢ - ولأن تسمية حاجي خليفة مقاربة لهذه التسمية، ويحتمل فيها حدوث التصحيف. فكلمة «النظر» تتصحف بسهولة إلى «النصر»، فضلاً عن أنه قال في نفس الموضوع بعد ذكر العنوان السابق: «ورأينا في نسخة مكتوبة سنة ٧٠٣هـ أنه تسهيل النظر (بالطاء المعجمة) وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك»<sup>(٣)</sup>.

٣ - ولأن العنوان على ظهر نسخة مكتبة غوته قد ورد بهذه التسمية.

٤ - ولأن نسخة طهران ابتدأت بقولها: «قال أفضى القضاة أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري في أثناء خطبته في كتابه الملقب بتسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك أما بعد... إلخ».

٥ - ثم ورد في خطبة الكتاب أنه ترجمه بهذا الاسم.

كل ذلك جعلني أرجح أن يكون اسم الكتاب هو «تسهيل النظر وتعجيل الظفر» فاخترت ذلك وثبته في رسم الكتاب.

وأما الزيادة على العنوان وهي قوله (في أخلاق الملك وسياسة الملك)

(١) هدية العارفين، ١ / ٦٨٩.

(٢) الأعلام، ٥ / ١٤٦.

(٣) كشف الظنون، ١ / ٤٠٨.

فهي زيادة من نسخة مكتبة كلية الآداب في طهران، ومما ذكره حاجي خليفة ناقلاً عما رآه في نسخة أخرى كما مرّ.

ولا شك في أن الكتابة في موضوع السلطان ونصيحته وخدمته قد حظيت بسهم وافر من العناية، منذ بدأ التدوين والتأليف. ولنظرة واحدة في كتاب الفهرست لابن النديم ترىنا مقدار جهودهم في ذلك، وقد حاول (روزنثال) أن ييؤّب تلك الكتب التي ذكرها ابن النديم، فذكر منها ما يخص الدولة، وما يخص السياسة وآداب السلطان، وما يخص الوزراء، والكتّاب، والولاية، والقضاة، والشرطة، والعهود، والنظم، والمالية، وغير ذلك<sup>(١)</sup>، مما يتعلق بالنظم السياسية والاجتماعية والمالية.

ومن الكتب المؤلفة في السياسة ما أشار إليه أحمد زكي باشا في مقدمة تحقيقه لكتاب التاج في أخلاق الملوك للجاحظ<sup>(٢)</sup>، وما أشار إليه عبد الله مخلص في مقدمة كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي<sup>(٣)</sup> وما تعقبه به ميخائيل عواد في مقدمة تحقيقه لكتاب رسوم دار الخلافة لهلال بن المحسن الصابي<sup>(٤)</sup>.

فلا حاجة لإعادة ذلك هنا.

ونضيف هنا قائلين: إن هذا الموضوع قد حظي بعناية الفقهاء أيضاً، فلم يؤلف أحدهم كتاباً فقهياً جامعاً إلاّ وخصص لتقليد الامام أو القاضي فيه فصلاً، ولأدابهما أيضاً، وبيان الخلاف الجاري بينهم في تقليد كل واحد منهما.

(١) ف. روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي (مكتبة المثقبي بغداد، ١٩٦٣) ص ٢٩٣-٢٩٧.

(٢) طبع طبعته الأولى في المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٣٢/ ١٩١٤، ص ٤٧.

(٣) مقتطف من مجلة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، المجلد السادس والعشرون، ١٩٢٥، ص ٨-١١.

(٤) طبع بمطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤، ص ٤٧-٦٣.

كما أنه حظي بعناية مؤلفي كتب المختارات والمحاضرات التي أخذت تعنى بالتبويب والترتيب، من أمثال ابن قتيبة في عيون الأخبار، والجاحظ في البيان والتبيين، والمبرد في الكامل وغيره، وابن عبد ربه في العقد الفريد وغيرهم.

ولكن للماوردي مكاناً خاصاً بين هؤلاء المؤلفين.

وللماوردي أيضاً مكانة بين المؤلفين تتمثل في ما يلي:

١ - إنه أفرد أربعة كتب للسياسة، فضلاً عن كتابه (الحاوي الكبير) الذي تناول فيه عموم الفقه على وفق المذهب الشافعي وآراء هذا المذهب في كل فرع صغير أو كبير، وفصلاً عن تفسير (الفكت والعيون) الذي شرح فيه آيات كثيرة تناول السياسة وآداب السلطة.

تلك الكتب هي الأحكام السلطانية، وأدب الوزير، ونصيحة الملوك، وتسهيل النظر هذا.

ولكل كتاب موضوعه المستقل عن الآخر، وإن كانت هناك بعض الأمور المشتركة، وهو ما يتصل بالأمور الدستورية والاقتصادية والاجتماعية.

٢ - إنه خبر السياسة كثيراً بما تحمل من العناية الكثير لأجلها بسبب اضطراب الوضع السياسي آنذاك، فكان يبذل الجهود ما وسعه في النصح للأطراف المتنازعة المتمثلة في الخليفة وحاشيته، والبهيين، والسلاجقة، والدويلات التي عاصرها، ولذلك فإن تأليفه اتسمت بالواقعية وإيجاد الحكم الشرعي للمسائل المتجددة التي يعيشها، ولم تكن موجودة من قبل، ولم يكن افتراضياً فقط كما هو شأن الفقهاء. ولذلك فقد أغنى التشريعات بما استنبطه من أحكام للحوادث التي طرأت فقد بحث في وزارة التفويض ووزارة التنفيذ وأحكام الغاصبين وولاياتهم، والولايات المستجدة على عصره.

٣ - لقد أفاد من الثقافة الواسعة التي توافرت لديه فالتقت في تأليفه

الثقافات المختلفة، فهو فقيه شافعي مجتهد يُصدر عن أصول الفقه الشافعي، ولذلك فهو يُصدر عن ينبوع قرآني أولاً، ثم يعمد إلى الحديث النبوي الشريف، فيقتبس منه ما يشفي غلته، ثم كثيراً ما ينقل من أقوال حكماء الفرس أو الروم أو الهنود وغيرهم. تجد ذلك ماثلاً في الحكيم العديدة التي استطاع بها أن يثبت أن له حافظة غزيرة وعقلاً واعياً مدركاً.

٤ - ولم تنطمس شخصيته في ما يروي ويختار، كما هو شأن غيره، بل كان مختاراً ومنشئاً معاً، فهو يعقد الباب ويتكلم عنه بكلامه الرائع، ثم يتبع ذلك بما يؤيده من الأقوال والأبيات. وقد ينقد تلك الأقوال.

وسياتي فضل كلام حول قيمة الكتاب مما يتصل بهذا الموضوع، في موضوع (قيمة كتاب تسهيل النظر) بعد قليل إن شاء الله تعالى فليلاحظ.

ما سمي من الكتب باسم أخلاق الملوك قبل الماوردي:

تبرز من بين قوائم الكتب الضخمة المؤلفة في السياسة ثلاثة كتب سميت باسم أخلاق الملوك هي:

- ١ - أخلاق الملوك، أو اختلاف الملوك للفتح بن خاقان<sup>(١)</sup>.
- ٢ - أخلاق الملوك، لمحمد بن الحارث التغلبي أو الشعلبي<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - التاج في أخلاق الملوك المنسوب للجاحظ<sup>(٣)</sup>.

ج - موضوعات كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر:

بدأ المؤلف كتابه ببيان أن الناس مختلفون، وأنهم بحاجة إلى إمرة

(١) الفهرست: ١٧٦.

(٢) الفهرست: ٢١٨، والسخاوي: الإعلان بالتبويب ص ١٥٧، وذكر الأستاذ أحمد زكي باشا أنه طبع في بولاق باسم أخبار الملوك (مقدمة كتاب التاج في أخلاق الملوك للجاحظ ص ٤٧).

(٣) أشرنا قبل قليل إلى طبعته الأولى.

سلطان ينفاد الناس لطاعته، ليتحقق التعاون بين الناس، ومن ثم السعادة في دنياهم وأخراهم.

وجعل الكتاب على بابين:

الباب الأول في أخلاق الملك:

وتناول فيه الأخلاق التي تحدث للنفس، فهي ضربان:

فأما الضرب الأول فأخلاق الذات:

وأخلاق الذات من نغائج الفطرة التي يطبع الإنسان عليها فتصير له كالخلقة، سواء حُمدت أو ذُمت، ثم يبين من هو الفاضل، وإلى أي شيء تعود تلك الأخلاق، وهل تراد فضائل الذات لذواتها، أو للسعادة الحادثة عنها، وضرورة اهتمام ذي الإمرة والسلطان بمراعاة أخلاقه وإصلاح شيمه.

ثم يبين أن أخلاق الذات على نوعين: غريزية، ومكتسبة، وأيهما أفضل، ويبيّن أوائل الفضائل وأواخرها، وأوائل الرذائل وأواخرها، ثم عرّف كلاً منهما، ويبيّن أن الفضائل توسط محمود بين رذيلتين، وأد تلك الفضائل قد تتركب مع غيرها لتنتج فضائل أخرى، وقد تكون للكثير من الأخلاق نتائج تؤول إلى رذائل.

وأما الضرب الثاني فأفعال الإرادة:

وأفعال الإرادة تصدر عن أسباب باعثة عليها، وهي العقل والرأي والهوى، ثم يبيّن هذه الأمور، والفروق بينها. ثم يبيّن حاجة العقل إلى التجارب، وحاجة ذوي الإمرة إلى العقل المتلحح بتجارب الماضين، وبالأخلاق الصالحة. فيبدأ أول ما يبدأ، بسياسة نفسه، وتقويمها، وعدم تحسين الظن بها، وقمع الكبر والإعجاب المؤدبين إلى حسن الظن بها، وتأديبها بالكرم والمروءة والوقار، والثبت عند الشبهات، ولزوم الصمت والصدق والأناة، والصبر، وكتمان أسراره، والمشورة، والوفاء بالعهد، وترك ما يقابل ذلك من الأخلاق السيئة، ثم يتصفح أعماله، ليضرب المثل الحسن للناس في السياسة والمعاملة والخلق الحسن.

## والباب الثاني في سياسة الملك :

فبعد أن بيّن أنه ينبغي أن يسير السيرة الحسنة، وأن يكون أفضل الناس ديناً، ذكر أن قواعد الملك تستقر على أمرين :

### ١ - تأسيس الملك :

وهو تثبيت أوائل الملك ومبادئه، وإرساء قواعده ومبانيه، ويكون على أقسام ثلاثة :

تأسيس دين .

وتأسيس قوة .

وتأسيس مال وثروة .

وأثبتها وأقواها التأسيس الذي يقوم على الدين .

وبحث في كل نوع من هذه الأنواع وخصائصه . وما يتوجب اتباعه في كل نوع .

### ٢ - سياسة الملك :

وبعد أن ذكر تأسيسه واستقراره بيّن أنه يحتاج إلى التدبير المحكم الذي يساس به الملك ويقاد، فذكر أن سياسة الملك تعتمد على أربع قواعد هي :

#### ( أ ) عمارة البلدان :

فإن عمارة البلدان تختلف باختلاف طبيعتها: فهناك بلاد مزارع، وهناك بلاد أمصار وحواضر، ولكل نوع من هذين النوعين نمط عمارة يختص به، وحقوق تلزم مدبّر الملك أن يقوم بها حفظاً لها :

فأما المزارع فهي أصول المواد التي يقوم بها أود الملك وتنظم بها أحوال الرعايا، فصالحها خصب وثرء، وفسادها جذب وخلاء، وهي الكنوز المدخرة، والأموال المستمدة، وأي بلد كثرت ثماره ومزارعه استقل بخيره، وفاض على غيره، فصارت الأموال إليه تجلب، والأقوات منه تطلب، وهو بالضد إن قلت أو اختلت .



فلزم مدبر الملك فيها ثلاثة حقوق: القيام بمصالح المياه، وحماية ذلك البلد من مطامع ذوي القوة، وتقدير ما يؤخذ منهم بحكم الشرع، ثم يشرح هذه الحقوق.

أما الأمصار والحواضر: فهي الأوطان الجامعة التي يقصدها الناس طلباً للسكون، وحفظاً للأموال، وصيانة للحرم، والتماس ما تدعو إليه الحاجة من متاع، وصناعة، والتعرض للكسب وطلب المادة، فإذا عدم أحد هذه الأمور، فليست من مواطن الاستقرار.

ويشترط في إنشائها شروط، وتقع على منشئها حقوق لساكنيها، لتستكمل قواعد تأييدها، فلا تتوى إلا بقضاء محتوم، وأجل معلوم. ويبين أنواع تلك الأمصار، فهي إما مصر مزارع وسواد، أو مصر فرصة وتجارة، ويعرف كل نوع، ويذكر شروطه، وما على مدبر الملك في كل نوع.

#### (ب) حراسة الرعية:

وأما حراسة الرعية فهي القاعدة الثانية لسياسة الملك بعد تأسيسه واستقراره، فيلزم ذا الأمانة في حقوق الاسترعاء عليهم عشرة أشياء، بها تعدل سياسته وتكرم سيرته، وتسعد رعيته. ثم يبين تلك الأشياء.

#### (ج) تدبير الجند:

أما تدبير الجند فيهم ملك حتى قهر واستولى على قدر، فإن صلحوا كانت قوتهم له، وإن فسدوا كانت قوتهم عليه.

وتديروهم الذي يحفظ عليهم طاعتهم، ويستخلص به نصرتهم يكون بأربعة شروط، إن استكملها صلحوا به واستقاموا له، وإن اختل بها فسدوا عليه، وأفسدوا ملكه.

١ - تقويمهم بالأدب الذي يحفظ عليه وفور نجدتهم وكمال تجنيدهم.

٢ - أن يرتبوا على حسب عنائهم في الحروب وذئبهم عن الملك،  
ومسارعتهم إلى الطاعة.

٣ - أن يقوم بكفائتهم حتى لا يحتاجوا، ثم ناقش مذهب بعض  
الفلاسفة الأقدمين في عدم التوسعة على الجند.

٤ - أن لا تنطوي عنه أخبارهم ولا تخفى عليه آناهم.

(د) تقدير الأموال:

والسياسة العادلة في تقديرها أن يعتبر بما استدام حصوله ويسهل  
وصوله، لثلا يثقل على الرعية، وذلك معتبر بتقدير دخلها وخرجها.

فإذا قوبل أحدهما بالآخر فإما أن يفضل الدخل على الخرج  
وهو أحسن الأحوال، أو يقصر، أو أن يتكافأ. ثم يناقش كل حالة من هذه  
الحالات الثلاث.

أصل ما تبنى عليه السياسة العادلة:

وأصل ما تبنى عليه السياسة العادلة في سيرة الرعية بعد حراسته للدين  
وتخير الأعوان أربع قواعد: الرغبة، والرغبة، والإنصاف، والانتصاف.

ويأخذ في بيان هذه القواعد، وكيف تتحقق، وساق لها كما هو شأنه  
الأقوال والحكم، ثم ذكر شروط استقامة الملك بهذه القواعد الأربع.

حراسة الدين:

لأن الدين والملك توأمان، ويُن أنه قد أجمعت كلمة الأقدمين على  
ذلك.

تهذيب الأعوان والحاشية:

وأصل ما تبنى عليه قاعدة أمره في اختيارهم، اختبارهم وسبرهم  
فيعطى كل واحد منهم مقامه المستحق، ويتفقد بنفسه أشد ما يتفقد أربع  
طبقات وهم الوزراء، والقضاة، وأمراء الأجناد، وعمال الخراج، وهم على  
صفات خاصة يجب توافرها، وطبقة أخرى وهم المختصون بحراسة نفسه،

لا بسياسة ملكه، ووجوب استخلاصهم ممن لهم نُصْحٌ في خدمته، وتوافرت فيهم الصفات التي تؤهلهم لذلك.

أما ما سوى ذلك من الطبقات، فيتفقدون بحسب منازلهم من خدمته، وإخلاصهم الحقيقي، وليحذر أن يستبطن أو يسترسل إلى أحد ممن عدد ذكرهم، وبين أحوالهم، فذكر اثني عشر نوعاً حذر من جعلهم في بطانته.

أشد ما يمني به الملك في سياسة ملكه:

وأشد ما يمني به الملك في سياسة ملكه شيان:

١ - فساد الزمان:

وهو نوعان: نوع حدث عن أسباب إلهية فيقابلها بإصلاح سيرته وسرائر رعيته، وبأن يتظامن لها إذا طرقت، ويتلطف في تلاقها إذا هجمت.

ونوع حدث عن عوارض بشرية، فيقابلها بالحزم حتى تنحسم وبالاجتهاد حتى تنتظم، فليس ينشأ الفساد إلا عن أسباب خارجة عن العدل والاقتصاد، ولا تنحسم إلا بحسم أسبابها. فيتعرف على أسبابها، ويتخير الحل المناسب لها.

٢ - تغير الأعوان:

وهو نوعان: نوع يكون لفساد تعدى إليهم، فيحسم أسبابه قبل تفاقمها، فإن أهملوا فلكل برهة تمضي من زمانهم تأثير في استحكام فسادهم، ثم يبين أنواع الفساد وكيفية حسمه.

ونوع يكون لفساد حدث منهم، فهذا هو الداء الدغل، والخطب العضل، لاتصاله بهم، وظهوره بعد استحكامه، فيجب أن تقرر قواعد السياسة لتلافيه ويكون ذلك بما يساس به الملك.

بم يساس الملك؟

وإذا كان كذلك فالملك يساس بثلاثة أمور:

١ - بالقوة في حراسته وحفاظه، وهي مختصة بالعقل.

٢ - أو بالرأي في تديره وانتظامه، وهو مختص بالتدبير والقوة والرأي على العموم في جميع الأحوال والأعمال.

٣ - أو بالمكيدة في فلّ أعدائه، فمن ضعف كيده قوي عدوه ولا تستعمل المكيدة إلا مع الأعداء.

ثم يأخذ في بيان هذه الأمور وانطباقها على أحوال الملك التي هي:

أحوال الملك:

ثم يبيّن أن أحوال الملك ثلاثة:

١ - تثبيت قواعد الملك وحراسته من الأعداء قبل استقراره وبعد استقراره وما ينبغي القيام به من الأمور الثلاثة السابقة (وهي القوة والرأي والمكيدة) في كل حالة.

٢ - تدبير الرعية وأحوالهم في السلامة والسكون والاضطراب والفساد، وما ينبغي القيام به من الأمور الثلاثة في كل حالة.

ثم يبيّن أحوال الملوك مع رعيّتهم، فذكر أربع حالات لسلوك الملوك مع رعيّتهم، وحقيقة كل سلوك.

٣ - استقامة الأعوان وأحوالهم في السكون والدعة والتغير والفساد، وما ينبغي القيام به من الأمور الثلاثة السالفة الذكر في كل حالة.

أسباب التغير.

ثم ذكر أسباب التغير وحسم كل سبب بما يناسب الأزمان والأعوان.

دوام التفقد للأحوال العامة:

ثم يتفقد على الدوام أموراً كثيرة منها:

١ - حماة البلاد، وولاة الأطراف، وقيادة الجيوش، والاعتناء بهم، وتقديم مصالحهم على مصالح نفسه، وإنزالهم المنزلة التي يستحقونها بكفائتهم وحسن أثرهم وبلائهم، وحفظ مراتبهم في الاستحقاق، وما يطرأ من خيانتهم وتوتبتهم، وإمامه بأحوالهم وأخبارهم، وعدم قبول السعاية من

أصحابه، وإمامه بأحوال ما تاخمه من البلاد. كما يحيط بأخبار بلاده صغيرها وكبيرها.

#### ٢ - أحوال النقود:

وللنقود أثر كبير في ازدهار التجارة، إذا كانت سالمة من الغش والزيف، وثابتة في كل زمن، ومأمونة من التغيير، فإن نفعها يعم، وصلاحها يتم. وقد جعل الأقدمون ذلك دعامة من دعائم الملك، لأنه القانون الذي يدور عليه الأخذ والعطاء، ولست تجد فساداً في العرف إلا مقترناً بفساد الملك.

ثم يتبع في أخذها وعطائها ما وضعه الشرع، فبين مقاديرها ووجوه مصرفها، فإن تجاوز حكم الشرع نفرت منه النفوس، فليحذر مما حذر الله من تحيف عباده.

#### ٣ - أمن السبل والمسالك وتهذيب الطرق والمفاوز:

وليهتم الملك كل الاهتمام بأمن السبل والمسالك، وتهذيب الطرق والمفاوز، لينتشر الناس في مسالكهم آمنين، وعلى أنفسهم وأموالهم مطمئنين، لأن في ذلك صلاح البلاد وخصبها.

#### ٤ - الأعداء ومداهنتهم:

وليستعمل الملك مداهنة الأعداء قبل مكاشفتهم، وليجعل المنازعة آخر ما يلجأ إليه، فإنه ينفق في المكاييد من الأموال وينفق في المحاربة من النفوس، ثم بين أحوال الأعداء وما ينبغي للملك أن يتبعه في كل حالة.

#### ٥ - مساواة الملك نفسه برعيته:

وينبغي للملك وإن كان بالملك مفضلاً، معظماً، وبالسلطان مطاعاً مقدماً، أن يساوي بين نفسه ورعيته في الحق لهم وعليهم، ويسوي بينهم، فيجري الحكم على الخاصة والعامة، ولا يقدم أحداً على أحد لشيء إلا في الحق فإذا أنصف تناصف الناس، وليتقرب إليهم بطاعة الله في خلقه، والقيام فيهم بحقه.

## ٦ - حماية العلم والعلماء والدين وأهله :

وينبغي للملك أن يعرف فضل العلم، ويستبطن أهله، لأنهم للدين أركان، وللشرع أعوان، والدين أسس الملك ونظامه، وقد قاموا فيه بحقه ونابوا عن الملك في حفظه، وبهم يعرف الحق من الباطل. فيكثر من جعلهم في بطانته، والاعتماد عليهم في مشورته. لأنهم أنفع له في دينه ودنياه. ولأن في ذلك قوة لملكه لأنه إذا استبطن العلماء قضى عليه الناس بالعلم، وبعكسه يقضي الناس عليه بالجهل.

## ٧ - السيرة العادلة بين الرعية :

وليسر برعيته سيرة عادلة، ولا يحتجب عنهم، ولا يعتسف فيهم، بل يتصفح أحوالهم، ويتفقد أمورهم، فينصف المظلوم ويأخذ على يد المظالم من قواعد السياسة في انتظام الملك ومصالح الرعايا.

وليكن من دأبه فعل الخير إما ابتداءً من نفسه، أو اقتداءً بالأخيار، ليكون في الخير تابعاً ومتبوعاً، وفي العمل به حامداً ومحموداً.

ثم ليكن ما يخلفه من جميل الذكر، وحسن السيرة، إماماً يقتدي به الأخيار، ومثالاً يزدجر به الأشرار، فيسعد بعمله حياً ومفقوداً، فإن ذلك أنفس ذخائره يوم معاده، فخير الناس أنفعهم للناس، فإن الله يتكفل بمعونته وتأييده، ويكون له على الخير ظهيراً مرشداً، وعلى العدل معيناً مسعداً.

## د - قيمة كتاب تسهيل النظر وأهميته :

لم يشر المؤلف إلى سبب تأليف هذا الكتاب. وقد أشار في بداية كتابه الأحكام السلطانية إلى أنه أفرد كتاب الأحكام السلطانية بالتأليف امتثالاً لأمر من لزمت طاعته<sup>(١)</sup>. ولكنه لم يبين ذلك الذي لزمت طاعته. وتنصرف الأذهان في ذلك إلى الخليفة القادر بالله (الذي حكم بين ٣٨١ - ٤٢٢هـ) وابنه القائم بالله (الذي حكم بين ٤٢٢هـ - ٤٦٧هـ) اللذين كانا يأملان في

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٣.

استعادة مجد الخلافة بعد أن تزعزعت أوضاعها بدخول البويهيين وقيام الإمارات المستقلة في أرجائها وإن كان من المحتمل أن تنصرف إلى أي واحد من القائمين بشؤون الدولة<sup>(١)</sup>. إلا أنه تترجح استجابته للخليفة القادر بالله ويخاصة بعد أن تحدث المؤرخون عن استجابته لطلب القادر بالله قبل ذلك في تأليف مختصر على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، فصنف له كتاب «الإقناع» في قصة طريفة<sup>(٢)</sup>. فربما كانت بقية كتبه، ولا سيما السياسة، على هذه الشاكلة، وهو الذي قد رأى بعينه الأوضاع السياسية السيئة التي مرت بها الدولة الإسلامية، والتمزق الذي أصابها، والصراع الكبير على السلطة في أرجاء الأرض، بين تلك الإمارات، فرأى أن يضع كتبه، ليبلغ كلمة الحق التي يتحملها كل عالم، وليبين لكل شخص مسؤول حدوده التي يقف عندها فلا يتجاوزها، وليعيد الحق إلى نصابه بعد الضياع، فيكفوا عما هم فيه من إخلال وإهمال.

وتبدولنا قيمة كتاب تسهيل النظر وأهميته العلمية في كونه تأليف رجل واسع الثقافة غزير المادة، فقد اعتمد على مصادر كثيرة، واستمد من روافد متعددة، كما سنبين ذلك إن شاء الله.

وهو إلى جانب ذلك، قد تقلب في معترك الحياة السياسية فدرسها دراسة الخائض لغمراتها، والمكتوي بنارها، في خضم الأحداث العصبية، فلقد شهد عصراً اضطربت فيه الحياة السياسية وتقلبت فيه أمور الخلافة بين مدّ وجزر، ورفع وخفض، وكان في تقلده منصب أفضى القضاة ومنصب السفارة بين الدول ما جعله يطلع على أحوال الملوك وسيرهم اطلاعاً عميقاً، فجاء كتابه مستخرجاً مما خبره ورآه، فكان شهادة الخبير بما خبر، والعليم بما علم.

(١) جب، هامتون: دراسات في حضارة الإسلام، ص ٢٠٠.

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ح ١٢، الورقة ١٥٤ ب.

وهو فضلاً عن ذلك فقيه واسع الفقه، كما يتضح ذلك من كتابه (الحاوي الكبير)، وقاضي شغل منصب القضاء مدة طويلة في بلدان عديدة، له آراؤه الخاصة في القضاء، ومفسر له نهجه الخاص في التفسير، ومحدث يروي عنه المحدثون الحديث. كل ذلك جعل منه شخصية ذات عقل مستنير، يجتهد ولا يبتدع، ويستنبط الأحكام لظواهر المستجدة في عصره، فاستطاع أن يمزج الفقه الافتراضي بالفقه العملي الواقعي، فكان حصيلة ذلك أن ترك تراثاً عملياً نافعاً، ومصدراً أصيلاً وضخماً، لقدّر عظيم من التشريعات.

وهو بالإضافة إلى ذلك يبحث في أبواب مهمة من أبواب العمران والتمدن، مما يتصل في العصر الحاضر ببعض موضوعات علم الاجتماع. فلقد بحث في الدولة ونشئها، وتأسيس الملك وأنواعه وخصائص كل نوع، وسياسة الملك وتديبه بعد تأسيسه وغير ذلك من الموضوعات قبل أن يفكر في البحث فيها كثير من الباحثين. فقد قال «إن الدولة تبتديء بخشونة الطباع، وشدة البطش، لتسرع النفوس إلى بذل الطاعة، ثم تتوسط باللين والاستقامة لاستقرار الملك، وحصول الدعة، ثم تختم بانتشار الجور، وشدة الضعف لانقراض الأمر وقلة الحزم، وبحسب هذه الأحوال تكون ملوكها في الآراء والطباع».

كما بحث في الأمصار وأنواعها، وما يستديم به كل نوع، والأمور التي تتكفل بصلاحها وعموم الخير فيها، وما يتوجب على الملك من القيام بإدامة مرافقها وتوفير السبل التي تضمن دوام ذلك الصلاح.

وفضلاً عن ذلك فإنه كتاب تبصير ونصح، في وقت عز فيه الناصحون، وكثر فيه المتملقون، وتهالك فيه المتهاكون على أبواب السلاطين، وتعالى فيه المتعالون وطمعى فيه المتجبرون، واضطربت فيه نار الفتنة بين أجزاء الدولة التي انفرط عقدها، فكانت دويلات صغيرة، متناحرة، متنافسة، تغلي بالحقد والكيد، وتؤجج نيران تنافسها المطاعم والأهواء، فكانت كتبه خير ناصح ومعين، وخير هاد، ليصلح ما فسد، ويقيم ما اعوج من سير الملوك والأمراء، فكانت كلماته أقوالاً حكيمة، وتجارب نافعة، في وقت مناسب،



وتذكيراً حين تنفع الذكرى، ولا تزال قائمة النفع، ملموسة الفائدة حتى لو وصل الإنسان إلى قمة المجد والحضارة وال عمران.

وهو مع ذلك تأليف أديب شغفه الأدب، وأخذ بمجماعه، فكان كثيراً ما يستشهد بالأبيات ذات التعبير الجميل والكلام الغزلي الرقيق<sup>(١)</sup>، ولو كان المقام مقام فقه وأحكام. ولقد دفعه حب الأدب إلى أن يدون نصوصاً شعرية ونثرية ذات قيمة في تاريخ الأدب، فقد حفظ لنا نصوصاً كثيرة من أقوال الحكماء والشعراء والأدباء وأمثالهم وكتاباتهم، وربط بينها بأسلوب أدبي محكم، ورتبها وبوبها تبويباً رائعاً. إن كل فقرة من فقرات الكتاب ليصح أن يستشهد بها على مقدرته وبراعته في الكتابة.

#### هـ - مصادر الماوردي في كتابه تسهيل النظر:

استمد الماوردي مادته الغزيرة من مصادر متنوعة، وروافد عديدة تنبىء عن مقدرة الرجل على الاستيعاب والإحاطة، فلقد أوتي حافظاً غزيرة دفعته إلى أن يجعل كتابه نمطاً فريداً يحتوي على كثير من النصوص السياسية والأدبية والفقهية.

فقد استشهد بالآيات القرآنية الكريمة ثم استشهد بالكثير من الأحاديث النبوية الشريفة وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، التي قلّ لفظها وعظم معناها، كما استشهد بأقوال بعض الأنبياء السابقين، كسليمان وعيسى عليهما السلام.

واقتبس كثيراً من الآثار والأخبار الموقوفة على الصحابة والتابعين، فتجد أقوالاً لأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم.

واستشهد بكثير من الأبيات الشعرية منها ما نسبها إلى أصحابها، ومنها ما لم ينسبها.

فمما استشهد به ونسبه إلى قائله شعر ابن الرومي، والبحري، وأبي

(١) طبقات ابن السبكي (طبعة الحسينية) ٣ / ٣٠٨.

تمام، وأبي نواس، وأبي العتاهية، والعتابي، والمعري، والتمتبي، وظاهر بن الحسين، وابنه عبد الله، وابن ابنه عبيد الله، وغيرهم وكلهم من شعراء العصر العباسي.

أما الأبيات التي لم ينسبها إلى قائل، فقد كانت لشعراء مختلفين ومن سائر العصور التي سبقت.

واستشهد بأقوال كثير من الفصحاء والمترسلين والكتّاب، منهم: عبد الملك بن مروان، وزياد، ووهب بن منبه، وعلي بن عبيدة الريحاني، وابن المقفع، والمنصور، وابن قتيبة، وجعفر بن يحيى البرمكي، وابن المعتز، وغيرهم.

واستشهد بأقوال كثير من الحكماء والفلاسفة من العرب والفرس واليونان وأمثالهم، منهم لقمان، وأنوشروان، وأردشير، وبزرجمهر، وسابور، وبهرام جور، وكسرى، والإسكندر، ومعلمه أرسطوطاليس، وجالينوس، وسقراط، وغيرهم، ونقد بعض تلك الأقوال وناقشها.

جمع كل هذه الأحاديث والآثار والأقوال والأمثال والحكم والرسائل والكتب، ورتبها ترتيباً عجباً، وبوّها في الأبواب التي عقدها، وهو بذلك يمثل لنا مقدرة الفكر العربي الإسلامي على هضم المادة الحضارية وإظهارها بقالب جديد، بعد نقدها ومعرفة حقيقتها.

وإليك إحصائية بما ضمه الكتاب من منقولات، على وفق ما درج عليه المتأخرون من الاهتمام بالإحصاء، مرتبة حسب كثرتها:

الحكم: ٣٧٨ حكمة منها ٩٣ حكمة منسوبة إلى قائلها ومنها ٢٨٥ غير منسوبة إلى قائل.

الأبيات الشعرية: ١١٤ بيتاً نسب المؤلف منها في هذا الكتاب ٢٩ بيتاً إلى الشعراء الذين قالوها، وأبقى ٨٥ بيتاً غير معزوة إلى قائل.

الأحاديث: ٥٦ حديثاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

أقوال الصحابة: ١٤ قولاً.

أقوال التابعين: ١٣ قولاً.

الأمثال: ٢ ونسبها إلى العرب.

و - تحقيق كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر:

لكتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر نسختان خطيتان، فرَّق الدهر بينهما، فأحدهما في مغرب الشمس والأخرى في مشرقها وتختلف كل واحدة عن الأخرى اختلافاً كبيراً.

النسخة الأولى:

وهي النسخة المودعة في مكتبة مدينة «غوتا»، في ألمانيا الغربية، وتحتفظ بالرقم (١٨٧٢ غوتا)<sup>(١)</sup> أشار إليها بروكلمان<sup>(٢)</sup> وجرجي زيدان<sup>(٣)</sup> ومصطفى السقا<sup>(٤)</sup> وسعيد عبد الفتاح عاشور<sup>(٥)</sup>.

وهي نسخة كاملة للكتاب وتقع في ٦٥ ورقة، بخط نسخ جميل، في كل صفحة ١٩ سطراً بمعدل ١٣ كلمة في السطر.

جاء في أولها العنوان بما نصه:

كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر، تأليف أفضى القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي رحمة الله عليه أمين، ثم في ظهر الورقة الأولى جاءت بدايتها بما صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل الحق معزاً لمن اعتقده وتوخاه، ومعيناً لمن اعتمده وابتغاه، وجعل الباطل مذلاً لمن آثره وارتضاه، ومذلياً لمن أظهره واقتفاه، حمداً يوازن

(١) انظر: Pertseh W. Die arabischen Mdss der Herzolichen Bibliothek zo gotha No 1872 ومدينة «غوتا» مدينة صغيرة بالقرب من مدينة «فرانكفورت».

Br. G. L. S. 11668 . Encyclop. 3 M416

(٢) انظر:

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ٢ / ٣٨٥.

(٤) مقدمة أدب الدنيا والدين، ص ١١.

(٥) الأحكام السلطانية للمادري-مقال في مجلة تراث الإنسانية، المجلد الخامس من ٢١-٢٢.

جميل نعمه، ويضاهي جزيل قسمه، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحابه، أما بعد فإن الله جلَّ اسمه ببلغ حكيمته وعدل قضاائه جعل الناس أصنافاً مختلفين، وأطواراً متباينين، ليكونوا بالاختلاف مؤتلفين، وبالتباين متفقين . . . إلخ.

وجاء في نهايتها قوله:

فإن ذلك أنفس دخائره يوم معاده، وأنفع ما يخلفه لمن اقتدى به، فخير الناس أنفعهم للناس، أمدَّ الله عز وجل بتوفيقه وتسديده، وتكفل بمعونته وتأيبه، وكان له على الخير ظهيراً مرشداً، وعلى العدل معيناً مسعداً، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد كتب ناسخه بعد ذلك ما نصه:

تمَّ الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلامه. وكان الفراغ في ليلة الإثنين حادي عشر رجب الفرد الحرام المنتظم من شهور سنة ١٠٥٢ هـ على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه الفقير عبد الرحمن المكنى بأبي هادي ابن محمد بن أحمد بن الجبعاني الوفاد الشافعي، أحد العدول بمحكمة مصر القديمة، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

ولما كانت هذه النسخة كاملة فقد جعلتها هي الأم، وعليها اعتمدت، وإن كانت كثيرة التصحيف والزلل، على ما لناسخها من الخط الجميل.

والنسخة الثانية:

وهي النسخة المودعة في مكتبة كلية الآداب في طهران، وتحمل الرقم (٩٠ - د) (ش ٥ دفتر ٢٣ ب - ٢٩) (١) ولم يشر إليها بروكلمان ولا غيره.

وهذه النسخة مختصرة من الكتاب اختصاراً شديداً، إلا أنها شملت

---

(١) انظر: محمد تقي دانش بزوة: فهرست نسخة هاي خطي كتيخانه دانشكده ادبيات طهران (١٣٣٩ جابخانه دانشكاه) شماره: ١ سال هشتم ص ١٢٨.

أغلب مواضعه، ووقعت في ١٢ صفحة ضمن مجموع خطي حجمه كبير جداً، بمعدل ٣٢ سطراً في الصفحة، وبمعدل ١٦ كلمة في السطر الواحد، وبخط فارسي.

جاء في أولها قوله:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال أفضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري في أثناء خطبته في كتابه الملقب بتسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك: أما بعد فإن الله عز وجل لتبليغ حكمته وعدل قضائه جعل الناس أصنافاً مختلفين، وأطواراً متباينين، ليكونوا بالاختلاف مؤتلفين، وبالتباين متفقين . . . الخ

وجاء في آخرها:

ذكر أن بعض ملوك الفرس ذهب سمعه فبكى، وقال: لم أبك من ذهابه، إلا لأنني كنت أسمع ظلامة المتظلم فأنصفه، فقد صرت لا أسمعها، وأنا أعتاض عنه ببصري، وقد حرمت لباس الحمرة إلا على المتظلم لأعلم بتظلمه إذا رأيته فأنصفه، فلا خير في ملك لا ينصف الناس، ولا ينتصف به الناس. قال أفضى القضاة في آخر هذا الكتاب في سياسة الملك: وليكن من دأبه فعل الخيرات إما ابتداء من نفسه، أو اقتداء بالأخيار من سلفه، فقد قيل: الناس في الخير أربعة أقسام: منهم يفعل ابتداء، ومنهم يفعل اقتداء، ومنهم من يتركه حرماناً، ومنهم . . . فمن يفعل ابتداء فهو كريم، ومن يفعل اقتداء فهو حكيم، ومن يتركه حرماناً فهو شقي، ومن . . . هذا آخر ما جمع من كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله أجمعين.

وقد جاء في الصفحة الأخيرة تملكات منها ما أرخ بسنة ١١٥٣ هـ.

وهذه النسخة ظاهرة الحداثة. وهي وإن كانت مختصرة فقد أفادت في تقويم وتصحيح التصحيحات التي وقعت في النسخة الأولى.

ولقد كان من فضل الله عليّ وعلى هذا الكتاب أن يسر له هاتين النسختين اللتين كانتا في طرْفِي الدنيا، فسعيت في الحصول على صورتيهما. وما أن توافرت الصورتان حتى قمت بمقارنتهما، فاتخذت نسخة مكتبة (غوتا) أصلاً، لكونها كاملة غير منقوصة، ووضعت لها الرمز غ. وجعلت نسخة مكتبة كلية الآداب بطهران أصلاً ثانوياً، لكونها مختصرة شديدة الاختصار، ووضعت لها الرمز ط. وقد أشرت إلى اختلاف النسخ بينهما، وصححت ما يقتضي تصحيحه.

ولما استقامت لي مقابلة النسختين رجعت أول ما رجعت إلى كتبه هو، فوجدت فيها بعض عباراته التي دونها هنا، وأشرت إلى ذلك في مواضعه، وأشرت إلى الاختلاف بينها، فقد أودع بعضاً من عباراته التي دونها هنا في كتبه: أدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية، وأدب الوزير، والأمثال والحكم، ونصيحة الملوك، وغيرها.

ثم رجعت بعد ذلك إلى المظان التي توجد فيها مثل هذه الموضوعات من الكتب الأدبية والتاريخية والحكومية والأخلاقية فلم آل جهداً في المقارنة والاجتهاد، وتزويد الكتاب ببعض الفوائد والمصادر التي تبحث في ذلك.

ولما كان الكتاب يحوي عدداً غفيراً من الأقوال والحكم والأمثال والرسائل، فقد رجعت إلى كتب هذه العناوين، فاستخرجت كثيراً من تلك الأقوال ونسبتها إلى قائلها، وأشرت إلى مظان وجودها، واختلاف بعض الروايات عن بعض، وأثبت بعد المقارنة ما بان لي أنه هو التعبير الذي اختاره المؤلف، وأضفت بعض الكلمات أو العبارات التي ليست في الأصل جاعلاً إيها محصورة بين معكفين [ ] للإشارة إلى تلك الزيادة.

وقمت بتخريج الأحاديث الكثيرة التي حفل بها الكتاب وأشرت إلى بعض الكتب التي روتها ما وسعني.

وقمت بتحقيق الأبيات المنسوبة إلى قائلها وتخريجها بمراجعة دواوين الشعراء الذين ذكرهم إن كان لهم ديوان، والبحث عن الأبيات التي

لم ينسبها لقائل، ونسبت كثيراً منها إلى قائلها ما وسعني، وقد أعانني على هذه المهمة الشاقة أن المؤلف قد يترك نسبة البيت إلى قائله اعتماداً على ذكره له في كتاب آخر، فراجعت كتبه المطبوعة والمخطوطة كلها، فأعانني ذلك على معرفة قائي كثير من الأبيات وقد وجدت العون كل العون في كتابيه: الأمثال والحكم، ونصيحة الملوك، اللذين لا يزالان مخطوطين.

ثم رجعت إلى كتب الاختيارات الشعرية، والحماسات، والمجموعات، والثقافة العامة، فوجدت فيها شيئاً لا بأس به في التحقيق والتوثيق والتخريج، إلا أنني رغم ذلك لم أستطع أن أجد لبعض الأبيات ذكراً في الكتب التي رجعت إليها نظراً لعدم وجود شاهد لغوي أو بلاغي أو غير ذلك في تلك الأبيات، ولا سيما أننا نجده يستشهد ببعض الأقوال والأبيات التي تشيع على الألسنة ولا يعرف لها قائل.

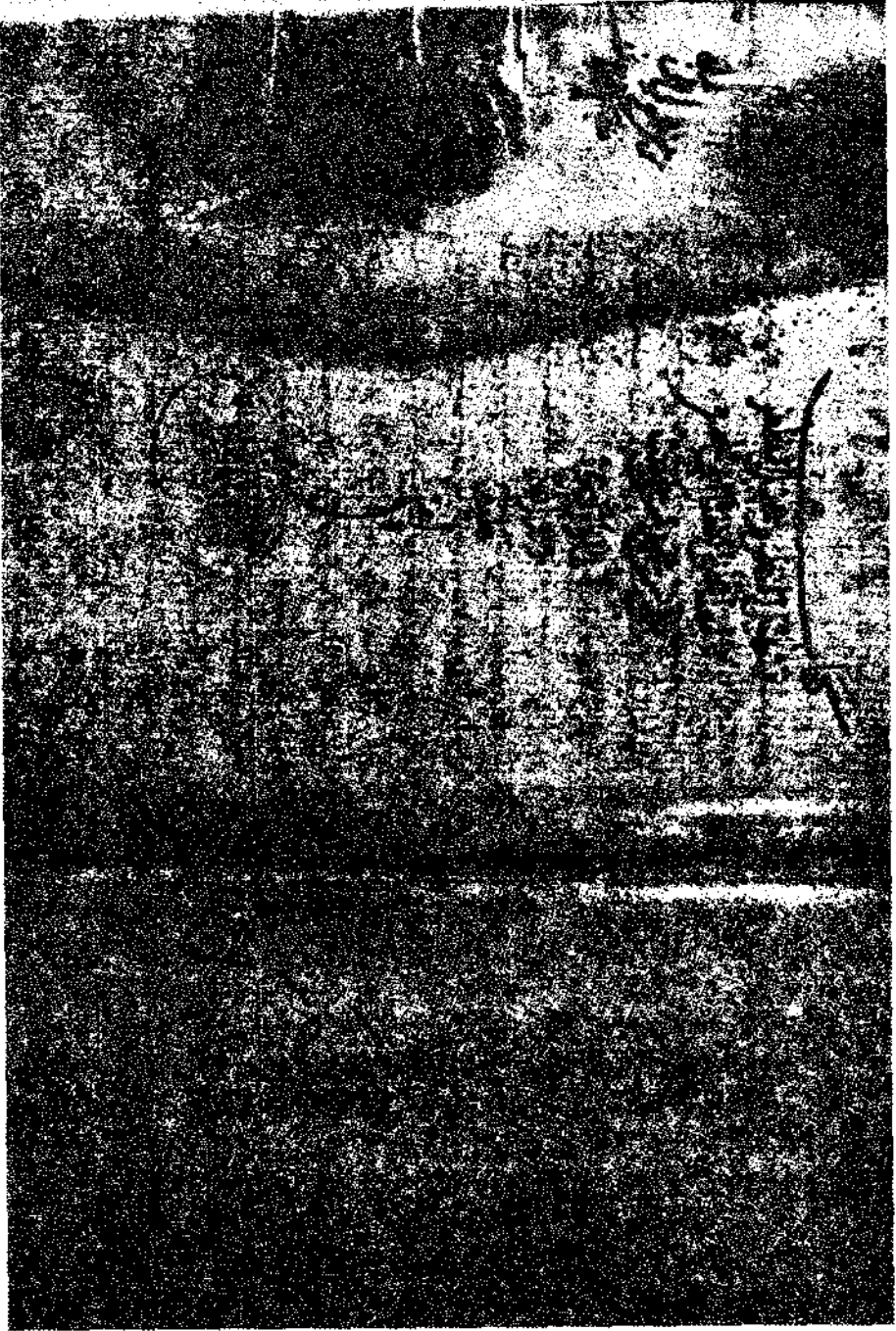
وقد بذلت من الجهد ما وسعني في البحث عنها فلم أفلح، ولم آل جهداً في ذلك، وفي خدمة النص، وتقويمه، وتزويده ببعض ما يكون ضرورياً له، والتعريف بالأعلام التي وردت فيه، وشرح غريبه، ومصطلحاته، والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل في هذا العمل فائدة ونفعاً في الدنيا وفي الآخرة، إنه هو السميع العليم، وعليه قصد السبيل، والحمد لله رب العالمين.

\* \* \*  
\* \*  
\*

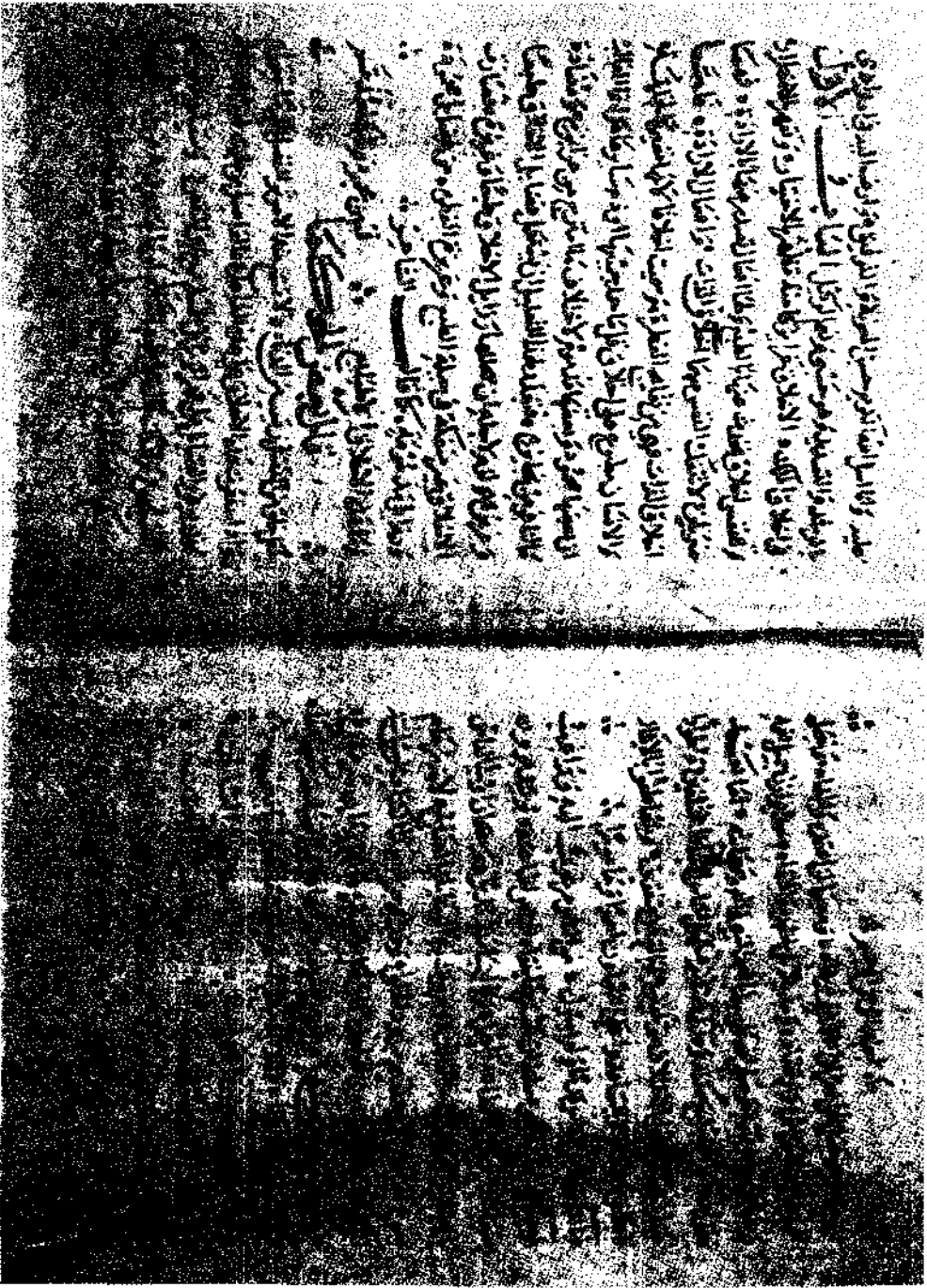




**صور غلاف ولقطات وصفحات  
من مخطوطتي كتاب  
تسهيل النظر وتعجيل الظفر**

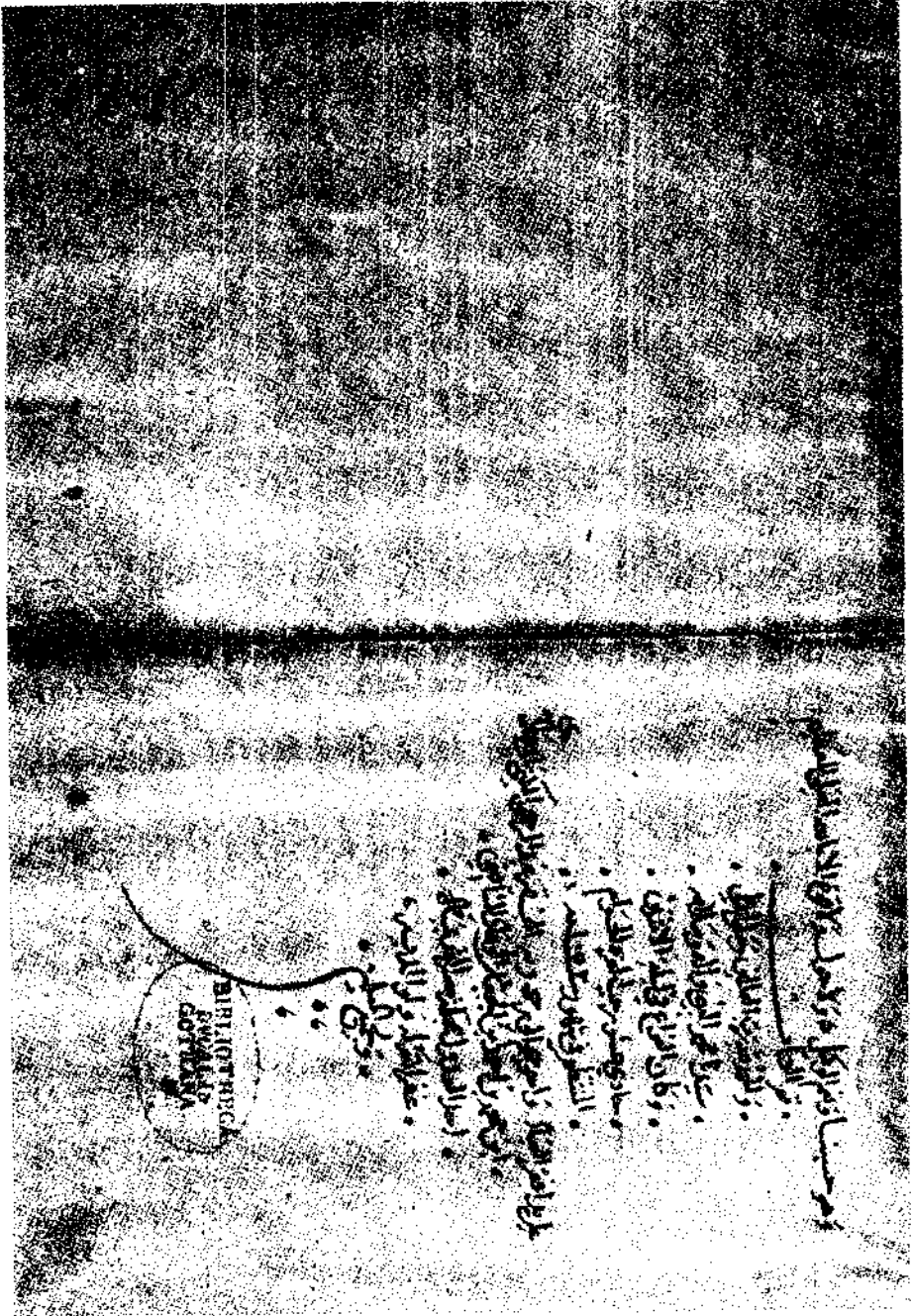


صورة غلاف نسخة مكتبة (غوتا) في ألمانيا



صورة اللقطة الأولى من نسخة مكتبة غوتا





صورة اللقطة الأخيرة من نسخة مكتبة غوتا

بسم الله الرحمن الرحيم قال افقن القضاء ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب  
الهاورمي البصوي في اثناء خطبة في كتابه الملقب بتسهيل النظر وتجميل اللفظ في اخلاق  
الملك وسياسة الملك اما بعد فان الله عز وجل لتبليغ حكمته وعدل قضاء جعل الناس اصنافا  
مختلفين والاولا متباينين لثبوتها باختلاف موطنهم وبالبيان متفقين فقاموا  
بالا متباينين تابعوا ومتبوعين وبيننا عدو اعلم النعمان امر او مأمورا كما قال الشاعر  
وبالناس عايش الناس فلما ولم نزل من الناس موعوب اليه وراغب  
وقال في اثناء كلامه في وصف لاختلاق الملك وشريف الاحوال لا يتصرف فيه الا بشويع  
الاخلاق سواء كان طبعا او تطبعا لان الافعال نتائج للاخلاق وتوازغ الهم وقد نبه  
الله في كتابه على ذلك بقوله لنبيه صلى واله اعلم خلق عظيم لان النبوة لما كانت اشرف منازل  
الخلق لاشتمالها على شرايع الدين ومصالح الدنيا نوب الله لها من قدام كل ضابط للاخلاق  
وحاز اشرف الاعراق ولذلك قال النبي صلى بعثتكم لاكمم الاخلاق قال كذلك سياسة الملك  
لما كانت تالفة لخالها ووجب ان يكون مشاكلة لخالها فصارت ضابط للاخلاق فوعين  
غويبه طبع عليها ومكتسبه يطبع لها فالملوك بالفضائل الغزوة اخض من العامة هي منهم  
او قرو عليهم اظهر لكم منشا همهم وعلو همهم قال الشاعر  
وما هذه الاخلاق الا طبائع فمنهن محمود ومنها مذموم  
يا ايها المجدل عبوسية ومن بحسنة الاكفاء والخلق  
عليكم بالعقد فماتت فاعلم ان الخلق ياتي دونه الخلق  
قال افقن القضاء اول الفضائل العقل واخرها العدل لان العقل اصل الفضائل وكان اولها  
والعدل نتيجته الفضائل كان اخرها وهما قوسان مؤلفان ولم ياتلف امران الا كان اصلها  
محتاجا الى الاخر اصطلحا واما سواها من الفضائل واسطة بين العقل والعدل بمنتهى  
العقل يتم بغيرها والعدل يتقدها فكون العقل مديتورا والعدل مؤدرا وقد قال  
بعض الحكماء المتقدمين ان قواعد الاخلاق الفاضلة اربعة يتفوق منها ما عداها  
من الفضائل وهي المنفعة والنجدة والعفة والعدل وسفرغ عن اجدادها من الرذائل  
قال بعض الحكماء من بدأ بسياسة نفسه ادرك سياسة الناس في مشور الحكم لا ينبغي  
لعاقل ان يطلبه طاعة غيره وطاعة نفسه علم مستغنى قال الشاعر  
انطلق ان يطبع قلب شعدي وتوهم ان قلبك قد عصا كما  
قال افقن القضاء وربما حسن خلق الانسان بنفسه فانظر مراعاة اخلاقه فدعاه حسن الظن بها  
الى الرضا عنها وكان الرضا عنها داعيا الى الانقياد لها ففسد منها ما كان صالحا ولم يصلح منها  
ما كان فاسدا لان الهوى اغلب من الراي والنفس اجود من الاعمالها بالسوء آخرة والى الشهوات  
مائلة كما قال بيان النفس لامارة بالسوء قال النبي صلى لعلم الشدة من ملك نفسه قال  
بعض الحكماء من رضي عن نفسه استخ على الناس وقال عبد الملك بن مروان افضل الناس

دونه انما قلنا انما حال الثوب ان ادم ان يعلموا ما العبد عنده فانثروا ما بقعه من ثياب الناس  
 ومن يتدع ما ليس من حبه فبعضه يدعه ويغلبه على النفس جميعا وقال بعض الحكماء من طبع ان يدع عن غفارت  
 يتكلم روي عن سعد بن رسول انه علم انه قال الناس سواء كما كلفنا صفا صلوات بالعداثة قال ابي  
 في اناء كلامه وينكر دينها وهم ان عوانتها يسبحي عن احد الامور فقد روي عن النبي عليه السلام انه قال المستبح بما تعلم  
 وليس تون زور عنى بالمشيخ يا لا ملك المتظاهر بالنسب فقه وقوله كلابس ثوبي زور هو الذي يلبس لباس  
 الصلوة ويعمل على العليما فاما ما اعلم فينبغي للملك ان يعرف فضله ويستظن اهله ليكون بالعلم موسوما واليه سوما  
 فان الانسان موسوم سبها من عاربه ومضروب اله افغان من صاحب والذكر فكل النبي عليه السلام الهراء على دين حليله  
 فتدبروا صدم من خال وقال عليه السلام المراد من صاحب وقالت للحكام يظن بالمرء ما ظن بقرمه وقال النبي عليه السلام  
 من البيان لحيوان وان اخوف ما اخاف على امي من ان تعلم اللسان وقال النبي عليه السلام اهلك امتي رجلان عالم  
 فاحب وجاهل متعبد وكل صدم عن شرار الاشهر فقال شرار العلماء وقال النبي صلح على امرئ طالبا وسع  
 فتمت خبري روي ان ناسك طاهر يدعو الى الجهد بنفسه وعالم فاسق يدعو الى فسقه لعله قال بعض الشعراء  
 ان لله صولة فاخذ بنا ليتبين قد امتت الله هو اوسط وصل الذي ويدرس في وصعب الامور يحيى الكثير  
 في من اجل الشريعة ان جعل الله الشريعة قال النبي عليه السلام عفو الملوك بقا الملك قال القضاة القضاة  
 كرامه فان روي بعض الرعية مستحق للعقوبة عاقبه ادب الاغضب فقد قال انوشوان اني لملت هذه الرعية  
 بغيري خصال وذلك اني لم اهزل في امر ولا اهنى قط ولم اخلف في وعد ولا وعيد قطا ووليت للقضاة المهوي  
 يعاقبت للادب واللعضب واودعت قلوب الرعية شدة المحبة من عوج جوار وقوة الهمة من عجز  
 سنبعة وعميت بالقرب وحذفت العصول قال القاضي الفاضل وهذا اصح سيوة سارها فكل في بيانه  
 ملكه وحراسه دولة قال الشاعر لعفوا الملوك عن العظيم من انذوب لعفولها  
 واهدت عاقبة البيه و ليس ذاك لجليلها الا لعرف فصلها وخاف شدة وكلمها  
 اذا انت لم سرح يظن وبعضه على انظر اردك الطولون الكواذب قال القاضي الفاضل في اناء كلامه  
 فينبغي للملك ان تحت لنفسه الرعية في ايامه والمجد لسببه بتسليط العدل على ملكه وتكتم الرعي على  
 سوطاه وقال الشاعر وما المرء الا حيث نفسه ففي صالح الاخلاق ففعل فاصحل وجد في حاتم  
 الفرس مكتوب قلوب الرعية حزان ملكها من اودعها من شي فليعلم انه فيها وقال بعض الحكماء  
 من خاف اسائك بعد مسانلة حكى البريدي ان كسوي بن قتادة دفع اليه رجل من اصحاب ابي بن ماض  
 بعانه انك جماعة قد سدت ساهم وحشت منها رهم وقد هو بما لا يفعلوا وهم ملووس على الملك  
 فودع انما ملك الاجاب دلا النيات واحكم بالعدل لا بالرضا وانحصر عن الاعمال لا عن ايسر او  
 ذكر ان بعض طووك الفرس ذهب سمع فيكا وقال لم يكن من ذهاب الا اني كنت اسمع ظلامه  
 المنتظم فالصفة قد صيرت الاصحها وان اعترض عنه بصري وقد حزن من الجرح الاعلى المنتظم  
 لاعلم ينظلمه اذا رايته فالصفة فلا خير في ملك لا يصف الناس ولا ينصف به الناس قال القاضي الفاضل  
 في اخر هذا الكتاب في سياسة الملك وتكمن من دابة فعل الحيات اما ابتداء من نفسه او اقتداء بالاجبار  
 من سلفه فقد قيل الناس في الحيوان بعد انما منهم بفعله ابتداء ومنهم بفعله اقتداء ومنهم من يتوكل على ما  
 من سلفه فقد قيل الناس في الحيوان بعد انما منهم بفعله ابتداء ومنهم بفعله اقتداء ومنهم من يتوكل على ما

صورة الصفحة قبل الأخيرة من نسخة مكتبة كلية الآداب - طهران

في سنة ١١٥٥

توفي الميرزا محمد باقر  
الاصيل الاجل المحدث  
في سنة ١١٥٥

بني الحسين عليهما السلام

عندت على الدنيا وطلب العلم  
اقاسى مع ما ضارها ليل  
صده

وفاته قبل شهر من  
ما استأجله والحسين ووفيت  
في حضرة الحسين عليه  
الاصيل المشرق وكان  
الشيخ في غايته كماله والصلاح  
كثيرا حافظا حيا مطبقا  
من عرفه ووصفه به في  
وهذا الكتاب اختلف في الوراثة  
منهم غناد حبيب طاب ثراه

اكل ترفيقا على كمال  
مروم عليه الدهر ليس  
فحالت في مرمى الحزن على  
بهم غناد حبيب طاب ثراه



كتاب  
تسكين النظر وتجميل الظر  
في أخلاق الملك وسياسة الملك

تأليف  
أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد الماوردي

مراجعة وتقديم  
الأقضى الحسن الشاذلي  
رئيس فرع الاجتماع  
كلية الآداب - جامعة بيروت العربية

تحقيق  
محيي الدين السركان  
المدير بقسم اللغويات  
كلية الآداب - جامعة بغداد

١٩٨١

دار النهضة العربية  
للطباعة والنشر  
بيروت، ص. ١٦٩



# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

[مقدمة]

الحمد لله الذي جعل الحقُّ مُعِزًّا لمن اعتقده وتوَّخاه، ومُعِينًا لمن اعتمده وابتغاه، وجعل الباطل مُدْلًا لمن آثره وارتضاه، ومُذِبِلًا<sup>(١)</sup> لمن أظهره واقتضاه، حمداً يوازن جميل نعيمه، ويضاهي جزيل قسيمه، وصلى الله على سيِّدنا محمد النبي وآله وصحابه<sup>(٢)</sup>.

أما بعد: فإنَّ الله جلَّ اسمه [ب] بليغ<sup>(٣)</sup> حكمته وعدل قضائه جعل النَّاسَ أصنافاً مختلفين، وأطواراً متباينين، ليكونوا بالاختلافِ مُؤْتَلِفِينَ، وبالتباينِ متفقين، فيتعاطفوا<sup>(٤)</sup> بالإيثار<sup>(٥)</sup> تابعاً ومتبوعاً، ويتساعدوا على التعاونِ أمراً ومأموراً [كما قال الشاعر<sup>(٦)</sup>]: [من الطويل].

وِبِالنَّاسِ عَاشَ النَّاسُ قَدَمًا وَلَمْ يَزَلْ  
مِنَ النَّاسِ مَرغُوبٌ إِلَيْهِ وَرَاجِبٌ<sup>(٧)</sup>

(١) مذبلا، (كذا): اسم فاعل من (أذال)، بمعنى: (مهيناً)، قال الفيروز أبادي: «وأذلت: أهنته» (القاموس، مادة ذبل) ٣ / ٣٩١.

(٢) سقطت كل هذه المقدمة من (ط)، وجاء فيها بعد البسملة: قال أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، في أثناء خطبته، في كتابه الملقب بتسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك: أما بعد...

(٣) غ: بليغ، ط: فإن الله عز وجل لتبليغ حكمته...

(٤) غ: وتعاطفوا، وما أثبتناه عن ط.

(٥) ط: بالامتياز.

(٦) الزيادة من ط. والشاعر هو أبو نواس الحسن بن هاني الشاعر المعروف.

(٧) غ: فبالناس... إلخ وما أثبتناه عن ط، وعن مصادر التخريج، وقد استشهد المؤلف بهذا البيت على أنه من الأمثال والحكم في كتابه (الأمثال والحكم مخطوط-الورقة ٨ب) دون أن =

فَوَجِبَ التَّفْوِضُ إِلَى إِمْرَةٍ سُلْطَانٍ مُسْتَرْعَى، يَتَقَادُ النَّاسَ لَطَاعَتِهِ، وَيَتَدَبَّرُونَ بِسِيَاسَتِهِ، لِيَكُونَ بِالطَّاعَةِ قَاهِرًا، وَبِالسِّيَاسَةِ مُدَبِّرًا. وَكَانَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْعِنَايَةِ مَا سَيِّسَتْ بِهِ الْمَمَالِكُ، وَدُبِّرَتْ بِهِ الرَّعَايَا وَالْمَصَالِحُ، لِأَنَّهُ زِمَامٌ يَقُودُ إِلَى الْحَقِّ، وَيَسْتَقِيمُ بِهِ أَوْدُ الْخَلْقِ.

وَقَدْ أَوْجَزْتُ بِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ سِيَاسَةِ الْمُلْكِ مَا أَحْكَمَ الْمُتَقَدِّمُونَ قَوَاعِدَهُ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ مَلَةٍ سِيرَةً، وَلِكُلِّ زَمَانٍ سَرِيرَةً، فَلَمْ يُعْنِ مَا سَلَفَ عَنْ مُؤْتَلَفٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ عَهودَهَا، وَمِنَ السِّيَاسَةِ مَعْهُودَهَا؛ لِيَكُونَ لِلدِّينِ مُوَافِقًا، وَلِلدُّنْيَا مُطَابِقًا.

وَجَعَلْتُ مَا تَضَمَّنَهُ بَيِّنًا:

فَالْبَابُ الْأَوَّلُ: فِي أَخْلَاقِ الْمُلْكِ.

وَالْبَابُ الثَّانِي: فِي سِيَاسَةِ الْمُلْكِ.

لِيَكُونَ مُشْتَمَلًا عَلَى مُعْتَقَدٍ وَمَفْعُولٍ، وَمُصْلِحًا لِعَامِلٍ وَمَعْمُولٍ، وَتَرْجُمَتُهُ بِ: تَسْهِيلِ النَّظَرِ وَتَعْجِيلِ الظُّفْرِ، إِذْ كَانَ مَا تَضَمَّنَهُ دَاعِيًا إِلَيْهِ وَبَاعِثًا (٢٢) عَلَيْهِ.

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ حُسْنَ الْمَعُونَةِ وَالتَّوْفِيقِ، وَأَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي إِمْدَادِي بِالرُّشْدِ وَالتَّسْهِيدِ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

\* \* \*

= يسية لقاتل، وباللفظ نفسه. والبيت لأبي نواس، انظر ديوان بتحقيق إيفالد فاغز ١٧٤/٢، وبتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ٦١٦، وديوانه الذي نشرته مكتبة النهضة ببغداد ١/٨٢ وهو فيها كلها بلفظ (... كان الناس قداماً...) ولم أجد البيت في ديوانه باعتناء الزهار المطبوع بمطبعة جمعية الفنون سنة ١٣٠١/١٨٨٤م في ٥٢ صفحة. وهو في زهريات أبي نواس ص ٩٦، القطعة رقم ٥٣ وهو فيها بلفظ «... كان الناس... مرغوب اليدين...».

## الباب الأول في أخلاق الملك

[تمهيد]:

الأخلاقُ غرائزُ كامنةٌ، تظهرُ بالاختيارِ، وتُقهَرُ بالاضطرارِ.  
وللنفسِ أخلاقٌ تحدثُ عنها بالطَّبعِ، ولها أفعالٌ تصدرُ عنها بالإرادةِ،  
فهما ضربانِ، لا تنفكُ النفسُ منهما:  
أخلاقُ الذاتِ.  
وأفعالُ الإرادةِ.

## [الفصل الأول]

## [أخلاق الذات]

فأما أخلاق الذات فهي من نفايح<sup>(١)</sup> الفطرة، وسُميت أخلاقاً لأنها تصير كالخلقة.

والإنسان مطبوع<sup>(٢)</sup> على أخلاق قل ما حمده جميعها، أو ذم سائرهما، وإنما الغالب أن بعضها محمود، وبعضها مذموم، لاختلاف ما امتزج من غرائزه، ومضادة ما تنافر من نحائزه<sup>(٣)</sup>؛ فتعدّر لهذا التعليل أن يستكمل فضائل الأخلاق طبعاً وغريزةً، ولزم لأجله أن تتخللها ردائل الأخلاق طبعاً وغريزةً، فصارت الأخلاق غير منفكة في جبلّة الطبع، وغريزة الفطرة، من فضائل محمودة، وردائل مذمومة، كما قال الشاعر: [من الطويل]

وما هذه الأخلاق إلا طبائع  
فمنهن محمود ومنها مذمّم

قال بعض الحكماء:

(١) النفايح جمع نفيجة، وهي كل شيء يصدر بقوة وبحدة، مأخوذة من نفج الأرنب أي ثار، أو الشيء إذا ارتفع، أو الريح إذا جاءت بغتة (نهاية ابن الأثير ٥ / ٨٨ مادة نفج) أو إذا جاءت بقوة (قاموس ١ / ٢١٧ والمصباح المنير ٢ / ٩٥١) أو نفج الثدي القميص إذا رفعه (أ البلاغة ٢ / ٩٧٦) وقد يطلق على القوس (المعجم الوسيط ٢ / ٩٣٨).

(٢) قوله: «والإنسان مطبوع على أخلاق قل ما حمد جميعها أو ذم سائرهما...» ذكر المؤلف معنى ذلك في كتاب أدب الدنيا والدين إذ قال:

«اعلم أن النفس مجبولة على شيم مهمة، وأخلاق مرسلّة، لا يستغني محمودها عن التأديب، ولا يكفي بالمرضي منها عن التهذيب، لأن لمحمودها أصداداً مقابلة، يسعداها هوى مطاع، وشهوة غالبة...» (أدب الدنيا والدين ص ٢١٠).

(٣) النحائز جمع نحيزة: الطبيعة (قاموس ٢ / ٢٠٠) وانظر (مختار الصحاح ٥١٥) قال ابن دريد: «الغريزة: الطبيعة والجمع الغرائز. فلان كريم الغريزة، والطبيعة، والنحيزة، والنحيتة، والخلقية، والسليقة، كل ذلك واحد» (الجمهرة مادة غرز ٢ / ٣٢٢).

لكلِّ خلقٍ من الفضلِ رقيبٍ من الدناءةِ، لا يمتنعُ منه إلا مؤثراً للفضلِ  
على ما سواه.

[من هو الفاضل؟]:

وإذا استقرتْ هذه الأخلاقُ على هذه القاعدةِ، فالفاضلُ من غلبتْ  
فضائلُهُ رذائلُهُ؛ فقدَر بوفورِ الفضائلِ على قهرِ الرذائلِ، فسَلِمَ من شينِ  
النقصِ، وسَعِدَ بفضيلةِ التخصيصِ، ولذلك قالَ عليٌّ عليه السلامُ:  
«أولُّ ما تبتدئونَ به من جهادِكُم جهادُ أنفُسِكُم»<sup>(١)</sup>.

وهذا واضحٌ؛ لأنَّ صلاحَ النفسِ يُصلحُ ما عداها، فكانتْ أحقُّ  
بالتقديمِ (٢ ب) وأولىً بالتقويمِ.

[إلى أي شيءٍ تعود الأخلاقُ؟]:

واختلَفَ في الأخلاقِ، هل هي عائدةٌ إلى الفضائلِ والرذائلِ؟ أو إلى  
النفسِ التي تصدر عنها الفضائلُ والرذائلُ لظهور الأخلاقِ بها؟.

وذهب بعضهم [إلى] أنها عائدةٌ إلى [الذاتِ] التي حدوثُ النفسِ  
عنها.

(١) غ: (أو) بسقوط اللام.

وقول الإمام علي: أول ما تبتدون... ورد معناه بالفاظ مختلفة منسوبة إليه منها: «أول ما تنكرون من الجهاد جهاد أنفسكم، وآخر ما تفقدون مجاهدة أهوائكم وطاعة أولي الأمر منكم» عرر الحكم ٩٨. ويلفظ: «إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد جهاد بأيديكم...» ص ١١١ منه. ويلفظ: «أفضل الجهاد مجاهدة المرء نفسه» ص ١٠٣ و ٨٨ منه. ويلفظ: «أفضل الجهاد جهاد النفس عن الهوى، وفطامها عن لذات الدنيا» ص ٩٥ منه. ويلفظ: «جهاد النفس أفضل جهاد» ص ١٦٤. ويلفظ: «خير الجهاد جهاد النفس» ص ١٧١ منه. وفي مختار الحكم بلفظ: «أشد الجهاد مجاهدة الإنسان غيظه» غير منسوب ص ٣٤٠، ومن أقواله في نهج البلاغة: «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» شرح نهج البلاغة ٤ / ٥٥٣، وبهذه المعاني وردت أقوال له بالفاظ أخرى شرح نهج البلاغة: ٢ / ١٣٧، ٢ / ٥٤٥.

[لأي شيء تُراد فضائل الذات؟]:

واختلفوا في فضائل الذات، هل تُراد لذواتها؟ أو للسعادة الحادثة عنها؟.

فذهب بعض الحكماء إلى أن المراد بالفضائل ذواتها؛ لأنها المكسبة للسعادة.

وذهب بعضهم إلى أن المراد بها السعادة الحادثة عنها؛ لأنها الغاية المقصود [ة] بها.

[إلى أي شيء تتوجه السعادة؟]:

واختلفوا في السعادة، هل تتوجه إلى الفضائل المحمودة؟ أو إلى ما يحدث عن الفضائل من الحمد؟.

فذهب بعض الحكماء إلى توجه السعادة إلى الفضائل المحمودة؛ لأنها نتيجة أفعاله.

وذهب بعضهم إلى توجه السعادة إلى ما يحدث عن الفضائل من الحمد؛ لأنها ثمرة فضائله.

[وجوب اهتمام ذي الإمرة بمراعاة أخلاقه]:

فحق على ذي الإمرة والسلطان أن يهتم بمراعاة أخلاقه، وإصلاح شيمه؛ لأنها آلة سلطانه، وأس أمرته، وليس يمكن صلاح جميعها بالتسليم إلى الطبيعة، والتفويض إلى النخيزة، إلا أن يرتاض لها بالتقويم والتهديب، رياضة تهديب، وتدريب، وتأديب، فيستقيم له الجميع [بعضها] خلق مطبوع، وبعضها خلق مصنوع؛ لأن الخلق طبع وغريزة، والتخلق تطبع وتكلف كما قال الشاعر:

يا أيها المتحلي غير شيمته  
ومن سجيته الإكثار والمَلق



عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يأتي دونه الخلق<sup>(١)</sup>  
 قال بعض الحكماء: ليس شيء عولج إلا نفع وإن كان ضاراً،  
 ولا شيء أهمل إلا ضرر وإن كان نافعاً.  
 [أنواع الأخلاق]:

فتصير الأخلاق نوعين<sup>(٢)</sup>:

(١) البيتان قد نسا إلى أكثر من شاعر:

فهما مرة لسالم بن وابصة (انظر ديوان ص ٣٣) والبيان والتبيين ٢٣٣ / ١ بلفظ (اعمد إلى  
 القصد فيما أنت راكمه) مع أربعة أبيات أخرى، وانظر حاشية ص ١٦٦ من الجزء الأول منه.  
 وانظر الحماسة للمرزوقي ١ / ٢٩٥ ، ونوادير أبي زيد ١٩١ ، والمؤتلف ١٩٧ ، والتذكرة  
 السعدية ١ / ١٣٥ وفيها إحالات، والمستطرف ١ / ١٣٣ ، وهما مرة ثانية للعرجي (انظر  
 ديوانه) والحيوان ٣ / ١٢٧ ، والعقد الفريد ٢ / ٢٤ ، ٣ / وهما فيه بلفظ (ارجع إلى خيمك  
 المعروف ديدنه... ) وزهر الآداب ١ / ٧٧ والشعراء (تحقيق السقا) ص ٢٢٤ .  
 وهما مرة ثالثة لذي الإصبع العدواني (انظر ديوانه ص ٦٨ القطعة رقم ١٣) بلفظ: (اعمد إلى  
 الحق فيما أنت فاعله)، وحماسة البحري (ص ٣٥٨) بلفظ (اعمد إلى الحق فيما كنت فاعله)،  
 ومجموعة المعاني ١٦٠. وهما مرة رابعة غير منسويين، فقد ورد الثاني في الإمتاع والمؤانسة  
 بلفظ (١٥٩ / ١)

ارجع إلى خيمك المعروف ديدنه إن التخلق يأتي دونه الخلق  
 وفي عيون الأخبار (ط / ٦) بلفظ (ارجع إلى خلقك المعروف ديدنه)، وقد أورد ابن رشيق  
 شطراً من كل بيت بهذه الصورة:

يا أيها المتخلي غير شيمته إن التخلق يأتي دونه الخلق  
 ولا يواتيك فيما ناب من حدث إلا أخو ثقة فانظر بمن تشق  
 انظر العمدة (١ / ٢٥٠) وكذلك وردا في الكامل للمبرد (١ / ١٦).

(٢) لخصت نسخة طهران ما سبق وما لحق بعبارة فيها زيادة، إذ جاء فيها ما نصه: «وقال  
 في أثناء كلامه في وصفه لأخلاق الملك: وشريف الأحوال لا يتصرف فيه إلا بشريف  
 الأخلاق سواء كان طبعاً أو تطبعاً؛ لأن الأفعال نتائج الأخلاق، ونوازع الهمم. وقد نبه الله  
 تعالى في كتابه على ذلك بقوله لنيه صلى الله عليه وسلم «وإنك لعل خلق عظيم»، لأن  
 النبوة لما كانت أشرف منازل الخلق لاشتغالها على شرائع الدين ومصالح الدنيا ندب الله لها  
 من قد أكمل فضائل الأخلاق وحاز أشرف الأعراق، ولذلك قال النبي صلى الله عليه  
 وسلم: «بعثت بمكارم الأخلاق» قال: كذلك سياسة الملك لما كانت تالية لحالها، وجب أن  
 تكون مشاكلة لخصالها، فصارت فضائل الأخلاق نوعين: غريزية طبع عليها، ومكتسبة  
 تطبع لها، فالملوك بالفضائل الغريزية أحص من العامة، فهي فيهم أوفر، وعليهم أظهر،  
 لكرم منشهم، وعلو همهم قال الشاعر:

غريزية<sup>(١)</sup> طُبِعَ عليها.

ومكتسبة<sup>(٢)</sup> تَطَبَّعَ لها.

والملوك (١٣) بالفضائل الغريزية أَخَصُّ بها من العامة؛ لأنها فيهم أَوْفَرُ، وعليهم أَظْهَرُ، لِمَا خُصُّوا بِهِ مِنْ كَرَمِ الْمُنْشَأِ وَعِلْوِ الْهَمَّةِ. والعامةُ بالفضائل المكتسبة أَخَصُّ من الملوك؛ لأنَّهم إلى التماسِها أَسْرَعُ، وَلِكَلَالِهَا أَطْوَعُ، لِكثْرَةِ فَرَاغِهِمْ لَهَا، وَتَوَفَّرِهِمْ عَلَيْهَا، إِمَّا لِرَغْبَةٍ فِي جَدِّوَاهَا، وَإِمَّا لِرَهْبَةٍ مِنْ عَدِّوَاهَا. وَهَذَانِ الْمُعْتَيَانِ فِي الْمَلُوكِ مَعْدُومَانِ<sup>(٣)</sup>، إِلَّا مَنْ شَرَفَتْ نَفْسُهُ فَمَالَ إِلَيْهَا لَعَلَّوْ هَمَّتِيهِ، وَتَوَفَّرَ عَلَيْهَا لِكَرَمِ طَبْعِهِ، لِأَنَّهُ<sup>(٤)</sup> لَا يَغْرَى مِنْ فَضْلِ مَكْتَسَبٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْ فِعْلِ مُسْتَصَوَّبٍ، لِيَتَفَرَّدَ بِفَضَائِلِ النَّفْسِ، كَمَا تَقَرَّدُ بَعِزُّ السُّلْطَانِ وَالْأَمْرِ، فَيَصِيرُ بِتَدْبِيرِ سُلْطَانِهِ أَخْبَرَ، وَعَلَى سِيَاسَةِ رِعِيَّتِهِ<sup>(٥)</sup> أَقْدَرَ، وَالْحَمْدُ يَسْتَحَقُّ عَلَى الْفَضَائِلِ الْمَكْتَسَبَةِ؛ لِأَنَّهَا مُسْتَفَادَةٌ بِفِعْلِهِ، وَلَا يَسْتَحَقُّ عَلَى الْفَضَائِلِ الْمَطْبُوعَةِ فِيهِ، وَإِنْ حُمِدَتْ لِحُجُودِهَا بِغَيْرِ فِعْلِهِ.

[تفاضل الأخلاق]:

واختلَفَ فِي أَفْضَلِهِمَا ذَاتَا:

فَفَضَّلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ أَخْلَاقَ الطَّبِيعِ الْغَرِيْزِيِّ عَلَى أَخْلَاقِ التَّطَبُّعِ<sup>(٦)</sup> الْمَكْتَسَبِ، لِقُوَّةِ الْغَرِيْزِيِّ، وَضَعْفِ الْمَكْتَسَبِ.

= و وما هذه الأخلاق إلا طبائع فمنهن محمود ومنها مذموم [وقال آخر]:

يا أيها المتحلي غير شيمته عليك بالقصد فيما أنت فاعله  
ومن سجيته الإكثار والملك إن التخلق يأتي دونه الخلق

(١) غ: غريزة) وما أثبتناه عن ط.

(٢) غ: (مكتسب) وما أثبتناه عن ط.

(٣) غ: (معدوم).

(٤) غ: (لأن).

(٥) غ: (برعايته).

(٦) غ: (تطبع).

وفضّل آخرون أخلاق التطع المكتسب على أخلاق الطبع الغريزي؛ لأنها قاهرة لأضدادها بالانتقال إلى ما ضادها.

وقال آخرون: كل واحد منهما محتاج إلى الآخر؛ لأن الأخلاق لا تنفك منهما بمنزلة الروح والجسد. وكما لا يظهر أعمال الروح إلا الجسد، ولا ينهض الجسد إلا بحركة الروح، كذلك الغريزة والاكْتِسَابُ متقابلان في الفعل ومشاركان في الفضل؛ فتساويا في الطبع والغريزة، كما قال البحرّي<sup>(١)</sup>:

[من المنسرح]:

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لَلْفَتَى حَسَبًا  
حَتَّى يُرَى فِي فِعَالِهِ حَسَبُهُ<sup>(٢)</sup>

وفرق بعض أهل اللغة بينهما في الاسم فقال:

الطبع هو الختم<sup>(٣)</sup>، والتطبع هو الخلق<sup>(٤)</sup>. (٣ب).

\* \* \*

(١) البحرّي: أبو عبادة الوليد بن عبيد الشاعر المشهور المتوفى سنة ١٩٩ هـ والبحرّي نسبة إلى بحر، وهو أحد أجداده، وديوانه مطبوع عدة طبعات في استانبول وبيروت وغيرها، وقد اختار أبو بكر عبد القاهر الجرجاني من ديوانه ووضع له عنواناً باسم المختار من دواوين المتنبي والبحرّي وأبي تمام وقد حققه عبد العزيز الميمني وطبع ضمن الطرائف الأدبية بمطبعة لجنة التأليف في القاهرة ١٩٣٧.

(٢) البيت في ديوان البحرّي (طبعة صادر ص ٢٢٧) ضمن قصيدة يمدح بها أبا العباس بن بسطام، ولم أجده في كتاب المختار من دواوين المتنبي والبحرّي وأبي تمام لعبد القاهر الجرجاني (ضمن الطرائف الأدبية).

(٣) الختم بالثناء كذا وردت في الأصل غ قال الجوهري: والطبع الختم وهو التأثير في الطين ونحوه (الصحاح مادة طبع ٣/ ١٢٥٢).

(٤) قوله: وفرق بعض أهل اللغة بينها في الاسم... إلخ انظر بشأن هذين الاصطلاحين جمهرة اللغة مادة طبع ١/ ٣٠٦، والصحاح مادة طبع ٣/ ١٢٥٢ وتهذيب اللغة مادة طبع ٢/ ١٨٦.

[الفصل الثاني]  
[أوائل الفضائل وأواخرها]

[مبادئ الفضائل]:

وللفضائل مبادئ<sup>(١)</sup> هي أوائل وأواخر.

وأول الفضائل العقل.

وآخرها<sup>(٢)</sup> العدل.

لأن العقل أصل<sup>(٣)</sup> الفضائل؛ بحدوثها عنه، وتدبيرها به؛ فلذلك كان أولها.

والعدل نتيجة الفضائل؛ لأنها مقدره به؛ فلذلك صار آخرها<sup>(٤)</sup>.

وهما قرينان مؤتلفان، وما أتتلف أمران إلا كان أحدهما محتاجاً إلى الآخر اضطراراً، وما سواهما من الفضائل واسطة بين العقل والعدل، يختص العقل بتدبيرها، والعدل بتقديرها؛ فيكون العقل مديراً، والعدل مقدرًا، وليس تنفك الفضائل بواحدٍ منهما، وإنما تنفك بالنفس المطيقة لهما، فإن كانت النفس زكية صافية تهيأت للفضائل<sup>(٥)</sup>؛ فعملت بها. وإن كانت خبيثة تهيأت

(١) غ: مباد بالتونين.

(٢) غ: وأخره.

(٣) غ: أول الفضائل. وما أثبتناه عن ط التي حذفنا كلامه المبتدئ بقوله «والعامة بالفضائل المكتسبة أخص من الملوك...» إلى بداية هذا الفصل فجاء فيها ما نصه: «قال أفضى القضاة: أول الفضائل العقل، وآخرها العدل، لأن العقل أصل الفضائل فكان أولها، والعدل نتيجة الفضائل فكان آخرها. وهما قرينان مؤتلفان، ولم يأتلف أمران إلا كان أحدهما محتاجاً إلى الآخر اضطراراً، وما سواهما من الفضائل واسطة بين العقل والعدل، يختص العقل بتدبيرها، والعدل بتقديرها، فيكون العقل مديراً، والعدل مقدرًا. وقد قال بعض الحكماء المتقدمين... إلخ».

(٤) غ: آخرها.

(٥) غ: للفضل.

للرذائل، فعَدَلْتُ إليها، وصارَ ما وافقَها<sup>(١)</sup> منها سهلاً عليها في سرعة انفعالِ  
بحكمِ المناسبةِ، وما خالفَها<sup>(٢)</sup> صعباً عليها في تأخر انفعالِ بحكمِ المنافرةِ.  
لأنَّ موافقةَ الأشكالِ مركوزةً في الطباعِ كما قيل:

المودَّةُ مشاكلةٌ طبيعيَّةٌ في أنواعِ شخصيَّةٍ يماثلُ بعضها بعضاً من حيث  
يعلمُ ومن حيثُ لا يعلمُ.

قال بعضُ الحكماءِ [المتقدمين]:

[إن]<sup>(٣)</sup> قواعدَ الأخلاقِ الفاضلةِ أربعٌ، يتفرَّعُ عنها ما عداها من  
الفضائلِ، وهي التميُّزُ<sup>(٤)</sup>، والنجدةُ، والعفةُ، والعدلُ، ويتفرَّعُ عن أضدادِها  
[الكثير] من الرذائلِ<sup>(٥)</sup>.

[أوائل الرذائل وأواخرها]:

وللرذائل<sup>(٦)</sup> مبادئٌ هي أوائلُ، وغاياتٌ هي أواخرُ.

- 
- (١) غ: وافقها.  
 (٢) غ: خالفها  
 (٣) الزيادة من ط.  
 (٤) غ: التميز، ط: التميُّز بالهمز.  
 (٥) قوله: قال بعض الحكماء المتقدمين قواعد الأخلاق الفاضلة أربع... إلخ. ذكر ابن مسكويه  
 أن الحكماء أجمعوا على «أن أجناس الفضائل أربع وهي: الحكمة، والعفة، والشجاعة،  
 والعدالة» (تهذيب الأخلاق ص ٢٠). وذكر ابن حزم أن «أصول الأخلاق أربعة عنها تتركب  
 كلُّ فضيلة وهي: العدل، والفهم، والنجدة، والجود» (رسالة الأخلاق ٥٣). وقال  
 أوشهنج: «جماع أمر العباد في أربع خصال: العلم والحلم والعفاف والعدالة» (الحكمة الخالدة  
 ٦). وقد ذكر ابن المقفع جماع الفضائل وفرع عليها ما عداها وهي «الحكمة، والعفة،  
 والعقل، والعدل» (كلىة ودمنة ٢٤). وفي كلام الإمام علي «ثلاث هن جماع الدين: العفة،  
 والورع، والحياء» (غرر الحكم ١٦١) و(كتاب ٢٠٠٠ كلمة للإمام علي ص ٤٢ رقم ٩٣٨)  
 وكان يقال: «من أراد السيادة فعليه بأربع: العلم والأدب والعفة والأمانة» (معجم الأدباء  
 ١ / ٧٤). وقد جاء هنا في (ط) قوله: قال بعض الحكماء: من بدأ بسياسة نفسه... إلخ مما  
 سيأتي.  
 (٦) الرذائل: قال أبو الحسن محمد بن أبي ذر يوسف العامري النيسابوري: «الرذيلة حال لازمة  
 إلى زيادة على الوسط المضاف إلينا أو نقصان، قال أرسطوطاليس: الرذائل كلها إنما تثبت  
 بالزيادة والنقصان. قال: وأما التوسط من الأفعال كلها ومن الأحوال فإنه محمود...»  
 (السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية ص ٧٤).

فأَوَّلُ الرذائلِ الحمقُ.  
وَأَخْرُهَا الْجَهْلُ.  
وفي الفرقِ بينهما وجهان:

أحدهما: أن الأحمق هو الذي يتصوّر الممتنع بصورة الممكن، والجاهل هو الذي لا يعرف الممتنع من الممكن.

والوجه الثاني: أن الأحمق هو الذي يعرف الصواب ولا يعمل به، والجاهل هو الذي (١٤) لا يعرف الصواب، ولو عرّفه لعمِلَ به.

وقد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:  
«الأحمق أبغضُ خلقِ الله إليه، إذ حَرَمَهُ أعزُّ الأشياءِ إليه،  
[وهو العقل]»<sup>(١)</sup>...

والعَرَبُ تقولُ: الأحمقُ مأخوذٌ من حَمَقَةِ السوقِ إذا نقصت<sup>(٢)</sup>، وكأنه إشارةٌ إلى ذهابِ عقله.

وللجاهل حالتان<sup>(٣)</sup>:

قال الحسن: «أصول الشرّ وفروعه ستة. فالأصول الثلاثة الحسد، والحرص، وحب الدنيا. والفروع كذلك، حب الرياسة وحب الثناء، وحب الفخر» (العقد الفريد - تحقيق العريان ٢- ١٥٤).

وذكر ابن حزم أن «أصول الرذائل كلها أربعة، عنها تتركب كل رذيلة، وهي أضداد لما ذكر في الفضائل، وهي الجور، والجهل، والجبن، والشح...» (رسالة الأخلاق ٥٣-٥٤).

(١) الزيادة من المستطرف ١/ ١٦، وقد أورد الماوردي هذا الحديث في أدب الدنيا والدين ١٤، والأمثال والحكم الورقة ٤٩٩ وليس فيها هذه الزيادة.

(٢) قوله: والعرب تقول: الأحمق مأخوذ من حمقة السوق... إلخ، قال الليث: «... والأحمق مأخوذ من انحماق السوق إذا كسدت، فكأنه فسد عقله حتى كسد...» وعن ابن الأعرابي: «الحمق أصله الكساد، ويقال للأحمق الكاسد العقل، قال: والحمق أيضاً الغرور... ومنه أخذ اسم الأحمق...» (تهذيب اللغة مادة حق ٤/ ٨٥) وانظر أيضاً (جهرة اللغة مادة ح م ق ٢/ ١٨١-١٨٢) و(الصحاح مادة حق ٤/ ١٤٦٤-١٤٦٥) و(المستطرف ١/ ١٦) وفيه أن هذا القول لابن الأعرابي.

(٣) قوله: وللجاهل حالتان... قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «الناس أربعة: رجل يدري =

[الحال الأولى: أن] يجهل، ويعلم أنه يجهل.

وهذا يجوز أن يسترشد، فيعلم ما جهل، إن أمدد بحموية باعثة، وأعين  
بنفس قابلة، كما قيل:

لولا الخطأ ما أشرق نور الصواب.

قال الشاعر: [من الطويل]

إذا صحَّ حسُّ المرءِ صحَّ قياسُهُ  
وليس يصحُّ العقلُ من فاسدِ الحسِّ

والحال الثانية: أن يجهل، ويجهل أنه يجهل. فهو أسوأهما حالاً،  
وأقبحهما خِصالاً، لأنه إذا جهل جهله، صار جهلين متشاكليين في الصور،  
مختلفين في الأثر:

أحدُهما: سالبٌ هدايته.

والآخرُ جالبٌ لغوايته.

فطاح - بالأول - في سكراته.

ومرح - بالآخر - في هفواته.

فلم يختر له فاقة.

ولم ترخ له إفاقة.

وقد قال جالينوس<sup>(١)</sup>:

الجهلُّ بالجهلِ جهلٌ مركبٌ.

= ويدري أنه يدري، فذلك عالم فاسألوه. ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك ناس فذكروه. ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري، فذلك مسترشد فارشده. ورجل لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فذلك جاهل فاحذروه» (برد الأكباد في الأعداد ١٣١)، وانظره باختلاف يسير في (عيون الأخبار ١ / ١٢٦) و(أدب الدنيا والدين ص ٦٨) و(العقد الفريد - طبعة العريان - ٢ / ١٣٢).

(١) جالينوس الحكيم: أحد الأطباء الثمانية المقدمين المرجوع إليهم في صناعة الطب، والذين هم رؤوس الفرق ومعلمو المعلمين... خاتم الأطباء الكبار، ولم يجيء بعده من الأطباء إلا من هو دون منزلته. ولد سنة ١٣١م بفرغاس من آسيا وسافر إلى أثينة ورومية ومصر وبلاد الشام، فمرض في طريقه ومات بالفرما على البحر الأحمر صنّف عدداً من الكتب بلغت =

لأنَّ أَجْهَلَ وَأَعْلَمَ أَنِّي أَجْهَلُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجْهَلَ وَأَجْهَلَ أَنِّي أَجْهَلُ.

قال سليمان بن داودَ عليه السلام:

النَّائِحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَعَلَى الْجَاهِلِ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنَ الْحَيَاةِ الرَّدِيَّةِ<sup>(١)</sup>.

وقيل في منشور الحكم:

الْجَاهِلُ وَإِنْ تَوَفَّرَتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ فَكَأَنَّهُ أَبْنُ يَوْمِهِ وَتِلَادُ سَاعَتِهِ.

وقال بعض العرب:

لَوْ صَوَّرَ الْعَقْلُ لِأَظْلَمَتْ مَعَهُ الشَّمْسُ، وَلَوْ صَوَّرَ الْجَهْلُ لِأَضَاءَ مَعَهُ اللَّيْلُ<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر: [من البسيط]

لِلْعَقْلِ مَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ فَالْتَمَسْنِ  
بِالْعَقْلِ حَظَّكَ لَا بِالْجَهْلِ وَالرُّتْبِ

= أربعمائة كتاب. انظر أخباره وحكمته في الفهرست ٤١٦، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (دار الفكر) ١/ ١٠٨-١٥٥، مختار الحكم ومحاسن الكلم ٢٨٨-٢٩٦، التمثيل والمحاضرة ١٨٠، تاريخ الفلسفة في الإسلام ١٧، ٢٦، ٨٤، ٨٧، ٨٩، ٩١، ١٥٩، ١٦١، ١٨٧، محاضرة الأوائل ٧٢.

(١) قول سليمان عليه السلام النائحة... ورد في هذا المعنى قول منسوب للإمام علي رضي الله عنه بلفظ «الجاهل ميت وإن كان حياً» (غرر الحكم ودرر الكلم ص ٢٥ و ص ٥٦) وقد استعمل الشاعر هذا المعنى فقال:

ما وهب الله لأمرئ هبة أحسن من عقله ومن أدبه  
هما جمال النفسى فإن فقدنا فقدته لسليحة أجل به  
(انظر معجم الأدباء - طبعة رفاعي - ١/ ٧١).

(٢) قوله: «لو صور العقل... إلخ» أورد ابن مسكويه هذا القول ضمن حكم العرب، ولم ينسبه لقائل، بلفظ «وقيل: لو صور العقل لأظلمت عنده الشمس، ولو صور الجهل لأضاءت عنده الظلمة» (الحكمة الخالدة ١٥١). وقد أورده الثعالبي بلفظ «لو صور العقل =



(٤ب) لا يلبثُ الجهلُ أن يجني لصاحبه  
ذمّاً ويُسْذِهُبُ عنه بهجةَ الحَسَبِ  
[ما هي الفضائل؟]:

والفضائلُ تَوسِّطُ محمودٌ بين رذيلتين مذمومتين<sup>(١)</sup>، من نقصانٍ يكونُ  
تقصيراً، أو زيادةً تكونُ سرفاً، فيكونُ فساداً كلُّ فضيلةٍ من طرفيها:

- فالعقلُ واسطةٌ بينَ الذَّهَاءِ والعَبَاءِ .  
والحكمةُ واسطةٌ بينَ الشرِّ والجهالةِ<sup>(٢)</sup> .  
والسخاءُ واسطةٌ بين التقتيرِ والتبذيرِ<sup>(٣)</sup> .  
والشجاعةُ واسطةٌ بينَ الجبنِ والتهورِ<sup>(٤)</sup> .

لأضواء مع الليل، ولو صور الجهل لأظلمت معه الشمس» (التمثيل والمحاضرة ٤٠٧).  
وأورد النووي بلفظ «لو صور العقل لأضواء مع الليل، ولو صور الجهل لأظلم مع النهار»  
(نهاية الأرب ٢٣٥/٣). وأورده ابن قتيبة منسوباً إلى أعرابي بلفظ: «ولو صور الحمق لأضواء  
مع الليل» (عيون الأخبار ١/٢٨٠).

(١) قوله: «والفضائل توسط محمود بين رذيلتين مذمومتين» قال ابن حزم «الفضيلة وسيطة بين  
الإفراط والتفريط، فكلا الطرفين مذموم...» (رسالة الأخلاق ص ٧٩). وقد قال  
الطرطوشي: «إن الفضائل هيئات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين، فما جاوز التوسط خرج  
عن حد الفضيلة كالكرم الذي هو متوسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين التهور  
والجبن... إلخ» (سراج الملوك ٦٩). وقال السيد محمد العيني العاملي: «وكل فضيلة فهي  
وسط بين رذيلتين هما طرفا الإفراط والتفريط، والوسط هو الصراط المستقيم، صراط أولياء  
الله وخلفائه النعم عليهم...» (آداب النفس ٨) وفي أدب الدنيا والدين: «لأن الفضائل  
هيئات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين...» ص ١١ وقال ابن مسكويه: «إن كل فضيلة فهي  
وسط بين رذائل...» (تهذيب الأخلاق ٢٩) ولعل الحكماء قد تابعوا أرسطوطاليس الذي  
نقل أبو الحسن محمد بن أبي ذر يوسف العامري النيسابوري قوله قائلاً: «قال أرسطوطاليس  
يمكن أن يقال في الفضيلة أنها توسط بين رذيلتين» (السعادة والإسعاد في السيرة  
الإنسانية ٧٠).

- (٢) في تهذيب الأخلاق: أما الحكمة فهي وسط بين السفه والبله (ص ٣١).  
(٣) في تهذيب الأخلاق: وأما السخاء فهو وسط بين رذيلتين: إحداهما السرف والتبذير والأخرى  
البخل والتقتير. (ص ٣٣).  
(٤) في تهذيب الأخلاق: وأما الشجاعة فهي وسط بين رذيلتين: إحداهما الجبن والأخرى التهور  
(ص ٣٣) وفي أدب الدنيا والدين ١٢٧: والشجاعة واسطة بين التعمق والجبن.

والحياءُ واسطةٌ بينَ الفحّةِ والحصرِ<sup>(١)</sup>.

والوقارُ واسطةٌ بينَ الهزءِ والسخافةِ.

والسكينةُ واسطةٌ بينَ السخطِ وضعفِ الغضبِ.

والحلمُ واسطةٌ بينَ إفراطِ الغضبِ ومهانةِ النفسِ<sup>(٢)</sup>.

والعفةُ واسطةٌ بينَ الشرِّ وضعفِ الشهوةِ<sup>(٣)</sup>.

والغيرةُ واسطةٌ بينَ الحسدِ وسوءِ العادةِ.

والظرفُ واسطةٌ بينَ الخلاعةِ والقدامةِ<sup>(٤)</sup>.

والمودةُ واسطةٌ بينَ الخلايةِ وحسنِ الخلقِ<sup>(٥)</sup>.

والتواضعُ واسطةٌ بينَ الكبرِ ودناءةِ النفسِ<sup>(٦)</sup>.

[تركيب الفضائل مع غيرها]:

وقد يحدثُ من تركيبِ فضائلٍ مع غيرها من الفضائلِ فضائلٌ آخرُ.

فيحدثُ من تركيبِ العقلِ مع الشجاعةِ، الصبرِ في الملماتِ، والوفاءِ

بالإيعادِ.

(١) قال أرسطوطاليس: «التوسط في الحياء محمود والطرفان مذمومان وطرف الزيادة يسمى الخجل، وطرف النقصان يسمى الفحّة، أعني الخلاعة» (السعادة والإسعاد ١٠٣) وقال ابن مسكويه: «الحياء وسط بين رذيلتين إحداهما الوقاحة والأخرى الخرق» (تهذيب الأخلاق ٣٣).

(٢) قال أرسطوطاليس: «الحلم هو ترك الانتقام مع قدرة عليه، الإفراط فيه مذموم وكذلك التقصير...» (السعادة والإسعاد ١٢٦).

(٣) قال أرسطوطاليس: «العفة هي التوسط في شهوات البطن والفرج» (السعادة والإسعاد ٧٨) وقال ابن مسكويه: «وأما العفة فهي وسط بين رذيلتين وهما الشر وخمود الشهوة» (تهذيب الأخلاق ٣٣).

(٤) القدامة -بالفاء- يقال رجل قدم أي عمي ثقيل (الصحاح مادة قدم).

(٥) غ: وخسأ الخلق والتصحيح من أدب الدنيا والدين ١٢٨، والخلاية: الخديعة باللسان.

(٦) حول هذه المقارنات انظر أقوال أرسطو وغيره في كتاب السعادة والإسعاد ص ٤٩-١٧٢، وكتاب تهذيب الأخلاق ص ٣١-٣٤ ورسالة الأخلاق ص ٧٩ وأدب الدنيا والدين ١١-١٢ و١٢٧ وإحياء علوم الدين ٣/ ٥٢-٥٥.

وعن تركيب العقل مع السخاء إنجاز المواعيد والإسعاد بالجاه.  
 وعن تركيب العقل مع العفة النزاهة، والرغبة عن المسألة.  
 وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإملاق والأخلاق.  
 وعن تركيب الشجاعة مع القوة إنكار الفواحش والغيرة على الحرم.  
 وعن تركيب السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت والإيثار على النفس<sup>(١)</sup>.

[نتائج كثير من الأخلاق تؤول إلى رذائل]:

ولكثير من الأخلاق نتائج تؤول إلى رذائل<sup>(٢)</sup>.

حكى عن علي عليه السلام أنه قال:

أعجب ما في الإنسان نفسه، وما فيها من التضاد ما أذكره:

إن ستنح لها الرجاء أذلها الطمع.

وإن أهاجها الطمع أهلكتها الحرص.

وإن ملكها اليأس قتلها الأسف.

وإن عرّض لها الغضب اشتد بها الغيظ.

(١) ذكر ابن حزم فضائل أخرى متولدة عن تركيب فضائل مع غيرها غير التي ذكرت هنا فقال: «في النفس فضيلة تركيب من النجدة وكذلك الصبر، والحلم نوع مفرد من أنواع النجدة، والقناعة فضيلة مركبة من الجود والعدل... والمداراة فضيلة مركبة من الحلم والصبر، الصدق مركب من العدل والنجدة...» (رسالة الأخلاق ٥٤-٥٥).

(٢) قوله: «نتائج تؤول إلى رذائل...» ذكر ابن حزم شيئاً من ذلك فقال: «الشرة متولد عن الطمع، والطمع متولد عن الحسد، والحسد متولد عن الرغبة، والرغبة متولدة عن الجور والشح والجهل. الحرص، ويتولد من الحرص رذائل عظيمة منها الذل، والسرقة، والنصب، والزنا، والقتل، والعشق، والهمل بالفقر، والمسألة لما بأيدي الناس. وإنما فرقنا بين الحرص والطمع لأن الحرص هو إظهار ما استكن في النفس من الطمع... الكذب يتولد من الجور والجهل، لأن الجبن يولد مهانة النفس...» (رسالة الأخلاق ص ٥٥).

وَإِنْ أَسْعَدَهَا الرِّضَا أُتْسِيَتْ التَّحْفِظُ .  
 وَإِنْ نَالَهَا خَوْفٌ شَغَلَهَا الْحَذْرُ .  
 وَإِنْ اتَّسَعَ لَهَا الْأَمْنُ اسْتَلْبَتْهَا الْعِزَّةُ .  
 وَإِنْ جُدَّدَتْ لَهَا نِعْمَةٌ أَحْدَثَتْ لَهَا مَرَحًا .  
 وَإِنْ أَصَابَتْهَا مَصِيبَةٌ فَضَحَّحَهَا الْجَزْعُ .  
 وَإِنْ نَالَ مَالًا أَطْغَاهَا الْغِيُّ .  
 وَإِنْ أَفْرَطَ عَلَيْهَا الشُّبْحُ كَطَّطَهَا الْبِطْنَةُ .  
 فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهَا مُضِرٌّ .  
 وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهَا مُفْسِدَةٌ <sup>(١)</sup> .  
 وَقَالَ غَيْرُهُ :

(١) قوله: «حكي عن علي عليه السلام...» أورد الشريف الرضي هذه الحكاية عن الإمام علي بلفظ: «لقد علق بنيات هذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه، وهو القلب، وذلك أن له مواد من الحكمة وأضداد من خلافها؛ فإن سنع له الرجاء، أذله الطمع.

وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ  
 وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسْفُ .  
 وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ .  
 وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَى نَسِيَ التَّحْفِظُ .  
 وَإِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذْرُ .  
 وَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلْبَتْهُ الْعِزَّةُ .  
 وَإِنْ أَصَابَتْهُ مَصِيبَةٌ فَضَحَّحَهُ الْجَزْعُ .  
 وَإِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الْغِيُّ .  
 وَإِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ .  
 وَإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَتْ بِهِ الضَّعْفُ .  
 وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشُّبْحُ كَطَّطَهُ الْبِطْنَةُ .  
 فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهَا مُضِرٌّ .  
 وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهَا مُفْسِدُ .  
 (انظر نهج البلاغة بشرح ابن أبي الحديد ٤ / ٢٨٨)

الإفراط في التواضعِ مذلَّةٌ .  
 والإفراط في التكبرِ يستحرُّ البغضةَ .  
 والإفراط في الحذرِ يدعو إلى إيهامِ الخلقِ .  
 والإفراط في الأنسِ يكسبُ قرناءَ السوءِ .  
 والإفراط في الإنقاصِ يُوحشُ ذوي النصيحةِ .  
 قال ابنُ المعتزِّ<sup>(١)</sup> :

لو مَيَّزَتِ الأشياءُ لكانَ الكَذِبُ مع الجبنِ ، والصدقُ مع الشجاعةِ ،  
 والراحةُ مع اليأسِ ، والذلُّ مع الطمعِ ، والحرمانُ مع الحرصِ<sup>(٢)</sup> .

[أقسام الخلق الذاتي] :

وقد ينقسم قسمين :

أحدهما : ما أوجب ثناء المخلوقين . .

(١) ابن المعتز : أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم الخليفة العباسي الشاعر المشهور والأديب الكبير ولد سنة ٢٤٧ هـ وقيل ٢٤٦ هـ وتوفي سنة ٣١٥ هـ . انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢ / ٢٦٣-٢٦٨ رقم الترجمة ٣١٤ ومقدمة كتاب الآداب بتحقيق الأستاذ صبيح رديف وفي نهايته مراجع ترجمته وأخباره . وبعض أقواله وأمثاله في التمثيل والمحاضرة ١٠١-١٠٣ .

(٢) قوله : « قال ابن المعتز : لو ميزت الأشياء . . » انظر هذا القول بلفظة في كتاب الآداب لابن المعتز تحقيق الأستاذ صبيح رديف ص ١٢٤ القول رقم ١٥٨ وفي ص ١٣٤ منه تجد مطان ورود هذا القول ، وقد ورد فيه هذا القول بلفظ : « . . . والصدق مع الشجاعة ، والتعب مع الطمع ، والراحة مع اليأس ، والحرمان مع الحرص ، والذل مع الدين . » وما ينسب إلى الإمام على قوله : « لو تميزت الأشياء لكان الصدق مع الشجاعة ، وكان الجبن مع الكذب » (غرر الحكم ص ٢٦٢) وقد نسب مثل هذا القول لفورفوروريوس ، قال النوسري : « قال فورفوروريوس : لو تميزت الأشياء بأشكالها لكان الكذب مع الجبن ، والصدق مع الشجاعة ، والراحة مع اليأس ، والتعب مع الطمع ، والحرمان مع الحرص ، والعز مع القناعة ، والأمن مع العفاف ، والسلامة مع الوحدة » (نهاية الأرب ١٨٣/٨) .

وهو ما عدا نفعه عليهم .

والثاني : ما اقتضى ثناء الخالق .

وهو ما قصد به وجهه الله تعالى .

روى جعفر بن محمد<sup>(١)</sup> قال :

ناجى الله بعضُ أنبيائه فقالَ : يا ربَّ أيُّ خَلِقِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ .

قال : أَكثَرُهُمْ لِي ذِكْرًا .

قال : يا ربِّ ، فأَيُّ خَلِقِكَ أَصْبَرُ؟ .

قال : أَكْظَمُهُمْ لِلْغَيْظِ .

قال : يا ربِّ ، فأَيُّ خَلِقِكَ أَعْدَلُ؟ .

قال : مَنْ أَدَانَ<sup>(٢)</sup> نَفْسَهُ .

قال : يا ربِّ ، فأَيُّ خَلِقِكَ أَغْنَى؟ .

قال : أَقْنَعَهُمْ بِرِزْقِهِ .

قال : يا ربِّ فأَيُّ خَلِقِكَ أَسْعَدُ؟ .

قال : مَنْ آثَرَ أَمْرِي عَلَى هَوَاهُ .

قال : يا ربِّ ، فأَيُّ خَلِقِكَ أَشْقَى؟ .

قال : مَنْ لَمْ تَنْفَعَهُ الْمَوْعِظَةُ<sup>(٣)</sup> (٥ب) .

فهذا ما تعلق بأخلاق الذات .

\* \* \*

(١) جعفر بن محمد : هو جعفر الصادق بن محمد الباقر الإمام المشهور . ولقب بالصادق لصدقه في مقاله، وفضله أشهر من أن يذكر . وله كلام في الكيمياء ، وكان تلميذه جابر بن حيان قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة . ولد الصادق سنة ٨٠هـ وتوفي ١٤٨هـ . وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين . انظر بعضاً من أخباره في وفيات الأعيان ١ / ٢٩١-٢٩٢ رقم الترجمة ١٢٨ . طبقات ابن سعد ٥ / ١٣٩ .

(٢) غ : أدال ، باللام .

(٣) نسب الأبشيهي ما يشبه هذه المناجاة إلى موسى عليه السلام (انظر المستطرف ١ / ١٩) .

## [الفصل الثالث]

## [أفعال الإرادة]

[أسبابها] :

وأما أفعالُ الإرادة فتصدُّرُ عن أسبابٍ باعثةٍ عليها، داعيةٍ إليها، وهي :

العقلُ .

والرأي .

والهوى .

فأما الإرادةُ [فليست] <sup>(١)</sup> حادثةً إلا عن أحدها .  
وأما العقلُ والرأيُ فمؤتلِفانِ، وهما علَّةُ الفضائلِ .

[الفرق بين العقل والرأي] :

وفي الفرقِ بينهما وجهان :

أحدهما : أن العقلَ ما يُتَيَقَّنُ به الصوابُ من الخطأ، والرأيُ غلبة <sup>(٢)</sup> الظنِّ في ترجيحِ الصوابِ على الخطأ .

والوجه الثاني : أن العقلَ هو الموجبُ لأمرٍ لا يجوزُ خلافةً، والرأيُ هو سكونُ النفسِ إلى ترجيحِ أمرٍ يجوزُ خلافةً .

ثم يتَّفَقانِ <sup>(٣)</sup> في النعتِ والصفةِ، ويختلفانِ في العلةِ والنتيجةِ :

فالعقلُ لازمٌ لمحلهِ، ومستقلٌّ بحكمه، والرأيُ معترضٌ يستمدُّ العقلَ، ويستضيءُ بنوره، ولذلك قيل :

(١) غ : فأما الإرادة فحادثة إلا . . .

(٢) غ : والرأي علة الظن . . .

(٣) غ : ثم يفترقان في النعت والصفة . . .

ظنُّ العاقلُ أصدقُ من يقينِ الجاهلِ<sup>(١)</sup>.

وقال علماء العرب:

سُمي العقلُ عقلاً، لأنه يعقلُ صاحبه عن القبائح<sup>(٢)</sup>.

وكان المأمونُ يُنشدُ كثيراً قولَ الشاعرِ: [من الطويل]

يَعَدُّ عَظِيمُ النَّاسِ مَنْ كَانَ عَاقِلاً

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسِيبِ

وَإِنْ حَلَّ أَرْضاً عَاشَ فِيهَا بِعَقْلِهِ

وَمَا عَاقِلٌ فِي بِلَدَةٍ بِغَرِيبِ<sup>(٣)</sup>

(١) قوله: «ولذلك قيل: ظن العاقل أصدق من يقين الجاهل» أورد عبد الوهاب الأمدي هذا القول من أقوال الإمام علي رضي الله عنه بلفظ «... أصح من يقين...» (غرر الحكم ودرر الكلم ٢١٠) وقد ورد منسوباً إليه أيضاً في كتاب (٢٠٠٠ كلمة للإمام علي ص ٧٢ رقم القول ١٦٧٤) وقد ورد غير منسوب لقائل في (التمثيل والمحاضرة ٤٢٧) بلفظ «جهل العاقل أعقل من عقل الجاهل» وفي (أحاسن المحاسن ١٦٤) بلفظ «... أصح من يقين...» وقد أوردته الميداني بلفظ «... خير من يقين...» في (مجمع الأمثال ١ / ٤٤٥ رقم المثل ٢٣٦٧) وورد بلفظه في (المستطرف ١ / ٢٦).

(٢) قوله: «وقال علماء العرب: سمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن القبائح». قال في أدب الدنيا والدين «وسمي بذلك تشبيهاً بعقل الناقة، لأن العقل يمنع الإنسان من الإقدام على شهواته إذا قبحت، كما يمنع العقال الناقة من الشرود إذا نفرت، ولذلك قال عامر بن عبد القيس: إذا عقلك عقلك عما لا ينبغي فأنت عاقل...» ثم سمي هذا النوع من العقل بالعقل الغريزي (ص ٥-٦).

وقيل: «العقل عقال النفس» (التمثيل والمحاضرة ٤٠٧) وقالوا: «العاقل من عقل لسانه» (المصدر نفسه ٤٠٨) و(غرر الحكم ٣٢، ٣٧، ٤٠) وأيدي العقول تمسك أئنة النفوس عن الهوى» (التمثيل والمحاضرة ٤٠٨). وقال بطليموس: «العاقل من عقل لسانه إلا عن ذكر الله، والجاهل من جهل قدر نفسه» (لباب الآداب ٢٣٦) وفي صفحة ٤٦٢ منه منسوباً إلى الحكيم أرسطوطاليس.

(٣) قول الشاعر: يعد عظيم الناس... هذان البيتان وردا بلفظهما في العقد الفريد (تحقيق العريان ١٠٥ / ٢) ولم ينسبها لقائل، وهما فيه بلفظ «يعد رفيع القوم...». ونسبها ابن عد البر النمرى لبعض الأدباء وأوردهما بلفظ «يعد رفيع القوم من كان عالماً... عاش فيها يعلمه...» (جامع بيان العلم وفضله ١ / ٥٧).



ولئن كانَ العقلُ مستقلاً ببصيرته، فقد يزدادُ بالتجاربِ تيقظاً<sup>(١)</sup>،  
وبممارسةِ الأمورِ تحفظاً، فلا يلتبسُ عليه حزمٌ، ولا يتقصُّ عليه عزمٌ.

وقيل:

[كلُّ شيءٍ] يحتاجُ إلى العقلِ، والعقلُ يحتاجُ إلى التجاربِ<sup>(٢)</sup>.

وقد قيل:

استرُّ عورةَ الحداثةِ بدرايةِ كتبِ المتقدمينِ  
واستعنْ على إدراكِ الأحوطِ بحفظِ آثارِ الماضينِ<sup>(٣)</sup>

قال بعضُ الحكماء:

من لم تَلَفْحْ رأيهُ التجاربُ عمقتُ همتهُ<sup>(٤)</sup>.

فنظمهُ بعضُ الشعراءِ: [من الكامل]

(١) قوله: «فقد يزداد بالتجارب تيقظاً...» وقد سماه المؤلف في أدب الدنيا والدين بالعقل المكتسب (ص ٦) قال ابن المعتز: «العقل غريزة تربيها التجارب» (الأدب ص ٥٦) و(التمثيل والمحاضرة ٤٠٨) وقال الإمام علي: العقل غريزة يزيد بالعلم والتجارب» (غرر الحكم ودرر الكلم ص ٤٠) وأورد ابن الأثير من أمثال المولدين: «طول التجارب زيادة في العقل» (مجمع الأمثال ١ / ٤٤٢) وقالوا: «كفى بالتجارب تادياً وتقلب الأيام عظة (سراج الملوك ٦٧، ٧٢) و(العقد الفريد - تحقيق العريان ٢ - ٢٦٥) وقد أنشد الحارث بن حلزة: إن السعيد له في غيره عظة وفي التجارب تحكيم ومعتبر (البيان والنبين ٢ / ١٠٦) وانظر حول أقسام العقل (إحياء علوم الدين ١ / ٨٥).

(٢) قوله: «وقد قيل: كل شيء يحتاج إلى العقل والعقل يحتاج إلى التجارب» أوردته المؤلف في كتاب أدب الدنيا والدين في باب المشورة ص ٢٧٤ والزيادة منه وليست في الأصل. وقد عقد المؤلف هناك فصلاً لنمو العقل المكتسب بالتجارب فانظره (ص ٦-٧، ١١-١٥) وقد أورد الأملدي هذا القول ضمن أقوال الإمام علي بلفظ «كل شيء يحتاج إلى العقل والعقل يحتاج إلى الأدب» (غرر الحكم ٢٣٩) وهو بلا عزو إلى أحد في عيون الأخبار ١ / ٣٤ و ٢٨١ وبللفظ (محتاج) بدلاً من (يحتاج) في الموضوعين.

(٣) قوله: «وقد قيل: استر عورة الحداثة... إلخ» في هذا المعنى قال ابن المقفع: «وللعقول سحجات وغرائر بها تقبل الأدب، وبالأدب تنمي العقول وتزكو...» (الأدب الصغير - ضمن كتاب رسائل البلغاء - ص ٤).

(٤) قوله: «من لم تَلَفْحْ رأيه التجارب عمقت همته...» أورد ابن مسكويه من حكم العرب وأمثالهم السائرة في هذا المعنى قولهم: «لا خير في من لم تعظه التجارب» (الحكمة الخالصة ٢٠٧).

مَنْ لَمْ تَلْقَحْهُ نَوَائِبُ دَهْرِهِ  
وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ فَهُوَ عَقِيمٌ

[الهوى] <sup>(١)</sup>:

(٦ آ)

وليجهدنَّ أن لا يجعلَ لنفسِه في الهوى نصيباً. وقد قيل:  
من أذلَّ هواه عَزَّ <sup>(٢)</sup>.

وقال بعض الحكماء: [من الطويل]

لِنِعْمَ أَخُو التَّقْوَى فَتَى طَاهِرُ الْحَجَى  
خَمِيصٌ مِنَ الْفَحْشَاءِ عَفُ الْمَسَالِكِ  
فَتَى مَلِكُ اللَّذَاتِ أَنْ يَعْتَبِدَنَّهُ  
وَمَا كُلُّ ذِي لَبٍّ لَهَنَّ بِمَالِكِ <sup>(٣)</sup>

وقال [آخر من الطويل]

(١) فرق المؤلف في أدب الدنيا والدين بين الهوى والشهوة، فقال: «فأما فرق ما بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة والمعلول، واتفاقهما في الدلالة والمدلول، فهو أن الهوى يختص بالأراء والمعتقدات، والشهوة مختصة بنيل المستلذات فصارت الشهوة من نتائج الهوى، وهي أخص، والهوى أصل، هو أعم...» (ص ٢٣).

(٢) قوله: «من أذل هواه عز» أورد المؤلف معناه عن بعض الحكماء في (أدب الدنيا والدين ص ٢٠) بلفظ «أعز العز الامتناع من تملك الهوى» وقيل في منشور الحكم: من أطاع هواه أعطى عدوه مناه» (ص ١٨) و«قال بعض البلغاء: أفضل الناس من عصى هواه» (ص ١٨) ونجده عند الثعالبي بلفظ «أشجع الناس أقهرهم لهواه» (التمثيل والمحاضرة ٤٥٣) وللإمام علي رضي الله عنه «من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته» (مجمع الأمثال ٤٥٣ / ٢).

(٣) قوله: «وقال بعض الحكماء: لنعم أخو التقوى... إلخ البيت» البيتان لأبي العتاهية (انظر ديوانه ص ٣١٤) وقد وردا فيه بلفظ

لنعم فتى التقوى فتى ضامر الحشا      خميص من الدنيا نقي المسالك  
فتى ملك اللذات أن يعتبدنه      وما كل ذي لب لهن بمالك

وَأَلْتَدَّ مَا أَهْوَاهُ وَالْمَوْتُ دُونَهُ  
 كَشَارِبِ سَمٍّ فِي إِنَاءٍ مُقْفَضٍ  
 فَتَوَشَّكَ أَمْرَاضِي تَوُوبُ بِمَرْضَةٍ  
 تَفَرِّقُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُرَضِي<sup>(١)</sup>

\* \* \*

(١) غ: (فيوشك) بالياء. وقد أصبح البيت الأول من الأمثال البديعة السائرة، فقد ورد غير منسوب في (زهر الربيع في المثل البديع ص ٩٣).

## [الفصل الرابع]

## [الكرم والمروءة] (١)

[بين الكرم والمروءة]:

فأما الكرمُ والمروءةُ فهما قرينانِ في الفضلِ، ومتشاكلانِ في العقلِ.

والفرقُ بينهما مع التشاكل من وجهين:

أحدهما: أن الكرمَ مراعاةُ الأحوالِ، أن يكونَ على أنفعها وأفضلها. والمروءةُ مراعاةُ الأحوالِ أن يكونَ على أحسنها وأجملها.

والوجهُ الثاني: أن الكرمَ ما تعدى نفعه إلى غيرِ فاعله، والمروءةُ قد تقفُ على فاعلها، ولا تتعدى إلى غيره. فإن استعملها في غيره ما زجت الكرمَ، ولم ينفرد بالمروءة، وصارَ بالاجتماعِ أفضل، وإن افرقاً كان الكرمُ أفضل؛ لتعدي نفعه، وتعدي النفعِ أفضل.

وليس واحدٌ من الكرمِ والمروءةِ خلقاً مفرداً، ولكنه يشتملُ على أخلاقٍ يصيرُ مجموعها كرمًا ومروءة

[المروءة]:

روي عن النبي عليه السلام أنه قال:

«مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَتْ مَرُوءَتُهُ، وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ، وَوَجِبَتْ أَخُوَّتُهُ» (٢)

قال بعضُ البلغاءِ: (٦ ب)

(١) حول الكرم والمروءة عقد المؤلف فصلاً في أدب الدنيا والدين عنهما، فليُنظر (ص ٢٩٠-٣١٨) كما عقد ابن مسكويه عن الفضائل التي تحت السخاء فصلاً في (تهذيب الأخلاق ٢٦) وللغزالي في (إحياء علوم الدين ٣ / ٢٣١-٢٧٤) ولسلابشيبي في (المستطرف ١ / ١٥٥-١٧١) وجعل المؤلف الباب الثامن من أبواب كتابه نصيحة الملوك خاصاً بموضوع التدبير في الأموال في الورقات (٦٩-٧٦) آ) فلتنظر.

(٢) حديث «من عامل الناس فلم يظلمهم... الحديث» أخرجه الخطيب البغدادي عن الحسين بن علي (انظر الكفاية ٧٨) وأورد المؤلف في (أدب الدنيا والدين ٢٩٠) و(الأمثال والحكم الورقة ٥٧ ب)

مِنْ شَرَايِطِ الْمَرْوَةِ أَنْ تَعَفَّ عَنِ الْحَرَامِ، وَتَتَصَلَّفَ عَنِ الْآثَامِ،  
وَتُنْصِفَ فِي الْحُكْمِ، وَتَكْفَى عَنِ الظُّلْمِ، وَلَا تَطْمَعُ فِي مَا لَا تَسْتَحِقُّ،  
وَلَا تَسْتَطِيلُ عَلَى مَنْ لَا تَسْتَرِقُّ، وَلَا تَعِينُ قَوِيًّا عَلَى ضَعِيفٍ، وَلَا تُؤَثِّرَ دُنْيَا  
عَلَى شَرِيفٍ، وَلَا تُسِرَّ مَا يَعْقِبُ الْوِزَرَ وَالْإِثْمَ، وَلَا تَفْعَلْ مَا يُقْبِحُ الذِّكْرَ  
وَالْأَسْمَ<sup>(١)</sup>.

قال سليمان بن عبد الملك<sup>(٢)</sup> لأبي حازم<sup>(٣)</sup>:

أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَكْرَمُ؟

قال: أولو المروءة والنهي، الذين نهوا النفس عن الهوى، ولم يقولوا

لعلّ وعسى.

قال أنوشروان<sup>(٤)</sup> لابنه:

(١) قوله: «قال بعض البلغاء: من شرائط المروءة أن تعف عن الحرام... إلى آخر القول» أورد المؤلف هذا القول منسوباً لبعض البلغاء بنفس ألفاظه إلا أن فيه «أن يتعفف... ويتصلف... وينصف... إلخ» بصيغة الغائب لكل الأفعال (ص ٢٩٠).

وأورد الأمدى قسماً منه ضمن أقوال الإمام علي رضي الله عنه بلفظ «من شرائط المروءة التنزه عن الحرام، ومن لوازم الورع التنزه عن الآثام، ومن أحسن العقل التحلي بالعلم، ومن لوازم العدل التناهي عن الظلم، ومن تمام المروءة أن تستحي من نفسك... إلخ» وفيها كثير من شرائط المروءة (غرر الحكم ٣٠٤).

وقد أورد أبو الحسن بن الحسين الرخجي بلفظ: «فمن شرائط المروءة أن يتعفف عن الحرام، ويتنزه عن استعمال الآثام، وينصف في الحكم ويكف عن الظلم، ولا تطمع -كذا بناء الخطاب فيها لا تستحق، ولا تستخف بمن لا تسترق، ولا تعز قوياً على ضعيف، ولا تؤثر دنياً على شريف، ولا تشر بما يعقب الوزر والإثم، ولا تفعل ما يقبح الذكر والأسم» (أحسن المحاسن ١٦٠).

(٢) سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي المعروف.

(٣) أبو حازم: هو أبو حازم الأعرج سلمة بن دينار الأفزر التمار المدني القاص، مولى الأسود بن سفيان المخزومي، كان ثقة في الحديث، توفي بعد سنة ١٤٠هـ في خلافة المنصور. انظر صفة الصفوة ٨٨/٢، إسعاف الميطأ برجال الموطأ ص ١٢، طبقات ابن خياط ص ٢٦٤ وفيه أنه توفي ١٣٥هـ، وانظر بعضاً من أسواله في العقد الفريد ١/ ١٤، ٣٧، ٢٨٢ والبيان والتبيين ١/ ٣، ٣٦٤، ١٢٧، ١٣٩، ١٤٢، ١٥٢، ١٦٠، ١٦٤، ١٩١، ٢٧٣، عيون

الأخبار ٢/ ٣٧٠، المصباح المضيء في خلافة المستضيء ٢/ ٨٠٦، ٨٦١.

(٤) أنوشروان: كلمة فارسية معناها ذو النفس الخالدة، وهو كسرى أنوشروان بن قباد أحد ملوك الفرس (٥٣١-٥٧٩) كانت له حروب مع الروم إذ افتتح بلاد حلب وقنسرين وحصص

من الكامل المروءة؟

قال: مَنْ حَصَّنَ دِينَهُ، وَوَصَلَ رَحِمَتَهُ، وَأَكْرَمَ إِخْوَانَهُ<sup>(١)</sup>.  
وفي اشتقاق اسم المروءة من كلام العرب<sup>(٢)</sup> ما يدلُّ على فضيلتها  
عندهم، وَعِظَمِ خَطَرِهَا فِي نَفْسِهِمْ، ففِيهِ وَجْهَانِ:

أحدهما: مشتقة من المروءة والإنسان، فكأنها مأخوذة من الإنسانية.  
والوجه الثاني: أنها مشتقة من المريء، وهو ما استمرأه الإنسان من  
الطعام؛ لما فيه من صلاح الجسد، فأخذت منه المروءة؛ لما فيها من  
صلاح النفس.

[انقسام الفضائل مع الكرم والمروءة]:

فكل كرمٍ ومروءةٍ فضيلةٌ، وليس كلُّ فضيلةٍ كرمًا<sup>(٣)</sup> ومروءةً، بل  
تنقسم الفضائل مع الكرم والمروءة [إلى أربعة أقسام]:

وإنطاكية وغير ذلك انظر أخباره وأقواله في: مروج الذهب ١ / ١٦٤-١٦٨، نصيحة الملوك  
للغزالي ٤٦-٤٧ العقد الفريد ١ / ١١٧، التمثيل والمحاضرة ١٣٣، ١٣٧-١٣٨، ٤٢١ الإيجاز  
والإعجاز ١٤، السعادة والإسعاد ٩٥، المغرب ٦٨، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة  
(٣ / ٨٤) نسخة مصورة، الطبري ١ / ٨٦٢ (طبعة أوروبا)، غرر أخبار ملوك القصر  
٦٠٣-٦٣٧، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة بن الحسن الأصفهاني  
٥١-٥٣، التاج والأيين لمحمد محمدي ٣٤-٤٢.

(١) قوله: «قال أنوشروان لابنه: من الكامل المروءة؟...» أورد المؤلف هذا القول بلفظه  
منسوباً إليه في (أدب الدنيا والدين ٢٩٤) ونقل هناك أنه قال ذلك لابنه هرمز. كما نقل  
تعاريف أخرى منها قوله: «حكى أن معاوية سأل عمرو بن العاص عن المروءة فقال: تقوى  
الله تعالى وصلته الرحم، وسأل المغيرة فقال: هي العفة عما حرم الله تعالى، والحرقه فيما  
أحل الله تعالى، وسأل يزيد فقال: هي الصبر على البلوى والشكر على النعمى والعفو عند  
المقدرة. فقال معاوية أنت مني حقاً» (أدب الدنيا والدين ٢٩٤) و«سئل محمد بن علي عن  
المروءة فقال: ألا تعمل في السر عملاً تستحي منه في العلانية» (ص ٢٩٩)

(٢) قوله: «وفي اشتقاق اسم المروءة من كلام العرب...» انظر بشأن ذلك في مادة (مرأ) في كل  
من الصحاح (١ / ٧٢) لسان العرب (صادر ١ / ١٥٤-١٥٧) تاج العروس  
(١ / ١١٧-١١٨) الجوهرة (٣ / ٢٥٢-٢٥٣).

كل ذلك حول اشتقاقها من كلام العرب، وأما عن معناها عند الأعاجم، فمن معانيها:  
قال بهرام بن هرمز: المروءة اسم جامع للمحاسن كلها» (الإيجاز والإعجاز ص ١٣).

(٣) غ: كرم.

القسم الأول: ما يدخلُ من الفضائلِ في الكرمِ والمروءةِ<sup>(١)</sup>، كالعفو، والعفة، والأمانة.

والقسم الثاني: ما يدخلُ في الكرمِ، ولا يدخلُ في المروءةِ، كالحمْد، والرحمة، والحمية، والبذل، والمساعدة.

والقسم الثالث: ما يدخلُ في المروءةِ، ولا يدخلُ في الكرمِ، كعلوِّ الهمة، وحسنِ المعاشرة، ومراعاةِ المنازلِ والملابسِ (٧ آ).

والقسم الرابع: ما لا يدخلُ في الكرمِ، ولا المروءةِ، كالشجاعة، والصبرِ على الشدة.

فاجتمع الكرمُ والمروءةُ في بعضِ الفضائلِ، وافتراقاً<sup>(٢)</sup> في بعضها؛ فصارَ الكرمُ أعمَّ من المروءةِ في بعضِ الفضائلِ، والمروءةُ أعمَّ من الكرمِ في بعضِ الفضائلِ، فلم يتعيَّن عمومُ أحدهما [و] خصوصُ الآخرِ، وإن تناسبَ ما ميَّزَ به أحدهما.

\* \* \*

(١) الزيادة يقتضيها السياق وقد سقطت من الأصل.

(٢) غ: وافتراقاً.

## [الفصل الخامس]

## [السجاياء والأخلاق]

هذا ما استقرت عليه قواعد الأخلاق.

[الفرق بين السجاياء والأخلاق]:

أما السجاياء: فقد اختلف في الفرق بينها وبين الأخلاق على وجهين:

أحدهما: أن السجاياء [ما] (١) لم يُظهر الطباع، والأخلاق ما أظهرتها، فكانت قبل ظهورها سجاياء، وصارت بعد ظهورها أخلاقاً.

والوجه الثاني: أن السجاياء ما لم يتغير لطبع ولا تطبع، والأخلاق ما يجوز أن يتغير بطبع وتطبع.

وزعم بعض علماء الطب أن السجاياء والأخلاق تابعة لمزاج البدن في أحوال الطباع، بالزيادة والنقصان، تزيد بزيادتها، وتنقص بنقصانها. فزعموا أن الغضب يسرع بكثرة المرة الصفراء، ويضعف بقلتها، وتكثر الحرارة والقحة والشجاعة مع وفور الدم، وتقل لقلته، ويكثر الخبث والدهاء والمكر لغلبة المرة، ويقل إن قلت، ويكثر الحلم والناة لغلبة البلغم، ويقل إن قل.

فاذا اعتدلت فيه هذه الأمزجة اعتدلت أخلاقه؛ فكانت فضائل، وإن تجاوزت الاعتدال إلى زيادة أو نقصان خرجت عن الفضائل إلى الرذائل في الزيادة والنقصان.

والذي عليه المتدينون: أن الله تعالى ركبها في النفوس وطبعها في الفطر (٧ ب) بحسب إرادته على ما قدره من أحوال عباده، وجعل اختلاف الأخلاق كاختلاف الخلق والصور التي لها علة غير إرادية.

(١) الزيادة يقتضيها السياق.



وأما الشيمُ فكالسجايَا في قولِ الأكثرين، وكالأخلاقِ في قولِ الأقلين .  
والفرقُ بين الغرائزِ والنحائزِ، أن الغرائزَ ما امتزجَ بالطبعِ، والنحائزُ  
ما ظهرَ بالقوةِ.

### [أحوالُ الإنسانِ في أخلاقِهِ]:

فإذا وضَحَ ما ذكرناه من أحوالِ الأخلاقِ، من صلاحٍ وفسادٍ، وحمدٍ  
وذمٍ، فليسَ يخلو الإنسانُ من إحدى ست (١) أحوالٍ:

إحداهن: أن تكونَ أخلاقُهُ كُلُّها سالحةً في الأحوالِ كُلِّها، فهي  
النفْسُ الزاكية، وصلاحُها هو الخيرُ التامُّ، وصاحبُها هو السيدُ بالاستحقاقِ،  
فيحفظُ صلاحَ أخلاقِهِ كما يحفظُ صلاحَ جسديهِ، ولا يغفلُ عن مراعاتِها، ثقةً  
بصلاحِها، فإنَّ الهوىَ مرادِّ، والمهمَلُ معرَّضٌ للفسادِ.

قال بعضُ الحكماءِ:

النفْسُ عروفٌ عزوفٌ، ونفورٌ ألوفٌ، متى رددتها ارتدعتُ، ومتى  
حَمَلتها حَمَلتُ، وإنَّ أهملتها فسدتُ (٢).

قالَ عليُّ بن عبيدةَ الريحاني (٣):

إنَّ من شأنِ النفسِ أنَّها كلما أُعطيَتْ رخصةً في الغفلةِ والنسيانِ  
ازدادتْ أكثرَ ممَّا أُعطيَتْ، وردَّها قبلَ العادةِ أهونٌ من ردِّها بعدَ الحاجةِ.

(١) غ: ستة.

(٢) قوله: «قال بعض الحكماء: النفس عروف عزوف...» ورد هذا القول في (التمثيل  
والمحاضرة ٣٠٧) غير منسوب لأحد وقد جاء فيه بلفظ «النفس عيوف عزوف...» وأورد  
الميداني قولهم: النفس عروف أي صبور إذا أصابها ما تكره فيست من خير اعتبرت فصبرت  
والعارف الصابر (مجمع الأمثال ٢ / ٣٣٣ رقم المثل ٤١٩٨) وأورده مرة أخرى  
بلفظ «النفس عزوف ألوف» يقال عزفت نفسي عن الشيء تعزفت وتعزفت عزوفاً، أي  
زهدت فيه وانصرفت عنه ومعنى المثل: أن النفس تعتاد ما عودت، إن زهدتها في شيء  
زهدت وإن رغبتها رغبت» (مجع الأمثال ٢ / ٣٤٢ رقم المثل ٤٢٥٢).

(٣) غ: علي بن عبيد والصواب ما أثبتناه. وعلي بن عبيدة الريحاني من كتاب العصر العباسي  
الأول وأحد البلغاء الفصحاء، ومن الناس من يفضلُه على الجاحظ في البلاغة وحسن  
التصنيف، وكان له اختصاص بالمأمون. ويسلك في تأليفاته وتصنيفاته طريقة الحكمة، وكان =

ولذلك قالت العربُ في أمثالها:  
لو نُهيت الأولى لانتَهت الأخرى<sup>(١)</sup>.  
قال عمرُ بنُ عبدِ العزيز لمولاه مزاحم:  
إن الولاةَ جعلوا العيونَ على العوامِ ، وأنا أجعلُك عيناً على نفسي ،  
فإن سمعتَ كلمةً ويُخني عليها ، وفعالاً لا تحبّه مني فعطني عنده .

والاستظهارُ بمثل (٨ آ) هذه الاحتياطُ .

قال بعضُ الحكماءِ :

إن للناسِ أفهاماً يحفظونَ عليكِ أفهامك ، فربما ذكّرك ما قد أنسيت ،  
وأناك عنهم ما قد سَقَطَ عن علمك ، فعلى حسبِ ذلكِ فليكن حذرُك من  
ذمّهم ، وقهرُك لهم بصيانةِ نفسك عندهم .

والحال الثانية :

أن تكونَ أخلاقُه كلّها فاسدةً في الأحوالِ كلّها ، فهي النفسُ الخبيثةُ ،  
وفسادُها هو الشرُّ التامُ ، وصاحبُها هو الشقيُّ بالاستحقاقِ ، فيعالجُ فسادَ نفسه  
كعلاجِه مرضَ جسده ، وهو أصعبُ أحوالِها علاجاً ، وأبطؤها صلاحاً ؛ لأنها  
تنتقلُ إلى ضدِّه بغيرِ ضدِّ ، وتردُّ عن طبعِ بغيرِ طبعِ .

قال بعضُ الحكماءِ :

لا مرضَ أوجعُ من قلةِ العقلِ<sup>(٢)</sup> .

= يرمي بالزندقة ، وله كتب حسان في الحكم والأمثال . عدّد له ياقوت (٥٢) كتاباً وذكر ابن  
النديم أسماء (٥٥) كتاباً توفي سنة ٢١٩ هـ . انظر أخباره وترجمته وأقواله في : تاريخ بغداد  
١٢ / ١٨ ، النجوم الزاهرة ٢ / ٢٣١ معجم الأدباء ١٤ / ٥١ - ٥٦ رقم الترجمة ١٢ ،  
الفهرست ١٧٩ - ١٨٠ ، التمثيل والمحاضرة ٤٠٣ ، ٤٣٩ ، ثمار القلوب ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

(١) قوهم : «لو نهيت الأولى لانتَهت الثانية» مثل من أمثالهم أورده أبو عبيدة القاسم بن سلام  
بلفظ «لو نهيتك الأولى لم تعدم الأخرى» (أمثال أبي عبيد ١٣) وأورده أبو الوفا محمد بن أحمد  
البيسك بلفظ «لو نهيت الأولى لانتَهت الثانية» ويقول: إن معناه: «لو عاقبتك على أول جنابة  
لم تجن ثانياً» قاله أنس بن الجهمير الأيادي لما لطمه الحارث بن أبي شمر لطمه بعد أخرى  
(٩٢-٩٣) وانظر (معجم الأمثال ٢ / ١٧٤ رقم المثل ٣٢٣٠)

(٢) قول الحكماء: لا مرضَ أوجع من قلة العقل» أورده عبد الواحد الأمدي ضمن أقوال الإمام =

ولأن يداوي المرء عقله من الجهل أحرى به أن يداوي بدنه من المرض؛ فتلين بشماسها<sup>(١)</sup>، وتدرج في مراسها، لينقلها بالتدرج عن أحوالٍ متقاربة إلى غايةٍ متناهية. فرائض الفيء الوحشي يقوده بالتدرج إلى ضد طبياعه، قال الشاعر: [من الكامل]

والنفسُ راغبةٌ إذا رَغِبَتْهَا  
وإذا تُرِدُّ إلى قليلٍ تقنعُ<sup>(٢)</sup>

فيحكّم العقل عليها، فكفى به مُدبِّراً ناصحاً، وسفيراً مصلحاً، كما

قيل:

القلوبُ خواطرٌ بالهوى،  
والعقولُ تزجرُ وتنهى،

= علي رضي الله عنه بلفظ «لا مرض أضنى من قلة العقل» (غرر الحكم ٣٤٩) وهو غير منسوب عند ابن منقذ بلفظ «الأدب حياة القلوب، ولا مصيبة أعظم من الجهل» (لباب الآداب ٢٣٤).

(١) يقال رجل شמוש: أي صعب الخلق. (مختار الصحاح مادة شمس ص ٢٧٤).

(٢) قوله: «قال الشاعر: والنفس راغبة...» هذا البيت لأبي ذؤيب الهذلي واسمه خويلد بن خالد، الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام وأسلم على عهد رسول الله (ص) قيل إنه مات بأرض الروم. والبيت هو أحد أبيات العينية في الرثاء لبنيه السبعة الذين ماتوا في يوم واحد والتي مطلعها

أمن المنون ورببه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وقد قال عنه ياقوت: شعره كله غمظ في الجودة وحسن السبك وذكر إنه توفي في غزوة أفريقية مع ابن الزبير، انظر عن الشاعر معجم الأدباء ١١ / ٨٣-٨٩ رقم الترجمة ٢٠، جمهرة أشعار العرب ٢٤١-٢٤٨ المفضليات ٢ / ٢١٩-٢٢٩ رقم القصيدة ١٢٦، الاستيعاب ٤ / ٦٥ (على هامش الإصابة، الإصابة ٤ / ٦٦ وديوانه مطبوع ضمن ديوان الهذليين القسم الأول من ١-١٦٥).

وعن البيت فإننا نجد في ديوان الهذليين القسم الأول ص ٣، والعقد الفريد ٣ / ٢٥٤ ضمن القصيدة، ٦ / ١٢٣ (طبعة العريان)، وشرح نهج البلاغة ٢ / ٤٨٩ والإيجاز والإعجاز ٤٠ وخاص الخاص ١٠٤ والمفضليات ٢ / ٢٢٢، وجمهرة أشعار العرب ٢٤٢، ونهاية الأرب ٣ / ٢٤٧، وهو من الأبيات التي لا مثيل لها في عيون الأخبار ٢ / ١٩١، ٣ / ١٨٥، والبيان والتبيين ١ / ١٥٤ على أن نصفه الثاني أحكم نصف بيت وأوجز، ١ / ١٥٥ أيضاً، والشعر والشعراء ٩ والاستيعاب ٤ / ٦٧ وفيها أن الأصمعي قال عنه أبرع بيت قالته العرب، الإصابة ٤ / ٦٦، ولباب الآداب ٤٢٥ بلفظ (والنفس =

وفي التجارب علمٌ مستفاد<sup>(١)</sup>،  
والاعتبارُ يفيدُك الرشادَ،  
وكفالك أدباً ما تكره من غيرك،  
فعضُ نفسك بالعبرة.

وقيل لبعض الحكماء:

متى بدأت بطلب الشرف والفضل؟  
فقال: منذ الوقت الذي بدأت فيه بمعاتبة نفسي على ما أنا فيه من  
القبائح<sup>(٢)</sup>.

والحال الثالثة<sup>(٣)</sup>:

أَنْ تَكُونَ أَخْلَاقَهُ صَالِحَةً فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، فَتَنْقَلِبُ كُلُّهَا إِلَى الْفَسَادِ (أ)  
ب) فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، فَهُوَ الْمُسْتَعَادُّ بِهِ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ.  
وَلَيْسَ تَكُونُ إِلَّا عَنْ أَسْبَابٍ نَاقِلَةٍ [لَا تَتَفَكَّرُ]<sup>(٤)</sup> فِيهَا مِنْ أَحَدٍ ثَلَاثَةَ  
أُمُورٍ:

إِمَّا مِنْ سُوءِ مَنْشَأٍ.

= طامعة...)، معجم الأدباء ١١ / ٨٨٨، وقد استشهد المؤلف بهذا البيت في هذا الكتاب  
مرة أخرى، كما استشهد به على أنه من الأمثال السائدة (انظر كتاب الأمثال والحكم  
الورقة ٣١ب).

(١) قولهم: «وفي التجارب علم مستفاد» ورد هذا القول في رسالة كلمات مختارة ص ٢٤ دون  
عزو وفي مجمع الأمثال ٢ / ٧٩ رقم ٢٧٧٨. وورد في التمثيل والمحاضرة ٤٢٤، والامتاع  
والمؤانسة ٢ / ١٥٠ بلفظ «في التجارب علم مستأنف» وفي لباب الآداب ٣٢٦ بلفظ «إن  
التجارب عقل مستفاد» وفي غرر الحكم ص ٢٣ بلفظ «التجارب علم مستفاد».

(٢) قوله: «وقيل لبعض الحكماء: متى بدأت...» أورد هذا القول المبرهن  
فانك منسوباً إلى سقراط، بلفظ «وقيل له: مذ كم بدأت تكسب الفضائل؟ قال: مذ بدأت  
توبخ نفسي» (محاسن الكلم ١١٥) ونسب قولاً مشابهاً لهذا القول لمندرس بلفظ: «متى  
أثرت فيك الحكمة؟ فقال: مذ بدأت أحقر نفسي» (ص ٣١٦). وقد أورد أبو الحسن  
محمد بن أبي ذر يوسف العامري النيسابوري هذا القول بلفظ: «قيل منذ كم أثرت الحكمة  
فيك؟ فقال مذ بدأت أحقر نفسي» (السعادة والإسعاد ١٠٢).

(٣) غ: الثانية.

(٤) الزيادة من حاشية الأصل.



وإمّا من غلبة شهوة .  
وإمّا من إهمالٍ وقلةٍ تحفظٍ .

فيعالجه بالضدّ من سببه، فإنّ في صلاح الطبع عوناً على فساد  
الاكتساب، ولنّ يُستصعب انقياد طبع طراً عليه عارضٌ .

قال الشاعر: [من الطويل]

وما النفسُ إلّا حيثُ يجعلها الفتى  
فإنّ أعطيتُ تاقثٌ وإلّا تسلّت<sup>(١)</sup>  
ولئنُ تغَيَّرَ الطبعُ بالإهمالِ فهو إلى أصله أبرعُ، وإذا أنقصته الحميّةُ،  
كان إلى الاستقامة أسرع .

قال بزرجمهر<sup>(٢)</sup>:

من طباعِ النفسِ استدامةُ المعاذيرِ لصاحبها فيما مضى، والوجالةُ فيما  
بقي<sup>(٣)</sup> .

(١) البيت: «وما النفسُ إلّا حيثُ يجعلها الفتى...» استشهد به المؤلف في أدب الدنيا والدين (ص ١٠) وفيه (فإن أطمعت) وقد جاء به بعد بيت آخر هو قوله:

صبرت على الأيام حتى تولت وألزمت نفسي صبرها فاستمرت  
ولم ينسبها لقاتل. ونجد البيت في شرح نهج البلاغة غير منسوب وهو فيه بلفظ (فإن  
أطمعت تاقث...» (٢/ ٤٨٩).

(٢) بزرجمهر: وهو بزرجمهر بن البختكان رأس أطباء فارس وهو الذي تولى انتساخ كتاب كليلة  
ودمنة وترجمه من كتب الهند وكان وزيراً مقدماً لديهم، انظر قصته في مقدمة كتاب كليلة  
ودمنة ٣٠ وبعض أقواله في التمثيل والمحاضرة ١٤٢، ١٦٠، ٤٠٢، والعقد الفريد ١/ ٢٦٥،  
والبيان والتبيين ١/ ٤٠٢، ٢٢١، ٧ / ٦٣ وحول ضبط حروفه انظر تثقيف اللسان لابن مكّي  
الصقلي ١٤١ وله قصص مع أنوشروان في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم  
٦١٩-٦٢٣، ٦٢٤-٦٣٦.

(٣) قول بزرجمهر: «من طباعِ النفسِ استدامةُ المعاذيرِ...» أورده ابن المقفع بلفظ «إن من طباع  
النفس الأمانة بالسوء أن تدعي المعاذير فيما مضى، والأمان فيما بقي» غير أنه لم يذكر قائله  
(الأدب الصغير ٤٢) (و ص ١١ ضمن رسائل البلغاء). وأورد الثعالبي قولاً يشبه هذا المعنى  
ونسبه إلى دقليطاس الرومي بلفظ: «من دلائل العجز كثرة الإحالة على المقادير» (الإيجاز  
والإعجاز ص ١١).

فليعلم العاقل أنها إن سهّلت له العذر في قبيح أتاه أنه قد اكتسب في قبوله فيها مثله.

قال الشاعر: [من الطويل]

وإن أمرًا لا ينتهي عن غواية  
إذا ما أشتتها نفسه لجهول

والحال الرابعة:

أن تكون كل أخلاقه فاسدة في كل الأحوال، فتقلب إلى الصلاح في كل الأحوال، فما ذاك إلا لداعٍ غلب على الطبع، فاجتذبه، وقوي عليه حتى قلبه، فیراعي حفظ أسبابه، وتقوية مواده، ولا يغفله؛ فيجذبه الطبع كما اجتذبه، فإن نوازع الطباع أجذب، وهي إلى ما ناسبها أقرب، وقليل لفساد صلح أن يكون محفوظ الصلاح.

قال بعض الحكماء:

كل متادب من غيره متى لم يدم عليه الأدب، اختل ما يستفيد منه، ورجع (٩ آ) إلى طبعه.

وملاك صلاحها أن تكاثر من وافقه في الصلاح، وتجانب من خالفه فيه، فإن للصحة تأثيراً في اكتساب الأخلاق، واجتذاب الوفاق، لقصور الطرف عليها، وسكون النفس إليها، ولذلك قال النبي عليه السلام:

«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»<sup>(١)</sup>.

(١) حديث: «المرء على دين خليله...» أخرجه أبو داود (سنن أبي داود ٤ / ٢٥٩ رقم الحديث ٤٨٣٣) والترمذي (سنن الترمذي ٤ / ١٧ رقم الحديث ٢٤٨٤) وكلاهما من حديث أبي هريرة من طريق محمد بن بشر ويلفظ «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» وهو حديث حسن. وقد روي باللفظ الذي جاء به الماوردي ويطرق أخرى فانظر (الجامع الصغير ٢ / ٢٦) و(المقاصد الحسنة ٣٧٨ رقم الحديث ١٠٠٩) و(كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١ / ٢٨١ رقم الحديث ٢٢٨١) وقد استشهد المؤلف به في (أدب الدنيا والدين ص ٩٦) وسأني أيضاً في هذا الكتاب وقد أصبح هذا الحديث مثلاً من أمثاله صلى الله عليه وسلم (انظر التمثيل والمحاضرة ٢٨) وقد أورده أبو عبيد بلفظ «المرء بخليته فلينظر المرء من يخالل» (أمثال أبي عبيد ص ٣) و(مجمع الأمثال ٢ / ٢٧٥ رقم المثل ٣٨٣٣).

وقال عبد الله بن طاهر<sup>(١)</sup>:

إن لكل شيء حياة وموتاً؛ فمما يحيي اللبَّ محادثة الألباء، ويحيي الودَّ محادثة الأوداء، ويحي العزَّ مضافة الأعزاء، ويحي الذلَّ مظاهره الأذلاء، ويحي الشجاعة مصاحبة الشجعاء، ويحي الكرم مواصلة الكرماء، ويحي الحياء مكاتبة أهل الحياء، ويحي اللؤم معاشره اللئام.

قال بعضُ البلغاء:

صلاحُ الشيمِ بمعاشرَةِ الكرامِ، وفسادُها بمخالطةِ اللئامِ<sup>(٢)</sup>.

والحال الخامسة:

أن تكونَ بعضُ أخلاقه صالحَةً في كلِّ الأحوال، وبعضُها فاسدةً؛ فقد أعطته نفسه من صلاحها شطراً، ومَنَحَتْه [من] فسادها<sup>(٣)</sup> شطراً، وهما فيه متنافران. وفيما أعطتْ عوناً<sup>(٤)</sup> على ما مُنعتْ إن روعيتْ، وفيما منعتْ فساداً لما أعطتْ إن أهملتْ.

وقد قالَ عليُّ بنُ عبيدة: من كانتْ فيه خصلةٌ حسنةٌ فليواظبْ عليها؛ فإنَّ لها دولةً تعودُ إليها، ما أدبرَ عنها، فليستَعِنْ بشطرِ صلاحها على شطرِ

(١) عبد الله بن طاهر: هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان الخزاعي (أبو العباس) كان سيداً نبيلاً عالي الهمة شهياً، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه، وكان أديباً ظريفاً، جيد الغناء، نسب إليه صاحب الأغاني أصواتاً كثيرة، وأحسن فيها، ونقلها أهل الصنعة عنه، وله شعر مليح، ورسائل ظريفة، توفي سنة ٢٣٠هـ. انظر بعضاً من أقواله وأحواله في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٧١-٢٧٥ رقم الترجمة ٣١٦، العبير في خبر من غبر ١/ ٤٠٦، المستطرف ١/ ٢٢٦، الفهرست ١٧٦ وفيه أنه كان له مجموع رسائل.

(٢) قول بعض البلغاء: «صلاح الشيم بمعاشرَةِ الكرامِ...» أورده ابن مسكويه دون نسبة لأحد بلفظ «وأبى صلاح الأخلاق بمعاشرَةِ الكرامِ وفسادها بمخالطةِ اللئامِ» (الحكمة الخالدة ٨٤) وفي هذا المعنى قال لقمان: «من خير حظ المرء، قرين صالح، فقارن أهل الخير تكن منهم، وياين أهل الشر تبين عنهم» (مختار الحكم ٢٧٨) وقول أميروس: «قارن أهل الخير تكن منهم وياين أهل الشر تبين عنهم» (مختار الحكم ٣١) وقول ابن المقفع: «إن الخصال الصالحة من البر لا تحيا ولا تمحي إلا بالموافقين والمهذبين والمؤيدين» (الأدب الصغير ٤٥).

(٣) غ: ومنحته بفسادها.

(٤) غ: عوناً.

فسادها؛ فإنَّ كلَّ واحدٍ منهما مجذوبٌ، والقوَّةُ لما أَحَدٌ وأَعينٌ؛ فامدُّ صرْحُها بإرشادِك، وأَعنُهْ باجتهادِك؛ فلنْ يبقَى (١) لفسادِها مع التظاهرِ عليه لبسٌ، وهو بالضدِّ إنْ انعكسَ.

حُكِيَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال:

إذا رأيتم في الإنسانِ خلةً من الشرِّ رابعةً فاجتنبوه، وإن (٩ ب) كانت عند الناس خيراً<sup>(٢)</sup>، فلها أخواتٌ ونظائرٌ، وإذا رأيتم في الإنسانِ خلةً من الخيرِ رابعةً فلا تجتنبوه، وإنْ كان عند الناسِ رجلٌ سوءٍ؛ فلها عنده نظائرٌ وأخواتٌ<sup>(٣)</sup>.

#### والحال السادسة:

أن تكونَ كلُّ أخلاقِهِ صالحةً في بعضِ الأوقاتِ، وبعضُها فاسدةً في بعضِ الأوقاتِ، فقد تردَّدتِ النفسُ بينهما، وتوطأت لهما، والفسادُ داخلٌ عليها، وليسَ منها، والعقلُ مساعدٌ، والهوى معتدٌّ، وكلُّ واحدٍ منهما جاذبٌ للنفسِ، وهي تنقادُ إلى ما وافقها، فإنْ توقَّرتْ فضائلُها انقادتْ للعقلِ في صلاحِ الأخلاقِ، وإنْ توقَّرتْ رذائلُها مايلتِ الهوى في فسادِ الأخلاقِ، لأنَّ العقلَ علمٌ روحانيٌّ يقوِّدُ إلى الخيرِ، والشهوةُ خلقٌ بهيميٌّ يقوِّدُ إلى الشرِّ، فأطلقْ عنانَ النفسِ إذا انقادتْ للعقلِ واقْبِضْه إذا مايلتِ الهوى، تجدِّهْ على الصلاحِ مساعِدةً، وللفسادِ معانِدةً، فحسِّبْك بها للعقلِ عوناً وظهيراً.

قال الرشيدُ:

قَبِحَ اللهُ المَرَّةَ لا وَاَعظَ لَه من عَقَلِه، ولا مَطِيعَ لَه من نَفْسِه<sup>(٤)</sup>.

(١) يبق.

(٢) غ: خير

(٣) غ: (٤) قوله: «حكي عن علي رضي الله عنه أنه قال: إذا رأيتم في الإنسان خلة من الشر...» ورد هذا القول ضمن حكم الإمام علي بلفظ «إذا كان في الرجل خلة رابعة - كذا بالهمزة - فانظر منه أخواتها» (غرر الحكم ١٤٣) ووردت مثلاً من الأمثال (مجمع الأمثال ٢ / ٤٥٤).

(٤) قوله: «قال الرشيد: قبح الله المرة لا واعظ له من عقله...» في هذا المعنى أورد أبو =



مرّ أبو نواس<sup>(١)</sup> بأبي العتاهية<sup>(٢)</sup> فوعظته، فقال أبو نواس:  
[من السريع]

لن تُقْلَعِ الأنفُسُ عن غيِّها  
ما لم يكن منها لها واعظاً<sup>(٣)</sup>  
فقال أبو العتاهية: وددتُ أني قلتها بجميع شعري.

وقيل: بل النفسُ خليةُ الذاتِ من الفضائلِ والردائلِ، وإنما هي آلةٌ  
لهما يتجاذبها العقلُ والهوى، فإنَّ غلبها العقلُ استعملها في الفضائلِ، وإنَّ  
غلبها الهوى استعملها في الردائلِ<sup>(٤)</sup>.

= الحسن بن الحسين الرخجي قولاً غير منسوب بلفظ «من لم يكن له من نفسه زاجر لم يتفعه وعظ واعظ» (أحاسن المحاسن ١٥٠) ومن أقوال الإمام عليّ ما يتصل بهذا المعنى قوله: «واعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها لا واعظ ولا زاجر» (شرح نهج البلاغة ٢ / ١٣٧)، وسيأتي استشهاد المؤلف بقولهم: «من لم يكن له من نفسه واعظ لم تتفعه المواعظ».

(١) غ: أبو النواس، وأبو النواس الحسن بن هاني الشاعر المشهور المتوفى ١٩٥ هـ وقيل ١٩٨ هـ وديوانه مشهور ومطبوع وطبعات كثيرة انظر بعضاً من أخباره في وفيات الأعيان ١ / ٣٧٣-٣٧٧ رقم الترجمة ١٦٦.

(٢) أبو العتاهية: هو الشاعر المشهور المعروف، وهو أبو إسحق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي بالولاء، العيني المتوفى ٢١١ هـ أو ٢١٣ هـ ببغداد وأبو العتاهية ككراهية قال الفيروز آبادي لقب أبي إسحق لا كنيته، ووهم الجوهري والعتاهية أيضاً ضلال الناس (قاموس مادة عته ٤ / ٢٨٩) انظر أخباره وترجمته في (وفيات الأعيان ١ / ١٩٨-٢٠٤ رقم الترجمة ٩١).

(٣) قوله: «مرّ أبو نواس بأبي العتاهية فوعظته...»  
أورد ذلك أبو الوليد الطرطوشي بلفظ: «يروى أن أبا العتاهية مرّ بدكان الوراق، وإذا كتاب فيه بيت من الشعر [هو]:

لن ترجع الأنفس عن غيِّها ما لم يكن منها لها زاجر  
فقال: لمن هذا؟ فقيل لأبي نواس. قال: وددت أنه لي بنصف شعري» (سراج الملوك ص ١٠) ولم أجد هذا البيت في ديوانه بتحقيق فاغنز ولا ديوانه بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ولا في ديوانه باعتناء الزهار فليلاحظ ذلك.

(٤) قوله: «وقيل بل النفس خلية الذات من الفضائل والردائل...» لقد بحث الحكماء في كون النفس خلية الذات من الفضائل والردائل أو غير خلية منها، وقد ذكر ابن مسكويه بعضاً من آرائهم وبينَّ بمقابل ذلك آراء الرواقيين كما بينَّ رأي جالينوس في ذلك بالتفصيل في كتابه (تهذيب الأخلاق ٣٦ وما بعدها) فلتراجع.

وقال عليُّ بنُ عبيدة:

العقلُ والهوى ضدَّانِ، فمؤيِّدُ العقلِ التوفيقُ، وقرينُ الهوى الخذلانُ،  
والنفسُ بينهما، فأيهما ظفرَ كانت في حيزِهِ (١).

وقال وهبُ بنُ مُتَّبه (٢):

إنَّ العقلَ والهوى يصطرعانِ في القلبِ، فأيهما صرَّعَ صاحِبُه (١٠ آ)  
كانت الغلبةُ له (٣).

وقد نظَّم ابنُ الرومي (٤) في النفسِ شعراً خالف فيه الوجهين؛ فقال:

[من الكامل]

كُنْ مَثَلُ نَفْسِكَ فِي السَّمَوِّ إِلَى الْعَلِيِّ

لَا مَثَلَ طِينَةِ جَسْمِكَ (٥) الْغَدَارِ

(١) غ: حيرة-بالراء. وقول علي بن عبيدة «العقل والهوى ضدان...» نجد له ما يشابهه عند الحكماء: ففي الحكمة الخالدة: «العقل والهوى مختلفان» غير منسوب (ص ٦٢) وقال ابن المقفع: «إن الرأي والهوى متعاديان» (الأدب الصغير ٤٨) ومن حكم الإمام علي رضي الله عنه: «العقل والشهوة ضدان، مؤيد العقل العلم، وقرين الشهوة الهوى، والنفس متنازعة بينهما، فأيهما فهر كانت في جانبه» (غرر الحكم ٥٥).

(٢) وهب بن متَّبه: هو أبو عبد الله وهب بن منبه الأنباري الصنعاني المؤرخ المشهور والأخباري المكثُر، كان كثير القراءة لكتب أهل الديانات السابقة، والنقل منها، وهو معدود في التابعين، توفي سنة ١١٠ هـ وقيل ١١٤ هـ. انظر أخباره وسيرته في: المعارف ٢٠٢، تاريخ الإسلام للذهبي ١٤ / ٥ وفيات الأعيان ٨٨-٨٩ / ٥ ترجمة رقم ٧٤٣، شذرات الذهب ١ / ١٥٠، طبقات ابن سعد ٣ / ٣٩٥-٣٩٦، تهذيب التهذيب ١١ / ١٦٦.

(٣) قول وهب بن متَّبه: «إن العقل والهوى يصطرعان في القلب...» يقترب من قول رئيس القوم أمام الملك بهمن: «علامة العقل أن يرى العبد حارساً لنفسه من نفسه، ولأناته من بادرته، ويروض صعب الهوى حتى يذله للعقل، فإن العقل والهوى مختلفان، اختلفا على هذه النفس في موافقتها ومخالفتها، فالعقل لها شجن، والهوى لها سكين، وذلك أن الهوى يهدي إليها الشهوات واللذات، والعقل يمنعها من ذلك، إلا فيما يحل ويحجم، ويحذرهما من العواقب، فالتنفس إلى ما قارب الهوى أسرع، ومن كان ما يتنقل عليها أجزع...» (الحكمة الخالدة ٦٢).

(٤) ابن الرومي: أبو الحسن علي بن العباس بن جريح الشاعر المشهور المتقن في الشعر المتوفى سنة ٢٨٣ وقيل ٢٨٤ هـ وقيل ٢٧٦ هـ مسموماً، انظر وفيات الأعيان ٣ / ٤٢-٤٥ رقم الترجمة ٤٣٦، ومقدمة ديوانه للعقاد.

(٥) غ: طينة نفسك، والتصحيح من الديوان.

فالنفسُ تسمو نحو علو مليكها  
والجسمُ نحو السفلى هاو هارِ  
فأعِنُ أحقَّهما بعونك واقتسِر<sup>(١)</sup>  
.طبعُ السفلى بطبعك السوَارِ  
والنفسُ<sup>(٢)</sup> خيرُك إتها علويةُ  
والجسمُ شركُ ليس فيه تمارِ  
فانفذْ لخيرِك لا لشركِ واتبعْ  
أولاهما بالقادرِ الغفارِ  
فالأرضُ في أفعالها مُضطرةُ  
والحيُّ فيه فضيلةُ<sup>(٣)</sup> المختارِ  
فإذا جَرَيْتَ على طباعِك مثلها  
فكأنَّ طبَعَك<sup>(٤)</sup> بَعْدُ مَنْ فَخَّارِ<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

- 
- (١) غ: واقتبس.  
(٢) في الديوان: (النفس).  
(٣) في الديوان: تصرف المختار.  
(٤) في الديوان: فكان طرفك.  
(٥) والأبيات في ديوان ابن الرومي (ص ١٦٧، ١٦٩) ضمن القصيدة ٢٠٢ التي وقعت في ٦٢ بيتاً  
الأبيات الثلاثة الأولى التي وردت هنا تحتل التسلسل ٦٠، ٥٩، ٥٨ من القصيدة في الديوان،  
والبيتان الرابع والخامس والسادس هنا ٢٨، ٢٧ منها.

## [الفصل السادس]

## [الأفعال الشريفة بالأخلاق الشريفة]

[شريف الأفعال وشريف الأخلاق]:

فإذا وضَّح ما استقرت عليه قواعد الأخلاق من محمود الفضائل ومذموم الرذائل، فشريف الأفعال لا يتصرف فيه إلا بشريف الأخلاق، سواء كان طبعاً أو تطبعاً؛ لأن الأفعال نفايح<sup>(١)</sup> الأخلاق ونوازع الهمم، وقد نبه الله تعالى على ذلك في كتابه [العزير بقوله]،<sup>(٢)</sup> لئنبي عليه السلام:

«وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٌ»<sup>(٣)</sup>

لأن النبوة لما كانت أشرف منازل الخلق؛ لاشتمالها على مصالح الدين والدنيا نذب الله تعالى لها من قد أكمل فضائل الأخلاق، وحاز أشرف الأعراف؛ ولذلك قال النبي عليه السلام:

«بُعِثْتُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٤)</sup>

كذلك الإمارة والإمامة<sup>(٥)</sup>، لما كانت تالية لحالها، وجب أن تكون

(١) غ: نتائج، والنفائح جمع نفيجة، وهي كل شيء يصدر بقوة، وقد مرت.

(٢) الزيادة من حاشية غ.

(٣) سورة القلم آية ٥.

(٤) حديث «بعثت بمكارم الأخلاق» رواه الإمام مالك رضي الله عنه في الموطأ بلاغاً عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ «بعثت لأتمم حسن الأخلاق» (الموطأ - في صلب تنوير الحوائك - ٢ / ٢١١) قال السيوطي: وصله قاسم بن أصبغ والحاكم عن أبي هريرة، قال ابن عبد البر: وهو حديث مدني صحيح (تنوير الحوائك / ٢ / ٢١١) وقال الزرقاني: رواه أحمد والخراطي برجال الصحيح، وساق الحديث، وقال: وفي رواية «إنما بعثت» ثم قال وللطبراني عن جابر مرفوعاً: «إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق» (شرح موطأ الإمام مالك ٥ / ٢٥١) وقد أخرجه جمع غفير منهم ابن سعد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم في المستدرک والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة وهو حديث صحيح (الجامع الصغير ١ / ١٠٣) وعن أفاضله انظر كشف الخفاء (١ / ٢٤٤-٢٤٥، ٣٤٠) والمقاصد الحسنة (ص ١٠٥ رقم الحديث ٢٠٤).

(٥) غ: الأمانة، وهو تصحيف.

مشاكلةً لخصالها، فلزمَ أن يُتدبَ لها من قد أنهضته الفضائل، حتى تهذب، واستقلَّ بحقوقها، حتى تدرّب، ليسوسَ الرعايا بآلته، ويباشرَ التدبيرَ بصناعته، فلذلك كان الخلفاء الراشدون رضوانَ الله عليهم أحقَّ من تكاملت فيهم فضائل (١٠ ب) الأخلاق طبعاً وتطبعاً، وأولى من صدرت عنهم محاسنُ الأفعال سجيةً وتصنعاً؛ لأنهم رعاة مطاعون، ودعاة إلى الحق مجابون، ليكونَ الأفضل سائساً للمفضول، والإعدل مقوماً للجهول، فيجتذبهم بكمال فضائله إلى الاقتداء بأخلاقه وطرائقه؛ فأكثرَ الرعايا أتباعَ لأمرائهم وملوكهم في الخير، والشر، والجهل، والجد، والهزل.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«إِثْنَانِ مِنَ النَّاسِ إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ النَّاسُ:

العلماء والأمراء» (١)

قال بعضُ الحكماء:

الملكُ كالبحرِ تستمدُّ منه الأنهارُ، فإذا كانَ عذباً عذبَتْ، وإذا كانَ

مالحاً ملحت (٢).

(١) قوله: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إثنان من الناس إذا صلحا صلح الناس... إلخ» أخرج هذا الحديث ابن عبد البر عن ابن عباس بلفظ «صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس: الأمراء والفقهاء» وإسناد آخر عنه أيضاً بلفظ «صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت الأمة، وإذا فسدا فسدت الأمة، السلطان والعلماء» (جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٨٤) وبالصيغة الأخيرة رواه أبو نعيم في الحلية وقد استشهد به الغزالي بلفظ «صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسدت الناس، الأمراء والفقهاء» (إحياء علوم الدين ١/ ٦) قال العراقي في تحريجه إن سنده ضعيف (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تحريجه ما في الإحياء من الأخبار - مطبوع في هامش الإحياء - ١/ ٦)، وفي العقد الفريد: قال الأصمعي: «كان يقال صنفان إذا صلحا صلح الناس الأمراء والفقهاء» (١/ ٣٢)، وقد أخرج ابن الجوزي هذا الحديث موقوفاً على سفيان الثوري بلفظ: «صنفان إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدت - كذا - فسدت الأمة: السلطان والعلماء» (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ج ١ ورقة ٤٧٠).

(٢) قوله: «قال بعض الحكماء: الملك كالبحر تستمد منه الأنهار...» أورده الأمير أسامة بن منقذ بهذا اللفظ وعزاه إلى أفلاطون (لباب الآداب ٤٥٦) وأورده مرة أخرى ونسبه إلى الحكماء بزيادة هي قوله: «... تستمد منه الأنهار الصغار فإن... وإن كان ملحاً...» (لباب الآداب ٧٠) وأورده المبشر بن فاتك منسوباً إلى أفلاطون أيضاً بلفظ: «الملك هو كالنهر =

[أول ما يبدأ به الملك سياسة نفسه وتقويمها]: (١)

فلزم ذا (٢) الإمرة والسلطان أن يبدأ بسياسة نفسه، ليحوز (٣) من الأخلاق أفضلها، ويأتي من الأفعال أجملها، فيسوس الرعية بعد رياضته، ويقومهم بعد استقامته.

قال بعض العلماء:

ينبغي للملك أن يتديء بتقويم نفسه (٤)، [قبل أن يتديء بتقويم

= الأعظم تستمد منه الأنهار الصغار، فإن كان عذباً عذبت، وإن كان مالحاً ملحت، (محاسن الكلم ١٣٥)، وأورد قولاً آخر غير منسوب بلفظ: «الملك العادل كالنهر الصافي الجاري يتفجع به الأنهار والأشجار، ولا ضرر منه عليهم، قربه منفعة وفي مفارقتة ضرر» (ص ٣٤٤)، ومن أقوال العامة والمولدين مما يقرب من هذا المعنى: «إذا عذبت العين طابت الأنهار» (التمثيل والمحاضرة ٢٥٦) وقال ابن عبد ربه: «وقالوا: إنما السلطان بأصحابه كالبحر بأواجه...» (العقد الفريد ١ / ٣٣).

(١) بشأن أوصاف الراعي والسائس انظر أقوال الحكماء في صفة السائس في كتاب (السعادة والإسعاد ١٨٩-٢٠٠).

(٢) غ: ذي.

(٣) غ: ليحوز - بالجيم المعجمة.

(٤) قوله: «قال بعض العلماء: ينبغي للملك أن يتديء بتقويم نفسه...» أورده المبشر بن فاتك بثلاث صيغ متقاربة ونسب كل صفة إلى قائل: فقد نسبه مرة إلى أفلاطون وجاء به بلفظ: «ينبغي للملك أن يتديء بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعاياه، وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظل معوج من قبل تقويم عوده الذي هو ظل له» (مختار الحكم ومحاسن الكلم ١٤٠) وانظر نفس هذه الصيغة في (لباب الآداب ٤٤٩).

وأورده مرة ثانية منسوباً إلى الحكيم هرمس بلفظ «إذا لم يكن الملك يقدر على قهر حواسه وغلبة شهواته، فكيف يقدر على ضبط رعيته وما بعد ذلك عن مملكته؟ فسبيل الملك أن يتديء بسلطانه على نفسه ليستقيم له سلطان غيره» (مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ٢٦).

وأورده بصيغة ثالثة مرتين ونسبه في الأولى إلى سولون الحكيم وفي الثانية إلى لقمان بلفظ: «ينبغي للرئيس أن يتديء بتقويم نفسه قبل أن يتديء بتقويم رعاياه، وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظل معوج قبل تقويم عوده الذي هو ظل له» (مختار الحكم ص ٣٩ و ص ٢٧٩).

وعند ابن المقفع: «ومن نصب نفسه إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة والرأي واللفظ والأخذان، فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه، فإنه كما أن كلام الحكمة يوفق الأسماع فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب، =

رعاياه<sup>(١)</sup> وإلا كان بمنزلة من أراد تقويم ظل معوج قبل تقويم عوده الذي هو ظل له.

فإذا بدأ بسياسة نفسه كان على سياسة غيره أقدر، وإذا أهمل مراعاة نفسه كان باهمال غيره أجدر، فبعد أن يحدث الصلح عمّن ليس فيه صلاح، لأن ضرورة نفسه أسس، وهو بتهديتها أخص، فإذا غلب عليه عنادها واستصعب عليه قيادها كان عناد المبين له أغلب، وقيادته عليه أصعب.

قال بعض الحكماء: (١١ آ)

مَنْ بَدَأَ بِسِيَاسَةِ نَفْسِهِ أَدْرَكَ سِيَاسَةَ النَّاسِ<sup>(٢)</sup>.

قال بعض البلغاء:

لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه ممتعة عليه<sup>(٣)</sup>.

وقيل:

إذا عجزت عن أدب نفسك فلا تلم من لا يطيعك<sup>(٤)</sup>.

ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم. . (الأدب الصغير ٤٩).

(١) الزيادة من مختار الحكم ص ٣٩ وص ٢٧٩.

(٢) قول بعض الحكماء: «من بدأ بسياسة نفسه أدرك سياسة الناس» نسبة الرخحي إلى أفلاطون بلفظ «من بدأ بسياسة نفسه قدر على سياسة غيره» (أحسان المحاسن ١٤٦) ومن أقوال الإمام علي رضي الله عنه: «من ساس نفسه أدرك السياسة، ومن بذل ماله استحق الرياسة» (غرر الحكم ٢٧٠). ونسبه الأمير أسامة بن منقذ إلى أفلاطون بلفظ: «من قام من الملوك بالعدل والحق ملك سائر رعاياه» (لباب الآداب ٤٤٩) واستشهد به ابن الجوزي بلفظ: «من بدأ بنفسه فساسها أدرك سياسة الناس» وعزاه إلى أفلاطون (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ج ١ / الورقة ٤٧٠ وفيها تحريج).

(٣) قوله: «قال بعض البلغاء: لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه ممتعة عليه» استشهد به الماوردي في كتابه (أدب الدنيا والدين ١٣٢) بنفس لفظه إلا أن فيه «ونفسه ممتعة عليه» وعزاه إلى بعض الحكماء. وقد ورد هذا القول غير منسوب لأحد في التمثيل والمحاضرة بلفظة (ص ٤٠٨) وفي أقوال الإمام علي رضي الله عنه: «لا تطلبن طاعة غيرك وطاعة نفسك عليك ممتعة» (غرر الحكم ٣٣٧).

(٤) قوله: «وقيل إذا عجزت عن أدب نفسك فلا تلم من لا يطيعك» نشر الماوردي هذا القول فقال: «فإنها - أي النفس - إذا أطاعته ملكها وإذا عصته ملكته ولم يملكها، ومن لم يملك =

قال الشاعر: [من الوافر]

أُتْطَمِعُ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سَعْدِي

وتزعمُ أَنَّ قَلْبِكَ قَدْ عَصَاكَ<sup>(١)</sup>

[إساءة الظنّ بالنفس]:

وربّما حَسَنَ ظَنُّ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ، فَأَغْفَلَ مِرَاعَاةَ أَخْلَاقِهِ، فَدَعَاهُ حُسْنُ الظَّنِّ بِهَا إِلَى الرِّضَا عَنْهَا، فَكَانَ<sup>(٢)</sup> الرِّضَا عَنْهَا<sup>(٣)</sup> دَاعِيًا إِلَى الْإِنْقِيَادِ لَهَا، فَفَسَدَ مِنْهَا مَا كَانَ صَالِحًا، وَلَمْ يَصْلُحْ مِنْهَا مَا كَانَ فَاسِدًا؛ لِأَنَّ الْهَوَى أَعْلَبُ مِنَ الرَّأْيِ، وَالنَّفْسُ أَجْوَرُ<sup>(٤)</sup> مِنَ الْأَعْدَاءِ؛ لِأَنَّهَا بِالسُّوءِ أَمْرَةٌ وَإِلَى الشَّهَوَاتِ مَائِلَةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

«إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ»<sup>(٥)</sup>

وللَّذَلِكَ<sup>(٦)</sup> قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«الشَّدِيدُ<sup>(٧)</sup> مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ»<sup>(٨)</sup>

= نفسه فهو بأن لا يملك غيرها أولى، ومن عصته نفسه كان بمعصية غيرها أولى...» (أدب الدنيا والدين ١٣٢) وفي هذا المعنى قال الإمام علي رضي الله عنه: «أعجز الناس من عجز عن إصلاح نفسه» (غرر الحكم ٩٣).

(١) قول الشاعر: «أُتْطَمِعُ أَنْ يُطِيعَكَ...» استشهد المؤلف بهذا البيت في أدب الدنيا والدين ١٣٢ ولم ينسبه لقائل أيضاً.

(٢) ط: وكان.

(٣) غ: الرضا عليها.

(٤) ط: أجود، وهو تصحيف.

(٥) يوسف: ٥٣.

(٦) ط: وقال.

(٧) غ: الشديد - بالسين المهملة وهو تصحيف.

(٨) حديث: «الشديد من ملك نفسه» متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (صحيح البخاري - كتاب الأدب - ٤ / ٤٧) وصحيح مسلم - كتاب البر والصلة - مطبوع بصلب شرح النووي عليه ١٦ / ١٦٦) و(جامع الأصول من أحاديث الرسول ٩ / ٣٠٤ الحديث رقم ٦١٨٩) رياض الصالحين ٤٣ باب الصبر) ورواه الإمام مالك أيضاً باللفظ المتفق عليه أيضاً (الموطأ - في صلب تنوير الحوالك ٢ / ٢١٢) قال الزرقاني: وعند ابن حبان مرفوعاً: «ليس الشديد من غلب الناس إنما الشديد من غلب نفسه» (شرح موطأ الإمام مالك ٥ / ٢٥٧).



قال بعض الألباء:

من رضي عن نفسه، أسخط عليه الناس<sup>(١)</sup>.

[أسباب حسن الظن بالنفس]:

ولحسن الظن بها أسباب:

فمن أقوى أسبابه الكبر والإعجاب، وهو - بكل أحد - قبيح، وبالملوك أقبح، لأنه من دواعي صغر الهمة، وشواهد الاستكثار لعلو المتزلة، وهذا من ضعف المنة الذي يجعل الملوك عنه، لأن قدرتهم تظهر بالقدرة والسلطان، لا بالكبر والإعجاب، وكفى بالمرء ذمماً أن تكون همته دون رتبته، ومنتته أضعف من قدرته.

قال بعض الحكماء:

لا ينبغي للعاقل أن يرى شيئاً من الدنيا لنفسه خطراً فيكون به تائهاً<sup>(٢)</sup>.

وقال عبد الملك بن مروان:

(١) قوله: «قال بعض الألباء: من رضي عن نفسه أسخط عليه الناس» استشهد المؤلف بهذا القول في أدب الدنيا والدين (ص ٢١٤) غير منسوب إلى أحد بل نسبه إلى الحكماء بلفظه. وفي مختار الحكم (٣٣٥) بلفظ «من رضي عن نفسه كثر من يسخط عليه ومن نقصى على نفسه سلم من نقصى غيره عليه، ومن لم يعظ نفسه لم ينتفع بوعظ الواعظين» وأورده ابن مسكويه ضمن حكم العرب وأمثالهم السائرة بلفظ «من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه» (الحكمة الخالدة ١٩٨) وبهذا اللفظ في التمثيل والمحاضرة (٤٤٤) و(عيون الأخبار ١/ ٢٧٢) ومن كلام الإمام علي: «إياك أن ترضى عن نفسك فيكثر الساخط عليك» (غرر الحكم ٧٥) و«من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه» (ص ٢٨٠) و(كتاب ٢٠٠٠ كلمة للإمام علي ص ٣) و(شرح نهج البلاغة ٤/ ٢٤٣) و(مجمع الأمثال ٢/ ٤٥٣) وعزاه ابن الجوزي إلى سقراط بلفظ «من رضي عن نفسه سخط الناس عليه» (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ج ١/ الورقة ٤٧١) وبهذا اللفظ الأخير نفسه أورده الرخجي منسوباً إلى سقراط وفيه زيادة هي «... ومن اتهم هواها أقبلت الوجوه إليه» (أحسن المحاسن ١٤٦).

(٢) قوله: «قال بعض الحكماء: لا ينبغي للعاقل أن يرى شيئاً من الدنيا لنفسه خطراً فيكون به تائهاً» جاء في هذا المعنى كثير من الأقوال، فمنها ما نسب إلى أرسطوطاليس: «إياك والعجب فإنه يفسد كثير الفضل» (مختار الحكم ١٩٣) وقال بطليموس: «من تاه في ولايته ذل في عزله» (مختار الحكم ٢٥٤).

أفضلُ الناسِ من تواضعٍ عن رفعةٍ، وزهدٍ عن قدرةٍ (١١ ب) وأنصفَ  
عن قوةٍ<sup>(١)</sup>.

وقيل:

التواضعُ في الشرفِ أشرفُ من الشرفِ<sup>(٢)</sup>.

[الكبر والإعجاب]:

والمملوكُ أعلى الناسِ همماً، وأبسطهم أملاً؛ فلذلك كان الكبرُ  
والإعجابُ بهم أقبحَ، ونقصُهُ عليهم أفضحَ.

قالَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضي اللهُ عنهما

(١) قول عبد الملك: «أفضل الناس من تواضع عن رفعة...» ورد بنفس اللفظ ومنسوباً إليه في (العقد الفريد/ ٤٢) و(عيون الأخبار/ ١/ ٢٦٧) و(آداب النفس/ ٢٩٠) و(التمثيل والمحاضرة/ ١٣٤) وهو فيه بلفظ... وعفا عن قدرة... وذكره صاحب التمثيل مرة أخرى منسوباً إليه بلفظ «أفضل الناس من عفا عن قدرة وتواضع عن رفعة وأنصف عن قوة» (الإيجاز والإعجاز/ ١٧) و(برد الأكباد في الأعداد/ ١١٦) وقد ورد منسوباً للإمام عني في (غرر الحكم/ ٩٥) بلفظ «أعدل الناس من أنصف عن قوة، وأعظمهم من حلم عن قدرة» وفي موضع آخر بلفظ «إن أفضل الناس من حلم عن قدرة وزهد عن عنية، وأنصف عن قوة» (غرر الحكم/ ١٠٤). وقد ورد هذا القول غير منسوب لقائل ولفظ: «أفضل الرجال...» في (مختار الحكم/ ٣٣٥) وهو غير منسوب أيضاً «... وتزهد عن ثروة...» في (الحكمة الخالدة/ ١١٧).

(٢) قوله: «وقيل التواضع في الشرف أشرف من الشرف» أورده المؤلف منسوباً إلى ابن السماك وقد قاله لعيسى بن موسى بلفظ «تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك» (أدب الدنيا والدين/ ٢١٧) وقد جاء به دون عزو في (أدب الوزير/ ٥٠) بلفظه. وقد أورد الثعالبي قولاً لمصعب بن الزبير بلفظ «التواضع من مصائد الشرف» (التمثيل والمحاضرة/ ٣٣، ٤١٠) وأورده مرة أخرى بلفظ: «تواضعك في شرفك أحسن من شرفك» (ص/ ٤١٠) وأورده ابن عبد ربه بلفظ «تواضعك في شرفك أكبر من شرفك» (العقد الفريد/ ٤٢) وهو فيه من أقوال ابن السماك لعيسى بن موسى. ونسبه ابن قتيبة إليه أيضاً وأورده بلفظ «تواضعك في شرفك خير لك من شرفك» (عيون الأخبار/ ١/ ٢٦٧) وأورد القول الآخر: «التواضع من مصائد الشرف» منسوباً إلى عروة بن الزبير (عيون الأخبار/ ١/ ٢٦٦) وهذا القول الأخير في (الأرب الدنيا والدين/ ٢٢٠) وأورده النويري بلفظه دون أن يعزوه إلى قائل (نهاية الأرب/ ٦/ ١٣٥) ومن أقوال ابن المعتز: «التواضع سلم الشرف» (الأدب/ ١٥٢) وفي ص/ ١٦٣ منه تخريج للقول الأخير.

سمعت أبا بكرٍ رضي الله عنه يقولُ: [من البسيط]  
 إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلِّهمُ  
 فانظرُ إلى مَلِكٍ في زيِّ مسكينٍ  
 ذاكَ الذي حَسُنَتْ في الناسِ رأفتُهُ  
 وذاكَ يَصْلُحُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ<sup>(١)</sup>

لكنَّ السكينةَ والوقارَ أولَى به من الكبرِ والإعجابِ .  
 ومن الناسِ من لا يفرِّقُ بينَ الكبرِ والوقارِ . وهذا جهلٌ بمعناها؛ لأنَّ  
 الوقارَ اقتصارٌ، والكبرُ استطالةٌ .

فأما الكبرِ والإعجابُ<sup>(٢)</sup> فقد يجتمعانِ في الذمِّ، ويفترقانِ في المعنى :  
 فالإعجابُ يكونُ في النفسِ ، وما يعتقده من فضائلها .  
 والكبرُ يكونُ بالمنزلةِ ، وما يتصوره من علوِّها .  
 فكانتَ علةُ الإعجابِ من ذاته؛ فصارتَ أَلزَمَ ، وعلَّةُ الكبرِ طارئةُ الأُمِّ  
 وهما رذيلتا ذي الفضلِ والمنزلةِ .  
 وقيلَ :

(١) قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «سمعت أبا بكر رضي الله عنه يقول: إذا أردت شريف الناس كلهم... البيتين» أخرجه ابن الجوزي عن طريق عطاء عنه بلفظ «في الناس سيرته» (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ٥٣٩-٥٤٠) وقد اقتبسها أبو العتاهية ضمن قصيدته التي مطلعها:

لَتَجِدَنَّ المُنَايَا كُلَّ عَرْنَيْنِ وَالخَلْقَ يَغْنَى بِتَحْرِيكِكَ وَتَسْكِينِ  
 في سبعة أبيات، وقد جاء الثاني منها فيها بلفظ «عظمت في الناس حرمة» (ديوان أبي العتاهية ٤٣٩) وفي الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ٢٧٤ وتجدهما في العقد الفريد (١/ ٤٣، ٢/ ١٨٥ - من طبعة العريان) منسويين فيها إلى أبي العتاهية بلفظ «ذاك الذي عظمت في الله نعمته» و (عيون الأخبار ٢/ ٣٣٢) و(المحاسن والأضداد ١٧٩) وهي في هذا الأخير بلفظ «عظمت همته» منسويين إلى أبي العتاهية أيضاً والأول في المحاسن والمساويء لليهقي ٢/ ٣٩٠ منسوباً لأبي العتاهية. وقد ورد في أقوال يحيى بن خالد البرمكي: «أن الكرم ملك في زي مسكين» (معجم الأدباء ج ٢٠ / ص ٦).

(٢) عن الكبر والإعجاب عقد المؤلف فصلاً في كتابه (أدب الدنيا والدين ٢١٥-٢٢٠).

عظمة الإنسان تواضعه<sup>(١)</sup>.

[من أسباب الكبر والإعجاب]:

وللكبر أسباب<sup>(٢)</sup>:

فمن أقوى أسبابه كثرة المتقربين، وإطراء المتملقين، الذين قد استبضعوا الكذب والنفاق، واستحبوا المكر والخداع؛ لدناءة أنفسهم وضعة أقدارهم، فإذا وجدوا لنفاقهم سوقاً، ولكذبهم تصديقاً، جعلوه في ذمم النوكى سُلماً تسلقوه<sup>(٣)</sup>، ومغماً أحرزوه، فاعتاضوا به ديناً، وعوضوا منه شيئاً، وحكم الممدوح بكذب قولهم على صدق علمه بنفسه، وجعل لهم طريقاً إلى الاستهزاء به؛ لأنهم صدعوه؛ فانصدع، وخذعوه؛ فانخدع.

ومن (١٢ آ) أجل ذلك قال النبي عليه السلام:

«أحثوا في وجوه المداحين التراب»<sup>(٤)</sup>

(١) قوله: «وقيل عظمة الإنسان تواضعه» وردت في هذا المعنى أقوال كثيرة منها ما أورده المبشر بن فاتك بألفاظ مختلفة منها: «أفضل الرجال من تواضع عن رفة...» وقد مر قبل قليل من كلام عبد الملك بن مروان ومنها قولهم «كل نعمة محسود عليها إلا التواضع» وقد استشهد به المؤلف في أدب الدنيا والدين (٢١٦) ونسبه إلى بزرجهر بلفظ «النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع» ومنها قولهم «من جهل قدر نفسه فهو لقدر غيره أجهل، ومن أنف من عمل نفسه اضطر إلى عمل غيره، ومن لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره وثمرة التواضع المحبة وثمرة القناعة الراحة» (مختار الحكم ٣٣٥) و«أعظم الشرف التواضع» (غرر الحكم ٨٧) منسوباً للإمام علي و«التواضع من مصائد الشرف» (التمثيل والمحاضرة ٤١٠) وهو من قول مصعب بن الزبير (أدب الدنيا والدين ٢٢٠) وقدمر قبل قليل و«تمام الشرف التواضع» (غرر الحكم ١٥٣)، و«من دام تواضعه كثر صديقه» (أدب الدنيا والدين ٢٢٠) وفيه أقوال أخرى.

(٢) حول أسباب الكبر والإعجاب انظر أدب الدنيا والدين (٢١٨-٢٢٠).

(٣) غ: أسلقوه.

(٤) حديث «أحثوا في وجوه المداحين التراب» رواه الإمام مسلم في صحيحه بطرق أن رجلاً جعل يمدح عثمان فعمد المقداد فجثا على ركبتيه وكان رجلاً ضخماً فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله قال: «إذا رأيت المداحين فاحثوا في وجوههم للتراب» (صحيح مسلم بشرح النووي ١٨ / ١٢٨) ورواه الترمذي عن المقداد أيضاً وقال: هو حديث حسن صحيح (سنن الترمذي ٤ / ٢٦ رقم الحديث ٢٥٠٤) ورواه =

وقال عليه السلام:

«إياكم والمدح؛ فإنه الذَّبْحُ»<sup>(١)</sup>

وقيل لأنوشروان:

لِمَ تتهاونونَ بالمدح إذا مُدِحْتُمْ؟

[فقال: ] لأننا ربّما رأينا ممدوحاً هو بالذمّ أحقُّ<sup>(٢)</sup>.

وقيل:

حبُّ المدحِ واسطةٌ بين الفضائلِ والرذائلِ؛ فهي آخرُ الرذائلِ، وأوّلُ

الفضائلِ.

= مرة أخرى عن أبي هريرة بلفظ «قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثو في أفواه المداحين التراب» وقال: هذا حديث غريب (سنن: ٤ / ٢٦-٢٧ رقم الحديث ٢٥٠٥) ورواه أبو داود عن المقداد بلفظ «إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب» (سنن أبي داود: ٤ / ٢٥٤ رقم الحديث ٤٨٠٤) ورواه ابن ماجة عن المقداد أيضاً (سنن ٢ / ١٢٣٣ رقم ٣٧٤٢) (وجامع الأصول من أحاديث الرسول ١١ / ٣٧٨-٣٧٩ رقم الحديث ٨٤٨٥ و٨٤٨٦) ورواه الإمام أحمد بروايات متعددة مرة عن ابن عمر (المستدرك ٢ / ٩٤) ومرات عن المقداد (المستدرك ٦ / ٥) واحدة منها باللفظ الذي استشهد به الماوردي أعلاه، وهناك روايات أخرى عن ابن عمر وعن أنس وغيرهما (الجامع الصغير ١ / ٢٧) (ومشكاة المصابيح ٢ / ٥٧٩ رقم الحديث ٤٨٢٦) (والمغني عن الأسفار في تحريج ما في الأحياء من الأخبار- مطبوع على هامش الأحياء ٣ / ١٦١).

(١) حديث «إياكم والمدح فإنه الذَّبْحُ» رواه ابن ماجة عن معاوية في الأدب من سنته (٢ / ١٢٣٣ رقم ٣٧٤٣) بلفظ «إياكم والتمادح فإنه الذَّبْحُ» وحديثه حسن. ورواه الإمام أحمد عن معاوية من طريق معبد الجهني بلفظ «إياكم والتمادح فإنه الذَّبْحُ» ثلاث مرات في حديث طويل (المستدرك ٤ / ٩٢، ٩٣، ٩٩) والحديث في أدب الدنيا والدين (٢١٨) بلفظ «إياكم والتمادح فإنه الذَّبْحُ» ومن أقوال الإمام علي رضي الله عنه «من مدحك فقد ذبحك» (غرر الحكم ٢٦٦) ومن أمثاله: «الملح الذَّبْحُ» (مجمع الأمثال ٢ / ٢٨٤ رقم ٣٨٨٦) ومن أقوال عمر بن الخطاب «المدح هو الذَّبْحُ» (أحياء علوم الدين ٣ / ١٦٠) (وعيون الأخبار ١ / ٢٧٥).

(٢) قوله: «وقيل لأنوشروان: لم تتهاونون بالمدح... إلخ» أورد ابن مسكويه هذا القول فيما أورده من حكم أنوشروان بلفظ: «قيل: فما بالكم تطرحون من المدح ما لم يكن مطرَحاً عند غيركم من الملوك؟ قال: لكثرة من رأينا من الممدوحين الذين كانوا بالذم أولى منهم بالمدح» (الحكمة الخالدة ٥٢) (والترجمة والنقل عن الفارسية ٩١-٩٢) وفيه أن هذا القول قطعة من كتاب أنوشروان اسمه كتاب المسائل (الترجمة والنقل عن الفارسية ٤٠).

وحملَ هذا على إطلاقه ذلك .

والصوابُ : أن يُعْتَبَرَ : فإنَّ أحبَّ المدحِ ليلتدُّ بسماعِ ما ليسَ فيه كانَ رذيلةً ونقصاً، وإنَّ أحبَّه ليفعلَ ما يمدحُ به كانَ فضيلةً ؛ لأنه يبعثُ على فعلِ الفضائلِ، وما بعثَ عليها كانَ منها .

وهذا أمرٌ ينبغي لكلِّ عاقلٍ أن يراعيه من نفسه ويُفَرِّقَ بينَ متملِّقةٍ احتيالاً لما لديه، وبينَ من يخلصُ له النصيحةَ من أهلِ الصدقِ والوفاءِ، الذين همُّ مرايا محاسنِهِ، وعيونُهُ، وأمناءُ مشهدهِ ومغيبِهِ .

قالَ سليمانُ بنُ داودَ عليه السلامُ :

شَفَتَا الصديقِ رحمتانِ، وشَفَتَا العدوَّ تنطِقُ بالعداوةِ .

وقيلَ لبعضِ الحكماءِ :

من أَوْلَى بكَ منك وأصدقُ في نصيحتك من نفسك لك؟  
قالَ :

من صدَّقني إن نزعْتُ، ونَبَّهني إن غفلتُ .

فإنَّ أغفلَ<sup>(١)</sup> هذا الفرقَ والتمييزَ، واستسهلَ<sup>(٢)</sup> الاغترارَ والتجويزَ، داهنَ نفسه، وناقَ عقله، واستفسدَ أهلَ الوفاءِ والصدقِ، وصارَ مأكلةَ النفاقِ والملتقِ، فأعقبَه أذىً ومضرةً، وتورطَ به في شبهةٍ وحيرةٍ، واكتسبَ به هجنةً ومعرَّةً .

وقد قيلَ :

المنافقُ نصفُ حسيدهِ بلا عقلٍ

والسلطانُ أولى من حذرَ ذلكَ وتوقاه؛ لأنَّ حضرته - لكثرةِ الراغبينَ فيها - كالسوقِ التي<sup>(٣)</sup> يُجلبُ إليها ما ينفقُ فيها، وكلُّ داخلٍ عليه إنما يريدُ التقربَ إليه بقوله وفعله، إمَّا طالباً للمنزلةِ، وإمَّا (١٢ ب) اجتذاباً للمنفعةِ، وإمَّا حذراً من المخالفةِ . فإذا لم يزرهم عقلٌ، ولم يكفهم

(١) غ : أعقل .

(٢) غ : استهل .

(٣) غ : إل .

دين، مرحوا<sup>(١)</sup> في نفاقهم؛ فخانوا، وشانوا. وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال:

«لا يمتنع أحدكم رهبة السلطان أن يقول بحق إذا رآه؛ فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق<sup>(٢)</sup>».

فإذا أتسق لهم النفاق، ورأوه من أرفق الأرزاق، عدلوا عن زواجر العقل والمناصحة إلى مساعدة الملك على رأيه؛ لأنهم قد علموا منه إيثار الموافقة على الهوى، وحب المدح والإطراء، فجعلوا ذلك أربح بضائعهم لديه، وألطف وسائلهم إليه، وهو سهل التكلف، لا يجد المتوسل المتقرب به مساً؛ فيتصور ذمه حمداً، وقد اكتسب به ذماً، ويتوهم قبيحه حسناً، وقد أوردته قباحة وشيئاً، ثم لا يجد ناصحاً سليماً، ولا مراقباً رحيماً؛ لأن النصح عنده بائس مردوول، والخداع إليه نافق مقبول؛ فإن روقب<sup>(٣)</sup> هفواته بالإغضا<sup>(٤)</sup>، وسعد عليها بالرضا، طاح في إغوائه، ومرح في غلوائه؛ فطمس بهجة محاسنه، وأوهى جلالة قدره، وقد قال العتابي الشاعر<sup>(٥)</sup>:

[من البسيط]

(١) غ: فمرحوا.

(٢) حديث «لا يمتنع أحدكم رهبة السلطان... إلخ» رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري بلفظ: قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا لا يمتنع أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق، أن يقول بحق أو يذكر بعظيم» (مسند الإمام أحمد ٣ / ٥٠) وأورد قطعة من هذا الحديث مرة أخرى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أيضاً بلفظ قال صلى الله عليه وسلم «ألا لا يمتنع أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق إذا رآه» (المسند ٣ / ٨٧) ومن كلام الإمام علي رضي الله عنه «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل، ولا ينقصان من رزق لكن بضاعتان الثواب ويعظمان الأجر، وأفضل منها كلمة عدل عند إمام جائره» (غرر الحكم ١١٤) وقد أورد الماوردي هذا الحديث في الأمثال والحكم (الورقة ٤٩ب).

(٣) غ: روقب.

(٤) بالإغضا كذا بالقص لتناسب الفاصلة المسجوعة.

(٥) العتابي: أبو عمرو كلثوم بن عمرو التغلبي ينتهي نسبه إلى عمرو بن كلثوم الشاعر، والعتابي من الشام وهو أديب من أدباء العصر العباسي الأول جمع بين بيان الشعر فكان شاعراً مجيداً وبيان النثر فكان كاتباً حسن الترسل، مدح الرشيد بعد أن اختص بالبرامكة، وكان حسن =

لَوْمْ يُعِيدُكَ مِنْ سُوءِ تَقَارِفِهِ<sup>(١)</sup>

أَبْقَى لِعِرْضِكَ مِنْ قَوْلٍ يُدَاجِيكَ

لَقَدْ رَمَى بِكَ فِي تِهَاءِ مَهْلَكَةٍ

مَنْ كَانَ يَكْتُمُكَ الْعَيْبَ<sup>(٢)</sup> الَّذِي فِيكَ<sup>(٣)</sup>

وهذا مما يجب أن يتوقاه الملك، ويحذره ليكفي مخادعة<sup>(٤)</sup> الهوى،  
ويميزه عن مداهنة النفس.

قال النبي عليه السلام:

«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا مِنْ نَفْسِهِ»<sup>(٥)</sup>

= الاعتذار في رسائله وشعره، ويشبه في المحدثين بالنابعة في الجاهلية مات في حدود ٢٢٠هـ  
والعتابي بفتح العين وتشديد التاء نسبة إلى عتاب بن سعد بن زهير بن جشم. انظر ترجمته  
وأخباره في: تاريخ بغداد ١٢ / ٤٨٨، طبقات الشعراء ٢٦٦، معجم الشعراء ٢٤٤، معجم  
الأدباء ١٧ / ٢٦-٣١ رقم الترجمة ١٢ وذكر أنه استوفى أخباره في كتابه أخبار الشعراء، وفيات  
الأعيان ٤ / ٢٣ ضمن ترجمة أبي منصور محمد بن علي بن إبراهيم بن زبرج النحوي المعروف  
بالعتابي أيضاً، فوات الوفيات ٢ / ٢٨٤-٢٨٦ رقم الترجمة ٣٥٩، العقد  
الفريد ١ / ١٩، ٨٨، ٨٦، فهرست ابن النديم ١٨١-١٨٢ وذكر له ستة كتب،  
واللباب ١-٣١٩.

- (١) غ: تفارقه.  
(٢) غ: يكتمك النصح، والتصحيح من معجم الأدباء.  
(٣) قول العتابي: لوم يعيدك... إلخ البيتين أوردهما ياقوت منسويين إليه في معجم الأدباء  
٣٠ / ١٧.  
(٤) غ: فيخادعه.  
(٥) قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا...» أخرجه الدليمي في مسند  
الفرديوس عن أم سلمة بحديث ضعيف (الجامع الصغير ١٧ / ١٧) وفيه زيادة (يأمره وينهاه)  
وقد أورده المؤلف في أدب الوزير وفي الأمثال والحكم (الورقة ١٩) عن أبي الوفاص العامري  
عن أم سلمة.



قال بعضُ الحكماءِ:

من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ<sup>(٥)</sup>.

\* \* \*

(١) قولهم: «من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ» مرّ قبل قليل قليل قول الرشيد: «قيح الله المرء لا واعظ له من عقله ولا مطيع له من نفسه» وفي تخرجه ما يتصل بموضوعنا هنا. وقد ورد قول مشابه غير منسّوب لأحد ولفظ «من كان من نفسه واعظ كان له من الله حافظ» في (كلمات مختارة ٤٠) ومن الأقوال المنسوبة للإمام علي: «من كان له من نفسه زاجر كان عليه من الله حافظ» (غرر الحكم ٢٩٣) و(كتاب ٢٠٠٠ كلمة للإمام علي ص ٩ رقم ١٣٣) وقوله «من لم يعنه الله على نفسه لم ينتفع بموعظة الواعظ» (غرر الحكم ٢٩٥). والقول بلفظه أورده الماوردي في كتاب أدب الوزير (ص ٤٩) ونقله عنه النووي (نهاية الأرب ٦ / ١٣٥) كما أورده ثانية بلفظ «من لم يكن له من نفسه زاجر لم تنفعه الزواجر» في (الأمثال والحكم الورقة ٥ب).

## [الفصل السابع]

## [شواهد الفضل]

[الوقار]:

وإذا كان الوقار محموداً، وكان ذو القدر [به] مأموراً فهو أول شواهد الفضل، وأُس (١٣أ) قواعدُه، فوجب أن نوضح<sup>(١)</sup> منه فصلاً تدلُّ على نظائرها يتبع بعضها بعضاً.

[التبث والصمت]:

فمن ذلك قلة السرعة إلى الشهوات، والتبث عند الشبهات، والإعراض عن الهفوات، وضبط النفس عن سرعة الحركات، ثم إطراق الطرف، ولزوم الصمت، إلا من ضرورة لا يجد فيها من الكلام بدءاً؛ لیسلم من هذر<sup>(٢)</sup> الاسترسال، ويأمن من معرة الطيش؛ فإن الملك مرموق الألفاظ، محفوظ الألفاظ، تشيع زلأته، وتنشر هفواته، وبحسب ذلك تكون<sup>(٣)</sup> بحاسنه أنشر، وفضائله أشهر؛ فهو بالسكوت ممدوح، ومن الكلام على خطر، وقد قيل:

الحصر خير من الهذر<sup>(٤)</sup>؛ لأن الحصر يضعف الحجّة، والهذر يتلف المهجة<sup>(٥)</sup>.

(١) غ: يوضح.

(٢) غ: هذر.

(٣) غ: يكون.

(٤) غ: الهذر.

(٥) قوله: «وقد قيل: الحصر خير من الهذر... إلخ» أورده المؤلف منسوباً إلى بعض البلغاء في أدب الدنيا والدين ٢٥٢، وأورده غير منسوب إلى أحد في أدب الوزير ص ٥، وقد ورد القول غير منسوب في أحاسن المحاسن ١٥٤ وهو فيه بلفظه، وقد ورد منسوباً إلى الإمام علي بلفظ «الحصر خير من الهذر»، الهذر مقرب من الغير - كذا -، الحصر يضعف الحجّة، الهذر يأتي على المهجة (غرر الحكم ودرر الكلم ٢٨) وقد أورد ابن مسكويه قولاً يجانسه =

قال بعضُ البلغاءِ:

إلزم الصمتَ؛ فإنه يكسبك صفوَ المحبَّة، ويؤمِّنك سوءَ المغبَّة،  
ويُلبسك ثوبَ الوقارِ، ويكفيك مؤونةَ الاعتذارِ<sup>(١)</sup>.

وتكلَّم أربعةً من حكماءِ الملوكِ بأربعِ كلماتٍ، كأنها رميةٌ عن قوسٍ:

فقالَ ملكُ الرومِ:

أفضلُ علمِ العلماءِ السكوتُ.

وقالَ ملكُ الفرسِ:

إذا تكلمتُ بالكلمةِ ملكتني ولم أملكها.

وقالَ ملكُ الهندِ:

أنا على ردِّ ما لم أقلُّ أقدرُ منِّي على ردِّ ما قلتُ.

وقالَ ملكُ الصينِ:

ندمتُ على الكلامِ، ولم أندم على السكوتِ<sup>(٢)</sup>.

= وجعله من حكم العرب وأمثالها السائرة بلفظ: «عِي الصمت خير من الكلام» (الحكمة الخالدة ٢٠٣).

(١) قوله: «قال بعض البلغاء: إلزم الصمت... الخ» أورد الماوردي هذا القول بلفظه دون أن ينسبه لقائل في أدب الدنيا والدين (٢٤٩-٢٥٠).

(٢) قوله: «وتكلَّم أربعةً من حكماء الملوك بأربع كلمات... الخ» وردت هذه الكلمات في مختار الحكم بلفظ: «اجتمع عند ملك من الملوك ثلاثة حكماء: يوناني وهندي وفارسي، فقال لهم الملك: ليتكلم كل واحد منكم بكلمة يبين فيها عقله وعلمه. فقال اليوناني: أنا على رد ما لم أقلُّ أقدر مني على رد ما قلت. وقال الهندي: عجبت لمن يتكلم الكلمة، إن حكيت عنه أضرت وإن لم تحك عنه لم تنفعه. وقال الفارسي: أنا إذا تكلمت بالكلمة فقد ركبتي، وإذا لم أتكلم بها فأنا راكبها» (انظر مختار الحكم ومحاسن الكلم ٢٩٩). وأورد قولاً لسقراط: «الكلام مملوك ما لم ينطق به صاحبه، فإذا نطق به خرج من ملكه» (ص ١٠٨). وأورد ابن المقفع قول هؤلاء الأربعة على الوجه التالي: «اجتمع في بعض الزمان ملوك الأقاليم من الصين والهند وفارس والروم، وقالوا: ينبغي أن يتكلم كل واحد منا بكلمة تدون على غابر الدهر. فقال ملك الصين: أنا على [رد] ما لم أقلُّ أقدر مني على رد ما قلت. وقال ملك

وليعلم أن الحاجة إلى الصمت أكثر من الحاجة إلى الكلام؛ لأن الحاجة إلى الصمت عامة، والحاجة إلى الكلام عارضة، فلذلك ما وجب أن يكون صمت العاقل في الأحوال أكثر من الكلام في كل حال.  
حكى عن بعض الحكماء أنه قال - وقد رأى رجلاً يُكثِر من الكلام ويقلّ السكوت - فقال:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا جَعَلَ لَكَ (١٣ب) أُذُنَيْنِ وَلِسَانًا وَاحِدًا؛ لِيَكُونَ مَا تَسْمَعُهُ ضَعْفًا مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ<sup>(١)</sup>.

الهند: عجبت لمن يتكلم بالكلمة فإن كانت له لم تنفعه، وإن كانت عليه أوبقته. وقال ملك فارس: أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتي، وإذا لم أتكلم بها ملكتها. وقال ملك الروم: ما ندمت على ما لم أتكلم به قط، ولقد ندمت على ما تكلمت به كثيراً (كتاب كليله ودمنة ٢٦) وقد أورد كلمات أخرى لأربعة علماء (انظر صفحة ٢٤ منه). وفي التمثيل والمحاضرة: «أربع كلمات صدرت عن أربعة ملوك كأنها رميت عن قوس واحدة: قال كسري: لم أندم على ما لم أقل، وقد ندمت على ما قلت مراراً. وقال قيصر: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت. وقال ملك الصين: إذا تكلمت بالكلمة ملكتي وإذا لم أتكلم بها ملكتها. وقال ملك الهند: عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن رفعت ضرته، وإن لم ترفع لم تنفعه» (ص ٤٢٦). وقوله: «أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلته» نسبة الأمدى إلى الإمام على (غرر الحكم ١٢٦) وذكر من أقواله: «وإذا تكلمت بالكلمة ملكتك وإذا أمسكتها ملكتها» (ص ١٤٠) وبلغ آخر في شرح نهج البلاغة ٤ / ٤١٦ وقد أورد البيهقي كلمة لكسري بلفظ: «أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت» (المحاسن والمساوي طبعة بيروت ١٩٦٠ ص ١٢١) وكتاب (الترجمة والنقل عن الفارسية ١١٨) وانظر (عيون الأخبار ٢ / ١٧٩) و(كليله ودمنة ١٥) ونسب الأبيهي كلام ملك الفرس إلى الشافعي مخاطباً الربيع تلميذه (المستطرف ١ / ٨٢) وحكى القصة كاملة في الصفحة نفسها، وتجد الأقوال باختلاف يسير في المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ (٢٥ - ٢٦).

(١) قوله: «حكى عن بعض الحكماء أنه قال وقد رأى رجلاً يكثُر من الكلام... الخ» ورد في أدب الدنيا والدين (ص ٢٥٢) دون نسبة إلى أحد وقد أورده الأمير أسامة بن منقذ باختلاف لفظي يسير ونسبه إلى أفلاطون (لباب الآداب ٤٦٥-٤٦٦). وقد نسبة المشر بن فاتك إلى سقراط مرة (مختار الحكم ومحاسن الكلم ١٠٧) وإلى أفلاطون مرة أخرى (ص ١٣١). وقد وردت العبارة مثلاً من الأمثال في التمثيل والمحاضرة (ص ٣١١) بلفظ «إنما جعلت لك أذنان-ولسان لتسمع أكثر مما تقول». ونسب ابن قتيبة هذا المعنى إلى أبي الدرداء بلفظ: «قال أبو الدرداء: أنصف أذنيك من فيك؛ فإنما جعل لك أذنان اثنتان وفم واحد؛ لتسمع أكثر مما تقول» (عيون الأخبار ٢ / ١٧٧).

فإذا دَعَتْهُ الحاجةُ إلى الكلامِ سَبَرَهُ قَبْلَ إِطْلَاقِهِ، وَرَوَى فِيهِ قَبْلَ إِرسَالِهِ؛ لِيَكُونَ وَفْقَ غَرَضِهِ، وَفِي إِبَانِ حَاجَتِهِ؛ فَإِنَّ كَلَامَهُ تَرْجِمَانُ عَقْلِهِ، وَبِرَهَانٍ فَضْلِهِ، وَقَدْ قِيلَ:

كَلَامُ ائِمْرَةٍ وَافِدٌ أَدَبِهِ (١).

وَقِيلَ:

اللِّسَانُ وَزِيرُ الْإِنْسَانِ (٢).

فَلَا يَهْتِكُ بِالِاسْتِرْسَالِ فِيهِ فَضَائِلَهُ، وَلَا يَمْحُو بِالتَّجْوِيزِ فِيهِ مَحَاسِنَهُ؛ فَظَهَرُ نَقْصِ الْكَلَامِ يَغْلِبُ عَلَى الْخَافِي مِنْ فَضْلِهِ؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَ سَابِقٌ مَتَشَرُّ، وَالْخَفِيُّ مَسْبُوقٌ مُسْتَرُّ. وَقَدْ قِيلَ:

الصَّمْتُ مَنَامٌ وَالْكَلامُ يَقْظَةٌ (٣).

فإذا تَكَلَّمَ لَوَّحَ بِالْمَعْنَى، وَجَاوَزَ الْإِكْتَارَ، فَقَلَّ مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ إِلَّا ظَهَرَ خَلُّهُ، وَبَانَ زَلُّهُ.

(١) قوله: «وقد قيل: كلام المرء وافد أدبه» أورد الماوردي معنى هذا القول في أدب الدنيا والدين دون نسبة إلى أحد في موضعين: مرة بلفظ «قال بعض البلغاء: كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله» (ص ٢٥٢) وأخرى بلفظ: «يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى أصله بفعله» (ص ٢٥٤) وفي معناه ما ذكره الثعالبي من قول زياد: «ما قرأت كتاب رجل إلا عرفت مقدار عقله» (التمثيل والمحاضرة ٣٢) وأورده الرخحي مرة بلفظ: «كلام الإنسان بيان فضله وترجمان عقله» (أحاسن المحاسن ١٥٣) وهو بهذا اللفظ في المستطرف (١ / ٢٥) ومرة أخرى بلفظ: «يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى أصله بفعله وبقله كلامه، وعلى مروءته بكثرة إنعامه» (أحاسن المحاسن ١٥٤).

(٢) قوله: «وقيل: اللسان وزير الإنسان» أورده المؤلف بلفظه مصدراً بقوله: «وقال بعض الحكماء...» (أدب الدنيا والدين ٢٥٤)، وأورده الأمدني في أقوال الإمام علي بلفظ: «ينبيء عن عقل كل امرئ لسانه» (غرر الحكم ٣٦٣). ولفظ «اللسان ترجمان الإنسان» (ص ١٥) ولفظ: «اللسان ميزان الإنسان» (ص ٢٨).

(٣) قوله: «وقد قيل: الصمت منام والكلام يقظة» أورده الماوردي ونسبه إلى حكيم يوناني (الأمثال والحكم الورقة ١٣٨) وأورده ابن قتيبة بلفظه ولم ينسبه لأحد (عيون الأخبار ٢ / ١٧٠) وهو عن المبشر بن فائق بلفظ «الصمت منام العقل والنطق يقظته» غير منسوب لقائل (مختار الحكم ٣٣٧) ونسبه ابن مسكويه إلى أكتم بن صيفي بلفظ «الصمت منام»

وقد قيل:

الجاهل الصامت يعدُّ حكيمًا، والممسك عمًا لا ينبغي يُعدُّ فهيمًا<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر: [من المتقارب]

قَدْ يَكْشِفُ الْقَوْلُ عِيَّ اللِّسَانِ  
فِيبدو وَيَسْتُرُهُ مَا سَكَتَ  
فَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي لِيَانَ المَعَاشِ  
فَلِنْ لِلْأُمُورِ إِذَا مَا أَلْتَوْتُ<sup>(٢)</sup>

ولا ينبغي أن يعجب بجيد كلامه، ولا بصواب منطقيه، فإنه بالصواب  
أحق، والعجب إنما يكون ببادرٍ مستظرفٍ وعلى أن سبب الاكثار منه. وفي  
الإكثار عثار<sup>(٣)</sup>.

= العقل والنطق يقظته» (الحكمة الخالدة ١٦٠) وقد أورده المؤلف كلاماً يتصل بهذا المعنى  
ونسبه إلى الأحنف بن قيس بلفظ «النطق مسفرة، والصمت مسترة» (أدب الوزير) وفي  
العقد الفريد (طبعة العريان): «الصمت نوم والكلام يقظة» وفي المستطرف من كلام ابن  
عينية: «الصمت منام العلم والنطق يقظته» (١ / ٤١).

(١) قوله: «وقد قيل: الجاهل الصامت يعد حكيمًا...» نقل الماوردي من كلام الحكماء: «الزم  
الصمت تعد حكيمًا، جاهلاً كنت أو عالمًا» (أدب الدنيا والدين ٢٤٩) ومن أقوالهم «الزم  
الصمت تعد في نفسك فاضلاً، وفي جهلك عاقلاً، وفي عجزك حليماً» (أحاسن المحاسن  
١٥٣).

(٢) قول الشاعر: «قد يكشف القول عن اللسان... إلخ» البيتين. استشهد المؤلف بهما في  
كتابه (الأمثال والحكم الورقة ١٣) ونسبهما إلى يحيى بن زياد ولكن البحري نسب البيت  
الأول لعبد الله بن معاوية الجعفري بلفظ «لقد يكشف القول عن الفتي»... (الحماسة  
٣٦٥) وعنها نقل الدكتور عبد الجبار المطلبي جامع ديوان عبد الله بن معاوية المسمى  
بالصباية من شعر عبد الله بن معاوية وهو فيه بلفظ الحماسة غير أنه أسقط (اللام) من  
(لقد) (انظر مجلة الكتاب التي يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد العدد: ٧  
لسنة ١٩٧٥ ص ٩٤).

(٣) قوله: «وفي الإكثار عثار» نجد معناها في أدب الدنيا والدين بلفظ «ومن أعجب بكلامه  
استرسل فيه والمسترسل في الكلام كثير الزلل دائم العثار» (ص ٢٥٣) وفي الأمثال: «من  
كثر كلامه كثر سقطه» (أمثال أبي عبيد ١٥) وفي سراج الملوك من كلام الإمام علي: «من =

قال بعض الحكماء:

من أعجب (١) بكلامه أصيب بعقله (٢).

وقال الحسن البصري (٣):

من لم يكن كلامه حكماً فهو لغو، ومن لم يكن سكوتة تفكيراً (٤) فهو سهو، ومن لم يكن فكره اعتباراً فهو لهو (٥).

وكما أن الملك مندوب إلى قلة الكلام، فهكذا من أراد خطاب الملك، يجب أن يحبس لسانه عن كلامه، فإن دعت الحاجة إليه اختصر؛ ففي الإكثار مع الإعتار إضجار.

= كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار (ص ٢٨).

(١) غ: عجب، والتصحيح من أدب الدنيا والدين (٢٥٣).

(٢) قول بعض الحكماء: «من أعجب بكلامه أصيب بعقله» انظره في أدب الدنيا والدين بلفظه (ص ٢٥٣) ومن كلام علي رضي الله عنه: «من أعجبه قوله فقد غرب عقله» (غرر الحكم ٢٧٨) و«عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله» (كتاب ٢٠٠٠ كلمة للإمام علي ٢٣ رقم ٤٦٣).

(٣) الحسن البصري: وهو أبو سعيد الحسن بن يسار التابعي الجليل الذي تتلمذ على الصحابة وكبار التابعين وفيه البصرة المعروف بالعلم والنسك والفصاحة توفي سنة ١١٠هـ انظر ترجمته وأخباره في أخبار القضاة ٢/٣-١٥، الحلية ٢/١٣١، أدب القاضي ١/١٢٢، ميزان الاعتدال ١/٢٥٤، وفيات الأعيان ١/٣٥٤-٣٥٦ رقم الترجمة ١٤٨، تذكرة الحفاظ ١/٧١-٧٢ رقم الترجمة ٦٦ وذكر أنه أفرد له ترجمة في جزء سمّاه الزخرف القصري، الأخبار الموقفات ١٠٤، تهذيب التهذيب ٢/٢٦٤.

(٤) غ: تفكر - بالضم - والتصحيح من ط ومن السياق ومن مصادر التخرّيج.

(٥) قول الحسن البصري: «من لم يكن كلامه حكماً... إلخ» ذكره الماوردي منسوباً إليه بلفظه في كتابه (الأمثال والحكم الورقة ٤٥ ب) كما ذكر قولاً آخر ونسبه إلى عيسى عليه السلام بلفظ: «البر ثلاثة: المنطق والنظر والصمت، فمن كان منطقاً في غير ذلك فقد لغا، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها» (أدب الدنيا والدين ص ٩٠) وانظر الحكمة الخالدة ١٩٥ وقد يكون معنى ذلك مأخوذاً من حديث للنبي صلى الله عليه وسلم الذي استشهد به المؤلف بلفظ «أوصاني ربي بسبع... تم ذكرها ومنها: وأن يكون صمتي فكراً ونطقي ذكراً ونظري عبرة» (أدب الدنيا والدين ٣١٢) ومن كلام علي =

وقيل:

إن كان قومٌ تقتلهم<sup>(١)</sup> الحرب كثيراً فإنّ الذي يقتلهم اللسان أكثر<sup>(٢)</sup>.

والموت (١٤) والحياة باللسان هو مما يتجافاه الملك، ولا يرخّص فيه اليمين والحلف، مصرحاً أو معرضاً؛ فإنّ الحلف قبيح، وهو بالملوك أقبح. ومن قول النبي عليه السلام:

«اليمين حنثٌ أو مندمة»<sup>(٣)</sup>.

قال بعض العلماء:

= رضي الله عنه: «العاقل إذا سكت ففكر، وإذا نطق فذكر، وإذا نظر اعتبر» (غرر الحكم ٤٢) وبلغت آخر فيه اختلاف (ص ٥٤) ومن أمثاله: «كل صمت لا فكل فيه فهو سهو» (أمثال أبي عبيد ١٢) و(مجمع الأمثال ١٦٢/٢ رقم ٣١٥٥) و(لباب الآداب ٢٧٢) وهو فيه منسوب إلى عيسى عليه السلام، وذكر الأبيهي أن الحجاج نسب هذا القول إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن في خطبة له (المستطرف ١/٦٠) ونسبه إلى بعض الحكماء مرة أخرى (٨٢/١).

(١) غ: يقتلهم.

(٢) قوله: «وقيل: إن كان قوم تقتلهم الحرب... إلخ» أورد ابن مسكويه معنى هذا القول ضمن إشارات الصوفية بلفظ: «غاية البطل الرامي أن يقتل بسهمه رجلاً واحداً، لكن كيد العاقل يقتل برمية واحدة الجيش بأسره» (الحكمة الخالدة ١٢١) وأورد الثعالبي قولاً لجؤذر بن سابور قريباً من ذلك بلفظ: «السعايات أقتل من الأسياف ومن السم الذعاف» (الإيجاز أو الإعجاز ١٢) وأورد عبد الواحد الأمدي للإمام علي بلفظ «رب حرب جنيت من لفظة» (غرر الحكم ١٨٣-١٨٤) و«كم من حرب جنيت من لفظة» (ص ٢٣٩)، وفي أدب الوزير غير منسوب بلفظ «وقد قيل: رب صباية غرست من لحظة وحرب جنيت من لفظة» (ص ٤٢).

(٣) حديث: «اليمين حنث أو مندمة» أخرجه ابن ماجة عن ابن عمر بلفظ «إنّ الحلف حنث أو ندم» (انظر سنن ابن ماجة الباب الخامس من كتاب الكفارات منه ج ١ ص ٦٨٠ رقم الحديث ٢١٠٣) قال السيوطي وهو حديث ضعيف (الجامع الصغير ١/١٠٢) والحديث من حكم الرسول صلى الله عليه وسلم وأمثاله السائرة (انظر التمثيل والمحاضرة ٢٨) والإيجاز والإعجاز (٧) وهو في مجمع الأمثال (٢/٤٢١ رقم المثل ٤٧٠٩) غير منسوب. وقال: «أي إن كانت صادقة ندم وإن كانت كاذبة حنث، يضرب للمكروه من وجهين». وقد روي الحديث بألفاظ أخرى منها قوله «الحلف حنث أو ندم» الذي رواه البخاري في التاريخ والحاكم في المستدرک وهو حديث صحيح (الجامع الصغير ١/١٥٢).



كثرة الأيمان من قلة الإيمان.

ولأن اليمين يقصدُ بها أحدُ ثلاثةِ أوجهٍ يجعلُ الملكُ عنها: إما ليصدقَ خبره، والملكُ يجعلُ قدره عن الإكذاب، وإما ليتحقق وعده أو وعيدُه، وقدرته تمنع من الارتياح، وإما لاستراحةٍ في كلامه؛ فهي عي قبيحٌ، ولكن فاضحٌ<sup>(١)</sup>.

وإن دعتُ الضرورةُ إليها لشرطٍ في عقدٍ وتوثيقٍ في عهدٍ، إلترزمَ حكمها في السياسة، وإن لم يلزمَ حكمها في الديانة؛ لفسادِ عقدها، واختلالِ شرطها، ولا يتطلبُ لفسخها مع الصحةِ تأويلاً، وإن كانَ له في الفسخِ تأويلٌ، ولا يجعلُ لمخرجه منها تعليلاً، وإن كانَ له في الشرعِ تعليلٌ، لتكونَ عقوده محروسةً من فسخٍ، وعهوده محفوظةً من نسخٍ، فلا يختلجُ فيه ظنٌ، ولا يقدحُ فيه طعنٌ، فإنه، وإن كانَ له في الدينِ مخرجٌ منها، فما يقفُ عليه كلُّ من سَمِعَ بالتزامها، ولا يعرفه إلا العلماءُ بأحكامها. ولأنَّ يراقب في دنياهُ بعد مراقبةِ الله تعالى في دينه؛ فيجمعُ بين رضا الله تعالى وثناءِ خلقه أولى من تفردهِ بأحدهما واطراحِ الآخر.

وقيل:

دع ما يسبقُ إلى القلوبِ إنكاره، وإن كانَ عندك اعتذاره؛ فما كلُّ من حكى عنك نكراً يطيقُ أن يوسعه منك عُذراً<sup>(٢)</sup>.

(١) قوله: «ولأن اليمين يقصد بها أحد ثلاثة أوجه...» قال ابن المقفع: «وليتق الملك أن يكون حلاقاً، فأحق الناس باتقاء الأيمان الملوك، فإنما يحمل الرجل على الخلف إحدى هذه الخلال: إما مهانة يجدها في نفسه، وضرع وحاجة إلى تصديق الناس إياه، وإما عي بالكلام حتى يجعل الأيمان له حشواً ووصلاً، وإما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه، فهو ينزل نفسه منزلة من لا يقبل منه قوله إلا بعد جهد اليمين، وإما عبث في القول، أو إرسال اللسان على غير روية ولا تقدير...» (الأدب الكبير ١١٤-١١٥).

(٢) قوله: «وقيل: دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره...» أورده ابن مسكويه دون أن ينسبه لقائل بلفظ: «... وقال آخر: دع ما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، فما كل من أنكرو نكراً يطيق أن توسعه منك عُذراً» (الحكمة الخالدة ١٣٧)، وفي غرر الحكم من أقوال علي رضي الله عنه: «إياك وما قل إنكاره وإن كثرت منك اعتذاره» (ص ٧٩) وأورد =

فإن لم يجدْ إلى استدامة التزامها سبيلاً أوضح من أسباب عذره،  
وأشاع من وجوه مخرجه قبل شروعه في خلقه، ونقضه، ما يحفظُ عليه  
سلامة دينه وعرضه؛ فلا ينسبُ في (١٤ب) يمينه إلى حنث، وفي عهده  
إلى نكث.

قال بعض الحكماء:

الكذب والغدر يشبهان أسنان الأسد، ويفسدان قلوب الناس.

\* \* \*

---

= ابن مسكوية قولاً آخر من حكم الفرس بلفظ «وعلى العاقل إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر  
أيها الصواب أن ينظر إلى أقربها إلى هواه مخالفة فإن الهوى عدو العقل فيحذره» في كلام  
طويل (الحكمة الخالدة ٧٣) واستشهد به ضمن أقوال ابن المقفع بلفظ «إذا بدهك أمران  
متناقضان لا تدري أيها الصواب فانظر أقربها إلى هواك فخالفة فإن أكثر الصواب في خلاف  
الهوى (الحكمة الخالدة ٣٢٣) وانظر (الأدب الكبير ١٧٧) و(الأدب الصغير ٤٩).

## [الفصل الثامن]

## [الصدق]

## [اعتماد الصدق]:

ومِمَّا هُوَ أَلْزَمُ فِي أَحْلَاقِ الْمَلِكِ وَأَلْيَقُ اعْتِمَادُ الصِّدْقِ وَاجْتِنَابُ الْكُذْبِ<sup>(١)</sup>؛ فَإِنَّهُ سَهْلُ الْبَادِرَةِ، خَبِيثُ الْعَاقِبَةِ؛ لِأَنَّهُ يَعْكُسُ الْأُمُورَ إِلَى أَوْضَادِهَا، وَيَسْتَبَدِّلُ الْحَقَائِقَ بِأَغْيَارِهَا، فَيَضَعُ الْبَاطِلَ مَوْضِعَ الْحَقِّ، وَيَتَخَيَّلُ أَنَّ الْكُذْبَ يَتَشَبَّهُ بِالصِّدْقِ. كَلَّا<sup>(٢)</sup> فَإِنَّ الزَّمَانَ يَكْشِفُ عَنْ خَبَايَاهُ، وَيُنَمِّعُ عَلَى خَفَايَاهُ، وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ، وَأَقْصَرَ مِنْ عُنَانِهِ، وَأَلْزَمَ طَرِيقَ الْحَقِّ مَقُولَهُ وَلَمْ يَعُوذَ الْخَطْلَ مِفْصَلُهُ»<sup>(٣)</sup>.

## [الحذر من الكذب]:

فِيحْذَرُ الْكُذْبَ جَادًّا وَهَازِلًا، وَلَا يَرْخِصُ لِنَفْسِهِ مُحِقًّا وَلَا مَبْطَلًا، إِلَّا عَلَى وَجْهِ التَّوْرِيَةِ فِي خِدَاعِ الْحُرُوبِ، انْتِهَازًا لِلْفُرْصَةِ فِيهَا، وَاجْتِنَاعًا لِمَكِيدَتِهَا، فَمَا لِلْحَرْبِ مَهْلَةٌ، وَلَا لِلظَّفَرِ عِلَّةٌ، فَأُبَيِّحُ فِي التَّوَسُّلِ إِلَيْهَا رُخْصًا

(١) عن اعتماد الصدق واجتناب الكذب عقد المؤلف في أدب الدنيا والدين فصلاً فليُنظر فيه (ص ١٣٢٧-٢٤٤). وقد قال ابن المقفع: «ليس للملك أن يغضب؛ لأن القدرة من وراء حاجته، وليس له أن يكذب، لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد» (الأدب الكبير ١١٣) ومن أقوال أردشير: «ليس للملك أن يخيل؛ لأن البخل لقاح الحرص، وليس له أن يكذب؛ لأنه لا يقدر أحد على استكراهه، وليس له أن يغضب، لأن الغضب والعداوة لقاح الشر والندامة، وليس له أن يلعب ولا يعبت؛ فإن اللعب والعبث من عمل الفراغ، وليس له أن يفرغ؛ لأن الفراغ من أمر الشوقة، وليس له أن يجسد إلا ملوك الأمم على حسن التدبير؛ وليس له أن يخاف؛ لأن الخوف من أمر المعوز، وليس له أن يتسلط إن هو أعوز...» (عهد أردشير ٦٩) ونجد ما يماثل ذلك في (لباب الآداب، ٧٠-٧١).

(٢) غ: وكلا.

(٣) حديث: «رحم الله امرأةً أصلح من لسانه.. إلخ» ذكره المؤلف في باب الصدق والكذب من كتاب أدب الدنيا والدين (ص ٢٣٧) ورواه ابن الأباري في الوقف، والمرهبي في العلم، وابن عدي في الكامل، والخطيب البغدادي في الجامع عن عمر، وابن عساكر عن أنس، وهو حديث حسن (الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ١ / ٢٣) وشطر من الحديث في المحاسن والأضداد للجاحظ (ص ٨)، بلفظ «رحم الله عبداً..».

الكلام، كما استعمل فيها رخص الأفعال، ولذلك جاءت السنة بإرخاص الكذب فيها على وجه التورية دون التصريح:

قال النبي عليه السلام:

«الحرب خدعة»<sup>(١)</sup>.

وإذا أمكن أن يكون ذلك بمواضع غيره كان أولى [من] أن يكون ذلك بمباشرته بنفسه<sup>(٢)</sup>، فإن لم يجد من المباشرة بدأ ورى وعرض، ليكون التأويل لكلامه محتملاً، والتصريح بالكذب عنه مشفياً، فيعذر إذا ظهر، ولا يتصور بالكذب إذا اشتهر، وليقلل منه إلا عند ضيق الخناق، فإن أكثر منه أفضحت معاريضه، فصار صريحاً، ورد عليه فاسداً وصحيحاً.

وإن رخص لنفسه في التصريح بالكذب على غير ما قلناه في الحرب

(١) حديث: «الحرب خدعة» متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله (انظر البخاري - جهاد - ١١٤/٢) و(مسلم - في متن شرح النووي - جهاد ٤٥/١٢). ورواه أبو داود (سنن ٤٣/٣/حديث رقم ٢٦٣٦) والترمذي - (السنن - جهاد ١١٢/٣ رقم ١٧٢٦) وقال: «وفي الباب عن علي بن زيد بن ثابت، وعائشة وابن عباس وأبي هريرة وأسما بنت يزيد وكعب بن مالك وأنس بن مالك وهذا حديث حسن صحيح» (الموضع نفسه)، والحميدي (المسند ٥١٩/٢ رقم ١٢٣٧)، و(سنن ابن ماجه ٩٤٥/٢ رقم ٢٨٣٣ و ٢٨٣٤)، قال ابن الأثير: «أخرجه الجماعة إلا الموطأ والنسائي»، وأورد له أسانيد (جامع الأصول ١٨٩/٣ رقم ١٠٥٤-١٠٥٦) ورواه أحمد المسند ٨١/١، ٩٠، ١١٣، ١٢٦، ١٣٤، ٣١٢/٢، ٣١٤، ٢٩٧/٣، ٣٠٨، ٣٨٧/٦، ٤٥٩) والبخاري والطيبراني في الكبير وابن عسار (الجامع الصغير ١٥١/١) وأبو يعلى والطيبراني في الأوسط بأسانيد (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣٢٠/٥). قال والحديث مثل من الأمثال السائرة (مجمع الأمثال ١٩٧/١ رقم ١٠٤٣)، وكتاب (الأمثال لأبي الوفاء محمد بن أحمد البساک ٣٩) و(أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام ص ٢) و(التمثيل والمحاضرة ١٥٢) والإيجاز والإعجاز ص ٧) و(لباب الآداب ٣٣١) والمثل المقارن ص ٩٤). وقد استشهد به المؤلف في أدب الوزير (ص ١٩) قال ابن الأثير يروي بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال، ويضمها مع فتح الدال، فالأول معناه: أن الحرب ينقضي أمرها بخدعة واحدة من الخداع: أي أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن لها إقالة، وهي أفصح الروايات وأصحها، ومعنى الثاني: هو الاسم من الخداع. ومعنى الثالث أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تنهي لهم كما يقال فلان رجل لعبة وضحكة: أي كثير اللعب والضحك (النهاية في غريب الحديث ١٤/٢).

(٢) غ: لنفسه.

من التعريض المحتمل صارَ به موسوماً (١١٥) وإليه منسوباً؛ لأنَّ الإنسانَ بما يسبقُ إليه يُعرَفُ<sup>(١)</sup>، وبما يظهرُ من شِيمِهِ يوصَفُ، وبذلك جرتُ عادةُ الخلقِ: أنهم يعدلونَ العادلَ بالغالبِ من أفعاله، وربما أساء. ويفسقون الفاسقَ بالغالبِ من أفعاله، وربما أحسن. وقلَّ ما يُمَحَّضُ أحدهما في الإنسانِ، وإنَّ تَمَحَّضَ نَدَرَ<sup>(٢)</sup> قال الشاعرُ: [من الرجز]

مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَلَيْسَ مَحْضُ  
يَخْبُثُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ<sup>(٣)</sup>

وقال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه:

(١) قوله: «لأن الإنسان بما يسبق إليه يعرف..» أصله المثل «من أكثر من شيء عرف به» انظره في (الأمثال للبيضاك ١٠٦)، و(مجمع الأمثال، ٢/ ٣٢٨) وفيه أنه من أمثال المولدين و(غرر الحكم ٢٦٧) من أقوال علي رضي الله عنه بلفظه وفي (ص ٢٩١ منه). بلفظ «من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به»، ومن أقوال عمر رضي الله عنه، (سيرة عمر ١٢٤).

(٢) قوله: «وبذلك جرت عادة الخلق أنهم يعدلون العادل بالغالب من أفعاله..» قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «وليس أحد من الناس نعلمه إلا أن يكون قليلاً يحض الطاعة والمروءة حتى لا يخلطها بمعصية ولا يحض المعصية وترك المروءة حتى لا يخلطها بشيء من الطاعة والمروءة، فإذا كان الأغلب على الرجل، والأظهر من أمره الطاعة والمروءة قبلت شهادته، وإذا كان الأغلب على الرجل والأظهر من أمره المعصية وخلاف المروءة ردت شهادته»، (انظر الأم ٧/ ٤٨)، و(مختصر المزني من كلام الشافعي - على هامش الأم ٥/ ٢٥٦)، و(أدب القاضي للماوردي نسخة السليمانية - مخطوط - ج ٢ / الورقة ٩٨ ب والورقة ١٠٢ ب)، وقال الماوردي في شرح ذلك: «وهذا صحيح؛ لأن في غرائر الشيم دواعي الطاعات ودواعي المعاصي فلم يتمحض وجود أحدهما مع اجتماع سببهما»، (أدب القاضي، ٢ / الورقة ١٠٢ ب)، ثم قال: «فوجب أن يعتبر الغالب من أحوال الإنسان فإن كان الأغلب عليه الطاعة والمروءة حكم بعدالته وقبول شهادته وإن عصى ببعض الصغائر، وإن كان الأغلب عليه المعصية وترك المروءة حكم بفسقه ورد شهادته، وإن أطاع في بعض أحواله..» (أدب القاضي ح ٢ الورقة ١٠٣ أ).

(٣) قول الشاعر: «من لك بالمحض.. إلخ» البيت استشهد به الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٢٩٠) وفي أدب القاضي من الحاوي الكبير (الجزء الثاني، الورقة ١٠٢ ب)، ولم ينسبه لقاتل في الموضعين، وهو من الأمثال البديعة السائرة انظر (زهرة الربيع في المثل البديع ص ٩٢)، غير منسوب لشاعر. والبيت في ط بلفظ «بحث بعضاً».

لأن يضرني الصدق وقل ما يفعل، أحب إلي من أن ينفعني الكذب،  
وقل ما يفعل. (١).

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:  
«أعظم الخطايا اللسان الكذوب» (٢).

قال بعض الحكماء:

كذب المملك وغدره من دلائل حادث يحدث في ملكه؛ لأنه يشبه  
تخليط العليل في العلة يزيده مرضاً وفي بدنه زهكاً (٣)

[الترغيب والترهيب]:

وإذا وسِمَ بالصدق، وقصر كلامه على المهم، وكان تبشيره وتحذيره  
على حسب خطر الأمور التي يجري (٤) فيها وعده أو وعيده كانت ألفاظه  
ألقاباً، وذمه عقاباً، فاستغنى عن كثير من الإرغاب والإرهاب.

وقد اختير للملوك في الترغيب عذوبة الكلام، ولين الصوت؛ لأنه  
أرغب، وفي الجهارة بالترغيب تنجح (٥)، وبالنعمة، وهي عنده أحقر (٦).

(١) قول عمر رضي الله عنه: «لأن يضرني الصدق وقل ما يفعل.. إلخ» ورد هذا القول في  
كتاب أدب الدنيا والدين (ص ٢٣٩) بلفظ: «لأن يضرني الصدق وقل ما يفعل، أحب  
إلي من أن يرفعي الكذب وقل ما يفعل، وفي أدب الوزير (ص ٩) أيضاً، بلفظ «لأن يضرني  
الصدق وقل ما يفعل، أحب إلي من أن يرفعي الكذب.. إلخ»، وهو بهذا اللفظ الأخير في  
كتاب (ألف كلمة لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب ص ٨٥، رقم القول ٨٥٧)، والقول في ط  
بلفظ «.. الصدق وقل ما ضرك.. الكذب وقل ما نفعك».

(٢) حديث: «أعظم الخطايا اللسان الكذوب» استشهد به المؤلف في أدب الوزير، (ص ١٩)،  
وأخرجه ابن لال عن ابن مسعود وابن عدي في الكامل عن ابن عباس، وهو حديث  
ضعيف، (الجامع الصغير ١ / ٤٧)، قال المناوي: أخرجه الحاكم (كنوز الحقائق في حديث  
خير الخلائق، على هامش الجامع الصغير ١ / ٣٣) وأورده الغزالي على أنه أثر من أقوال علي  
رضي الله عنه (إحياء علوم الدين ٣ / ١٣٦).

(٣) زهك الشيء وسهكه: سحقه.

(٤) غ: تجري.

(٥) غ: تنجح.

(٦) غ: وبالنعمة وهي عنده أحقر.

وفي الترهيب غلظة الكلام، وجهارة الصوت؛ لأنه أَرهَبُ، وفي لين الصوت بالترهيب ضعفٌ لمنه<sup>(١)</sup> وقدرته.

ويجب أن يكون وعده ووعيدُه بقدر الاستحقاق من غير سرفٍ ولا تقصيرٍ، في ثوابٍ أو عقابٍ<sup>(٢)</sup>؛ لتكون أقواله وفق أفعاله التي تقدرتُ بشرعٍ أو سياسةٍ، ولا تتجاوز محدودها، ولا تفارق معهودها.

حُكي أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، كتَبَ إلى (١٥ب) عكرمة بن أبي جهل<sup>(٣)</sup>، وهو عاملُه على عُمان<sup>(٤)</sup>:

إياك أن توعدَ على معصيةٍ بأكثرَ من عقوبتيها، فإنك إن فعلتَ أثمتَ، وإن تركتَ كذبتَ<sup>(٥)</sup>.

\* \* \*

(١) غ: ضعف المنة.

(٢) قوله: «ويجب أن يكون وعده ووعيدُه بقدر الاستحقاق...»، قال ابن المقفع: على الملوك «أن لا يتركوا محسناً بغير جزاء ولا يقرؤا مسيئاً ولا عاجزاً على الإساءة والمعجز، فإنهم إن تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء، وفسد الأمر وضاع العمل»، (الأدب الصغير، ٥٢-٥٣).

(٣) عكرمة بن أبي جهل (واسم أبي جهل عمرو) بن هشام بن المغيرة القرشي، كان كآبِه أشدَّ الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم عام الفتح وخرج إلى المدينة ثم وجهه أبو بكر رضي الله عنه، إلى قتال أهل الردة وفي الفتوحات، فاستشهد وقيل توفي في سنة ١٥هـ من خلافة عمر رضي الله عنه، انظر بعضاً من أخباره في الإصابة ٢ / ٤٨٩-٤٩٠، رقم الترجمة ٥٦٤٠، الاستيعاب - على هامش الإصابة - ٣ / ١٤٨-١٥١، أسد الغابة، طبعة الشعب ٤ / ٧٠-٧٣، رقم الترجمة ٣٧٣٥.

(٤) عمان: (بضم العين وفتح الميم المخففة)، وهي كورة عربية على ساحل بحر اليمن، والهند تحت البصرة، (انظر تاريخ الطبري ٢ / ٢٤٣، ٢٥٦)، (واللباب في تهذيب الأنساب ٢ / ٣٥٦).

(٥) كتاب أبي بكر رضي الله عنه، إلى عكرمة تجده بلفظه في (لباب الآداب ٣٣٦).

## [الفصل التاسع]

### [توقّي الغضب]

[الحذر من الغضب]:

ويحذرُ الغضبَ<sup>(١)</sup>، ويتوقّاه، فإنّ نفورَ فورته واشتطاطَ حدته يسلبان صوابَ ذوي الألباب، ولا يتهذبُ لهم خطابٌ، ولا يتحصّل لهم جوابٌ، ولا يتقدّر لهم عقابٌ، وقلّ ما يسلمُ مع الغضبِ رأيٌ من<sup>(٢)</sup> زللٍ، وكلامٌ من خطلٍ، وفعلٌ من عسفٍ، وحقٌّ من حرفٍ، ودينٌ من جرح<sup>(٣)</sup>، وعرضٌ من قدحٍ، وجدٌّ<sup>(٤)</sup> من طيشٍ، وعددٌ من هيش<sup>(٥)</sup>، فهو شرٌّ باهرٌ<sup>(٦)</sup> متسلطٌ، وأضرُّ معاندٍ مورطٌ، لا تعصى بوادره إن غلب، ولا تحصي فواقره<sup>(٧)</sup> إن وثب، وما اشتملت عليه هذه الأخطارُ، وتقابلت فيه هذه المضارُّ، كان التحرُّزُّ من خطره حزمًا، والسلامةُ من ضرره غنمًا، وليس ذلك إلا من كان العقلُ قائدهُ، والتوفيقُ رائدهُ، فملك زمامَ نفسه حتى أطاعته، وراضَ شماسها<sup>(٨)</sup> حتى أجابته، فإن مني به الملكُ قبضَ نفسه عن الانقيادِ له حتى يزولَ عنه اختلاطُ نفرتِه، واشتطاطُ قدرتِه. ثم يتصفحُ الذنبَ الذي أغضبَه بعد سكونِ جأشِه، ويقابلُ عليه بقدرِ استحقاقِه إن لم يرَ له في العفوِ مدخلًا، ولا في الصفحِ والتجاوزِ وجهًا، ليقفَ على الصوابِ في قضيتِه،

(١) غ: ويحذر الكذب، والتصحيح من السياق ومن ط. وحول الغضب عقد المؤلف في أدب الدنيا والدين فصلاً (انظر من ٢٢٨-٢٣٧)، وعقد الجاحظ فصلاً عنه في كتاب التاج في أخلاق الملوك (ص ٩١-٩٤) قال فيه: «ومن أخلاق الملك سرعة الغضب، وليس في أخلاقه سرعة الرضا» (التاج ٩١).

(٢) غ: مع زلل.

(٣) غ: حرج.

(٤) غ: حسد.

(٥) هيش: الحركة والاضطراب، يقال هاش القوم: إذا تحركوا وهاجوا وبابه باع.

(٦) باهر: غالب وبابه قطع.

(٧) فواقر: جمع فاقرة وهي الداھية التي تكسر الفقار.

(٨) شماسها: يقال رجل شمسوس: أي صعب الخلق.



وعلى العدل في مؤاخذته، فلا شيء أضرَّ بالملك من أن تخفى عليه حقائق الذنوب، ولا يقفَ منها على مقادير الحدود.

قال النبي عليه السلام:

«إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان»<sup>(١)</sup>.

وقال سليمان بن داود عليه السلام:

غَضِبَ الملك كالأسد الذي يزأر.

وحكي أن بعض ملوك الفرس كتب كتاباً، ودفعه إلى وزيره، وقال: إذا أنا غضبتُ، فناولني هذا، وكان فيه مكتوباً<sup>(٢)</sup>: (١١٦) مالك والغضب؟ إنما أنت بشرٌ، ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء<sup>(٣)</sup>.

وكان يفعل هذا ليزول عنه الغضب، فيستين له الصواب حذراً من قبح آثاره، وشدة إضراره. فإذا استطفأ نأثر الغضب، واستكف بادرة الاشتطاط، ثم استعطفه المغضب، واسترضاه، فمن كرم الشيمة، وحسن العاطفة أن يلين له، ويرضى عنه.

(١) حديث «إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان» أخرجه الإمام أحمد عن عطية السعدي بهذا اللفظ (مسند أحمد ٤ / ٢٢٦) ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٨ / ٧١) ورواه الطبراني في الكبير عن عطية السعدي وهو حديث صحيح (الجامع الصغير ١ / ١٩).

(٢) غ: مكتوب، والنصح من ط.

(٣) قوله: «وحكي أن بعض ملوك الفرس كتب كتاباً... الخ» انظره في أدب الدنيا والدين (٢٣٥)، وفيه اختلاف فيما يأتي: «وزير له... فناولني... وكان فيه مالك والغضب...» (سراج الملوك ٨٨)، وقد أورده ابن قتيبة بلفظ: «دفع أردشير الملك إلى رجل كان يقوم على رأسه كتاباً، وقال له: إذا رأيتي قد اشتد غضبي فادفعه إلي. وفي الكتاب: أمسك فلست بإله، إنما أنت جسد يوشك أن يأكل بعضه بعضاً، ويصير عن قريب للود والتراب» (عيون الأخبار ١ / ٢٧٣)، وانظره بهذا اللفظ في (أقوال متفرقة لأردشير ملحقة بكتاب عهد أردشير ص ٨٨) وانظره بلفظ آخر في سراج الملوك (٧١، ٨٥)، وفيه أيضاً أنه «قال شريح بن عبيد: لم يكن في بني إسرائيل ملك إلا ومعه رجل حكيم إذا رآه غضبان كتب له ثلاث صحائف في كل صحيفة: ارحم المسكين، واخش الموت، واذكر الآخرة، فكلما غضب الملك ناوله صحيفة حتى يسكن غضبه»، (سراج الملوك ٧٠)، وأورده ابن الجوزي بلفظ آخر (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ج ١، الورقة ٤٨٢، وفيها تحريجه).

قيل<sup>(١)</sup>: مِنْ أَعْجَبَ شَيْءٌ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ يُلْتَمَسُ رِضَاهُ فَلَا يَرْضَى، وَأَعْجَبُ مِنْهُ أَنْ يُلْتَمَسَ رِضَاهُ فَيُغْضَبَ<sup>(٢)</sup>.

قال بعض الحكماء:

مَنْ لَمْ يَقْبَلِ التَّوْبَةَ عَظُمَتْ خَطِيئَتُهُ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ إِلَى التَّائِبِ قَبِحَتْ إِسَاءَتُهُ<sup>(٣)</sup>.

فإن أحب أن يتدرج إلى الرضا لئلا يصل بين ضدين، قدم مباديئه، وسهل دواعيه، وكان في السر راضياً، وفي الظاهر مغاضباً<sup>(٤)</sup>، ليظهر الرضا عن أحوال متقاربة، وتتقل إليه بعد أمور متناسبة، فليس بمستبعد إذا كان بطيء الرضا، غير أن من أخلاق الملوك سرعة الغضب، وليس من أخلاقهم سرعة الرضا.

والعلة في ذلك لما قد استقر في القلوب من هيبتهم، وأذعن به النفوس من طاعتهم لا يلاقون ما يكرهون، ولا يرون إلا ما يؤثرون، فإذا بدد<sup>(٥)</sup> ما يغضبهم خرج عن عرفهم، فتعجل<sup>(٦)</sup> به غضبهم، وما يرضيهم داخل في عرفهم، فلم يتعجل فيه رضاهم.

ومن عداهم في الأمرين بخلافهم، فلذلك وقع الفرق بين الملوك

(١) ط: قيل في سالف الحكم...

(٢) قولهم: «من أعجب شيء...»، ذكر هذا القول ابن المقفع بلفظ: «وقد كان يقال: إنه من العجب أن يطلب الرجل رضى صاحبه ولا يرضى، وأعجب من ذلك، أن يلتمس رضاه فيسخط» (كلىة ودمنة، طبعة دار العهد الجديد، ص ١٠١).

(٣) قول بعض الحكماء: «من لم يقبل التوبة... الخ»، أورده الرخحي غير منسوب وفيه «...» ومن لم يمن إلى التائب لؤمت طبيعته»، (أحسن المحاسن ١٥٧)، وأورده الأمدى من كلام علي رضي الله عنه بلفظ «شر الناس من لا يقبل العذر ولا يقبل الذنب»، (غرر الحكم ١٩٦) وقال الشافعي: «من استغضب فلم يغضب فهو همار، ومن استرضى فلم يرض فهو جبار» (سراج الملوك ٨٦).

(٤) غ: مغاضباً.

(٥) غ: نذر.

(٦) غ: فيعجل.

وغيرهم في الرضا والغضب، فإن لم يظهر غضبهم فهو لسياسةٍ وحزمٍ هم فيه مع كونه فيهم بين أمرين:

إما أن يوطنوا أنفسهم للصفح عنه، وإما أن يؤخروا (١٦ب) الأمر إلى وقت الانتقام.

والأول كرمٌ ورافةٌ.

والثاني حميةٌ وتقويمٌ.

[الحذر من المحل واللجاج]:

ثم كذلك المحلُّ واللجاج<sup>(١)</sup>، يجب أن يحذره، فهو أليفُّ الغضب، وحليفُ العطب؛ لأنه يركبُ من الأمور أصعبها، ويفارقُ من الآراء أصوبها، وقلُّ ما<sup>(٢)</sup> أجدى اللجاجُ إلا شراً، وأقلُّ الأمرين خيراً، وكفى بلجاجه مضرّةً ومعرةً أنه إن أكذبه الظنُّ تُورك، وإن ساعده القضاء شورك، فيصيرُ بالمتاركة معذوراً، وفي المشاركة مكوراً.

قال الشاعر: [من الكامل]

وإذا رأيت أخاك لَجَّ فَلِنَ لَهُ

حَتَّى يَعُودَ إِلَى الطَّرِيقِ الأَقْصَدِ

إِنَّ اللُّجُوجَ يَلُجُّ إِنْ لَاجَجْتَهُ

مِثْلَ الشَّهَابِ يَلُجُّ لِمَسْتَوِقِدِ

فإذا انقادَ إلى الأمرِ الأرفقِ، وساعده الرأيُ الأوفقُ، لم يعدْ دركاً إن

أنجح، وعاذراً إن أكلح.

قال الشاعر: [من الطويل]

لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يَصِيبَ رَغِيبَةً

وَمِبلُغُ نَفْسٍ عَذْرَهَا مِثْلُ مَنْجَحِ<sup>(٣)</sup>

(١) المحل: المكر والكيد والجدال. واللجاج: التماذي في الخصومة.

(٢) غ: ولقل ما.

(٣) قول الشاعر: «ليبلغ عذراً... إلخ» البيت ساقه الماوردي مثلاً من الأمثال في كتابه (الأمثال والحكم، الورقة ١٤ب) ونسبه إلى عروة بن الورد وهو في ديوان عروة، (طبع المطبعة =

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّ الرفقَ لم يكنْ قطْ في شيءٍ إلَّا زانُهُ، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلَّا شأنُهُ»<sup>(١)</sup>.  
وليكنْ مساهلاً للزمانِ في طلبته، مباشراً<sup>(٢)</sup> للقدرِ في إرادته،

= الأهلوية، بيروت، ص ٨)، بلفظ «أو نصيب» وفي شرح ديوانه لابن السكيت، (مطبوع ضمن مجموع المطبعة الوهية، ص ٣٩)، وقد ورد منسوباً إليه بلفظه في شرح ديوان الحماسة (١/ ٤٦٥)، والتذكرة السعدية (١/ ٣٠٥) وفيها تحريج، والتمثيل والمحاضرة بلفظه مرة ومرة بلفظ «أو يصيب خصاصة» (ص ٥٧)، ونهاية الأرب (٣/ ٦٥) بلفظ «أو ينال»، وشعراء النصرانية (٩٠٣)، والأغاني (٣/ ٧٣)، بلفظ «أو يصيب غنيمة»، وشرح ديوان امرئ القيس (٥٢) بلفظ «أو ينال»، وذكره ابن قتيبة منسوباً إليه مرة بلفظ «لتبلغ عذراً أو تفيد غنيمة» (عيون الأخبار، ٢/ ١٩٤)، ونسبه مرة أخرى إلى أوس ابن رشيح منسوباً إلى أبي العيال (العمدة ١/ ٤٨) وربما كان ذلك متأياً من ذكر ذي العيال في البيت الذي يروى قبله، وهو قوله:

ومن يك مثلي ذا عيال ومقتسراً  
من المال يطرح نفسه كل مطرح

وقد ورد الشطر الثاني من البيت غير منسوب في لباب الآداب (ص ٤٢٧).

(١) حديث: «إن الرفق لم يكن قط في شيء إلا زانه...»، رواه الإمام مسلم عن عائشة مرفوعاً بلفظ «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»، (صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٤٦) ورواه أبو داود عنها بلفظ «يا عائشة ارفقي، فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولا نزع من شيء قط إلا شانه» (سنن أبي داود، ٣/ ٣، رقم الحديث ٢٤٧٨)، ورواه أحمد بأسانيد كثيرة (المسند ٦/ ٥٨، ١١٢، ١٢٥، ١٧١، ٢٠٦، ٢٢٢) عن عائشة، ورواه البزار من حديث أنس مرفوعاً وفيه زيادة بلفظ «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان الخرق في شيء إلا شانه، وإن الله رفيق يحب الرفق» بسند فيه كثير بن حبيب، وثقه ابن أبي حاتم، وفيه لين وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد، ٨/ ١٨) ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث أنس هذا، إلا أن فيه (الفحش) مكان (الخرق) وليس فيه الزيادة (الترغيب والترهيب، ٣/ ١٨٠)، وروي بأسانيد آخر (المقاصد الحسنة ١١٤، رقم ٢٢٥)، والعسكري عن أنس، والبيهقي عن ابن مسعود وغيرهم، (كشف الخفاء ١/ ٢٦٧-٢٦٨، رقم الحديث ٧٠٦)، ورواه عبد بن حميد والضياء عن أنس بلفظ «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه» في حديث صحيح (الجامع الصغير ٢/ ١٤٧)، وقد أصبح معنى هذا الحديث مثلاً من الأمثال بلفظ «ما دخل الرفق في شيء إلا زانه»، (التمثيل والمحاضرة ٤٢٦)، والحديث في (ط) بلفظ، «... لم يكن في شيء قط... ولا نزع منه...»، ثم جاء فيه بعده «ومبلغ نفس عذرها مثل منجج» وهو الشطر الثاني لبيت عروة الذي مرّ قبل قليل. ثم ورد بعده «قال بعض الحكماء: إذا لم يساعد الجند فالحركة خذلان»، ثم ورد قوله: «قال أفضى القضاة: ليكن مساهلاً... الخ».

(٢) ط: مساعداً..

ولا يطلب من الأمور متعوراً<sup>(١)</sup>، ولا متعذراً<sup>(٢)</sup>، ولا يطلب منها مذبراً،  
ولا مولياً، فإن خاشته<sup>(٣)</sup> الدهر لأن، وإن عارضه الدهر استكان؛ فمطاول  
الدهر مغلول، ومعاند القدر مخذول.

قال بعض الحكماء<sup>(٤)</sup>:

من استعان بالرأي ملك، ومن كابر الأمور هلك<sup>(٥)</sup>.

(١) ط: متقوراً. غ: معوراً، والمتعور المتداول.

(٢) ط: معتذراً ولا يلتمس.

(٣) ط: حاسه.

(٤) ط: بعض البلغاء.

(٥) قولهم: «من استعان بالرأي ملك، ومن كابر الأمور هلك»، أورده الماوردي منسوباً إلى بعض الحكماء أيضاً في كتابه (أدب الوزير ص ٧)، وفي أمثالهم: «خاطر من استغنى برأيه» (التمثيل والمحاضرة ٤١٨). ومن أقوال علي رضي الله عنه: «الاستبداد برأيك يذلك ويهويك في الهاوي»، (غرر الحكم ٣٥) و«من أطاع ربه ملك، ومن أطاع هواه هلك» (٢٦٥)، و«من استغنى بعقله ضل، ومن استبد برأيه زل» (ص ٢٦٦)، و«من استبد برأيه فقد خاطر وغر» ص ٣٠٠، و«لا تستبد برأيك فمن استبد برأيه هلك» (ص ٣٣٦). وانظر كتاب (٢٠٠٠ كلمة للإمام علي ص ٨٤، رقم ١٩٧٧). و«من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»، (نهج البلاغة بشرح ابن أبي الحديد ٤ / ٣٢٠). ومن أقوالهم: «من استبد برأيه هان على أعدائه»، (أحاسن المحاسن ١٦٣). و«من استغنى برأيه فقد خاطر بنفسه» (نهاية الأرب ٦ / ٧٠) و«إذا استبد الرجل برأيه عميت عليه المرشد» (نهاية الأرب ٦ / ٧٠).

وقد جاء في نسخة ط بعد هذا القول بيت شعر هو:

فأقبل من الدهر ما أتاك به من قر عيناً بعيشه نفعه

وهو بيت للأصمطي بن قريع بن عوف السعدي التميمي الشاعر الجاهلي من المعمرين، ترجم له في الأغاني ١٦ / ١٥٤، والشعر والشعراء (السقا) ١٤٣، الخزانة ٤ / ٥٩١، وله شعر في حماسة ابن الشجري ١ / ٤٧٣، والحماسة البصرية ٢ / ٢، وعده السجستاني من المعمرين (ص ٨)، وقد ورد البيت في التمثيل والمحاضرة (٦٠) بلفظ «واقبل»، وحماسة الظرفاء (١ / ١٥٤) وفيها تحريج، والحماسة البصرية (٢ / ٣) وفيها «اقنع من العيش...»، والشعر والشعراء (السقا ص ١٤٤) وفيه «وخذ من الدهر...»، ونهاية الأرب (٣ / ٦٩ و ٨ / ١٨٩)، والإيجاز والإعجاز (٣٩)، والحماسة الشجرية (١ / ٤٧٤) بلفظ «اقبل... بعينه نفعه» والمعمرين (ص ٨)، ومجالس ثعلب (٤٨٠)، والبيان والتبيين (٣ / ٣٤١) بلفظ «وخذ...»، والأمثال (١ / ١٠٧) والأغاني (١٦ / ١٥٤)، والعقد الفريد، العريان، (٢ / ١٤٧ و ٨ / ١٥٨) وفيه «ارض من الدهر...» والمحسن والمساويء للبيهقي (٢٩٨)، والمستطرف (١ / ٣٢) والأمثال والحكم (الورقة ١٣٢).

قال الشاعر<sup>(١)</sup>: [من الكامل]

ومكلف الأيام ضدَّ طباعِها      متطلبٌ في الماءِ جذوةَ نارٍ  
(١٧)

وإذا رجوت المستحيلَ فإنما

تبني الرجاءَ على شفيرِ هارٍ<sup>(٢)</sup>

(١) قوله: «قال الشاعر...» قلت هو أبو الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي الشاعر المقتول سراً في سجنه، بالقاهرة، سنة ٤١٦هـ، والتهامي نسبة إلى تهامة وهي جبال مشهورة، وقد تطلق على مكة أيضاً، ولذا قيل للنبي صلى الله عليه وسلم (تهامي) لأنه منها، ولد التهامي ونشأ باليمن وسافر إلى الشام ثم العراق وإلى الجبل، ولقي الصاحب بن عباد، وانتحل مذهب الاعتزال، وأقام ببغداد وروى شيئاً من شعره ثم عاد إلى الشام وتنقل في بلادها، وكانت نفسه تحذره بمعالى الأمور، وكان أديباً فاضلاً متورعاً، متديناً، متقشفاً. أنظر أخباره في مقدمة ديوانه المطبوع بالإسكندرية سنة ١٨٩٣، العبر ٣/ ١٢٢، تاريخ بغداد لابن النجار (محموط، الورقة ١٣، ١٥ب)، وفيات الأعيان ٣/ ٦٠-٦٢، رقم الترجمة ٤٤٤.

(٢) قول الشاعر: «ومكلف الأيام ضد طباعها... إلى آخر البيتين» في ديوان أبي الحسن التهامي (ص ٢٧) من قصيدة يرثى بها ابناً صغيراً له وهي من أشهر شعره ومطلعها:  
حكم المنية في البرية جبار      ما هذه الدنيا بدار قرار  
وقد نالت هذه القصيدة إعجاب الأدباء على مر العصور، فقد خمسها عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديريني الشيخ الزاهد المتوفى ٦٩٤هـ، إذ قال في تخميس مطلعها:

سلم أمورك للحكيم الباري      تسلم من الأوصاب والأوزار  
وانظر إلى الأخطار في الأقطار      حكم المنية في البرية جبار  
ما هذه الدنيا بدار قرار  
في قصيدة طويلة ورد فيها تخميس البيتين اللذين استشهد بهما الماوردي على النحو التالي:

لا تعتسر بسوميضها وخداعها      فورا ميسمها نيوب سباعها  
اذ لم تعرف فترها من باعها      ومكلف الأيام ضد طباعها  
متطلب في      الماء جذوة نار  
لا ترج من جذب المطالب مغنماً      فلربما جرَّ التحيل مغرماً  
وإذا رضيت الحكم عشت مكرماً      وإذا رجوت المستحيل فإنما  
تبني الرجاء على شفير هار

(انظر طبقات الشافعية الكبرى، طبعة الحسينية، حه ص ٧٥)، وقد ورد البيتان في وفيات الأعيان ٣/ ٦١، منسويين له مع أبيات أخرى وأوردتها ابن النجار (تاريخ بغداد، نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي عن نسخة المكتبة الظاهرية، الورقة ١٣ب-١٤).

وليعلم أن الأمور التي تدبرها مما لا تمضي إلا بفراط الصرامة وشدّة الهيبة التي هي قاعدة الملك وأسس السلطنة، وذلك لا يكون إلا لمن خيف غضبه وخشيته سطوته.

وليجعل بدل الغضب تغاضباً لا غضباً<sup>(١)</sup>، لأن التغاضب فعله، يقدر أن يقف منه على الحد المطلوب، ويعرف منه حقائق الذنوب، والغضب انفعال فيه اضطر إليه، لا يقدر أن يقف منه على قدر حاجته، ولا يقتصر منه على قدر كفايته، حتى يتجاوز إلى الحد المضر والطيش المعر.

ولقد أصاب من كان عقوبته للأدب، وأخطأ من كان عقوبته للغضب، وهذا مما ذكرنا في معنى الطبع والتطبع.

قال الشاعر: [من الوافر]

فلم أر للسيادة كالعوالي

ولا للشار كالقوم الغضاب<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا القياس لا ينبغي أن يستفزه السرور<sup>(٣)</sup>؛ فتملاً البشائر قلبه، وتخلب الأفرأح لبه، فيصير بها طائشاً مرحاً، لا يلين إن صال، ولا يستقيم إن مال، فينسبه العدو إلى ضعف العزيمة ولين الهمة، وإنه لحقيق بمناسبه إليه، ووسمه به.

وإذا ضبط نفسه عن هذه الحال، وتنزه عن رذل المقال، وتصور أن جميع البشائر - وإن جلت - محتقرة، إذا قيست بعلو منزلته، وأضيفت إلى عظيم همته، كفي استفزاز الفرح واهتزاز المرح، فكان أشبه بكماله وأليق باعتداله.

(١) قوله: «وليجعل بدل الغضب تغاضباً»، كرر الماوردي هذا المعنى في كتاب أدب الوزير بلفظ

«وليكن غضبك تغاضباً» (أدب الوزير، ص ٧).

(٢) قول الشاعر: فلم أر للسيادة كالعوالي... لم أجده.

(٣) ط: يستفزه الطرب.

قال الشاعر<sup>(١)</sup>: [من الطويل]  
ولست بمفراح إذا الأمر سرتني  
ولا جازع من صرفه المتقلب<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

- (١) قوله: «قال الشاعر..» قلت: هو هذبة بن خشرم العذري شاعر أموي، كان صاحب زيادة بن زيد العذري فتنازعا، واستفحل النزاع فاتهم كل واحد منهما صاحبه بأخته ثم شج زيادة هذبة وبقي هذبة يعتنم الفرص لقتل زيادة، فقتله ثم حبس هذبة في سجن سعيد بن العاص بالمدينة ثم قتل به، انظر نبذة من أخباره في الأغاني، بيروت، ٢١ / ٢٧٦، الخزانة ٤ / ٨٢، الشعر والشعراء: ٥٨١، أمالي القالي ١ / ٧٢، وله شعر في التذكرة السعدية ١ / ٥٣٨، رقم ١٨٦ من النسيب، وحماسة ابن الشجري ١ / ٢٢٧، والملاسة البصرية ١ / ٤٤، وانظر تخريج البيت، وقد دون المبرد قصة قتله من الكامل ٤ / ٨٧.
- (٢) قول الشاعر: «ولست بمفراح..» البيت استشهد به الماوردي في كتاب (الأمثال والحكم، والورقة ١١٣) منسوباً إلى هذبة، وهو في الحماسة البصرية منسوباً إليه أيضاً (١ / ١١٥) وفيها تخريج) والشعر والشعراء (تحقيق السقا) ٢٥١، وحماسة الظرفاء (١ / ٥٠) الحماسية، رقم ٦٦) منسوباً إليه وفي تاريخ الطبري ٦ / ١٨٥، والعقد الفريد (١ / ١١٦، ٢ / ٢٩، ٣ / ١١٣، ١٠٨)، منسوباً إليه أيضاً، وحماسة البحتري (١٧٨) كذلك. وفي الحماسة الشجرية (١ / ٤٧٤) غير منسوب وفيها تخريج). ونسب في عيون الأخبار (١ / ٢٧٦) إلى البعث مرة، وإلى تابط شراً مرة أخرى (١ / ٢٨١)، وهو في شعر تابط شراً (١٥٣) و(١٧٩)، والوساطة (٢١٣). ودون محمد بن شرف القيرواني في رسائل الانتقاد (ضمن رسائل البلغاء ص ٣٣٣)، دون أن يعزوه إلى أحد، وقد دون المبرد قصة قول الشاعر للبيت في (الكامل ٤ / ٨٦)، وفي ط ورد اللفظ «جازعاً» بالنصب.



## [الفصل العاشر]

[الصبر]<sup>(١)</sup>

[الصبر والامتنان]:

وكذلك الحوادث إذا طرقت ، والنوازل إذا ألمت، كانت سهلة الوطأة (١٧ ب) في جنب صبره، وشهامته، قليلة الأثر؛ لسعة صدره، وبعد همته. فإن طرأ عليه منها طارئٌ بأن فضله على من سواه بالصبر والمسكة عند جزعهم، والأناة والوقار عند خذلهم، فيكون بصبره ممثلاً أمر الله تعالى فيما أراد، راجياً للظفر فيما يقصده ويتوخاه، فإن تقلب الدنيا مألوف، وأمتها مخوف، ولقل ما تساعد أحداً إلا بعد شمس<sup>(٢)</sup>، ولا تحسن إليه إلا بعد بوس، ولأن يرجو السعادة أولى من أن يخاف فواتها، ويختم بها أولى من الخاتمة بضدها.

قال بعض الأدباء: بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوظ<sup>(٣)</sup>.

قال الشاعر: [من الطويل]

إذا المرء لم يأخذ من الصبر حظه

تقطع من أسبابه كل مُبرم

(١) حول الصبر عقد المؤلف فصلاً هو الفصل الثاني من آداب المواضع والاصطلاح من كتابه أدب الدنيا والدين (٢٦٠-٢٦٢) قال أنوشروان: «الصبر له أربعة مواطن: ثبات، وكف، واحتمال، وإقدام. فالثبات على الكرائم، والكف عن المحارم والمآثم، والاحتمال للوازم فيما يوجب الفضل ويظهر المروءة، والإقدام على الجلائل التي فيها النجاة والفوز» (الحكمة الخالدة ٥١).

(٢) شمس: يقال شمس الفرس شمساً وشماساً منع ظهره، ومن المجاز رجل شمس أي صعب الخلق. وشمس هنا بمعنى المنع.

(٣) قوله: «قال بعض الأدباء: بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوظ» أورده الماوردي بلفظه في أدب الدنيا والدين (٢٦١) والطرطوشي في سراج الملوك (٩٨) وفي كلامه منسوب إلى بعض الحكماء، وهو عند الطرطوشي بلفظ «مواقع المكروه» وفي لباب الآداب بلفظ «عزيمة الصبر تطفىء نار الشر فإن الصبر على ما تكرهه وتجتنبه يؤديك إلى ما تحبه وتشتهيه» (ص ٦٩). وانظر أيضاً ص ٦٠ منه) وأورده مرة أخرى بلفظه غير أن فيه «مواقع المكروه» (ص ٢٩٤)، وفي: ط «قال بعض الحكماء... يدرك».

## [أقسام الصبر]:

وليعلم الملك أن الصبر ينقسم ثلاثة أقسام<sup>(١)</sup>، وهو في كل قسم محمود.

فأول أقسامه: الصبر على ما فات إدراكه من نيل رغائب، أو تقصّص أوقاته، من حلول مصائب، وبالصبر في هذا يستفاد راحة القلب، وهدوء الجسد.

وفقد الصبر فيه منسوب إلى شدة الأسى، وإفراط الحزن.

فإن صبر طائعاً مسلماً، ورضي بقضاء الله مستسماً، أُعِين على خطبه، ونقّس عن كربه.

وإن ساعد جزعه<sup>(٢)</sup> احتمل همّاً لازماً، وصبر كارهاً آتياً<sup>(٣)</sup>.

(١) قوله: «إن الصبر ينقسم ثلاثة أقسام...» فضل المؤلف في أدب الدنيا والدين أقسام الصبر فجعلها ستة أقسام هي :-

أولها وأولها: الصبر على امتثال ما أمر الله به والانتهاه عما نهى الله عنه.  
الثاني: الصبر على ما تقتضيه أوقاته من رزية قد أجهده الحزن عليها، أو حادثة قد أكله الهم بها.

الثالث: الصبر على ما فات إدراكه من رغبة مرجوة، وأعوز نيله من مسرة مأمولة.

الرابع: الصبر فيما يخشى حدوثه من رهبة يخافها أو يحذر حلوله من نكبة يخشاها.

الخامس: الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها وينتظر من نعمة يأملها.

السادس: الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف.

(انظر تفصيل ذلك في صفحات ٢٦١-٢٦٤).

وقد قسمها الطرطوشي أربعة أقسام هي الأول والثالث والخامس والسادس مما ذكر في أدب الدنيا والدين (انظر سراج الملوك ٩٨-١٠٠).

(٢) ط: وإن ساعد همه.

(٣) ورد في ط بعد هذا قوله: «وفي المعنى من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حالك صابراً حالك جازعاً. وحكم الصبر فيه...»

وحكمُ الصبرِ فيه: أن لا يرى أسفاً على رغبةٍ، ولا جزعاً من ذنبيه،  
فإنَّ الزمانَ نحولٌ<sup>(١)</sup>، والهمومَ نزولٌ<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر<sup>(٣)</sup>: [من الطويل]

وفي الصبرِ عندَ الضيقِ للمرءِ مخرجٌ  
وفي طولِ تحكيمِ الأمورِ تجاربٌ<sup>(٤)</sup>

وثاني أقسامه: الصبرُ على ما نزلَ من مكروهٍ، أو حلَّ من أمرٍ  
مخوفٍ (١٨)

وبالصبرِ في هذا تتفتحُ وجوهُ الآراءِ، وتُستدفعُ مكايِدُ الأعداءِ، وفي  
مثله قال اللهُ تعالى: «وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) نحول بفتح النون - فَعُولٌ من نَحَلَ إذا أعطاه، فالزمان كثير العطاء.

(٢) جاء في (ط) بعد هذا قوله: «وأشدني بعض أهل الأدب:

هُوْنٌ عَلَيْكَ هُمُومًا كُنْتَ تَأْلِفُهَا وَالْبَابُ يَفْتَحُ بَيْنَ الشَّدِّ وَالغَلْقِ

وَأذْكَرُ خُرُوجِكَ عَرِيانًا بِلَا سَبْدٍ وَبَدَأَ خَلْقَكَ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عَلْقٍ

ويظهر أن الناسخ قد زادها، والسبد: يقال ماله سبد ولا ليد أي قليل ولا كثير، والسبد من

الشعر واللبد من الصوف.

(٣) قوله: «قال الشاعر» ذكر الماوردي في كتابه الأمثال والحكم أن القائل هو الحارث بن حلزة

(الورقة ٦ب) والحارث بن حلزة أحد أصحاب المعلقات، انظر بعضاً من أخباره في

الأغاني ١١ / ٣٧، الشعر والشعراء - تحقيق السقا - ٥٣ شروح المعلقات، تاريخ الأدب

العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ١ / ١٠٣ الروائع للبيستاني العدد ٢٦، مقدمة ديوانه بقلم

هاشم الطعان.

(٤) غ: تحليم الأمور والتصحيح من الأمثال والحكم (الورقة ٦ب) إذ ذكره منسوباً إلى الحارث بن

حلزة، ولم يرد هذا البيت في (ط) كما أنني لم أجد هذا البيت في المصادر التي بين يدي، إلا أن

الجاحظ ذكر بيتاً ونسبه إلى الحارث بلفظ

إِنَّ السَّعِيدَ لَهُ فِي غَيْرِهِ عِظَةٌ وَفِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ وَمُعْتَبِرٌ

(البيان والبيان ٢ / ١٠٦) ووضع جامع الديوان في ديوانه (ص ٢٤) وخلا الديوان أيضاً من

هذا البيت على الرغم من وجود سبعة أبيات بالوزن نفسه والقافية نفسها للحارث بن حلزة يخاطب بها

عمرو بن هند ومطلعها:

أَلَا بَانَ بِالرَّهْنِ الْغَدَاةَ الْحَبَائِبُ كَأَنَّكَ مَعْتُوبٌ عَلَيْهِ وَعَاتِبٌ

(انظر الديوان ص ٢١-٢٢ القصيدة رقم ٨ فيه).

(٥) سورة لقمان: آية ١٧.

قال بعض الحكماء:

بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور<sup>(١)</sup>.

وفقد الصبر فيه منسوب إلى الخرق والخور.

وحكم الصبر فيه: أن لا يدهشه ما هجم، ولا يدهله ما ألم؛ فللنوائب قدر معترض، وأجل مفترض.

قال الشاعر<sup>(٢)</sup>: [من الطويل]

أرى كل ريح سوف تسكن مرة

وكل سحاب عن قليل تقشع<sup>(٣)</sup>

(١) قوله: «قال بعض الحكماء: بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور» تمثل به الماوردي في أدب الدنيا والدين (٢٦٤) ونسبه الطرطوشي بلفظه إلى الحكيم (سراج الملوك ص ١٠٠) وقد جاء في معناه من أقوال الحكيم أرسطوطاليس: «الصبر على ما تكرهه وتحتويه يؤديك إلى ما تحبه وتشتهيه» (لباب الآداب ٦٠) و«عزيمة الصبر تطفىء نار الشر؛ فإن الصبر على ما تكرهه وتحتويه...» (ص ٦٩).

(٢) قوله: «قال الشاعر...» قلت: ذكر الماوردي في كتابه (الأمثال والحكم الورقة ٣٢٢ ب) إنه معن بن أوس، وهو معن بن أوس المزني الشاعر المشهور شاعر مجيد من مخضرمي الجاهلية والإسلام، مدح جماعة من الصحابة وهو صاحب اللامية المشهورة:

لعمري لا أدري وإني لأوجل على أيننا تعدو المنية أول  
وقد عمّر فادرك زمان ابن الزبير وكفّ بصره في أواخر عمره توفي سنة ٦٤ هـ انظر ترجمته في الأغاني ١٠/ ١٥٦، الإصابة ٣/ ٤٧٥ رقم الترجمة ٨٤٥٣، الخزانة ٣/ ٢٥٨، نكت الهميان ٢٩٤، جهرة الأنساب ١٩١، معجم الشعراء ٣٢٢ وانظر بعضاً من أشعاره في البيان والتبيين ١/ ٣٧٢، ٢/ ٣٥٢، ٣/ ٢٣١، ٩/ ٢٣٧، ٢٣٨، والتمثيل والمحاضرة ٦٥، والزهرة ٢/ ٩٩، ٥٣، ١٠٦، ٢٠٣، ٢٦٨، والتذكرة السعدية ١/ ٣٢٧ وديوانه مطبوع في أوروبا.

وقد نسب البيت أيضاً إلى مسكين الدرامي الشاعر المشهور واسمه ربيعة بن عامر من شعراء العصر الأموي توفي ٨٩ هـ ترجم له في الأغاني ١٨/ ٦٨، معجم الأدباء ١١/ ١٢٦، الخزانة ٣/ ٦٠، طبقات فحول الشعراء ٢٥٩، جهرة الأنساب ٢٣٢، الشعر والشعراء (تحقيق السقاف ٢١٥) وقد طبع ديوانه في بغداد ١٩٧٠ وله شعره في الزهرة ٢/ ١٦٣، ٣٢٩ البيان والتبيين ١/ ٣٢٢، ٣٠١، ٨١.

(٣) قول الشاعر: «أرى كل ريح...» البيت نسبه الماوردي كما مر إلى معن بن أوس (الأمثال والحكم ٣٢٢ ب).

وفي نسخة ط: «وكل ساء»

وثالثٌ أقسامه: الصَّبْرُ في ما ينتظرُ ورودهُ؛ من رغبةٍ يرجوها،  
أو يخافُ حدوثَهُ؛ من رهبةٍ يخشاها.

وبالصَّبْرِ والتلطفِ يدفَعُ عاديةً ما يخافُهُ من الشرِّ، وينالُ نفعَ ما يرجوهُ  
من الخيرِ.

قالَ بعضُ الحكماءِ:

من استعانَ بالصَّبْرِ نالَ جسيماتِ الأمور<sup>(١)</sup>.  
وفقدَ الصَّبْرَ فيه منسوبٌ [إلى الطَّيِّشِ والهلعِ وحكمِ الصَّبْرِ فيه  
منسوبٌ]<sup>(٢)</sup> إلى سكونِ الجأشِ<sup>(٣)</sup> في أمله، وقلةِ الاستيحاءِ من وجَلِهِ،  
فقضاءُ اللهِ مقدورٌ، وأجلُهُ مسطورٌ.

قالَ الشَّاعرُ<sup>(٤)</sup>: [من الرمل]

اصبري أيتها النَّفسُ — فإِنَّ الصَّبْرَ أَحَجَى

= وقد ورد في ديوان مسكين الدارمي (ضمن القطعة ٤٢ ص ٥١) بلفظ «وكل ساء لا  
محالة تقلع» وتجد مظان وجود القطعة في (ص ٧٦-٧٧) منه فلتنظر هناك. وانظر أيضاً في  
الأشباه والنظائر للخالدين منسوباً إليه (١ / ٦٤)  
وقد ورد البيت في البيان والتبيين (٢ / ٣٥٨) غير منسوب، وهو فيه بلفظ: «وكل ساء  
ذات درّ ستقلع».

ومثله ما كان يتمثل به ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة وهو قوله:

فإن كابت الدنيا تحب فإنها — سبحانه صيف عن قليل تقشع  
انظر أدب الدنيا والدين ٢٤، آداب النفس ٩٣، ثمار القلوب ٦٥٣، التمثيل  
والمحاضرة ٢٣٦، الكامل ٢ / ٤٢٠، منتخبات سحر البلاغة ١٦٨، البيان  
والتبيين ٣ / ١٤٦، العقد الفريد ٣ / ١٧٦، المستطرف ١ / ٨٧.

(١) قولهم: «من استعان بالصبر نال جسيمات الأمور» ورد في معناه قولهم: «من صبر نال المنى،  
ومن شكر حصن النعمى» (أدب الدنيا والدين ٢٦٣) وقد مرَّ قبل قليل قول أرسطوطاليس:  
«الصبر على ما تكرهه وتحتويه يؤدبك إلى ما تحبه وتشتهيه» (لباب الآداب ٦٠)، وقال أكنم  
بن صيفي: «من صبر ظفر» (سراج الملوك ٩٨).

(٢) الزيادة من ط.

(٣) ط: سكون الحال.

(٤) قوله: «قال الشاعر» ذكر الماوردي أنه ابن الرومي الشاعر المعروف (انظر أدب الدنيا  
والدين ٢٧١) ولكنها ليسا لابن الرومي بل هما لأبي تمام الطائي.

رَبِّمَا خَابَ رَجَاءٌ وَأَتَى مَا لَيْسَ يُرْجَى (١)

فإذا (٢) اشتدَّ الجزعُ والأذى تذكر بقايا النعمةِ عليه، واعتبرَ بمن سلبَ ما هو فيه، فسيرى منها عزاءً (٣) يخففُ أشجانهُ ويقللُ (٤) أحزانه؛ فصفوُ الدنيا مشوبٌ بالكدرِ.

قال بعضُ العلماءِ:

من الدُّنيا على الدُّنيا دليلٌ (٥)

قال الشاعرُ (٦): [من الطويل]

(١) قول الشاعر: «اصبري أيتها النفس...» تمثل الماوردي بالبيتين في الصبر على المصيبة وعدم الجزع وذلك في أدب الدنيا والدين (٢٧١) ونسبها إلى ابن الرومي وجاء بها بلفظها وقد قلبت ديوان ابن الرومي بعناية كامل كيلاني فلم أجدهما ولم أياس من العثور عليها فقلبت كثيراً من الدواوين حتى وجدتتها في ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (ح ٤ ص ٥٠٤) وتخلل بينهما بيتان وهما:

نهى الحزن فإن الحزن إن لم ينه تجا  
والبسي اليأس من الناس فإن اليأس ملجا

(٢) ط: فإذا زاد به الطمع واشتد به الجزع يذكر...

(٣) ط: عوضاً ويخفف.

(٤) غ ط: يقل.

(٥) قولهم: «من الدنيا على الدنيا دليل» انظره في أدب الدنيا والدين بلفظه مصدراً بقوله: «قيل في مشور الحكم...» (ص ١٠٠).

(٦) قوله: «قال الشاعر» ذكر المؤلف أن الشاعر هو قيس بن الخطيم (الأمثال والحكم ٦٦) وهو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمر الأوسي شاعر من أهل يثرب جعله ابن سلام من شعراء الطبقة الثانية، وسمي أبوه الخطيم لضربة خطمت أنفه، قتل أبوه وهو صغير وأدرك قيس الإسلام ولكنه لم يسلم وقتل قبل الهجرة وديوانه طبع في بغداد ١٩٦٢ انظر بعضاً من أخباره في الأغاني ٢ / ١٥٤، الخزانة ٣ / ١٦٨، الإصابة ٣ / ٢٦٦ رقم الترجمة ٧٣٥٠، طبقات ابن سلام ٨٩ و ١٧٦.

قلت وقد ينسب البيت إلى أبي تمام الشاعر المشهور (ديوان المعاني ٢ / ٢٠٢) وهو حبيب بن أوس الطائي صليبة وقد نشرنا عنه مقالات متسلسلة في مجلة المعرفة البغدادية: ٩٦-١٩٦١ وانظر الكتاب الذي وصفه كوركيس عواد وميخائيل عواد بعنوان (أبو تمام حياته وشعره في المراجع العربية والأجنبية) بغداد (الإرشاد ١٩٧١).

ومن عادة الأيام أنْ خطوبَها  
إذا سرَّ منها جانبٌ ساءَ جانبٌ (٣)  
وَأَنشَدَ المعرِّي (١) للمأمون:

(١) قول الشاعر: «ومن عادة الأيام...» تمثّل به الماوردي في أدب الوزير (ص ٢٨) و(الأمثال والحكم ١٦٦) ونسبه إلى قيس بن الخطيم وذكره في أدب الدنيا والدين (١٣١) وذكر بعده بيتاً آخر هو قوله بعده:

وما أعرف الأيام إلا ذميمة ولا الدهر إلا وهو للشار طالب  
ولم ينسبها لقاتل، والبيت في نهاية الأرب (٦ / ١١٠) منسوبٌ إليه غير أنني لم أجد هذا البيت في ديوان قيس بن الخطيم الذي جمعه الدكتور إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب. وقد ذكره أبو هلال العسكري مع بيت آخر قبله هو:

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب  
ثم أتى بالبيت بلفظ «... إن صرفها...» ونسبها إلى أبي تمام (ديوان المعاني ٢ / ٢٠٢).

ولم أجدهما في ديوانه بشرح الخطيب التبريزي.

وقد أخذ الشاعر أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي الشطر الثاني فقال في الأخلاء:

بلى كلهم مثل الزمان تلوننا إذا سر منهم جانب ساء جانب  
(انظر خاص الخاص ١٩٦)، ومن شعر أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد (المتوفى ٣٢٨) في هذا المعنى:

ألا إنما الدنيا غضارة أبكة إذا اخضر منها جانب ساء جانب  
فلا تفرحن منها لشيء تفيده سيذهب يوماً مثل ما أنت ذاهب  
وما هذه الأيام إلا فجائع وما العيش واللذات إلا مصائب

(أنظر معجم الأدباء - رفاعي - ٤ / ٢١٨) وأدب الدنيا والدين (٢٦٨) والعقد الفريد (٣ / ١٧٥) وشرح نهج البلاغة ٢ / ٢٤٠ وقال عمرو بن معدى كرب:

فرعت به كالليث يلحظ قائماً إذا ربيع منه جانب بعد جانب  
(انظر ديوان عمرو بن معدى كرب ص ٣٣) والشعر والشعراء تحقيق السقا (١٣٦).

(٢) قوله: «وأنشد المعري» كذا في الأصل غ ولم يذكر ذلك في ط ولعل فيها تصحيحاً؛ لأن المعري لم يدرك المأمون فلم ينشد أمام المأمون أولاً، ولأنني قد راجعت من كتب أبي العلاء المعري: رسالة الغفران بتحقيق بنت الشاطيء، رسائل أبي العلاء المعري تحقيق مرغليوث (أكسفورد ١٨٩٨)، رسالة الهناء تحقيق كامل كيلاني (بيروت بدون تاريخ)، رسالة في تعزية أبي علي بن أبي الرجال في ولده أبي الأزهر تحقيق إحسان عباس (ط ١) مطبعة الاعتماد بمصر بلا تاريخ) رسالة الملائكة، ورسائل أبي العلاء مع داعي الدعوة ورسائل أخرى (المكتب التجاري =

كَذَبْتَكَ نَفْسُكَ أَثَمَ الدَّهْرِ  
 لَكَ أَنْ تَجُورَ وَعِنْدِي الصَّبْرُ  
 آثِيْتُ لَا أَنهَاكَ عَنْ خَطَلٍ  
 حَتَّى يَرُدَّكَ مَنْ لَهُ الْأَمْرُ

\* \* \*

= بيروت بلا تاريخ)، لزوم ما لا يلزم تحقيق إبراهيم الأعرابي (مكتبة ومطبعة دار صادر بيروت بلا تاريخ)، سقط الزند (دار صادر بيروت ١٩٥٧)، زجر النابح تحقيق أمجد الطرابلسي (المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٦٥)، فائت شعر أبي العلاء جمع عبد العزيز الميمني (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٩٤٥)، أبو العلاء وما إليه عبد العزيز الميمني (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٩٤٤)، تعريف القدماء بأبي العلاء بإشراف طه حسين (الدار القومية ١٩٤٤)، الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره محمد سليم الجندي (ج ١-٣ دمشق ١٩٦٢-١٩٦٤)، أوج التحري عن حيشة أبي العلاء المعري ليوسف البديعي تحقيق إبراهيم الكيلاني (مطبعة الترقى دمشق ١٩٤٤ ح ١-٤).

كل ذلك راجعته فلم أجد لهذين البيتين ذكراً.



## [الفصل الحادي عشر]

[كتمان السر]<sup>(١)</sup>

[الكتمان والإفشاء]:

وليس يصح الصبر في الأمور بترك التسرع إليها دون كتمان السر فيها؛  
فهو أقوى أسباب الظفر بالمطالب، وأبلغ في كيد<sup>(٢)</sup> العدو الموارب.

قال<sup>(٣)</sup> النبي عليه السلام:

«استعينوا على الحاجات بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود»<sup>(٤)</sup>.

(١) حول كتمان السر عقد المؤلف فصلاً هو الفصل الرابع من آداب المواضع من كتاب أدب الدنيا والدين ص. ٢٧٩-٢٨٢، وعقد الجاحظ فصلاً في كتابه التاج في أخلاق الملوك ص. ٩٤-٩٩

(٢) ط: عند.

(٣) ط: وقيل روي عن النبي...

(٤) حديث: «استعينوا على الحاجات بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود» أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة عن معاذ بن جبل بلفظ «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود» وفي إسناده سعيد بن سلام، قال العجلي لا بأس به، وكذبه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقة، إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ. وأخرجه في الأوسط عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لأهل النعم حساداً فاحطروهم» وفي سنده إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف وقد وثقه ابن حبان (مجمع الزوائد ١٩٥/٨) و(المقاصد الحسنة ٥٦/١ رقم ١٠٣) وأخرجه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان كلهم عن معاذ بن جبل وأخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب عن عمر والخطيب البغدادي في التاريخ عن ابن عباس وأخرجه الخليلي عن علي وهو حديث ضعيف (الجامع الصغير ٤٠/١) وأخرجه ابن أبي الدنيا والعسكري والقضاعي عن معاذ بسند فيه سعيد بن سلام، وأخرجه العسكري أيضاً من غير طريقة بسند ضعيف وفيه انقطاع بلفظ «استعينوا على طلب حوائجكم بكتمانها فإن لكل نعمة حسدة» (كشف الخفاء ١٣٥/١ رقم ٣٤٢) وقد أورد الماوردي الحديث بسند عن عطاء عن عمر بلفظ «استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها» في أدب الوزير (٥٣) وفي الامثال والحكم (الورقة ٣٤ب) ونصيحة الملوك (الورقة ١٨٤) وأورده بلفظه المثبت في المتن في كتابه أدب الدنيا والدين (٢٧٩) وانظره أيضاً في سراج الملوك ١٠٣ والمستطرف ٢٠٧/١ وقد أورده الثعالبي ضمن أمثال الرسول صلى الله عليه وسلم بلفظ «استعينوا على الحوائج بالكتمان» التمثيل والمحاضرة (ص ٢٨ و ٤١٩) وورد في ص. ٤٦٧ منه بلفظ «على حوائجكم...» وهو في لباب

وقال<sup>(١)</sup> أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه:  
سِرُّكَ أَسِيرُكَ، فإذا تكلمت به صرت أسيره<sup>(٢)</sup>.

قال أنوشروان:

مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ فَلَهُ بِتَحْصِينِهِ خَصْلَتَانِ: الظَّفَرُ بِحَاجَتِهِ، وَالسَّلَامَةُ مِنَ  
السُّطُورَاتِ<sup>(٣)</sup>.

وكتمان السرِّ: ما صيئت به الأقوال<sup>(٤)</sup> من الإذاعة، وسترت به الأفعال  
من الإشاعة؛ فلم تر آثاره، ولم تنم أخباره، فإن لم تعم لم تنم، ولقل  
ما أنجح من أفشى<sup>(٥)</sup> السرِّ فرام، أو خلا منه مرام، فإن لها عن قبض

الآداب (٢٣٨) بلفظ «... فكل ذي...» وانظره في (ص. ٣٣٣ منه) وفي عيون  
الأخبار (٣٨/١) والمحاسن والمساوي (٤٠٣/٢)

(١) ط: وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٢) قول علي رضي الله عنه: «سرك أسيرك فإذا تكلمت به صرت أسيره» دونه الماوردي بلفظه  
إلا أنه وضم (فإن) بدل (فإذا) وذلك في أدب الدنيا والدين (٢٧٩) وفي غرر الحكم ودرر  
الكلم نجد هذا القول بصيغ متعددة منها قوله: «الكلام في وثاقك ما [لم] تتكلم به فإذا  
تكلمت به صرت في وثاقه» (ص. ٥٣) وقوله «سرك سرورك - كذا - إن كتته، وإن أذعته  
كان ثبورك» (ص. ١٩٢) وبهذا اللفظ ورد في كتاب ٢٠٠٠ كلمة للإمام علي (ص. ٦٧ رقم  
١٥٤٥)، وقوله «سرك أسيرك، فإن أفشيت صرت أسيره» (غرر الحكم ١٩٣) وباللفظ الذي  
جاء في المتن نجده في لباب الآداب (ص. ٢٣٩) منسوباً إليه وفي سراج الملوك (١٠٣).

وقد نظم أحدهم هذا المعنى فقال:

صن السر عن كل مستخبر وحاذر فما الحزم إلا الحذر  
أسيرك سرك إن صنته وأنت أسير لهُ إن ظهر  
فانظرهما غير معزوين لاحد في نهاية الأرب (٨٣/٦).

(٣) قول أنوشروان: «من حصن سره... نجده بنفس اللفظ منسوباً إليه في سراج  
الملوك (١٠٣) والمستطرف (٢٠٧/١) وأدب الدنيا والدين (٢٧٩) ونهاية الأرب (٨٢/٦)  
وهو فيه بلفظه... من تحصينه إياه خلتان: أما الظفر بما يريد وأما السلامة من العيب  
والضرر إن أخطاه الظفر»، وفي لباب الآداب (ص. ٢٣٩) بزيادة هي: «إظهار الرجل سر  
غيره أفصح من إظهار سر نفسه لأنه يبوء بإحدى وصمتين: إما بالخيانة إن كان مؤمناً  
أو بالنميمة إن كان متبرعاً».

(٤) ط: أقواله عن الإذاعة وسترت به أفعاله عن الإشاعة.

(٥) ط: مع إفشاء السر مرام.

عنايه، وسها عن حفظ لسانه، بَدَرَ سرُّه فاستضُرَّ وألِفَ إرسالُهُ فاستمرَّ، ولم يبقَ مصونٌ إلا انهتك، ولا مستورٌ إلا افتضح، فبودِرَ قبلَ بدارِهِ، وعوجلَ قبلَ حذارِهِ، وصارَ إفشاء سرِّه أنكى فيه من مكرِ عدوِّه؛ لأنَّه إنَّ اختصَّ بإفشاء سرِّه اختصَّ بما قدَّمناه من ضرِّه، وإنَّ كانَ مستودعا عنده لغيره صارَ مستودعه بعد المودَّةِ عدواً يطلبُ ثأره، ويستقبلُ نفازه.

قال الشاعر: <sup>(١)</sup> [من الطويل]

فلا تأمئنَّ الدهرَ حرّاً ظلمته  
فما ليلٌ مظلومٍ كريمٍ بنائمٍ <sup>(٢)</sup>  
ولهذا الحذرِ توأصى به الناسُ حزمًا وعزمًا، واتفقوا عليه قولاً  
وعملًا. (١٩٠)

حكى أنَّه تذاكرَ ناسٌ من أهلِ الفضلِ كتمانَ السرِّ في مجلسِ  
عبدِ الله بنِ طاهرٍ <sup>(٣)</sup>، فقالَ عبدُ الله بنُ طاهرٍ:  
ومستودعي <sup>(٤)</sup>؛ سرّاً تضمَّنْتُ سيرةً <sup>(٥)</sup>  
فأودعتهُ في مستقرِّ الحشا قَبْرًا

(١) قوله «قال الشاعر» قلت هو عمرو بن براءة الهمداني أو ابن براق، وهو أحد عدائي العرب وشعرائهم الشجعان الفاتكين، ذكره تَابُطُ شراً في قصيدته الأولى من المفضليات بقوله:

ليلة صاحوا وأغروا بي سراهم  
بالعيكتين لدى معدي بن براق

وبراقة أمة، انظر بعضاً من أخباره وأشعاره في الأغاني ١١٣/٢١ والزهرة ٣٥٧/٢،  
والوحشيات ٣١، والسمط ٧٤٩، والبيان والتبيين ١٣٨/٢، وحاسة ابن الشجري ٢١٠/١.

(٢) قول الشاعر: «فلا تأمئن الدهر...» ذكر الماوردي هذا البيت في الأمثال والحكم الورقة  
٥٣٣ منسوباً إلى عمرو بن براءة الهمداني ولم ينسبه في أدب الوزير ص ١٦ إلى قائل.

(٣) عبد الله بن طاهر مرت ترجمته (ص ٣٩) وقد وردت العبارة في ط على الصورة التالية:  
حكى أن بعض الناس تذاكر ذات يوم في مجلس عبد الله بن طاهر كتمان السر وحفظه من  
الإذاعة والنشر فقال عبد الله...

(٤) ط. فمستودعي.

(٥) غ: ستره والتصحيح من ط ومصادر التخريج.

فقال ابنته عبيدُ الله<sup>(١)</sup>:

وما السرُّ في قلبي كشاو بقبره  
لأنني أرى المقبورَ ينتظرُ النَّشْرَا  
ولكنني أخفيه حتى كأنني  
من الدهرِ يوماً ما أحطكُ به خُبْرَا<sup>(٢)</sup>

(١) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي - أبو أحمد - صاحب شرطة بغداد زمن المأمون والأديب ذو التأليف الكثيرة منها الإشارة في أخبار الشعر ورسالته في السياسة الملوكية، وكتاب مراسلاته لعبد الله بن المعتز، وكتاب البراعة والفصاحة، وله ديوان شعر. ولد سنة ٢٢٣هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ ببغداد ودفن بمقابر قريش، وقد كان حسن الترسل لطيف الشعر حسن المقاصد جيد السبك انظر ترجمته في الأغاني ٤٢/٨ - ٤٦، الفهرست ١٧٦ وفيات الأعيان ٣٠٤/٢ - ٣٠٦ رقم الترجمة ٣٣٦، علم التاريخ عند المسلمين (ترجمة الدكتور صالح العلي) ٢٩٣ وانظر بعض أقواله في التمثيل والمحاضرة ١٠٣، ١٤٨، ١٨٣، ٤٣٠، ثمار القلوب ٢٠٩، ٢٩٢، ٥٧٦، ٦١١، ٦٣٤، ٦٤٦، ٦٦٦، ٦٩٣، وسترده له أبيات أخرى في هذا الكتاب إن شاء الله.

(٢) الأبيات أوردها المؤلف في أدب الدنيا والدين (ص. ٢٨٢) باضطراب، إذ قدم الثالث على الثاني، وإنما كلها من قول ابنه أعني عبيد الله وفيها (... من مستقر... في قلبي كميت بحفرة لأنني أرى المدفون... أخفيه عني...) وبالنظر لحصول هذا الاضطراب في طبقات أدب الدنيا والدين فقد قال المرحوم الشيخ مصطفى السقا في حاشية ص. ٢٨٢ منه ما يلي: «في هامش [الطبعة] الأميركية عند هذا الموضع بقلم المرحوم العلامة الأستاذ الشيخ أحمد إبراهيم ما نصه: لا يخفي ما في هذه الأبيات من الاضطراب وعدم التماسك، والرواية الصحيحة ما ذكره الصفدي في شرح لامية العجم نقلاً عن صاحب هذا الكتاب، قال ما نصه: وحكى الماوردي أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر، فقال: ومستودعي سرّاً تضمنت سره فأودعته من مستقر الحشا قبراً فقال ابنه وهو صبي:

وما السر في قلبي كشاو بحفرة  
لأنني أرى المدفون ينتظر الحشرا  
ولكنني أخفيه عني كأنني  
من الدهر يوماً ما أحطت به خبرا  
(حاشية أدب الدنيا والدين ٢٨٢) والظاهر أن الصفدي نقلها من كتاب تسهيل النظر هذا أو من نسخة قديمة من كتاب أدب الدنيا والدين لم تتلاعب بها أوهام النسخ.  
ولقد أورد الأمير أسامة بن منقذ البيهقي الثاني والثالث ونسبها إلى عبد الله بن طاهر وفيه (... لأنني رأيت الميت ينتظر النشرا) و (... بما كان منه لم أحط ساعة خيراً) (لباب الآداب ٢٤١) وأورد الغزالي هذه الأبيات ونسب الأول لابن المعتز ولم ينسب البيهقي إلى أحد بل رواها بزيادة بيت ثالث (انظر إحياء علوم الدين ١٧٩/٢).

[من يستودع السرّ.]:

واعلم أنّ من [الأسرارِ ما] (١) لا يستغنى فيها عن مطالعة خليط (٢) مساهم ، واستشارة ناصحٍ مسالم ، فليختر لها أميناً ، فإنّ الركونَ إلى حسن الظنّ ذريعةٌ إلى إفشاء السرّ ، وأكثرُ ما يؤتى العاقلُ في أسرارِهِ من حسن ظنّه واغتراره ؛ فليس كلُّ من كان على الأموالِ أميناً يجبُ أن يكونَ على الأسرارِ مؤتمناً ، والعفةُ عن الأموالِ أيسرُ من العفةِ عن إذاعةِ الأسرارِ ؛ لأنّ الإنسانَ قد يذيعُ سرّاً نفسه بمبادرةٍ لسانه ، وسقطِ كلامه ، ويشحُّ باليسيرِ (٣) من ماله ضمناً به ، وحفظاً له ، ولا يرى ما أضاعَ من سرّه كبيراً (٤) ، في جنب ما حفظه من يسير ماله ، مع عظيمِ (٥) الضررِ الداخِلِ عليه ؛ فمن أجل ذلك كأنّ أمناء الأسرارِ أشدُّ تعذراً ، وأقلُّ وجوداً من أمناء الأموالِ .

ولذلك علتان :

أحدهما : أنّ الضررَ في إضاعةِ الأموالِ عاجلٌ ، والضررَ في إذاعةِ الأسرارِ آجلٌ ، ونفسُ الإنسانِ موكلَةٌ بالأذى ، وإن حلَّ ما مضى .

والثانية : أنّ السرَّ سهلُ الخروجِ مع البروزِ لا يوجدُ لإذاعتهِ مسٌّ ، فهو ينطلقُ إن لم يحفظه حزمٌ ، ولا يقهره عزمٌ ، والمالُ صعِبُ المنطوقِ (٦) ، وثيقُ المجمع ، لا يبدو إلاّ بسماحةِ نفسٍ ، يتقابلُ فيها الشحُّ والسخاءُ ، وترجّحُ فيها المنعُ والعطاءُ ؛ وفرقٌ بين ما هو مبذولٌ إلاّ بمانعٍ ، وبين ما هو ممنوعٌ إلاّ بياذلٍ .

(١) الزيادة من أدب الدنيا والدين ص. ٢٨٠ وفيه هذا الكلام بنصه .

(٢) في أدب الدنيا والدين ص. ٢٨٠ : (مطالعة صديق) .

(٣) غ : (ويشح على اليسير) والتصحيح من أدب الدنيا والدين ٢٨٠ .

(٤) غ : (كثيراً) والتصحيح من أدب الدنيا والدين ٢٨٠ .

(٥) غ : (عظيم) والتصحيح من أدب الدنيا والدين ٢٨٠ .

(٦) غ : المطلق .

وإذا كَانَ أَمْنَاءَ الْأَسْرَارِ بِهَذَا الْعَوِزِ تَلَوَّمَ<sup>(١)</sup> قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ (١٩ب) حَتَّى يَظْفَرَ بِمَنْ تَصْفُو ضَمَائِرُهُ، وَتَسْلَمُ سَرَائِرُهُ؛ لِيَقْلَّ حَذْرُهُ، وَإِنْ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْحَذَرِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَسَلِّمٌ، وَالْإِسْتِسْلَامُ غَرَرٌ<sup>(٢)</sup>، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَحْذَرُ مِمَّنْ تَتَّقُ بِهِ كَأَنَّكَ تَحْذَرُ مِمَّنْ لَا تَتَّقُ بِهِ»<sup>(٣)</sup>.

[التحفظ في إيداع السر]:

فإذا ظفرَ بهذا الأمين المعوز، أودعه سره إيداع متحرز متحفظ، فإنَّ وجدته متطلعا إليه ومؤثرا<sup>(٤)</sup> للوقوف عليه، حذره وتوقاه؛ فإن طالب الوديعه خائن، ومستدعي الأمانة ظنين.

قال الشاعر<sup>(٥)</sup>: [من الرمل]

لَا تُذِيعْ سِرًّا إِلَى طَالِبِهِ  
إِنَّمَا الطَّالِبُ لِسِرِّ مُذِيعٌ<sup>(٦)</sup>

- (١) غ: ملوم، والتلوم: الانتظار والتمكث.  
(٢) من صفات أمين السر قال الماوردي: «أن يكون ذا عقل صاد، ودين حاجز، ونصح مبذول، وود موفور، وكتوماً بالطبع، فإن هذه الأمور تمنع من الإذاعة، وتوجب حفظ الأمانة؛ فمن كملت فيه فهو عتقاء مغرب» أي لا وجود له (انظر أدب الدنيا والدين ص ٢٨٠).  
(٣) حديث «أحذر من تتق به كأنك تحذر ممن لا تتق به» أورده الماوردي في الأمثال والحكم الورقة ٦٢ب بلفظ «أحذر من تتق به فإنك...» ولم يذكر راويه.  
(٤) ع. وموتورا.  
(٥) قوله: «قال الشاعر» قلت هو صالح بن عبد القدوس - أبو الفضل - البصري، أحد الشعراء اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بقتله مع إعجاب به بغزارة أدبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته وذلك في سنة ١٦٧هـ وديوانه مطبوع مع الدراسة التي قدمها له عبد الله الخطيب بالبصرة ١٩٦٧ انظر أخباره في تاريخ بغداد ٣٠٣/٩، قوات الوفيات ٣٩١/١، معجم الأدباء ٦/١٢ نكت الهميان ١٧١، رسالة الغفران ٣١، طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٠. ميزان الاعتدال ٢٩٧/٢ رقم الترجمة ٣٨١٠.  
(٦) البيت: «لا تذيع سرا...» أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٢٨١) بلفظ «... منك فالطالب لسرر مذيع» ونسبه إلى صالح بن عبد القدوس، وانظره في ديوان

ثم لا فسحة في إبداء الأسرار مع الاضطرار إلا لمستشير؛ ليأمن عثارها، ويتوفى أخطارها.

ويسرّها إلى المستشار بالكناية دون الصريح، ويشير إليها بالتعريض دون الفصيح؛ إذا كانت أحوال التعريض ممكنة، وشواهد الكناية فيها محتملة؛ ليأمن عواقب الإذاعة من ذوي الظنة، والاستطالة بالإدلال من ذوي<sup>(١)</sup> العفة؛ فإن للزمان تغييراً، وللإخوان تنكراً.

قال بعض الحكماء:

من أفضى سره كثر عليه المتأمرون<sup>(٢)</sup>.

[وفي منشور الحكم]<sup>(٣)</sup>:

من ضاق صدره اتسع لسانه<sup>(٤)</sup>.

= صالح بن عبد القدوس (ص. ١١٩) بلفظ «... منك إن الطالب السر مذيع» ويعده بيت آخر هو قوله:

وأمت سرّك إنّ السرّ إن جاوز اثنين سينمى ويشيع  
وهما بلفظ الديوان في لباب الآداب (٢٤٠) وحاسة البحري (٢٢٧) منسويين إليه فيها وعنهما نقل جامع الديوان، وقد نثره الأبشيهي ونسبه إليه فجاء به بلفظ: «لا تودع سرّك إلى طالبه؛ فالطالب للسر مذيع ولا تودع مالك عند من يستدعيه؛ فالطالب للوديعه خائن» (المستطرف ٢٠٨/١). وأورده الطرطوشي منسوباً إليه وهو فيه بلفظ «والطالب للسر مذيع» (سراج الملوك ١٠٥) والعرب تقول: «من ارتاد لسره موضعاً فقد أذاعه» (عيون الأخبار ٣٨/١).

(١) غ: من ذي.

(٢) قول بعض الحكماء: «من أفضى سره كثر عليه المتأمرون» تجده في أدب الدنيا والدين ٢٨١ بلفظه منسوباً لبعض الحكماء أيضاً، وسراج الملوك ١٠٤، ومجمع الأمثال ٣٢٧/٢، وقد جعله من أمثال المولدين بلفظه «من أفضى سره كثر المتأمرون عليه».

(٣) الزيادة من ط.

(٤) قوله: «من ضاق صدره اتسع لسانه» أورده أبو حيان التوحيدي بلفظه ولم ينسبه لقائل (الإمتاع والمؤانسة ١٤٧/٢)، وأورده أبو أحمد الحسن بن سعيد العسكري بلفظ «من ضاق قلبه اتسع لسانه» ولم ينسبه لقائل (رسالته في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ٢١٩) ومن أمثال العرب وحكمهم: «صدرك أوسع لسرك» (الحكمة الخالدة ١٩٨) و (التمثيل والمحاضرة ٣١٧) و (مجمع الأمثال ٣٩٦/١ رقم ٢٠٩٧) و (العقد الفريد ٨١/٣).

قال الشاعر<sup>(١)</sup>: [من الطويل]

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه  
فصدُر الذي يُستودع السر أضيّق<sup>(٢)</sup>

[وقال بعض الشعراء<sup>(٣)</sup> - من المتقارب -

ألم تر أنّ وشاة الرجاء..... لا يتركون أديماً صحيحاً

(١) قوله «قال الشاعر» قلت هو العتيبي: محمد بن عبيد الله من ولد عتبة بن أبي سفيان، كان هو وأبوه أديبين فصيحين، وكان العتيبي شاعراً، أصيب ببين له فكان يرثيهم، وكان الأغلب عليه الأخبار، وأكثر أخباره في بني أمية وأيامهم توفي سنة ٢٢٨ هـ له من الكتب: كتاب الخيل، كتاب الأعراب وأشعار النساء اللاتي أحبين ثم أبغضن، وكتاب الأخلاق. انظر ترجمته وشيئاً من أخباره في الفهرست ١٨٢، وفيات الأعيان ١/٥٢٢، المعارف (عكاشة) ٥٣٨، شذرات الذهب ٢/٦٥، المرزباني ٤٢٠، تاريخ بغداد ٢/٣٢٤، الأعلام ٧/١٣٩، وانظر مصادر التخريج.

(٢) البيت «إذا ضاق صدر المرء...» أتى به الماوردي بلفظه بعد بيت آخر هو:  
إذا المرء أفشى سره بلسانه ولأم عليه غيره فهو أحمق  
دون أن ينسبها لقائل، وذلك في كتابه أدب الدنيا والدين (٢٨٠)، وقد ورد البيت بلفظه مع خمسة أبيات أخرى منسوبة إلى العتيبي في المحاسن والأضداد للجاحظ (ص. ٣٣) والمحاسن والمساويء لليهقي (٤٠٦/٢) والكامل للمبرد (٢١١/٢).

وربما كان الشاعر قد اقتبس من شاعر قبله بدليل قوله قبل هذا البيت:  
وحسبك في ستر الأحاديث واعظاً من القول ما قال الأرب الموفق  
وقد ورد البيت «إذا ضاق...» غير منسوب في لباب الأرب (٢٤٠) ونهاية الأرب (٨١/٦) والمستطرف (٢٠٨/١) وسراج الملوك (١٠٤) والعقد الفريد (٧٧/١) وشرح نهج البلاغة (٣٧/٤).  
ولعل البيت مأخوذ من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما أفشيت سري إلى أحد قط فأفشاه فلمته إذ كان صدري به أضيّق» أو من قول سقراط: «إذا ضاق صدرك بسرك فصدر غيرك أضيّق» (مختار الحكم ١١٠) و (لباب الآداب ٢٤١) وقال عمرو بن العاص: «ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته، لأنني كنت أضيّق صدراً حين استودعته» وتمثل:

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فسرك عند الناس أفشى وأضيّع  
عيون الأخبار ١/٤٠) و (نهاية الأرب ٦/٨١، ٨٣) و (العقد الفريد ١/٧٦).

(٣) قوله: «قال بعض الشعراء» قلت هو النابغة الذبياني الشاعر المشهور وأحد أصحاب المعلقات، وصاحب الاعتذاريات انظر بعضاً من أخباره في الأغاني ٩/١٥٤ الشعر والشعراء ٣٨، شروح المعلقات، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان - الترجمة العربية - ١/٨٨، اللباب في تهذيب الأنساب ١/٥٢٨ وديوانه مطبوع في باريس وفي بيروت والقاهرة.



فلا تُفَشِ سِرِّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا<sup>(١)</sup>  
 قَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ<sup>(٢)</sup>:

إِذَا وَقَفَتِ الرَّعِيَّةُ عَلَى أَسْرَارِ الْمُلُوكِ هَانَ عَلَيْهَا أَمْرُهَا.

وَلَا عُذْرَ لِمَنْ ظَفَرَ بِسِرٍّ لَمْ يُؤْمِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَذِيعَهُ، كَمَا لَا عُذْرَ لِمَنْ ظَفَرَ  
 بِمَالٍ لَمْ يُؤْتَمِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتِيحَهُ.

وَلِيَكُنْ فِي حِفْظِهِمَا عَلَى حَكْمِ الْمُؤْتَمَنِ، يَقْضِي عَلَى نَفْسِهِ (٢٠آ) فِي  
 الْأَمَانَةِ بِالْوَفَاءِ وَفِي اللَّقْطِ وَالضُّوَالِ الشَّارِدَةِ بِالْأَدَاءِ.

وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَحْفَظَهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَسْرَارِهَا أَنْ يَرُوضَهَا  
 بِفَضْلِ حَزْمِهِ، وَيَأْخُذَهَا بِقُوَّةِ عَزْمِهِ، حَتَّى لَا يَظْهَرُ<sup>(٣)</sup> فِي وَجْهِهِ إِمَارَةٌ سَخِطٍ  
 وَلَا رِضًا، وَلَا يَعْرِفُ مِنْهُ آثَارَ حُزْنٍ وَلَا سُرُورٍ، فَيُظْهَرُ مَا فِي نَفْسِهِ  
 وَهُوَ كَامِنٌ، وَيَنْمُ عَلَيْهِ وَهُوَ آمِنٌ، فَيُظَنُّ أَنَّهُ قَدْ كَتَمَ سِرَّهُ وَقَدْ ذَاعَ، وَطَوَى  
 مَا فِي نَفْسِهِ وَقَدْ شَاعَ.

وَلِيَكُنْ مِتَشَاكَلِ الْأَحْوَالِ، مِتَمَاثِلِ الْأَوْصَافِ؛ لِيَكُونَ كِتُومَ النَّفْسِ، كَمَا  
 كَانَ كِتُومَ اللِّسَانِ، وَلَا يَبْدُو مِنْ نَفْسِهِ مَا يَكْرَهُ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى لِسَانِهِ، لِيَكْمَلَ  
 كِتْمَانُ أَسْرَارِهِ فِي الْحَالِينِ.

وَإِنَّ أَسْوَأَ الْعِيُوبِ حَالًا، وَأَظْهَرَهَا وَبَالًا، أَنْ يُعْرَفَ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ  
 غَيْرِ اخْتِبَارِهِ؛ فَيَعْلَمُهُ الثَّقَةُ، وَالظَّنِينُ، وَيَشْتَرِكُ فِيهِ الْخَائِنُ وَالْأَمِينُ،  
 وَهُوَ لَوْ أَسْرَهُ إِلَى أَحَدٍ فَأَذَاعَهُ لَأَسْتَكْبِرَهُ مِنْهُ، وَلِرَأْيِ فِي مَوْجِبِ السِّيَاسَةِ

(١) قوله: «ألم تر أن وشاة الرجال...» إلخ البيتين زيادة من (ط) وفيها (... لا يدعون) والنصحيح من مصادر التخريج وهما للتأبغة كما قلنا إلا أنها ليسا في ديوانه، وقد وردا منسويين إليه في كتاب الزهرة ٢٦٥/٢ وقد رجح محققاه الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور نوري حمودي القيسي أنها ليسا له (انظر كتاب الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني - القسم الثاني ص ٢٦٥ وفي حاشيتها تخريج البيتين ومطاب وجودهما فلتراجع هناك) وقد أوردهما الماوردي في أدب الدنيا والدين منسويين إلى أنس بن أسيد، بتقديم الثاني على الأول بلفظ «ولا تفش» ..... فإني رأيت وشاة...»

(٢) ط: قال بعض الحكماء.

(٣) حتى لا يظهر بضم الراء على أن (حتى) عاطفة.

ومقتضى الحزم أن يؤاخذَهُ به، ويعاقبَهُ عليه. فكيف يرضى من نفسه ما يستكرهُ من غيره؟ ويتسامح [في] ما يعاقبُ عليه؟ كلاً. ولئن كان مرامهُ صعباً، فهو سهلٌ على من ساعدَهُ الطبع، ثم على من تطبّع به عند نفورِ الطبع، فيصيرُ طبعاً وتطبّعاً سهلٌ على ذي الحزم إذا صادفَ عزمًا؛ فإن الكرهَ سهلٌ بالمروءِ عليه.

فإذا ضبطَ من نفسه ما ينكرُ آثاره، ويُنمُّ أسرارَهُ كان أفضلَ حزمًا، وأقوى عزمًا، ممن كتمَ سرَّهُ بلسانه، فإذا ساعدَهُ الأمران لم ينمَّ له سرٌّ، ولم يعرف له غَوْرٌ.

\* \* \*

## [الفصل الثاني عشر]

## [المشورة]

[فوائد المشورة]:

وينبغي للملك أن لا يمضي الأمور المستهمة بهاجس رأيه، ولا ينفذ عزائمه المحتملة ببداهة فكره؛ تحرّزاً من إفشاء سرّه، وأنفة من الاستعانة بغيره، حتى يشاور ذوي الأحلام والنهى، ويستطلع برأي ذوي الأمانة والتقوى (٢٠ ب) ممّن حكّتهم التجارب، فارتاضوا بها، وعرفوا موارد الأمور [و] حقائق مصادرها؛ فإنه ربما كان استبداده برأيه أضّر عليه من إذاعة سرّه، وليس كل الأمور أسراراً<sup>(١)</sup> مكتومة، ولا الأسرار المكتومة بمشاورّة النصحاء فاشية معلومة.

قال النبي عليه السلام

«ما سعد أحد برأيه ولا شقى عن مشورة»<sup>(٢)</sup>وقال لمعاذ بن جبل<sup>(٣)</sup>:

«استشر، فإنّ المستشار معان، والمستشار مؤتمن، واحذر الهوى،

فإنه قائد الأشفياء»<sup>(٤)</sup>

(١) غ: أسرار.

(٢) حديث «ما سعد أحد برأيه ولا شقى عن مشورة» أصبح معناه مثلاً من الأمثال وقد جاء في أمثال أبي عبيد «ما هلك أحد عن مشورة» (ص ١٤) وأدب الدنيا والدين ٢٧٥ ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن سعيد بن المسيب مرسلًا (الجامع الصغير ٢ / ٢١).

(٣) معاذ بن جبل الصحابي الجليل شهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم وبعثه صلى الله عليه وسلم قاضيًا إلى اليمن، توفي في طاعون عمواس بالأردن سنة ١٨ هـ وله خمس وثلاثون سنة تقريباً، انظر الإصابة ٣ / ٤٠٦ رقم ٨٠٣٩، الاستيعاب ٣ / ٣٣٥، أسد الغابة ٥ / ١٩٤ رقم ٤٩٥٣، تذكرة الحفاظ ١ / ١٩ رقم ٨، أدب القاضي للماوردي ١ / ١٣٢ هاشم.

(٤) حديث «استشر فإنّ المستشار معان والمستشار مؤتمن» رواه أبو داود عن أبي هريرة (سنن ٤ / ٣٣٣ رقم ٥١٢٨) والدارمي عن أبي مسعود الأنصاري (سنن الدارمي ٢ / ٢١٩) والترمذي عن أم سلمة وابن مسعود وأبي هريرة وابن عمر (ح ٤ ص ٢٠٧-٢٠٨ رقم ٢٩٧٦، ٢٩٧٧) وقد رواه بقية الأربعة والطبراني في الأوسط وفي الكبير بحديث حسن =

وقد قيل:

الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه<sup>(١)</sup>.

قال بعض الحكماء:

حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العلماء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ<sup>(٢)</sup> ربما زل، والعقل الفرد ربما ضل<sup>(٣)</sup>.

ويعتمد على استشارة من صلاحه [يكون] موصولاً بصلاحه<sup>(٤)</sup>، إذا كان عرياناً من الهوى؛ [فالهوى] مخدعة الألباب، ومضلة الصواب.

= (الجامع الصغير ٢/ ١٨٦) وأحمد (مسند أحمد ٥/ ٢٧٤) وقد رواه الماوردي عن سهل بن يوسف عن أبيه عن عبيد بن صخر قال: قال رسول الله (ص) لمعاذ... في الأمثال والحكم الورقة ٥٥ آ وفي أدب الدنيا والدين عن محمد بن المنكدر عن عائشة (ص ٢٧٨). وقوله: «المستشير معان والمستشار مؤتمن» أحد الأمثال التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم فانظره في التمثيل والمحاضرة ٢٨، والإيجاز والإعجاز ٧، ولباب الآداب ٣٣٣.

(١) قوله: وقد قيل: الاستشارة عين الهداية... انظره في أدب الدنيا والدين بلفظه مصدراً بقوله: «قال بعض الحكماء» وقد ورد من أقوال علي رضي الله عنه «قد خاطر من استغنى برأيه» (كتاب ٢٠٠٠ كلمة ص ٧٧ رقم ١٨١١) بينما جعله ابن الأثير من ضمن أمثال المولدين بلفظ «خاطر من استغنى برأيه» انظر مجمع الأمثال ١/ ٢٦٢ وفي أقوال الحكيم أرسطوطاليس: وإذا استبد الملك برأيه عميت عليه المرشد» (لباب الآداب ٦٧) ولفظ «ومن استبد برأيه خضت وطأته على أعدائه» (ص ٦٨) وقد مر قولهم «من استعان بالرأي ملك...» وسيرد قولهم «من استغنى برأيه ضل...».

(٢) غ: الفرد والتصحيح من ط ومن كتب التخريج والفذ: الفرد.

(٣) قول بعض الحكماء: «حق على العاقل أن يضيف...» أورده الأمير أسامة بن منقذ ضمن أقوال الحكيم أرسطوطاليس بلفظ: «الكسل يمنع من الطلب، والفشل يدفع إلى العطب، ومن حق العاقل أن يضيف إلى آرائه العلماء، ويجمع إلى عقله الحكماء، ويدبم الاسترشاد بترك الاستبداد فالرأي الفذ ربما زل والعقل الفذ ربما ضل» (لباب الآداب ٦١)، وتجد القول في أدب الدنيا والدين بلفظ «من حق العاقل...» ربما ينسب إلى علي رضي الله عنه قوله: «شاور ذوي العقول تأمن من الزلل والقدم» (غرر الحكم ١٩٩) وقوله: «قد يزول الرأي الفذ وقد يضل العقل الفذ» (غرر الحكم ٢٣١)، وقد ورد القول في ط بلفظ: «من حق العاقل...».

(٤) ذكر الماوردي في أدب الدنيا والدين أن هناك خصلاً للمستشير عددها فقال: «إذا عزم على المشاورة ارتاد لها من أهلها من قد استكملت فيه خمس خصال: إحداهن: عقل كامل، مع تجربة سالفة، فإنه بكثرة التجارب تصح الروية... والثانية: أن يكون ذا دين وتقى، فإن =

والعداوة تصدُّ عن النصح والإنصاف، وتبعثُ على الغشِّ والإجحاف، ولا يصحُّ مع أحدٍ هذين رأياً لمشيرٍ، ولا يخلصُ فيهما.

قال النبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ»<sup>(١)</sup>

أي يعمي عن الرشيد، ويصمُّ عن الموعظة<sup>(٢)</sup>.

وكذلك حالُ البغضِ الذي هو ضده، لأنها خروجٌ من العدلِ إلى تقصيرٍ

أو سرفٍ.

= ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح... والثالثة: أن يكون ناصحاً ودوداً فإن النصح والمودة يصدقان الفكرة ويمحضان الرأي... والرابعة: أن يكون سليم الفكر من هم قاطع، وغم شاغل، فإن من عارضت فكره شوائب المصوم لا يسلم له رأي ولا يستقيم له خاطر... والخامسة؛ ألا يكون له في الأمر المستشار غرض يتابعه، ولا هوى يساعده، فإن الأغراض جاذبة والهوى صاد، والرأي إذا عارضه الهوى وجاذبته الأغراض فسد... (ص ٢٧٤-٢٧٥).

(١) في غ وط: حبك للشيء والتصحيح من الأمثال والحكم وأدب الدنيا والدين ومصادر التخريج.

وحديث «حبك الشيء يعمي ويصم» رواه أبو داود عن أبي الدرداء (سنن ٤ / ٣٣٤ رقم ٥١٣٠) ورواه أحمد مرفوعاً وموقوفاً (مسند الإمام أحمد ٥ / ١٦٤، ٦ / ٤٥٠) قال ابن حجر تعليقاً على رواية أحمد له: «الموقوف أشبه، قاله المنذري، وفي سننه أبو بكر بن أبي مريم وهو شامي صدوق طرقة لصوص ففزع فتغير عقله فعدوه في من اختلط (انظر أجوبة عن أحاديث وقعت في مصابيح السنة ووصفت بالوضع - ملحقة بآخر مشكاة المصابيح ٣ / ٣١١) وهو في مصابيح السنة (مشكاة المصابيح ٢ / ٥٩٥ رقم ٤٩٠٨) ورواه عنه البخاري في التاريخ، والخرائطي في اعتلال القلوب عن أبي برزة وابن عساكر عن عبد الله بن أنيس في حديث حسن (الجامع الصغير ١ / ١٤٦) ورواه العسكري وغيره وفي إسناده كلام (المقاصد الحسنة ١٨١ رقم ٣٨١) و(كشف الخفاء ١ / ٤١٠ رقم ١٠٩٥) وقد رواه الماوردي في الأمثال والحكم (الورقة ١١٥) وأدب الدنيا والدين (ص ٢١) وأدب الوزير (ص ٢٤) وأورده الغزالي في نصيحة الملوك (ص ٦٧) وهو مثل من الأمثال السائرة (مجمع الأمثال ١ / ١٩٦ رقم المثل ١٠٣٧) و(أمثال أبي عبيد ص ١٤) والفاضل (١٢٢) والأمثال لأبي محمد بن أحمد البساک (ص ٥٧) والمثل المقارن (٩٦) وأدب النفس (١٧) وهو من أمثال العشق والعشاق في التمثيل والمحاضرة (٢٠٩).

(٢) قوله «أي يعمي عن الرشيد ويصم عن الموعظة» هو اللفظ نفسه الذي فسر به الحديث في أدب الدنيا والدين (ص ٢١) وقال العسكري: «إن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن من الحب ما يعميك عن طريق الرشيد ويصمك عن استماع الحق، وإن كان إذا غلب الحب =

وإذا ظفرَ بالرأيِ ممن لا يراهُ للمشورةِ أهلاً أخفاهُ، حتى لا يتخطى عليه غيرُ أهله، ولم يستنكف من العملِ به؛ فإنَّ القرائحَ ليست على قدرِ الأخطارِ والرُّتبِ، وإنما هي ذخائرُ مستودعةٌ فيمن مُنحها من نبيِّه وخاملٍ؛ كما قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ»<sup>(١)</sup>

فلا يتصورُ قبَحَ الحاجةِ إلى رأيٍ من قُلٍّ، فليسَ يرادُ للمباهاةِ والافتخارِ، فتلتبسُ فيه أعيانُ ذوي الأخطارِ، وإنما يرادُ للصَّوابِ والانتفاعِ كَالضَّالَّةِ (٢١ آ) لا يمنعهُ من أخذها مهانةٌ ملتقطها، وكاللؤلؤةِ لا يمنعهُ من لبسها ذلَّةٌ غائصها، وكفى بالإنسانِ سعادةً أن تسهلَ عليه المطالبُ، فيدركَ مرادهُ بأهونِ سعيٍّ، وأقلِّ عناءٍ.

وليسَ عليه إذا عملَ بالرأيِ أن يعزِيه<sup>(٢)</sup> إلى قائله، وينسبه إلى صاحبه فيوتهنَ بمهانتِه، ويعابَ بذلته، وإنما يتنبهُ به على صوابٍ ما يأتي وسدادٍ ما يريدُ.

= على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دين أصمه حبه عن العدل وأعماه [عن] الرشيد... وقال ثعلب: معناه أن العين تعمى عن النظر إلى مساويه، وتصم الأذن عن استماع العدل فيه... وقيل معناه: يعمى ويصم عن الآخرة (كشف الخفاء ١/ ٤١١)، (والمقاصد الحسنة ١٨١) وقال ابن حجر: «ومعنى هذا الحديث أنه خير يراد به النبي عن اتباع الهوى؛ فإنه من يفعل ذلك لا يبصر قبيح ما يفعله، ولا يسمع نصيح من يرشده، وإنما يقع ذلك لمن لم يفتقد أحوال نفسه والله أعلم» (أجوبة عن أحاديث وقعت في مصابيح السنة ووصفت بالوضع ملحقه بكتاب مشكاة المصابيح ٣/ ٣١١) وقال أبو الوفاء محمد بن أحمد البساک: «يعني يخفي عليك من مساوئه، ويصم أذنك عن سماع العدل فيه» (الأمثال ص ٥٧).

(١) حديث «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة» رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة بلفظه غير أنه قدم الفضة على الذهب، وفيه زيادة هي «خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف» (صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٨٥) ورواه أبو دواد (جامع الأصول ٧/ ٣٥٩ رقم ٤٧٨٧) والإمام أحمد (المسند ٢/ ٥٣٩) والعسكري (المقاصد الحسنة ٤٤١ رقم ١٢٣٨) وللدليمي عن ابن عباس (كشف الخفاء ٢/ ٤٣٢ رقم ٢٧٩٣) والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس (الجامع الصغير ٢/ ١٨٨) وقد رواه الماوردي في الأمثال والحكم (الورقة ١٠١ب)، وهو مثل من الأمثال السائرة (التمثيل والمحاضرة ٢٣) و(مجمع الأمثال ٢/ ٤٤٩).

(٢) يعزیه: ينسبه من باب عدا ورمى.

وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال:  
«كلمة الحكمة ضالة الحكيم حيث ما وجدها فهو أحقُّ بها»<sup>(١)</sup>

قال بعضُ البلغاء:

من كمالِ عقلِك استظهارُك على عقلِك<sup>(٢)</sup>.

و[قال بعضُ البلغاء]:<sup>(٣)</sup>

إذا أشكلت<sup>(٤)</sup> عليك الأمور، وتغير لك<sup>(٥)</sup> الجمهور، فارجع إلى رأي

(١) حديث «كلمة الحكمة ضالة حيث ما وجدها فهو أحقُّ بها» رواه ابن ماجة عن أبي هريرة بلفظ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث ما وجدها فهو أحقُّ بها» (سنن ١٣٩٥ / ٢) رقم الحديث ٤١٦٩) وقوله: «الكلمة الحكمة أي ذات الحكمة. ورواه الترمذي عن أبي هريرة أيضا بلفظ: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث ما وجدها فهو أحقُّ بها» قال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإبراهيم بن الفضل المخزومي ضعيف في الحديث» (سنن ١٥٥ / ٤) رقم الحديث ٢٨٢٨، وقد رواه ابن عساكر عن علي في حديث حسن بلفظ «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقُّ بها» (الجامع الصغير ٩٨ / ٢)، وقد رواه البيهقي في المدخل والعسكري من حديث إبراهيم بن الفضل عن سعيد المقبري عن أبي هريرة، ولفظ العسكري والقضاعي: «كلمة الحكمة ضالة كل حكيم، فإذا وجدها فهو أحقُّ بها» وقد روي بالفاظ أخرى (انظر المقاصد الحسنة ١٩١ رقم ٤١٥) (وكشف الخفاء / ١٤٣٥ رقم ١١٥٩)، وقد ورد شطر الحديث في أمثال أبي عبيد (ص ٥) وجمع الأمثال (١ / ٢١٤ رقم ١١٥٢) والإيجاز والإعجاز (ص ٧) ولباب الآداب (ص ٤٢٢) وفي رسالة أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم (ص ٢٢٠) والتمثيل والمحاضرة (ص ٢٥) وغرر الحكم (ص ٤٣، ١٧٤، ٢٠٥) وكتاب ٢٠٠٠ كلمة (ص ٥٥ رقم ١٢٢٦) وكتاب مشكاة المصابيح (١ / ٧٥ رقم الحديث ٢١٦) والأمثال والحكم (الورقة ٨ب).

(٢) قول بعض البلغاء «من كمال عقلِك استظهارك على عقلِك» أورده عبد الواحد الأمدي بلفظه ونسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه (غرر الحكم ٣٠٦) وأورد من أقواله قوله: «العاقل من اتهم عقله، ولم يثق بكل ما تسول له نفسه» (ص ٤٤) وأورده أبو الحسن الرخجي دون نسبة إلى أحد بلفظ: «من كمال عقلِك استظهارك على أملك» (أحاسن المحاسن ص ١٦٥).

(٣) الزيادة من ط ومن أدب الدنيا والدين.

(٤) غ: اشتكلت وما أثبتته عن ط وأدب الدنيا والدين.

(٥) غ: وتغير عليك وما أثبتته عن ط وأدب الدنيا والدين.

العقلاء، وافزع إلى استشارة العلماء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا تستكف من الاستمداد؛ فلأن تسأل وتسلم خير من أن تستبد وتندم<sup>(١)</sup>.

قال بعض العلماء:

من استغنى برأيه ضل، ومن اكتفى بعقله زل<sup>(٢)</sup>.

وإذا لم يأتيه الرأي عفواً، ولا وصل إليه من غيره تبرعاً، أكثر من استشارة ذوي الألباب، ولا سيما في الأمر الجليل، والخطب المستبهم، فإن لكل عقل ذخيرة من الصواب، وحظاً من التدبير، ولقل ما فضل عن الجماعة رأي لا يعرف صوابه، ويشكل عليهم أمر لا يفهم جوابه.

وليكن أهل المشورة متصافين في المحبة، براء من عداوة أو بغضة؛ ليعرف كل واحد منهم لصاحبه بالصواب إذا ظفر به، ولا يبعثه الحسد والعداوة على رده؛ فإن تعاندوا شغلهم العناد عن الاجتهاد، فلن يحفظوا برأيي، ولم يظفروا بصواب، لالتباس الرأي بنفور العناد.

وينبغي أن يجمعهم على المشورة في (٢١ ب) بديهية الرأي؛ ليجتهد

(١) قول بعض البلغاء «إذا أشكلت عليك الأمور...» أورده الأمير أسامة بن منقذ ضمن أقوال الحكيم أرسطوطاليس في كلام طويل وقد جاء هذا القول بلفظه وفيه «... إلى استشارة النصحاء...» (لباب الآداب ٦٩) والقول بلفظه في أدب الدنيا والدين ٢٧٦.

(٢) غ: بعقله ضل. والتصحيح من أدب الدنيا والدين والأمثال والحكم وكتب التخريج.

وقول بعض العلماء: «من استغنى برأيه ضل، ومن اكتفى بعقله زل» أورده المؤلف في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٦) مصدراً بقوله: «وقال بعض الأدباء» وغير منسوب في الأمثال والحكم (الورقة ١٦) بلفظ: «من استغنى برأيه ذل ومن اكتفى بعقله زل»، وأورده ابن مسكويه ضمن حكم العرب وأمثالها بلفظ: «من استغنى بعقل نفسه اختل، ومن أعجب برأيه ضل» (الحكمة الخالدة ١٩٨) ومن أقوال علي: «من ملكه هواه ضل، ومن ملكه الطمع ذل» (غرر الحكم ٢٦٤) و«من أطاع ربه ملك ومن أطاع هواه هلك» (٢٦٥) و«من استغنى بعقله ضل، ومن استبد برأيه زل» (ص ٢٦٩) وقد ورد هذا القول بلفظ «من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل» (سراج الملوك ص ٢٨)، وأورده الميداني ضمن أمثال المولدين بلفظ «من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعلمه زل» (مجمع الأمثال ٢ / ٣٢٧ و٤٥٨)، ومن أمثال العجم: «خاطر من استغنى برأيه» (خاص الخاص ١٧) والإمتاع والمؤانسة ٢ / ١٥٠).



كلُّ واحدٍ منهم رأيه، ويستكملُ خاطره؛ ليتخصَّصَ برتبةِ المجيبِ، ويجمعُ في حظوةِ المصيبِ.

فإن اجتمعوا في ابتداءِ الرأيِ كانوا فيه بينَ أمرين:

إما أن يقودَهُم أولُ رأيٍ منهم إلى متابعتِهِ، فيصيروا مفوضين لرأيِ واحدٍ قلدوه، وهم أكفاء، وتابعوه وهم نظراء.

وإما أن يختلفوا؛ فيتنابدوا، ويتشاعَلَ كلُّ واحدٍ منهم بنصرةِ رأيه، حقاً كانَ أو باطلاً؛ فيخرجُ بالمناظرةِ عن حكمِ المجتهدِ، والمنايذةِ عن حكمِ المتأيدِ.

وكما أن الأصوبَ إفرادهم في ابتداءِ الرأيِ، فكذلك الأصوبُ أن لا يُطلِّعَ بعضهم على استشارةِ بعض؛ ليجتهدَ كلُّ واحدٍ منهم فكره، ويستنفدَ<sup>(١)</sup> وسعته، حتى إن حظيَ بدركِ الصوابِ، تخصصَ برتبةِ التعويلِ، وتميَّزَ بنباهةِ القبولِ.

وليكنَّ - مع ذلك - غيرَ وانٍ في الفكرِ، ولا مقصِّرَ في الارتناءِ، تعويلاً على رأيٍ من شاوره؛ لئلا يصيرَ في الرأيِ مفوضاً، وفي الأمرِ مقلداً.

[مباحثة ذوي الرأي]:

قال بعضُ الحكماءِ:

الاستسلامُ إلى رأيِ المشيرِ هو العدلُ الخفيُّ<sup>(٢)</sup>.

وإذا أظهرُوا كواملَ آرائهم، عرَضَها على عقله، وسبَّرها<sup>(٣)</sup> بفكره، وتصفَّحَ مبادئها وعواقبها، وسألهم عن أسبابها ونتائجها، وباحتهم عن أصولها وفروعها سؤالَ منصفٍ لامتنعِ، وطالبٍ للصوابِ، لا للردِّ، ليستوضحَ الحقُّ من الباطلِ، ويعلمَ الصحيحُ من الفاسدِ، ولا يبدى لهم رأيه إن خالفهم، ولا أنه يأخذُ به ويعملُ عليه إن وافقهم؛ ليجريَ الأمرُ على

(١) غ: ويستنفد.

(٢) ط: العزل الخفي.

(٣) غ: سيرها.

استبهايمه، حتى يعمل به، ليظهر بالفعل دون العزم، ليستفيد بذلك أربع خصال<sup>(١)</sup>:

إحداهن: صواب رأيه وصحة رويته.

والثانية: معرفة عقل المشير وصواب رأيه.

والثالثة: وضوح ما استعجم (٢٢ آ) من الرأي، وانفتاح ما استغلق

من الصواب.

والرابعة: طي عزمه عن الإشاعة، والتحرز فيه من خطر الإشاعة.

فإذا تقرّر له الرأي الذي لا يخالطه فيه ارتياب، ولا تعارضه فيه شبهة أمضاء، ولم يؤاخذهم بعواقب الإكداء ودرك الزلل، وإنما على الناصح الاجتهاد، وليس عليه ضمان النجاح، لأن أفضية الله خافية، وأقداره غالبية لا يدفعها رأي مجتهد، ولا يصد عنها روية مناصح، فلم يتوجه إليه لوم إن أكدي، ولم يقدح فيه ذم إن أخطأ.

قال بعض الحكماء:

الحوائج تطلب بالعناء، وتُدرك بالقضاء<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر<sup>(٣)</sup> [من الطويل]

(١) قوله: «أربع خصال» ذكر في أدب الدنيا والدين أنه «يستفيد بذلك-مع ارتياضه بالاجتهاد - ثلاث خصال:

إحداهن: معرفة عقله وصحة رويته.

والثانية: معرفة عقل صاحبه وصواب رأيه.

والثالثة: وضوح ما استعجم من الرأي، وانفتاح ما أغلق من الصواب» (أدب الدنيا والدين ٢٧٧).

(٢) قول بعض الحكماء: «الحوائج تطلب بالعناء، وتُدرك بالقضاء» أورده الماوردي بلفظه قائلًا: «قيل في منشور الحكم...» (أدب الوزير ص ١٦) وقد ورد هذا القول غير منسوب أيضاً في رسالة (كلمات مختارة ص ٤٠) بلفظ: «الحاجات تطلب بالرجاء وتُدرك بالقضاء» وفي التمثيل والمحاضرة بلفظ «الحوائج تطلب بالرجاء وتُدرك بالقضاء» (ص ٤٦٧).

(٣) قوله: «قال الشاعر» قلت هو ضرار بن الخطاب الفهري الفارس الذي لم يكن في قريش أشعر منه وبعده ابن الزبيري، وكان من الفرسان، وقد قاتل المسلمين أشد القتال في الوقائع أحد والخندق وأسلم يوم الفتح، وقتل شهيداً باليمامة سنة ١٣هـ. انظر ترجمته في =

ألم تر أن الدهرَ يلعبُ بالفتى  
ولا يملكُ الإنسانُ دفعَ المقادرِ<sup>(١)</sup>

ومتى عُرِفَ منه تعقُّبُ المشيرِ بلومٍ أو ذمٍّ أسلمَ إلى رأيه، وهو ملومٌ،  
ووكَّلَ إلى تدبيره وهو مذمومٌ فبقي بالمتاركةِ فرداً لا يعاضدُ، ومهملاً  
لا يساعِدُ، وبه من الحاجةِ إلى مشورةِ ذوي الرأيِ ما لا يجدُ منه بدءاً.

قال الشاعر<sup>(٢)</sup>: [من البسيط]

من كانَ ذا عَضْدٍ يدركُ ظلامتَه  
إنَّ الذليلَ الذي ليسَ له عَضْدٌ<sup>(٣)</sup>

= الاستيعاب (على هامش الإصابة ٢/٢٠١-٢٠٢، الإصابة ٢/٢٠١-٢٠٢ أيضاً، أسد  
الغابة ٣/٥٣-٥٤ طبقات الشعراء لابن سلام، المعارف (عكاشة) ٦٨، وله أبيات في  
الحماسة الشجرية ١/٥٦، وابن أبي الحديد ٣/٣٠٩، الأغاني ١٠/٥، حاسة البحري ٢٧.  
(١) قول الشاعر: «ألم تر أن الدهر...» أورده الماوردي في الأمثال والحكم (الورقة ١٢٦) منسوباً  
إليه.

(٢) قوله: «قال الشاعر» قلت هو الأجرد الثقفي من شعراء العصر الأموي وقد وفد على عبد  
الملك بن مروان، واسمه مسلم بن عبد الله بن سفيان انظر نبذة من أخباره في الشعر  
والشعراء (تحقيق السقا) ص ٢٨٣، ألقاب الشعراء ٣١١ معجم ألقاب الشعراء ١٢، وقد  
ينسب البيت إلى المتلمس (جرير بن عبدالمسيح) الذي كان ينادم عمرو بن هند وقصته في صحيفته  
مشهورة انظر الشعر والشعراء ٥٢، الأغاني ٢١/١٢٠، طبقات ابن سلام ٥٨، معجم ألقاب  
الشعراء ٢١٢.

(٣) قول الشاعر: «من كان ذا عضد...» أورده المؤلف في الأمثال والحكم (الورقة ١١٩) ونسبه  
إلى الأجرد الثقفي. والبيت قد أورده الجاحظ مع بيت آخر هو قوله:

تنبؤ يدها إذا ما قلَّ ناصره ويأنف الضيم إن أشرى له عدد

منسوين إلى الأجرد أيضاً (البيان والتبيين ١/٣٦٧ / ٣/٣٢٥) وهما في عيون الأخبار (ج ٢  
ص ٢) والشعر والشعراء (٢٨٣) وفيه قصة، والعقد الفريد - العريان - (٢/٢٦٥) منسوين  
إليه في الجميع.

وقد ورد البيت منسوباً إلى المتلمس في ديوانه - بعناية ك. موفرز - (ص ٢٠٩) وفي التذكرة  
السعدية (١/٣٦٥) مع بيتين هما:

ولا يقيم على ضيم يسام به إلا الأذلان غير الحسي والسود

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرشي له أحد

وانظر بشأن البيتين الأخيرين كليات أبي البقاء - بولاق ١٢٨١ - (ص ١٠٧) وشرح نهج البلاغة

فَصَعَقْتُ مَتْنَهُ بِالْمِتَارِكَةِ، وَقَلْتُ مَسَاعِدَتُهُ بِالْإِهْمَالِ، فَتَمَوَّجْتُ<sup>(١)</sup> بِهِ  
الْمَخْطُوبُ، وَتَنَكَّرْتُ عَلَيْهِ الْقَلُوبُ.

قال بعضُ الحكماء:

لو كانت الملوكُ تعرفُ مقدارَ حاجتهم<sup>(٢)</sup> إلى ذوي الرأي من الناس  
مثل الذي يعرفُ أهلُ الرأي من حاجتهم<sup>(٣)</sup> إلى الملوكِ، لم أرَ عجباً أن  
ترى<sup>(٤)</sup> مواكبَ الملوكِ على أبوابِ العلماءِ، كما ترى<sup>(٥)</sup> مواكبَ العلماءِ على  
أبوابِ الملوكِ<sup>(٦)</sup>. (٢٢ ب)

\* \* \*

= وقد ورد البيت غير منسوب في خاص الخاص (ص ٢١) وفيه (يدفع ظلامته) وانظر حول  
البيت الحيوان (٣/ ٤٥)، العمدة (١/ ٢٥٧)، نهاية الأرب (٢/ ١١٤)، التمثيل  
والمحاضرة (٣١٥)، وقد أصبح شطره الثاني مثلاً من الأمثال (بجمع الأمثال / ١ / ٢١ رقم ٥٤)  
ويضرب لمن يخذله ناصره.

(١) غ: فتموحت، بالخاء المهملة وهذه العبارة ليست في ط.

(٢) غ: حاجتها، والتصحيح من آداب النفس وفي ط: حاجاتها.

(٣) غ: حاجته، والتصحيح من ط ومن آداب النفس.

(٤) ط: لم أرَ عجباً ترا - كذا - وفي غ: يرى.

(٥) غ: يرى.

(٦) قول بعض الحكماء: «لو كانت الملوك تعرف مقدار حاجتهم.. إلخ» أورد السيد محمد  
العيناتي العاملي هذا القول ونسبه إلى كسرى في وصيته إلى الهرمزان بلفظ: «وفي وصية كسرى إلى  
الهرمزان: أما بعد فإنه لو كان الملوك يعرفون من حاجتهم إلى ذوي الرأي مثل الذي يعرف  
أهل الرأي من حاجتهم إلى الملوك لم يكن عجباً أن ترى مواكب الملوك على أبواب العلماء  
كما ترى مواكب العلماء على أبواب الملوك» (آداب النفس ص ٢٥) وقد نقل الماويدي تعليلاً  
منسوباً إلى بزرجهر بلفظ: «وقيل لبزرجهر: العلم أفضل أم المال؟ فقال: بل العلم. قيل  
فما بالناس ترى العلماء على أبواب الأغنياء، ولا نكاد نرى الأغنياء على أبواب العلماء؟ فقال:  
ذلك لمعرفة العلماء بمنفعة المال، وجهل الأغنياء بفضل العلم» (أدب الدنيا والدين ص ٢٦).

[الفصل الثالث عشر]  
[الأخلاق المتقابلة في الملوك]

وَلْيَعْلَمِ الْمَلِكُ أَنَّ أَرْبَعَةَ أَخْلَاقٍ مُتَقَابِلَةٌ لَيْسَ يَعْرِى مِنْهَا أَوْ مِنْ أَبْدَالِهَا  
مَلِكٌ؛ فَإِنْ اسْتَعْمَلَتْ فِي مَوَاضِعِهَا وَوَقَفَ مِنْهَا عَلَى حُدُودِهَا خُيِّدَتْ، وَإِنْ  
اسْتَعْمَلَتْ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا، أَوْ خَرَجَتْ عَنْ حُدُودِهَا إِلَى زِيَادَةٍ أَوْ تَقْصِيرٍ  
دُمَّتْ:

[١ - الرقة والرحمة]:

فَأَحَدُهَا الرِّقَّةُ وَالرَّحْمَةُ، تُحْمَدُ عِنْدَ اعْتِدَالِهَا، وَفِي مَوَاضِعِهَا، وَتُدْمُ عِنْدَ  
غَلَبَتِهَا وَمِيلِهَا؛ لِأَنَّهَا إِذَا غَلَبَتْ أَفْضَتْ إِلَى تَرْكِ الْحُدُودِ، وَإِضَاعَةِ الْحَقُوقِ،  
وَذَلِكَ دَاعٍ إِلَى هِيَاجِ طَبَاعِ الْمَفْسُدِينَ، وَتَحْرِيكِ مَطَامِعِ الْمُتَقَلِّبِينَ، فَيَنْحَلُّ  
مِنْ عَرَى السِّيَاسَةِ مَا كَانَ بِالرَّهْبَةِ مُلْتَمِئًا، وَتَخَوُّفِ الْعُقُوبَةِ مُنْتَظِمًا.

وَمَنْ نَسِبَ إِلَى رَحْمَةٍ تَبْطُلُ حِدًّا، أَوْ تَضِيْعُ حَقًّا، أَوْ تُحْدِثُ فِسَادًا، كَانَ  
الْفِسَادُ عَلَيْهِ أَعْوَدًا، وَهُوَ لِنَظَرِهِ وَسِيَاسَتِهِ أَفْسَدُ، وَصَارَ - كَمَا قَالَه  
الْمُتَقَدِّمُونَ - كَالطَّبِيبِ الَّذِي يَرْحَمُ الْعَلِيلَ مِنْ مَرَارَةِ الدَّوَاءِ، وَالْمِ الْحَدِيدِ،  
فَتَوَدِّيهِ رَحْمَتُهُ إِلَى هَلَكَتِهِ، وَتَسْوِغُهُ الشَّفَقَةَ إِلَى مَنِيَّتِهِ، فَتَصِيرُ رَحْمَتُهُ لَهُ أَبْلَى  
مِنْ قَسْوَتِهِ، وَرَفَقُهُ بِهِ أَضْرُّ مِنْ غَلْظَتِهِ.

وَالرَّحْمَةُ خَلْقٌ مُرَكَّبٌ مِنَ الْوَدِّ وَالْجَزَعِ.

[٢ - القسوة والغلظة]:

ثُمَّ الْخَلْقُ الثَّانِي الْمُقَابِلُ لِهَذَا الْخَلْقِ وَهُوَ الْقَسْوَةُ وَالْغَلْظَةُ فَإِنَّهَا إِذَا  
غَلَبَتْ أَفْضَتْ إِلَى مَجَاوِزَةِ الْحُدُودِ فِي الْحَيَاةِ، وَعُقُوبَةِ الْأَخْيَارِ الْمَبْرَأَةِ،  
وَالْمَوَاحِذَةِ بِالتَّهْمِ وَالظَّنُونِ، وَالتَّسْوِيَةِ بَيْنَ الشُّكِّ وَالْيَقِينِ، فَلَا يَأْمَنُ سَلِيمٌ،

ولا يَتَمَيِّزُ سَقِيمٌ، وفي ذلك من فسادِ السياسةِ بإيحاءِ المؤانسينَ، وخبثِ سرائِرِ المناصحينَ ما يجعلُ كلَّ وليٍّ خصماً، وكلُّ معينٍ التائبِ<sup>(١)</sup>.

وربّما ظنَّ بعضُ الولاةِ أنَّ القساوةَ صرامةٌ، فعدَلَ عن الاقتصادِ والسدادِ إلى ضدهما، وتجاوزَ حكمَ الدينِ والسياسةِ إلى غيرهما، ولا خيرَ (٢٣ آ) في العدولِ عن واحدٍ منهما، وقد قالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم:

«أشدُّ النَّاسِ عذاباً يومَ القيامةِ أشدُّهم عذاباً للناسِ في الدُّنيا»<sup>(٢)</sup>

وإنما الصرامةُ قلةُ الغفلةِ عن الجرائرِ، ومعرفةُ الأمورِ على الحقائقِ، حتى لا يتدلَّسَ عليه السقيمُ بالسليمِ، والخائنُ بالأمينِ، ولا يتصوَّرَ الخالِعُ بصورةِ الطائعِ.

والقساوةُ تهونُ في الحدودِ، وتعدُّ في الحقوقِ، يبعثُهُ عليه اتباعُ شهوتهِ، وتحكيمُ سطوتهِ.

وإذا اعتدلَ فيه هذانِ الخلقانِ فرَّقَ لأهلِ الحقِّ، وعنَّفَ لأهلِ الباطلِ، اعتدلتُ سيرتهُ، وصحَّحتُ سياستهُ.

والقسوةُ خلقٌ مركَّبٌ من البغضِ والجرأةِ.

### [ ٣ - السماحةُ والعطاءُ: ]

ثم الخلقُ الثالثُ وهو السماحةُ والعطاءُ فإن وقفَ على حدِّه<sup>(٣)</sup>،

(١) التائبُ كذا في الأصل غ وليست في ط. والآلت البهتان وربما كانت مصفحة عن (الأي) وصف من الألم.

(٢) حديث: «أشدُّ النَّاسِ عذاباً يومَ القيامةِ أشدُّهم عذاباً للناسِ في الدُّنيا» أورده المؤلف في كتابه الأمثال والحكم (الورقة ٤٩٩ أ) بلفظه وقد سقطت منه عبارة (في الدنيا) ولم يذكر راويه. وقد رواه الإمام أحمد وابن حبان عن خالد بن الوليد والحاكم عن عياض بن غنم وهشام بن حكيم في حديث صحيح (الجامع الصغير ١ / ٤٢) وانظر أيضاً (التيسير بشرح الجامع الصغير ١ / ١٥٤) وقد أخرجه عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده عن خالد بن الوليد بلفظه: «أشدُّ النَّاسِ عذاباً عندَ الله يوم... الخ» (المسند ١ / ٢٥٥-٢٥٦ الحديث رقم ٥٦٢) وهو في مسند أحمد بالإسناد نفسه (مسند أحمد ٤ / ٩٠).

(٣) قوله: «وقف على حدِّه...» أي تعريفه، وهو هنا سيذكر حدَّ السخاء الذي دونه في أدب =

وهو بذل ما يحتاج إليه عند الحاجة، وإيصاله إلى مستحقه بحسب الطاقة، كان محموداً البذل، مشكور العطاء.

وإن تجاوزَ هذا الحدَّ فأعطى في غير حقٍّ، وبذل من غير تقديرٍ، صارَ منسوباً إلى التبذيرِ والإضاعةِ، وصارَ بإزاءِ تبذيره حقوقَ مضاعةٍ.

قيل: كلُّ شرفٍ فيإزائه حقٌّ مضيعٌ<sup>(١)</sup>.

وإذا انتشرَ أن أمواله تُنالُ بغيرِ استحقاقٍ، وتدرُكُ بغيرِ سعيٍ، ثارتَ به مطامعُ المحتذين<sup>(٢)</sup>، وتكاثرتْ عليه وفودُ السائلينَ، الذينَ ألفوا كَلْفَ الاحترافِ، واستبدلوا به دنيَّ الاعترافِ، فإن رامَ رضَى جميعهم لم يُطقْ؛ لاتساعِ آمالهم، وقوةِ أطماعهم، ولو أطاقَ لأفسدَ سعيَ اتباعه، وتخبثتْ نياتُ أشياعه؛ إذ سَوَى في العطاءِ بينهم؛ وبين من لم يسعْ (٢٣ ب) سعيهم، ولا سدَّ في الموازرةِ والمظاهرةِ مسدَّهم.

قال بعضُ الحكماءِ:

لا خيرَ في السرفِ ولا سرفَ في الخيرِ<sup>(٣)</sup>.

= الدنيا والدين (ص ١٦٩). وقد عقد الجاحظ فصلاً للسخاء والحياء في كتاب التاج في أخلاق الملوك (ص ١٣٩).

(١) قوله: «قيل كل سرف فيإزائه حق مضيع» أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٧١) ونسبه إلى معاوية، وهو في التمثيل والمحاضرة (ص ٣١) منسوب إلى معاوية أيضاً وأورده فيه بلفظ: «ما رأيت تبذيراً إلا وإلى جانبه حق مضيع» وأورده ابن مسكويه في حكم العرب وأمثالها السائرة مرتين في كتابه الحكمة الخالدة ولم ينسبه لقائل في الموضوعين أحدهما بلفظ «مع كل سرف حق مضيع» (ص ١٧٧) والثاني بلفظ «مع كل شرف حق مضيع» بالشين وهو تصحيف (ص ١٩٨).

(٢) المحتذون جمع محتذ وهو طالب العطاء: يقال: أخذتُه أخذية إحداء أعطيتُه ومنه حديث: «مثل الجليس الصالح مثل الداري إن لم يحذك من عطره علقك من ربحه» أي إن لم يعطك (النهاية في غريب الأثر ١ / ٣٥٨) مادة (حذا).

(٣) قوله: «قال بعض الحكماء: لا خير في السرف ولا سرف في الخير» أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين مرتين ونسبه في الأولى إلى المأمون وهو فيها بلفظه (ص ١٧١) ونسبه في الثانية إلى الحسن بن سهل إذ ورد أنه قال: «إذا لم أعط إلا مستحقاً فكأنني أعطيت غريباً، وقال: «الشرف في السرف، فقيل له: لا خير في السرف. فقال: ولا سرف في الخير» (ص ١٧٥) وأورده صاحب رسالة كلمات مختارة بلفظ: «قال ثعلب: قلت للحسن بن سهل وقد كثُر =

وإنَّ حَصَّ بِالْعَطَاءِ قَوْمًا وَحَرَمَ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ مَنْ أَعْطَاهُ وَهُوَ غَيْرُ  
مُسْتَحِقٍّ، وَبَيْنَ مَنْ حَرَمَهُ فَرَقٌ، وَلِحَقُّهُ مِنْ ذَمٍّ مِنْ حَرَمِهِ أضعافٌ ما لِحَقُّهُ مِنْ  
حَمْدٍ مِنْ وَصَلَتِهِ، وَلَيْسَ يَمْنَعُ هَذَا مِنَ التَّبَرُّعِ بِالصَّلَةِ، وَمَنْ مَرَاعَاةً مِنْ أُمَّتٍ  
بِجَرْمَةٍ إِذَا ظَهَرَتْ أَسْبَابُهَا، وَتَلَوَّحَ صَوَابُهَا، لِأَنَّ الْمَلُوكَ مَطَالِبُ ذَوِي  
الْحَاجَاتِ، وَذَخَائِرُ ذَوِي الْحُرْمَاتِ. وَهَذَا فِي حَقُوقِ السَّاسَةِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ:

وَالسَّخَاءُ خَلَقَ مَرَكَّبٌ مِنَ الْحَيَاءِ وَالْإِيثَارِ.

[٤ - الْبَخْلُ وَالْإِمْسَاكُ]:

ثُمَّ الْخَلْقُ الرَّابِعُ الْمَقَابِلُ لِهَذَا الْخَلْقِ وَهُوَ الْبَخْلُ وَالْإِمْسَاكُ الْمُؤَدِي  
إِلَى تَفْرِيقِ النَّصَحَاءِ، وَتَنْكِرِ الْأَلْبَاءِ، وَاسْتِطَالَةِ الْأَعْدَاءِ، فَإِنَّ الْأَمْوَالَ تَصِيرُ إِلَى  
الْمَلُوكِ لِتَوْضِعِ فِي حَقِّهَا، وَتَفَرِّقَ عَلَى مُسْتَحِقِّهَا، لَا لِيَعْدَلَ بِهَا عَنِ الْعَطَاءِ  
إِلَى الْمَنْعِ، وَعَنِ التَّفْرِيقَةِ إِلَى الْجَمْعِ.

وَقَدْ قِيلَ:

مَنْ جَمَعَ الْمَالَ لِنَفْعِ غَيْرِهِ أَطَاعُوهُ، وَمَنْ جَمَعَهُ لِنَفْعِ نَفْسِهِ  
أَضَاعُوهُ<sup>(١)</sup>.

= عطاؤه: لا خير في السرف، فقال: لا سرف في الخير، فردّ اللفظ واستوفى المعنى (ص ٣٤) وسراج الملوك (ص ٩١)، وأورده الثعالبي بلفظ «وكان الحسن بن سهل يقول: الشرف في السرف، فإذا قيل له: لا خير في السرف، قال: ولا سرف في الخير، فيرد اللفظ ويستوفى المعنى» كتاب من غاب عنه المطرب (ص ٢٩٠) وكتاب (التمثيل والمحاضرة ص ١٣٥) وكتاب (الإيجاز والإعجاز ص ٢٥) وكتاب (خاص الخاص ص ٨) وفي أقوال علي رضي الله عنه «ليس في سرف شرف» وهو مناقض لما سبق (انظر غرر الحكم ٢٥٨) وكان يقال: «الشرف في السرف» (عيون الأنباء ١ / ٣٤٢) وقد نظم هذا المعنى محمد بن حازم فقال:

لا الفقير عار ولا الغنى شرف ولا سخاء في طاعة سرف  
مالك إلا شيء تقدمه وكل شيء آخره تلف  
انظر سراج الملوك (٩١).

(١) قوله: «من جمع المال لنفع غيره أطاعوه...» أورده عبد الواحد الأمدي ضمن الأقوال المنسوبة لعلي رضي الله عنه بلفظ «من جمع المال لينتفع به الناس أطاعوه، ومن جمع لنفسه أضاعوه» (غرر الحكم ٢٨٢) وهو غير منسوب في أحسن المحاسن بلفظه وفيه «... لنفع الناس أطاعوه...» (ص ١٦٢).



وإذا شحَّ ومنع اعتقد كل ممنوع أنه غريمٌ مماطلٌ، مستحقٌ مدفوعٌ، لا يعذر إن منع، ولا يشكر إن أعطى، يرى أن أيام السلامة مغرمٌ، وأن أيام الاختلاط مغنمٌ، فهو على رصدٍ من تقلب الزمان، وتوقع الغير والحدثان، ثم تدعوه الضرورة إن تطاولت به المدة إلى الخيانة في أمانته، والغش في نصيحته، وقبول الرشا في مضرته، فيعكس<sup>(١)</sup> عليه قواعد دولته، ويفسد له<sup>(٢)</sup> نظام مملكته.

قال بعض الحكماء:

إذا بخل (٢٤ آ) الملك كثرت أراجيف الناس عليه، وفسدت مودتهم له<sup>(٣)</sup>.

وإذا اعتدل فيه هذان الخلقان في العطاء والمنع، فلم ينقبض في حق، ولم ينبسط في باطلٍ وسرفٍ، صلح واستصلح.

وقال هشام بن عبد الملك<sup>(٤)</sup>:

إنا لا نعطي تذبذباً ولا نمنع تقتيراً، إنما نحن خزان الله عز وجل، فإذا أحب<sup>(٥)</sup> أعطينا، وإذا كره آيينا، ولو كان كل قائل يصدق، وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلًا، ولا رددنا سائلًا<sup>(٦)</sup>.

والبخل خلق مركب من القحّة والأسف.

(١) غ: فيعكس.

(٢) غ: ويفسدها نظام.

(٣) قولهم: «إذا بخل الملك كثرت أراجيف الناس عليه...» أورده أبو حيان التوحيدي منسوباً إلى أفلاطون بلفظ «إذا بخل الملك بالمال كثر الإرجاف به...» (الإمتاع والمؤانسة ٢ / ٤٦). وقال ابن المقفع فيما قال: «... وليس له أن يبخل؛ لأنه أقل الناس عذراً في تحوف الفقير...» (الأدب الكبير ١١٤).

(٤) هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي المتوفى ١٢٥هـ انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٤٧-٢٥٠.

(٥) غ: فإذا شاء أعطينا، والتصحيح من الأمثال والحكم.

(٦) قول هشام: «إنا لا نعطي تذبذباً...» تجده في كتاب الأمثال والحكم للماوردي (الورقة ٦٣ ب) بلفظه نفسه منسوباً إليه.

فهذه أخلاقٌ إذا أخذَ الملكُ نفسه بتعديلها فيه اتسقت له السياسةُ العادلةُ، وانتظمت له السيرةُ الفاضلةُ.

فإن خرجَ الملكُ عن القصدِ والاعتدالِ المحمودِ في العطاءِ والمنعِ إلى أحدٍ<sup>(١)</sup> الطرفين المذمومين من زيادةٍ في العطاءِ بسخائه، أو زيادةٍ في المنعِ ببخله، فقد تنقسمُ أحوالُ الملوكِ فيها أربعةَ أقسامٍ:

أحدهما: ملكٌ سخِيٌّ على نفسه سَخِيٌّ على رعيتهِ.

والثاني: ملكٌ بخيلٌ على نفسه بخيلٌ على رعيتهِ.

والثالث: ملكٌ سخِيٌّ على نفسه بخيلٌ على رعيتهِ.

والرابع: ملكٌ بخيلٌ على نفسه سَخِيٌّ على رعيتهِ.

وقد اختلفت طوائفُ الأممِ: أيُّ الأربعةِ أقربُ إلى الصوابِ، وأبعدُ من العيبِ، وإن لم يخلُ بالخروجِ عن الاعتدالِ من خطأٍ وعيبٍ على أربعةِ آراءٍ:

ف رأيُ الرومِ: أن أقربهم إلى الصوابِ وأبعدهم من العيبِ هو البخيلُ على نفسه وعلى رعيتهِ؛ لأنه مستبِقٌ وغير مستهلكٍ.

ورأيُ الهندِ: أن أقربهم إلى الصوابِ وأبعدهم من العيبِ هو السخيُّ على نفسه السخيُّ على رعيتهِ، لأنه متفَعٌّ ونافعٌ.

ورأيُ الفرسِ: أن أقربهم إلى الصوابِ وأبعدهم من العيبِ هو السخيُّ على نفسه البخيلُ (٢٤ ب) على رعيتهِ؛ لأنهم يَرَوْنَ تنعيمَ النفوسِ من الواجباتِ، فكانَ حقُّ نفسه أحقَّ به من حقِّ غيره<sup>(٢)</sup>.

ورأيُ العربِ: أن أقربهم إلى الصوابِ، وأبعدهم من العيبِ هو البخيلُ على نفسه السخيُّ على رعيتهِ؛ لأنه يثَارُ غيره على نفسه.

(١) غ أخذ- بالذال المعجمة.

(٢) مثل هذا الرأي نجد رأياً لسقراط إذ يقول: «من بخل على نفسه فهو على غيره أبخل، ومن جاد على نفسه فذلك المرجو جوده» (مختار الحكم ومحاسن الكلم ٩٣) ولعلي رضي الله عنه: «من بخل على نفسه كان على غيره أبخل» (غور الحكم ٢٨٣) وهذا القول الأخير غير منسوب في (أحسان المحاسن ١٥٨).

وقد جاء القرآن بما يظهر هذا [في] قول الله عز وجل:  
 «وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ  
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»<sup>(١)</sup>.

وقد ظهر ذلك في أشعار العرب حتى قال بعضهم<sup>(٢)</sup>: [من الطويل]  
 وَإِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ هَمَّهُ  
 وَفَرَجَكَ نَالًا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعًا<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

(١) سورة الحشر آية رقم ٩.

(٢) قوله: «قال بعضهم...» قلت هو حاتم الطائي الشاعر المشهور وكان أحد أجواد العرب  
 وبه يضرب المثل في الكرم وله صلة بعبيد بن الأبرص والنابعة، وابنه عدي الصحابي  
 الجليل، أنظر أخباره في: الشعر والشعراء ٧٠-٧٥، الأغاني بولاق ١٦ / ٩٦-١١٠،  
 (ساسي): ٩٣-١٠٦، أمالي القالي ٣ / ١٥٤-١٥٨، تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ / ٤٢١-٤٢٩  
 خزائن الأدب ١ / ٤٩٤، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ١ / ١١١-١١٢  
 وديوانه طبع في لندن ١٨٧٢، ولاهور ١٨٧٨ وطبعات أخرى كثيرة منها في ليبزج ١٨٩٧،  
 وضمن مجموع بالمطبعة الوهية بالقاهرة ١٢٩٣ ودار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٨ وفي هذه  
 الطبعة مقدمة عن حياته في ٢٣ صفحة.

(٣) قوله: «وإنك إن أعطيت بطنك هم... الخ البيت» تجد هذا البيت في ديوان حاتم الطائي  
 المطبوع ضمن مجموع بالمطبعة الوهية ص ١١٤ مع ثلاثة أبيات وهي -أعني الأبيات الأربعة-  
 في شرح ديوانه (دار الكتاب العربي) ص ٦٩ والبيت فيه بلفظ «وإنك مهما تعط بطنك  
 سؤاله...» وفي البيان والتبيين ٣ / ٣٠٨ منسوباً إليه مع أربعة أبيات بلفظ «وإنك مهما تعط  
 بطنك سؤاله...» وبهذا اللفظ الأخير ورد في شرح نهج البلاغة ٤ / ٣٨٠، ٤٧٦ وهو  
 منسوب إليه في الموضوعين، وورد في موضع آخر منه بلفظ «فإنك إن أعطيت نفسك  
 سؤالها...» (٤ / ٣٨١) وغير منسوب في موضع رابع (١ / ٢٧٤) وقد ورد في الشعر  
 والشعراء (السقا) ص ٧٥ بلفظ «فإنك إن أعطيت بطنك سؤاله» وفي التذكرة السعدية  
 ١ / ٣٤٧ بلفظ... سؤاله... وكذا في تنقيف اللسان ١٧٤ وهو في هذا الأخير غير  
 منسوب لأحد، وقد أورده الثعالبي منسوباً إليه بلفظ «وأنت إذا أعطيت بطنك سؤاله» في  
 التمثيل والمحاضرة ص ٥٥ وقد أورده الماوردي في كتابيه أدب الدنيا والدين ص ٢٠١ والأمثال  
 والحكم الورقة ٣٦٦ ب دون أن ينسبه إلى أحد في الموضوعين.

## [الفصل الرابع عشر]

## [الوفاء بالعهد]

[مزايا الوفاء بالعهد]:

وَلْيَعْلَمَ الْمَلِكُ أَنَّ مِنْ قَوَاعِدِ دَوْلَتِهِ الْوَفَاءَ بِعَهْدِهِ؛ فَإِنَّ الْغَدْرَ قَبِيحٌ، وَهُوَ بِالْمَلُوكِ أَقْبَحُ، وَمُضْرٌ، وَهُوَ بِالْمَلُوكِ أَضْرٌ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُوَثِّقْ مِنْهُ بِالْوَفَاءِ عَلَى بَدَلِهِ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ مِنْهُ تَصْدِيقُ قَوْلِهِ بِفِعْلِهِ، وَوُسِمَ بِنَقْضِ الْعُقُودِ، وَنَكْثِ الْعَهْدِ، قَلَّ الرُّكُونُ إِلَيْهِ، وَكَثُرَ النُّفُورُ مِنْهُ وَعَنْهُ.

وَانْعِقَادُ الْمَلِكِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالرُّكُونِ الْمَوْجِبِ لِلِاسْتِسْلَامِ وَالطَّاعَةِ الْبَاعِثَةِ عَلَى النَّصْرَةِ<sup>(١)</sup>؛ لِيَصِيرَ النَّاسُ مَعَ الْمَلِكِ مِنْ بَيْنِ مُسْتَسْلِمٍ إِلَيْهِ، وَنَاصِرٍ لَهُ، وَبِهَذَيْنِ يَكُونُ الْمَلِكُ مُنْعَقِداً.

فَإِذَا نَفَرَهُمُ الْغَدْرُ، انْتَقَضَتْ قَوَاعِدُهُ؛ لِزَوَالِ الْاسْتِسْلَامِ، وَقِلَّةِ التَّنَاصُرِ.

وَإِذَا عَرَفَ الْأَعْدَاءُ الْوَفَاءَ مِنْهُ لَانْوَاءِ، وَطَالَ عَلَيْهِمُ بِالنَّصْرَةِ<sup>(٢)</sup> فَهَانُوا، وَقَوِيلٌ عَلَى غَدْرِهِ بِمَثَلِهِ، فَدَانَ لَهُ النَّاسُ بِمَثَلِ مَا دَانَ:

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
«كَمَا تَدِينُ تُدَانُ»<sup>(٣)</sup>

(١) غ: النصيرة

(٢) غ: بالنصرة.

(٣) حديث «كما تدين تدان» أورده البخاري تعليقاً في كتاب التفسير من صحيحه (صحيح البخاري ٣ / ٦٤). والحديث رواه أبو نعيم والديلمي من حديثه وحديث غيره كلاهما من جهة مكرم بن عبد الرحمن الجوزجاني عن محمد بن عبد الملك الأنصاري عن نافع عن ابن عمر رفعه في حديث لفظه: «البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، فكن كما شئت فكما تدين تدان» ومن هذا الوجه أورده ابن عدي في الكامل وضعف محمداً، لكن أخرجه البيهقي عن أبي قلابة مرسلًا، وأخرجه غيره (انظر المقاصد الحسنة ص ٣٢٦ رقم ٨٣٤) وكتاب (كشف الخفاء ٢ / ١٨٣-١٨٤ رقم ١٩٩٦) ورواه عبد الرزاق في الجامع بلفظ «البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان» عن =

قال الشاعر<sup>(١)</sup>: [من الطويل]

وعندي قروض الخير والشر كلها  
فبؤسى لدى بؤسى ونعمى بأنعم<sup>(٢)</sup>

فإذا لا شيء أضرب بالملك من الغدر، ولا أنفع له من الوفاء.

[مساوىء الغدر]:

وربما استسهل غدره، ينتهزها فرصة، فسامح نفسه بها، وجعلها من الذنوب المكفرة بالتوبة، ولا يعلم أنها أنكى في مملكته من عدو (٢٥ آ) قاهر، ومتغلب جائر؛ لأنهم قد وسموه بها، وإن ندرت، واكتفوا بها وإن

= أبي قلابة مسلماً في حديث حسن (الجامع الصغير ١ / ١٢٧) ووصله أحمد في الزهد بإثبات أبي الدرداء (التيسير بشرح الجامع الصغير ١ / ٤٣٩) وقد أورده الماوردي عن طريق محمد بن عبد الملك المدائني عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت، فكن كما شئت، وكما تدين تدان» (أدب الدنيا والدين ص ٨٧) و(أدب الوزير ص ١٤) وأورده عبد الواحد الأمدي موقوفاً على علي بلفظ «كما تدين تدان» (غور الحكم ٢٤٨) وانظر كتاب (٢٠٠٠ كلمة ص ٨٠ رقم ١٨٩٣) وقد ورد كمثل من الأمثال (معجم الأمثال ٢ / ١٥٥ رقم ٣٠٩٤) و(خاص الخاص ص ٢٤) وقد نظم بعضهم هذا الحديث فقال:

أحسن	وأنت	معان	يا	أيها	الإنسان
إن	الأيادي	قروض	كما	تدين	تدان

(انظر التمثيل والمحاضرة ص ٤٣٢).

(١) قوله: «قال الشاعر» قلت هو أوس بن حجر بن عتاب الشاعر الجاهلي المشهور كان زهير ربيبه وراويته، نادم ملوك الحيرة، وكان عاقلاً في شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق، وقد سبق إلى دقيق المعاني وإلى أمثال كثيرة وقد نشرت أشعاره في فينا ١٨٩٢ انظر نبذة من أخباره في الأغاني (بولاق) ١٠ / ٦-٨، (ساسى) ٥-٨، الشعر والشعراء (السقا) ٤٧-٤٩، الموشح للمرزباني ٦٣، خزانة الأدب ٢ / ٢٣٥، معاهد التنصيص ١ / ١٣٢، سمط اللاتي ٢٩٠، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية ١١٢-١١٣).

(٢) قول الشاعر: «وعندي قروض الخير... إلخ» ذكره الماوردي في الأمثال والحكم (الورقة ٥٣ آ) منسوباً إلى أوس بن حجر، وقد جاء به بلفظه الموجود هنا، وقد ذكره البحترى منسوباً لأوس أيضاً بلفظ: «... والشر مثله... لأنعم» (الحماسة ٢٥٢). وقد أورده ابن السكيت مع بيت آخر بعده ونسبها لأوس أيضاً بلفظ:

شدت، ولا يقبلون توبته، ويجعلون ما يعقبها من الوفاء اضطراراً، ومن العذر اختياراً، فلا يكون في وفائه مشكوراً ولا في عذره معذوراً.

وقد قيل:

ما لغادرٍ عاذرٌ

وربما تأول الملك في غدره تأويلاً يجعله عذراً لنفسه، فلا يجد من الناس عاذراً، ولا يكون عندهم إلا غادراً، لأنهم يحملون الأمور على ظواهرها، ولا يكشفون عن غوامضها، فيقضون بسقم الظاهر على سلامة الباطن، وبفساد العيان على صلاح الكامن، تغليباً على السرائر.

وما ينفعه أن يعذر نفسه، وهو عند الناس غير معذور، ويشكرها وهو عندهم غير مشكور.

قال بعض الحكماء:

الوفاء من الملوك يجلب إليهم نفوس الرعايا وأموالها، وقلة الوفاء يقبض نفوس الرعايا وأموالها<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

= فعندي قروض الخير والشر كلها  
وما أنا إلا مستعد كما أرى  
(انظر كثر الحفاظ بتهديب الألفاظ لابن السكيت بتهديب الخطيب التبريزي ص ٤٠٦) وقد  
أخذ هذا المعنى حسان بن ثابت فقال:  
فكل معد قد جزينا بصنعه  
فيؤسى بيؤساها وبالنعم أنعمها  
(انظر ديوان حسان ١ / ٣٦).

(١) قول بعض الحكماء: «الوفاء من الملوك... الخ» أورده المبرهن بن فاتك منسوباً إلى أفلاطون ضمن حكمه وأدابه بلفظ: «الوفاء من الرؤساء يجلب إليهم تعزيز الرعايا بأنفسهم وأموالهم، وحسد الملوك يخفي بهجة الملك» (مختار الحكم ومحاسن الكلم ص ١٦٨).

## [الفصل الخامس عشر]

[الحسد]<sup>(١)</sup>

[تجنب الحسد]:

ومما يجب على الملك: أن يحفظ نفسه من الحسد؛ فإنه خلق ديني، وطبع ردي، فهو في عموم الناس مذموم، وفي أخلاق الملوك أذم؛ لأن قدر الملك يجل عن دناءته<sup>(٢)</sup>، ومنزلة المحسود مستصغرة في عظم همته.

قال بعض الحكماء:

حسد الملوك يخفي بهجة الملك<sup>(٣)</sup>.

ولو لم يكن في الحسد من الذم إلا ما يُفضي إليه من تفضيل المحسود لكفى ذا القدر خمولا<sup>(٤)</sup>، وذا الفضيلة نقصاً<sup>(٥)</sup>، فكيف بأثره إذا وصم، وبضرره إذا قصم؟.

قال ابن المقفع:

الحسد والحرصُ يكثرُ الذنوبَ، وأصلُ المهالكِ، أما الحسدُ فأهلك إبليسَ، وأما الحرصُ فأخرج آدمَ من الجنةِ.

وفي الحسدِ نوعاً ذمٌّ: يختصُّ أحدهما بظاهره، والآخرُ بباطنه:

فأما الأخصُّ بالظاهر: فهجته إذا عُرفَ، وقبحه إذا وُصفَ؛ لأنه في

(١) عن الحسد عقد المؤلف فصلاً في الحسد والمنافسة، وهو الفصل السادس من باب أدب النفس من كتاب أدب الدنيا والدين (من ص ٢٤٤-٢٤٩)، وقال في تعريفه: «وحقيقة الحسد شدة الأسي على الخيرات تكون للناس الأفاضل، وهو غير المنافسة» (ص ٢٤٥).

(٢) غ: دناءة.

(٣) قولهم: «حسد الملوك... إلخ» أورده المبرش بن فاتك متسوّباً إلى أفلاطون بلفظه ضمن كلام مرّ قبل قليل، (مختار الحكم ١٦٨).

(٤) غ: حمولاً.

(٥) غ: نقضاً.

الظاهر شدة الأسي على (٢٥ب) الخير أن يكون للناس الأفاضل<sup>(١)</sup>، وظاهر هذا قبيح إذا ذكّر، وشائع إذا ستر<sup>(٢)</sup>، وخاصة الملوّك الذين هم أس الفضائل، ومعدن الخيرات.

وأما الأخصّ بالباطن<sup>(٣)</sup>: فكأن القلب بغمّه، وهذا الجسد بسقمه، لا يجد لقلبه سلوا، ولا لجسده هدوا، وهذا عذاب جنته يداه، والمحسود قريّر العين، وادع الجسد، قد ضرر ولم يستضر.

وقيل:

ليس في خصال الشرّ شيء أعدل من الحسد؛ لأنه يبدأ بإضرار الحاسد قبل المحسود<sup>(٤)</sup>.

[المنافسة]:

وأما المنافسة<sup>(٥)</sup>: فهي غير الحسد، فلا بأس أن ينافس الأكفاء في فضائلهم، ويتشبه بالأخيار في محاسنهم، ويجتهد إن لم يزد عليهم أن لا يقصر عنهم، فما تكامل فضل الأخيار<sup>(٦)</sup> إلا بالافتداء بالأخيار؛ لأن لكل نفس في الخير حظا مطبوعا، وحظا مكتسبا؛ فإذا اجتمعا تكامل الخير بهما.

(١) قوله: «لأنه في الظاهر شدة الأسي على الخير أن يكون للناس الأفاضل» هو نفس ما عرف به حقيقة الحسد (في أدب الدنيا والدين ٢٤٥) وقد جاء فيه بلفظ «وحقيقة الحسد شدة الأسي على الخيرات تكون للناس الأفاضل».

(٢) غ: سر.

(٣) غ: الباطل.

(٤) قوله: «وقيل: ليس في خصال الشرّ شيء أعدل من الحسد...» ذكر الماوردي هذا القول في أدب الدنيا والدين (٢٤٥) ونسبه إلى معاوية بلفظ: «ليس في خصال الشرّ أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود»، قيل لأنوشروان: «هل يقدر الحاسد أن يضر المحسود؟ قال: كيف يقدر على ذلك وهو لا يصل إلى ذلك إلا بشر يصل إلى نفسه، وإن زالت نعمة المحسود لم تصل إليه» (الحكمة الخالدة ٥٩).

(٥) قوله: «المنافسة غير الحسد» سيذكر بعد قليل الفرق بينهما.

(٦) غ: الأجناد.



والعربُ تقولُ:

لولا الوثامُ لهلكَ الأنامُ<sup>(١)</sup>.

أي لولا الناسُ يرى بعضهم بعضاً فيقتدي به<sup>(٢)</sup> في الخير، ويتهي به عن الشرِّ لهلكوا.

قيل لعيسى بن مريم عليه السلام<sup>(٣)</sup>:

من أدبكَ؟

قال:

ما أدبني أحدٌ، [ولكنني]<sup>(٤)</sup> رأيتُ جهلَ الجاهلِ فاجتنبته<sup>(٥)</sup>.

وربما غلطَ قومٌ فظنوا أنَّ المنافسةَ في الخير هي الحسدُ، وليس كما ظنوا؛ لأنَّ المنافسةَ طلبُ الشبيهِ بالأفاضلِ، [من غير إدخالِ ضررٍ عليهم]،<sup>(٦)</sup>

(١) غ: لولا الأوام هلك الأنام، وفي ط: قالت العرب: لولا الأنام هلك الأنام، والتصحيح من أدب الدنيا والدين ٩٦ إذ ذكره هناك بلفظه ومن كتب التخريج.

وقد ورد هذا القول في أمثال العرب (انظر كتاب الأمثال لأبي الوفاء محمد بن أحمد البساک ص ٩٣) وقال في شرحه: «الوثام: التشبيه بالكرام، والوثام أيضاً: المباهاة، يقول: لولا تشبه اللثام بالكرام هللكوا بخلا» ويروي المثل أيضاً بلفظ: «لولا اللثام هلك الأنام» أي لولا الموافقة هلك الناس (ص ٩٣ منه). وقد أورده أبو عبيد القاسم بن سلام بلفظ «لولا الكرام هلك اللثام» (أمثال أبي عبيد ص ١٣) وفي مجمع الأمثال (٢ / ١٧٦ رقم ٢٢٣٥) بلفظه، وقال: الوثام: الموافقة، يقال واهمه موامته ووثاماً وهي أن تفعل مثل ما يفعل، أي لولا موافقة الناس بعضهم بعضاً في الصحبة والمعاشرة لكانت الهلكة، هذا قول أبي عبيد وغيره من العلماء، وأما أبو عبيد فإنه يروي «لولا الوثام هلك اللثام» وقال: الوثام المباهاة، قال: إن اللثام ليسوا يأتوك الجميل من الأمور على أنها أخلاقهم وإنما يفعلونها مباهاة وتشبيهاً بأهل الكرم، ولولا ذلك هللكوا. ويروي «لولا اللثام هلك الأنام» من قولهم: لاءمت بينهما، أي أصلحت من اللأم، وهو الإصلاح، ويروي اللوام بمعنى الملاومة من اللوم.

(٢) في أدب الدنيا والدين: «فيقتدي بهم في الخير لهلكوا» ص ٩٦.

(٣) غ: صلوات الله عليه وسلامه، وما أثبتناه عن ط.

(٤) الزيادة من أدب الدنيا والدين ٢١٠ وليست في غ ولا في ط.

(٥) في أدب الدنيا والدين: فجانيته، وفي ط زيادة هي قوله «فصرت أديباً» والقول في أدب الدنيا والدين ص ٢١٠.

(٦) الزيادة من أدب الدنيا والدين ٢٤٥ وليست في غ ولا في ط.

والحسدُ مصروفٌ إلى الضرر؛ لأنَّ غايَتَهُ أَنْ يَعمَدَ الفاضلَ فضلَه، وإن لم يصرْ للحاسدِ مثله.

فهذا هو الفرقُ بين المنافسة والحسد<sup>(١)</sup>.

فصارت المنافسة خيراً والحسدُ شراً.

[الامتنان]:

ومما هو جديرٌ بالملك أن يجتنب الامتنانَ بإنعامه، والبذخَ بإحسانه؛ لأنه من ضيقِ النفس، وضعفِ المنة، وهو تابعٌ لفسادِ الأخلاق، وملحقٌ بمساوئِ الشيم، وفيه تكديرٌ للصنيع، وإحباطٌ للشكر، وإغراءٌ بالذم، فينعكسُ عليه ما صنع، فيصيرُ مسيئاً (١٦أ) بإحسانه، ومذموماً بامتنانه، فيعتاضُ بالإحسانِ كفرةً، وبالامتنانِ عصيئاً، إلا<sup>(٢)</sup> قوماً قد أظهرُوا<sup>(٣)</sup> كُفراً إحسانه، واستبطانَ عصيانه، فيخرجُ الامتنانَ عليهم مخرجَ الوعيدِ والتهديدِ، مقابلةً على ما أضاعوه من شكرِ إحسانه، فيكونُ ذلك منه استئنافَ إحسانٍ إليهم؛ لأنه تقويمٌ على ميلٍ، وتأديبٌ على ذلك.

وحسبك بدمِ الامتنانِ أن يصيرَ عصيئاً.

قال الشاعر<sup>(٤)</sup>: [من البسيط]

(١) العبارة من قوله: «وربما غلط قوم...» إلى هنا موجودة نصاً في كتاب أدب الدنيا والدين ٢٤٥.

(٢) غ: إلا أن قوماً. والتصحيح من السياق.

(٣) غ: أظهر.

(٤) قوله: «قال الشاعر» قلت هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي الشاعر المشهور بالملك الضليل، وشهرته بين الشعراء أشهر من قصيدته قفا نيك بين القصائد. انظر نماذج من شعره ونبذة من أخباره في الأغاني (بولاق) ٨ / ٧٢-٨٤، تاريخ دمشق لابن عساکر ٣ / ١٠٤-١١١ شرح شواهد المغنى للسيوطي ٦-٩، الشعر والشعراء (السقا) ٣١-٣٧، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ٩٧-١٠١، وقد نشر ديوانه في باريس ١٨٣٧ بعناية دي سلان وشرح شروحاً عديدة.

أَفْسَدْتُ بِالْمَنْ مَا أَسَدَيْتُ مِنْ حَسَنِ  
 لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أَسَدَى بِمَثَانٍ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

---

(١) قول الشاعر: «أفسدت بالمن...» أورده الماوردي في أدب الدنيا (ص ١٨٨) دون أن يعزوه إلى أحد، وكذا في عيون الأخبار (٣ / ١٧٧) بلفظه غير منسوب وهو في شرح ديوان امرئ القيس (ص ٢١٦) قاله حين امتن عليه رجل من طيء بمنة، وهو فيه بلفظ «ما أدليت من نعم...».

## [الفصل السادس عشر]

## [تصفح الأعمال]

[اعتیاد تصفح الأعمال]:

ليكن من دأبه التصفح في ليله أعمال نهاره<sup>(١)</sup>؛ فإن الليل أحضر للخاطر، وأجمع للذكر؛ ليكون ما فعله موقوفاً على استيضاح الرأي فيه، فإن كان صواباً أبرمه وأمضاه، واقتفى أثره فيما جانسه وضاهاه. وإن كان قد مال فيه عن سنن الصواب، وزلَّ عن نهج الاقتصاد، بادر إلى استدراكه فيما أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل؛ ليكون بالماضي معتبراً، وبالمستأنف خبيراً.

وليعلم أن ما صدر من أفعاله لا يخلو من ثلاثة أحوال:

إما أن يكون قد اقتصد فيها، ووقف منها على حدّها، وهو العدل المقصود، والغرض المطلوب.

أو يكون قد أفرط فيها فزادت؛ أو قصر فيها فنقصت، وكلاهما خروج عن العدل، وميل عن القصد.

فليعرف ذلك بسبره وتصفحهِ، وليمضِهِ بعد العلم بصوابه.

قال النبي عليه السلام:

(١) قال ابن المقفع: «وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساوئها في الدين وفي الرأي وفي الأخلاق وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدر أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه ويوظف ذلك عليها توظيفاً من إصلاح الخلة، أو الخلتين، والحلال في اليوم، أو الجمعة، أو الشهر، فكلما أصلح شيئاً معاه، وكلما نظر إلى ثابت اكتاب، وكلما نظر إلى محو استشر» (الأدب الصغير ٤٤ وفي رسائل البلغاء ص ١٢).

«إِذَا تَبَيَّنَتْ أَصَبَتْ أَوْ كَدَتْ تُصِيبُ، وَإِذَا اسْتَعْجَلْتَ أَخْطَأْتَ، أَوْ كَدْتَ تُخْطِئُ»<sup>(١)</sup>.

وليكن - مع ذلك - متصفحاً لأفعال غيره، فما أعجبته من جميلها واستحسنته من فضائلها بادّر إلى فعله، وزين نفسه بالعمل به، فإن السعيد من تصفح أفعال غيره فانتهى (٢٦ب) عن سيئها، واقتدى بحسنها، فنال هنيء المنافع، وأمن خطر التجارب، ووصل إلى الصواب بغير تكلف، وعمل بالحزم من غير تعنت.

[قال النبي عليه السلام:

«السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ»]<sup>(٢)</sup>.

وَوَجَدَ عَلَى حَجَرٍ بِالْهِنْدِ مَكْتُوبٌ:

(١) حديث «إذا ثبتت أصبت...» أورده الماوردي في الأمثال والحكم بلفظه عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه (الورقة ٢٨ أ) وفي أدب الوزير بلفظ «من تأنى أصاب أو كاد ومن عجل أخطأ أو كاد» (ص ٥٣) ونقله عنه النويري (نهاية الأرب ١٣٧/٦) والحديث أخرجه البيهقي عن ابن عباس بلفظ «إذا تأتيت أصبت أو كدت تصيب، وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطيء» كشف الخفاء ١/ ٨٨ رقم الحديث ٢١٥.

(٢) الزيادة من ط وليست في غ.  
وحديث «السعيد من وعظ بغيره» ذكره الماوردي في الأمثال والحكم بلفظه وفيه زيادة «والشقي من شقى في بطن أمه» وقد جاء به مروياً عن مصعب بن منظور عن عقبة بن عامر (الورقة ٤٢ ب) وأدب الدنيا والدين ٣٢٦ وأخرجه مسلم في كتاب القدر من صحيحه (انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٩٣) في حديث طويل، قال السخاوي: رواه مسلم من حديث عمرو بن الحارث عن أبي الزبير المكي عن عامر بن وائلة عن ابن مسعود، وهو عند العسكري في الأمثال من حديث ابن عون عن أبي وائل، وعند القضاعي من حديث إدريس بن يزيد الأودي عن أبي إسحق عن أبي الأحوص كلاهما عن ابن مسعود به مرفوعاً وأخرجه كذلك البيهقي في المدخل، وكذا هو في مسند البزار من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعاً لكن بلفظ «السيد من سعد في بطن أمه» وسنده صحيح. وكذا أخرجه الطبراني في الصغير من هذا الوجه، لكن مقتصر على «السعيد من سعد في بطن أمه» والعسكري من حديث عبد الله بن مصعب بن خالد بن زيد عن أبيه عن جده زيد بن خالد رفته: «السعيد من وعظ بغيره» ورواه القضاعي من هذا الوجه بتمامه، ويروي من حديث عبد الله بن مصعب عن أبيه أيضاً فقال: عن عقبة بن عامر =

من اعتبرَ بغيرِهِ لم تُصِبْهُ محنة<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر<sup>(٢)</sup>: [من البسيط]

إِنَّ السَّعِيدَ لَهُ فِي غَيْرِهِ عِظَةٌ

وفي التجاربِ تحكيمٌ ومُعْتَبَرٌ<sup>(٣)</sup>

= بدل زيد وهما ضعيفان، ولذا قال ابن الجوزي في أمثاله: إنه لا يثبت كذلك مرفوعاً، وفيه مع ما قدمت نظراً، بل قال شيخنا إنه صحيح، وسبقه لذلك شيخه العراقي «المقاصد الحسنة» ٢٤٠-٢٤١ الحديث رقم ٥٦١) و (كشف الخفاء / ١ / ٥٤٨ رقم الحديث ١٤٧٥) قال السيوطي رواه الطبراني في الصغير في حديث صحيح بلفظ «السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه» (الجامع الصغير ٢ / ٣٧) والحديث مثل من الأمثال السائرة (أمثال أبي عبيد ص ٥) و (مجمع الأمثال ١ / ٣٤٣ رقم ١٨٣٩) بلفظه وفي التمثيل والمحاضرة (ص ٢٨) بلفظ «من تعظ» وكذا في المكافأة (ص ١٤٧) وفي كتاب أبي العتاهية إلى سهل بن هرون بلفظ «السعيد من وعظ بغيره» (البصائر والذخائر ٤١) وانظر حوله (الأمثال للبرهان ٤٢) و (الإيجاز والإعجاز ص ٧) وهو من أقوال عمر رضي الله عنه (انظر رسالة في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ٢١٩)، وهو في الحماسة الشجرية ١ / ٢٧٥ .

(١) قوله: «ووجد على حجر بالهند مكتوب...» في ط: قيل إنه وجد على حجر بالهند به... إلخ وقد ذكره المؤلف في الأمثال والحكم بلفظه وقصته (الورقة ٣٧ آ).

(٢) قوله: «قال الشاعر» قلت هو الحارث بن حلزة الشكري وقد مرت ترجمته وذكر هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني أن قائله هو الحارث بن كلدة وربما كان ذلك تصحيحاً، (انظر الحماسة الشجرية ١ / ٢٧٤) على أن الجاحظ قد ذكر البيت ونسبه إليه بلفظ «وأشدوا للحارث بن حلزة الشكري» (البيان والتبيين ٢ / ١٠٦) وهو أسبق من صاحب الحماسة بلا شك. والحارث بن كلدة التقفي طبيب عربي اشتهر بالطب في الجاهلية وعاش حتى أدرك معاوية. انظر أخباره في عيون الأنبياء في طبقات الأطباء (بيروت) ٢ / ١٢، طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ٥٤ رقم ١٦، الإصابة ١ / ٢٨٨ رقم ١٤٧٥ والاستيعاب في هامشه في الصفحة نفسها.

(٣) قول الشاعر: «إن السعيد له في غيره عظة...» إلخ البيت» أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين (٣٢٧) دون أن يعزوه لقائل وقد أورده الجاحظ في البيان والتبيين ٢ / ١٠٦ مع بيت آخر منسوباً إلى الحارث بن حلزة وهو في الحماسة الشجرية ١ / ٢٧٤ مع ثلاثة أبيات نسبها إلى الحارث بن كلدة وقال عنه «هذا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «السعيد من وعظ بغيره» وعدّ جامع ديوان الحارث بن حلزة هذا البيت من منحول الشعر إلى الحارث (ديوان الحارث بن حلزة تحقيق هاشم الطعان ص ٢٣ رقم ١١).

ومن أقوالهم المشابهة لهذا المعنى:

في الشيب لي واعظٌ إن كنت متعظاً

وفي التجاربِ لي ناءٌ ومزدجرٌ

## [الحذر والاحتراس]:

ينبغي للسلطان أن لا يغفل عن الحذر والاحتراس؛ ليجعل التوكل على الأعداء وما تجري به الأقدار طريقاً إلى إضاعة الحزم، فيستسلم لنوائب الدهر؛ فإن الله تعالى أمرنا بالتوكل بعد الإنذار، وندب إليه بعد الإعداء، بذلك أنزل كتابه، وأمضى سنته فقال عز وجل:

«خُذُوا حِذْرَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

وقال:

«وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي عليه السلام:

«اعقلها وتوكل»<sup>(٣)</sup>.

وسئل: ما الحزم؟

قال: «الحذر».

وقيل لبعض الحكماء:

ما الحزم؟

(١) سورة النساء آية ٧٠.

(٢) سورة البقرة آية ١٩٥.

(٣) حديث «اعقلها وتوكل» رواه الترمذي عن أنس بن مالك أنه قال: قال رجل يا رسول الله أعقلها وتوكل أو أطلقها وتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل» وأضاف الترمذي: «قال عمرو بن علي، قال يحيى بن سعيد: هذا عندي حديث منكر» (سنن الترمذي ٥ / ٤١٧ رقم ٤١٠٧) قال السيوطي: «هو حديث ضعيف» (الجامع الصغير ١ / ٤٧) و(التيسير بشرح الجامع الصغير ١ / ١٧٥) قال السخاوي رواه البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الخلية وابن أبي الدنيا في التوكل... وابن حبان في صحيحه، والطبراني في الكبير (المقاصد الحسنة ٦٥ رقم ١٢٨) و[كشف الخفاء ١ / ١٦١ رقم ٤١٨] وقد أصبح هذا الحديث مثلاً يضرب. انظر كتاب الأمثال لأبي الوفاء محمد بن أحمد البساک (ص ٢١) وأمثال أبي عبيد (ص ٢) والتمثيل والمحاضرة (ص ٢٣) وفيه «اعقل...» ومجمع الأمثال (٢ / ٢٦ رقم ٢٤٧٣).

قال: أن تحذر ما يمكن كونه.

قيل: فما العجز؟.

قال: [أن]<sup>(١)</sup> تأمن ما يمكن كونه.

وليعلم الملك أن شدة الالتقاء والحذر تدعو إلى [وقوع]<sup>(٢)</sup> ما يتقي ويحذر؛ فإنه ربّما عادّ عليه من استظهاره فشل، وداخله من شدة حذره وجلّ، فصار بهما عرضة للنوائب، وهدفاً للمصائب، فتدخله شدة اتقائه فيما كان منه بدءاً إشفاقه.

وقيل:

من التوقي ترك الإفراط في التوقي<sup>(٣)</sup>.

وإذا أخذ بالحذر والاحتراس في مواضع الشدة، وعمل على الجراة والإقدام، عند انتهاز الفرصة، فقد أخذ بالحزم في شدته، وعمل بالعزم عند فرصته.

قال طاهر بن الحسين<sup>(٤)</sup>: [من البسيط]

(١) الزيادة من ط.

(٢) الزيادة من السياق.

(٣) قوله: «وقيل: من التوقي ترك الإفراط في التوقي» أورده الجاحظ منسوباً إلى محمد بن محمد الحمراي أو الحمراوي (البيان والتبيين ٢ / ١٠٤) وهو أحد النساك الذين أدرکهم الجاحظ (البيان والتبيين ١ / ٣٦٥) وذكره مرة أخرى غير منسوب لأحد (١ / ٢١٠) بلفظه وهو في عيون الأخبار (٢ / ٦) وفي سراج الملوك (٢٠٠) دون عزو، وكذا في كتاب الأمثال لأبي الوفاء محمد بن أحمد البساک (١٠٩)، وقد جعله من الأمثال المعروفة، وقد أورده المبشر بن فاتك ضمن حكم وآداب أفلاطون بزيادة (إن) في بدايته في كتابه مختار الحكم ومحاسن الكلم (١٧٤) وأورده ابن مسكويه ضمن حكم العرب وأمثالها السائرة بلفظه في كتابه الحكمة الخالدة (ص ١٩٥).

(٤) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان (أبو الطيب) الخزاعي بالولاء الملقب (ذو اليميين) كان من أكبر أعوان المأمون في محاربة أخيه الأمين، ولد سنة ١٥٩هـ بخراسان =



رَكُوبُكَ الْأَمْرَ مَا لَمْ تَبْدُ فِرْصَتُهُ  
 جَهْلٌ وَرَأْيُكَ فِي الْإِقْحَامِ تَغْرِيرٌ  
 فَاعْمَلْ صَوَاباً وَخُذْ بِالْحَزْمِ مَأْتِرَةً  
 فَلَنْ يُذَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرٌ<sup>(١)</sup>

[الوعد والوعيد]:

وعلى هذا قياس ما قدمنا مع المنع والعطاء؛ لأن لكل فضيلة حداً،  
 وتجاوز الحد نقص في المحدود.

ليكن من عادة الملك إذا أراد المقابلة على الإحسان والإساءة، أن  
 لا يعبد محسناً بثواب، ولا يتوعد مسيئاً بعقاب، لأنه على الأمزين قادر، وفي  
 الوعد بالثواب تكدير، وفي الوعيد بالعقاب تنفير، فاستغنى بالفعل عن  
 القول، إلا أن يجعل حمده ثواباً، وذمه عقاباً، فيقتصر على الجزاء بالقول  
 بحسب الإحسان والإساءة، ولا يغريه توعد ولا وعيد على زيادة، وليعتمد

= وتوفي بمرور سنة ٣٠٧ هـ مسموماً. له مجموع رسائل، ورسائله إلى المأمون مشهورة. انظر  
 بعضاً من أخباره في الفهرست ١٧٦، وفيات الأعيان ٢ / ٢٠١-٢٠٦ رقم الترجمة ٢٨٦،  
 العبر ١ / ٣٥١-٣٥٢، وانظر نماذج من توقيعاته في العقد الفريد (العريسان)  
 ٣١١-٣١٢ / ٤.

(١) قوله: «ركوبك الهول ما لم تلق فرصته جهل روى بك بالإقحام تغرير  
 بغداد مع رسالة إلى إبراهيم بن المهدي دونها ابن عبد ربه وقد جاءت عنده بلفظ:  
 ركوبك الهول ما لم تلق فرصته جهل روى بك بالإقحام تغرير  
 فازرع صواباً وخذ بالحزم حيثه فلن يذم لأهل الحزم تدبير  
 وقد استشهد الماوردي بهذين البيتين ونسبهما لعبد الله بن طاهر (وهو ابنه) مع ثلاثة أبيات  
 وقد جاءت بلفظ:

ركوبك الهول ما لم تبد فرصته جهل وأمرك بالإقدام تغرير  
 فكن مصيباً وخذ بالحزم مأثرة فلن يذم لأهل الحزم تدبير  
 فإن ظفرت بجهل ثم فزت به قالوا جهول أعانته المقادير  
 وإن ظفرت بحزم أو هلكت به فأنت عند ذوي الألباب معذور  
 أنكد بدنياً ينال المخطئون بها حظ المصيبين والمغرور مغرور

(انظر نصيحة الملوك للماوردي الورقة ٨٤ أ).

على الجزاء بالقول فيمن كان بالحق عروفاً، وعن المال عزوفاً؛ فإن تأثير الكلام في الكرام أبلغ من تأثير الفعل بالثام.

وقد قال أنوشروان:

الناس ثلاث طبقات، تسوسهم ثلاث سياسات:

طبقة من خاصة الأحرار، تسوسهم باللين واللفظ.

وطبقة من خاصة الأشرار، تسوسهم بالشدّة والعنف.

وطبقة هم العامة، تسوسهم باللين والشدّة؛ لثلا تخرجهم الشدّة، ولا يبطرهم اللين<sup>(١)</sup>.



(١) في غ: (لأن لا تحوجهم الشدة ولا ينظر باللين) والتصحيح عن لباب الآداب ٥٣ وتخرجهم بالحاء المهملة من الخرج.

وقول أنوشروان هذا رواه الأمير أسامة بن منقذ ونسبه إليه بلفظه، وفيه «... من خاصة الأبرار تسوسهم بالعطف واللين والإحسان... تسوسهم بالغلظة والشدّة، وطبقة وهم العامة...» (لباب الآداب ٥٣) وأورده النويري وهو عنده بلفظه إلا أن فيه: «... طبقة هم خاصة الأشراف... وطبقة هم خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة والعنف...» (نهاية الأرب ٦ / ٤٤) وأورده السيد محمد العيناوي العاملي ونسبه إلى بعض حكماء الملوك وفيه «... من خاصة الأبرار يسوسهم القول المثبت الرشيد على رشده، الصارف بالمخطيء عن خطئه، وطبقة من خاصة الأشرار يسوسهم الفعل الناكل والعنف المستأصل، وطبقة هم العامة يسوسهم مرة هذا ومرة ذاك لثلا يخرجهم غلظة الفعل بلا إبقاء، ولا يخرجهم لين القول بلا إرهاب» (آداب النفس ص ٢٤)، ومن أقوال المأمون المشابهة لهذا المعنى قوله: «الإخوان ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه، وطبقة كالدواء لا يحتاج إليه إلا أحياناً، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبداً»، (عيون الأخبار ج ٣ ص ١).

## [الفصل السابع عشر]

[الطيرة والفأل]<sup>(١)</sup>

[اعتقاد الطيرة]:

وليعلم الملك أن من أقوى الأمور في نقض العزائم: اعتقاد الطيرة؛ فإنه لا شيء أضرّ بالرأي، ولا أفسد للتدبير منها، مع ورود السنة باجتنابها، والنهي عنها، فما الأقدار إلا بقضاء محتوم، وأجل معلوم.

قال الشاعر: [من الكامل]

ما للرجال مع القضاء تحيلاً  
ذهب القضاء بحيلة المحتال<sup>(٢)</sup>

[٢٧ (أ)]

ومن ظن<sup>(٣)</sup> أن الطيرة ترد قضاء، أو تدفع مقدوراً فقد جهل.

إن أفضية الله نافذة بأمره، وجارية على قدره، فليحذر الطيرة، ولا يجعل لنقض عزائم أسباباً، ولا لفساد الرأي عللاً، وليمض الأمور على مقتضى أحوالها.

قيل:

- (١) حول الطيرة والفأل عقد الماوردي فصلاً في كتابه أدب الدنيا والدين (٢٨٧-٢٩٠).
- (٢) قول الشاعر: «ما للرجال مع القضاء...» أوردته الماوردي في الأمثال والحكم (الورقة٤٧آ) على أنه مثل من الأمثال وقال إنه تمثل به مروان وأورده بلفظه وفيه «... مع القضاء محالة» وسيأتي به مرة أخرى بلفظه في هذا الكتاب، وقد أوردته نسخة ط قبل فصل الطيرة والفأل بلفظ «... مع القضاء محالة» والشطر الأول من هذا البيت من أمثال العرب وقد أوردته الميداني بلفظ «ما للرجال مع القضاء محالة» وقال: المحالة: الحيلة، ومنه قولهم: المرء يعجز لا محالة. (مجمع الأمثال ٢ / ٢٨٩ رقم ٣٩٣٨). وشطره الثاني ورد غير منسوب في الإمتاع والمؤانسة (١٤٨ / ٢) بلفظ «... بحيلة الأقسام» وهو مأخوذ من قولهم: «إذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة» (سراج الملوك ١٧٥).
- (٣) قوله: «ومن ظن...» إلخ عبارته في أدب الدنيا والدين: «ومن ظن أن خوار بقرة أو نعيب غراب يرد قضاء أو يدفع مقدوراً فقد جهل» (ص ٢٨٧).

الخيرة في ترك الطيرة<sup>(١)</sup>.

ولينسب ما جرّه القضاء وساقه القدر إلى مدبر الأمور ومقلب الدهور؛  
فما لمتطير عيش يصفو من وجل، ولا عزم يخلو من فشل، فيحسم وساوس  
الشیطان عن نفسه؛ فما جعل الله لما استأثر لعلمه من الغيوب بشيراً،  
ولا نذيراً، وإنما وكله إلى عقول يتدبرون بها، ويعملون بموجبها،  
ولم يجعل للطيرة فيها حظاً.

وقد قال الشاعر<sup>(٢)</sup>: [من الطويل]

وما عاجلات الطير تُدني من الفتى  
رشاداً ولا عن ريشهن يخيب  
[ورب أمور لا تضيرك ضيرة  
وللقلب من مخشاتهاهن وجيب]<sup>(٣)</sup>

[التفاؤل]:

فأما الفأل فمحمود الأثر، مؤنس الخبر؛ لأن فيه تنفيذ الآراء، وتقوية  
العزائم، فصار في موافقة الرأي على ضد الطيرة في مخالفة الرأي؛  
فلذلك تدب إلى الفأل، ومُنَع من الطيرة.

(١) غ: قبل الخيرة... بالباء في الموضعين.

(٢) قوله: «قال الشاعر...» قلت هو ضايب بن الحارث البرجي الشاعر المقذع، له شعر كثير  
سجته عثمان لجناية كانت منه، مات في السجن سنة ٣٠هـ انظر أخباره في الإصابة  
٢/ ٢٠٧ رقم ٤٢٠٦، الشعر والشعراء (السقا) ١٢٦، طبقات الشعراء لابن سلام ص ٦٤  
وقد جعله في الطبقة التاسعة الخزائفة ٤/ ٨٠، الأعلام ٢/ ٣٠٥، معاهد  
التنصيص ١/ ١٨٦، الحيوان ١/ ٣٦٩ وله شعر في حاسة البحر ص ٥ وفي الزهرة  
(النصف الأول) ص ٢١٠، وانظر التخريج.

(٣) الزيادة من ط. وقد ذكر الماوردي هذين البيتين في الأمثال والحكم (الورقة ١١٣-١١٣ب)  
ونسبها إلى ضايب بن الحارث وأورد الثاني مع بيت آخر هو قوله:  
ولا خير في من لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب  
(الورقة ٦٦ب) ونسبها إليه أيضاً. وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في الحبس حين حبسه  
عثمان ومنها البيت الذي يستشهد به كثيراً وهو:

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فلني وقياراً بها لغريب  
وقد وردت القصيدة في مراجع ذكرها محقق التذكرة السعدية زميلنا الأستاذ عبد الله الجبوري  
(١/ ٣٦٧)، فلتراجع هناك.

تفأَل رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غزواتِهِ وَحروبِهِ،  
وَلَمْ يَتَطَيَّرْ<sup>(١)</sup>، فَافْتَرَقَا فِي النَّصِّ وَالتَّعْلِيلِ، وَاخْتَلَفَا فِي الْمَدْلُولِ وَالْمَدْلِيلِ.

قِيلَ:

لَا تَحْرُكْ مِنَ الْأُمُورِ مَا كَانَ سَاكِنًا، وَلَا نَظْهَرُ مِنْهَا مَا كَانَ كَامِنًا،  
فَتَعْجَلْ تَحْقِيقَ الْحَذَرِ وَتَقَدِّمَ بَادِرَةَ الْخَطَرِ<sup>(٢)</sup>.

وَلْيَتْرِكْ الْأُمُورَ عَلَى مَطَاوِي الدَّعَةِ، وَمَجَارِي<sup>(٣)</sup> السَّلَامَةِ، مَا لَمْ يَبْلُغَهُ  
اضْطِرَارٌ، وَلَا تَسْقُةٌ إِلَيْهِ أَقْدَارٌ؛ فَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكْمِ:

لَا تَفْتَحْ بَابًا يُعْيِيكَ سُدُّهُ، وَلَا تَرْمِ سَهْمًا يُعْجِزُكَ رُدُّهُ، وَلَا تُفْسِدْ أَمْرًا  
يُعْيِيكَ (٢٨ آ) إِصْلَاحُهُ، وَلَا تَغْلُقْ بَابًا يُعْجِزُكَ افْتِتَاحُهُ<sup>(٤)</sup>.

قال الشاعر: [من الطويل]

فِيآئِكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ  
مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ<sup>(٥)</sup>

(١) قوله: «تفأَل رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غزواتِهِ وَحروبِهِ وَلَمْ يَتَطَيَّرْ» انظر تفصيل ذلك فِي أدب الدنيا والدين ٢٨٩.

(٢) قوله: «قِيلَ لَا تَحْرُكْ مِنَ الْأُمُورِ مَا كَانَ سَاكِنًا...» نَسَبِ التَّعْلِيلِي هَذَا الْقَوْلَ إِلَى أَنُوشِرَوَانَ وَجاءَ بِهِ بِلَفْظِهِ (غَرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص ٦٠٧) وَنَسَبَ قَوْلًا آخَرَ يَتَعَلَّقُ بِهِ فِي مَعْنَاهُ (إلى هَرَمَزْد بِلَفْظِ «لَا تَحْرُكَنَّ سَاكِنًا، وَسَكَنَ كُلِّ مَتَحْرِكٍ» (التَّمثِيلُ وَالْمَحَاضِرَةُ ١٣٨) وَأوردَ شَطْرَهُ الْأَوَّلَ الْمِيدَانِي وَضَمَّنَ أَمْثَالَ الْمَوْلِدِينَ غَيْرَ مَنْسُوبٍ لِأَحَدٍ بِلَفْظِ «لَا تَحْرُكَنَّ سَاكِنًا» (مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ ٢ / ٢٥٩).

(٣) غ: مجار. وليست فِي ط.

(٤) قوله: «قِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكْمِ: لَا تَفْتَحْ بَابًا يُعْيِيكَ سُدُّهُ...» أوردَهُ الْأَمِيرُ أَسَامَةَ بْنُ مَثْقَدٍ وَضَمَّنَ أَقْوَالَ الْحَكِيمِ أَرَسْطُوطَالِيَسٍ بِنَفْسِ لَفْظِهِ (لِبَابِ الْأَدَابِ ٦٠) وَأوردَهُ الرُّخَجِي غَيْرَ مَنْسُوبٍ وَفِيهِ «... يَفْتُوكَ إِصْلَاحُهُ... بَابًا لَا يَمَكِّنُكَ افْتِتَاحُهُ» (أَحْاسِنُ الْمَحَاسِنِ ١٦٤) وَأوردَ عَبْدَ الْوَاحِدِ الْأَمْدِي مَقَاطِعَ مِنْهُ وَنَسَبَهَا إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِلَفْظِ «لَا تَغْلُقْ بَابًا يُعْجِزُكَ افْتِتَاحُهُ» (غَرر الْحَكْمِ ٣٣٣) وَ«لَا تَرْمِ سَهْمًا يُعْجِزُكَ رُدُّهُ» (٣٣٤) وَ«لَا تَجْلُقْ عَقْدًا يُعْجِزُكَ إِثْبَاقَهُ، وَلَا تَوْحِشْ أَمْرًا يَسُوؤُكَ فِرَاقَهُ» (٣٣٤) وَ«لَا تَبْسُطَنَّ يَدَكَ عَلَى مَنْ لَا تَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهَا عَنْهُ» (٣٣٥)، وَانظر الْقَوْلَ بِلَفْظِهِ غَيْرَ مَنْسُوبٍ لِقَاتِلِ فِي الْمَسْتَطْرَفِ (١ / ٢٦).

(٥) غ: مصادره ضاقت عليك الموارد والتصحيح من ط ومن السياق ومن مصادر التخريج.

فما حَسَنُ أَنْ يَعْدَرَ المرءُ نَفْسَهُ  
وليسَ لَهُ من سَائِرِ النَّاسِ عَازِرٌ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

---

(١) قول الشاعر: «فياك والأمر الذي إن توسعت... الخ» أوردهما الماوردي في كتاب أدب الدنيا والدين (٣٢٧) دون أن يذكر قائلهما وكذا ذكرهما صاحب التذكرة السعدية (٢٧٥ / ١) وفيها تحريج فليُنظر ولم يذكر القائل.

## [الفصل الثامن عشر] [الملوك قدوة للناس]

[البدء بالنفس]:

لا يحسنُ بالملك أن يأمرَ بالمعروفِ إلا بدأً بفعليه، ولا ينهى عن منكرٍ، إلا بدأً بتركه، ولا يلُمُّ أحداً فيما لا يلومُ عليه نفسه، ولا يستقبِحُ منه ما لا يستقبِحه من نفسه، ولا يأمرُهُم بالبرِّ بما لا يأمرُ به نفسه؛ فإنَّ الناسَ على شاكلةِ ملوكهم يجرون<sup>(١)</sup>، وبأخلاقهم يستنون؛ لأنَّهم أعلامٌ متبوعةٌ، ومناهجٌ مشروعةٌ.

قال بعضُ الحكماءِ:

أصلحُ نفسك لنفسك يكنُ الناسُ تبعاً لك<sup>(٢)</sup>.

(١) قوله: «إنَّ الناسَ على شاكلةِ ملوكهم يجرون...» أصله حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «أعمالكم عمالكم وكما تكونوا يول عليكم» الإيجاز والإعجاز (ص ٦) والتمثيل والمحاضرة (ص ٢٣) والمقاصد الحسنة (٣٢٦ رقم ٨٣٥) وكشف الخفاء (١٨٤ رقم ١٩٩٧)، قال الطرطوشي: «لم أزل أسمع الناس يقولون: أعمالكم عمالكم وكما تكونوا يول عليكم، إلى أن ظفرت بهذا المعنى في القرآن. قال الله تعالى: «وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً» (سراج الملوك ١١٦) ومن أمثال المولدين «الناس على دين الملوك» (مجمع الأمثال ٢ / ٣٥٨).

(٢) قوهم: «أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك» وفي ط: «تكن النفس تبعاً لك» أورده الماوردي في نصيحة الملوك (الورقة ١٨) ضمن كلام الحكيم أرسطوطاليس بنفس اللفظ، وأورده أيضاً في أدب الدنيا والدين (٣٢٨) ولم ينسبه لقائل، وقد أورده الطرطوشي بلفظه ونسبه إلى الخليل بن أحمد (سراج الملوك ١١٧) ونسبه كل من الأمير أسامة بن منقذ (لباب الآداب ٤٤٩) والمبشر بن فاتك (مختار الحكم ١٩٣) إلى الحكيم أرسطوطاليس بلفظه وفيه «... بنفسك» ضمن كلام طويل، ونسباً قولاً آخر في معناه إلى أفلاطون بلفظ: «من قام من الملوك بالعدل والحق ملك سائر رعاياه...» ضمن كلام طويل أيضاً (لباب الآداب ٤٤٩) ومختار الحكم ١٤٩) ونسبه البيداني إلى أبي بكر الصديق وجاء به بلفظ «أصلح نفسك يصلح لك الناس» (مجمع الأمثال ٢ / ٤٥١) وعند الرخجي غير منسوب بلفظ «من أصلح نفسه صلحت رعيته» (أحاسن المحاسن ١٦٢) وفي لباب الآداب في موضع آخر ضمن أقوال الحكيم أرسطوطاليس بلفظ «حاجة السلطان إلى صلاح نفسه أشد من حاجته إلى صلاح رعيته، وفائدته في إحسان سيرته أعظم من فائدته في ثبات وطاقته؛ لأنه إذا أصلح نفسه صلحت رعيته...» (ص ٥٨)، وأخرج ابن الجوزي عن كعب الأحبار أنه قال: «الرعية تصلح بصلاح الوالي وتفسد بفساده» (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ١ / ٤٧٠) وفيها تحريجه.

وقال المأمون:

أسوس الملوك من ساس نفسه لرعيته، فأسقط عنه مواقع حجتها،  
وقطع مواقع حجته عنها<sup>(١)</sup>.

قال بعض الحكماء:

أفضل الملوك من أبقى بالعدل ذكره، واستعمله الناس بعده<sup>(٢)</sup>.  
والملك الفاضل هو الذي يحوش الفضائل، ويوجد بها على من دونه،  
حتى تكثر في أيامه، ويتجمل بها من لم تكن فيه.

وجدير بمن أمر بصلاح أن يكون أحق بفعله، وبمن نهى عن فساد  
أن يكون أحق بتركه، ولأن كان علو القدر لا يزيده تحفظاً لم ينقص.

قال الشاعر<sup>(٣)</sup>: [من الكامل]

(١) قوله: «قال المأمون: أسوس الملوك... الخ» روى النويري هذا القول بلفظه وفيه  
«... مواقع حجتها عنه...» (نهاية الأرب ٦ / ٤٤) ومن كلام علي رضي الله عنه: «أعقل  
الملوك من ساس نفسه للرعية بما يسقط عنه حجتها، وساس الرعية بما ثبت به حجته» (غرر  
الحكم ٩٩) و«حق على الملك أن يسوس نفسه قبل جنده» (غرر الحكم ١٧٠) و«كتاب ٢٠٠  
كلمة ص ٥٤ رقم ١٢٢٤») و«من ساس نفسه أدرك السياسة ومن بذل ماله استحق الرياسة»  
(غرر الحكم ٢٧٠)، ومن أقوال العجم: «أسوس الملوك من قاد أبدان الرعية إلى طاعته  
بقلوبها» (عيون الأخبار ٨ / ٨) والترجمة والنقل (ص ٢٥٩) وسراج الملوك (ص ١١٨).

(٢) قول بعض الحكماء: «أفضل الملوك من أبقى بالعدل ذكره...» ذكره المشر بن فاتك على  
أنه لأفلاطون بلفظ «أفضل الملوك من بقي بالعدل ذكره، واستمل بعده فضائله» (مختار  
الحكم ١٥٢) وكذا نسبة الأمير أسامة بن منقذ إليه بلفظ مقارب من ذلك وهو قوله: «أفضل  
الملوك من بقي بالعدل ذكره، واستمل منه من يأتي بعده» (لباب الآداب ٤٥٦) ولم ينسبه في  
(ص ٧١ منه) ومن كلام علي رضي الله عنه: «أفضل الناس سجية من عم الناس عدله»  
(غرر الحكم ٩٠) و«أجل الملوك من ملك نفسه ويسط منه العدل» (ص ٩٤) و«خير الملوك من  
أما الجور وأحى العدل» (ص ١٧٤).

(٣) قوله: «قال الشاعر» قلت ينسب هذا البيت لشعراء كثيرين ورد في شعرهم:  
فقد نسبة الماوردي إلى المتوكل اللبثي (الأمثال والحكم الورقة ٥٢ب) وهو المتوكل بن عبد  
الله بن هشل - كنان، يكنى أبا جهمة مدح معاوية ويزيد انظر أخباره في الأغاني ١٢ / ١٦٠  
طبقات ابن سلام ٢٠٩ وجعله في الطبقة السابعة من الإسلاميين وديوانه طبع في بغداد أخيراً.  
ونسبه يوسف بن سليمان بن عيسى الشتمري إلى أبي الأسود الدؤلي (تحصيل عين الذهب  
من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب - في أسفل كتاب سيبويه - ١ / ٤٣٤) وأبو =



لا تنه عن خلقي وتأتي مثله  
عُرِّ عليك إذا فعلك عظيم<sup>(١)</sup>

وقال الشاعر: [من الطويل]

لك الخير لَمْ نفساً عليك ذنوبها  
ودع لوم نفسٍ ما عليك مليم  
وكيف ترى في عينٍ صاحبك القذى  
ويخفى قذى عينيك وهو عظيم<sup>(٢)</sup>

[الرجوع إلى الحق]:

لا يأنف من حقٍّ إن لزم، أو حجةٍ إن قامت؛ فإنَّ الرجوعَ إلى الحقِّ  
أولَى من (٢٨ ب) العدولِ إلى باطلٍ قد كان ناهياً عنه، وربَّما منعتُه القدرةُ  
من الاعترافِ بما لا يهواه، وأخذتُه العزَّةُ أن يلينَ بمن سواه، فعانَدَ الحقَّ

= الأسود واسمه ظالم بن عمر المتوفى ٦٧هـ المترجم له في معجم الأدباء ١٢/٣٤، ومقدمة ديوانه  
الذي حققه الأستاذ عبد الكريم الدجيلي وطبعه ببغداد.

ونسبه ابن عبد البر إلى العرزمي (جامع بيان العلم وفضله ١/١٩٥) والعرزمي اسمه عبد  
الملك بن أبي سليمان الكوفي أحد المحدثين الكبار توفي ١٤٥هـ (انظر العبر ١/٢٠٤).

ونسب مرة أخرى إلى سابق البربري (فصل المقال ٨٥) وهو أبو سعيد سابق بن عبد الله  
الشاعر الأموي المشهور بالمواظع والحكم ترجم له عبد الله كنون في مجلة مجمع اللغة العربية  
بدمشق ٤٤م ص ٢٣-٢٤.

ونسب للظرماع (ديوان أبي الأسود ٢٣١) وهو الظرماع بن حكيم الطائي المتوفى حوالي  
١٠٥هـ المترجم له في الشعر والشعراء (السقا) ٢٢٨ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١  
/ ٢٤٤ وديوانه مطبوع في لندن ١٩٢٧ وفي دمشق ١٩٦٨.

ونسب للأخطل (الكتاب ١/٤٣٤) ونسب لآخرين (حماسة الظرفاء ١/١٧٢).

(١) البيت: لآتته عن خلق... الخ زيادة من ط وليس في غ وقد أورده الماوردي في الأمثال  
والحكم (الورقة ٥٢ب) منسوباً إلى المتوكل الليثي، والبحثري أيضاً (الحماسة ١٧٣)  
وديوانه ٢٨٣، والأغاني ١٢/١٦٠، والحماسة البصرية ٢/١٥، وهو في ديوان أبي  
الأسود ٢٣١ و٢٣٣، والعقد الفريد (العرين) ٢/١٦٦، ٢/٢١٥، ومجمع الأمثال ٢/٢١٣  
رقم ٣٥٠١، شرح نهج البلاغة ٤/٢٢٧، ديوان الأخطل ٣٩٧، جامع بيان العلم  
وفضله ١/١٩٥ و١٩٦، حماسة الظرفاء ١/١٧٢ وفيها تخريج.

(٢) هذان البيتان لم يذكرهما في ط.

ونبذهُ، واستقلَّ المحقُّ ورفضه، ولم يرَ للمحقِّ حقاً فمرح، ولئن طال لسانُ  
الملكِ فلسانُ الحقِّ أطولُ، ولئن وجبت طاعته فطاعةُ الحقِّ أوجبُ.

قال بعضُ الألباءِ:

من خادعِ الحقِّ خُدع، ومن صارعه صرع<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر<sup>(٢)</sup>:

متى ماتتْ بالباطلِ الحقُّ يابهُ

وإن قُدتْ بالحقِّ الرواسيَ تنقِد<sup>(٣)</sup>

ولئن يحتجَّ لنفسه لمن علمَ وضوحَ حجته وظهرَ عجزه عن إبانته أليقُ  
بسلطانه، وأحمدُ لزمانه، فإنَّ كلَّ امرئٍ إنما يخاطبه بأصغرِ لسانه، ويقبضُ

(١) قوله: «من خادع الحق خدع، ومن صارعه صرع» أورده الريحاني غير منسوب بلفظ «من خادع الله خدع، ومن صارع الحق صرع» (أحاسن المحاسن ١٦٠) وفي أدب الدنيا والدين لبعض الحكماء: «من تهاون بالدين هان ومن غالب الحق لان» (ص ٩٣) وقد أورده ابن مسكويه ضمن حكم العرب وأمثالها السائرة بلفظ «من صارع الحق ذل ومن أكثر المزح مل، ومن ترك الكبر جل» (الحكمة الخالدة ١٩٨) ومن أقوال علي: «من خادع الله خدع، من صارع الحق صرع» (غرر الحكم ٢٦٦) و«من عاند الحق صرعه، ومن اغتر بالأمل خدعه» (ص ٢٦٩) و«من صارع الحق صرعه» (كتاب ٢٠٠٠ كلمة ص ٥١ رقم ١١٥٣) وجميع الأمثال (٢/ ٤٥٤، ٤٥٨) وقد جاء القول في ط بلفظ: «من صارع الحق صرع».

(٢) قوله: «قال الشاعر» قلت هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمر الأوسي شاعر من أهل يثرب من شعراء الطبقة الثانية، وسمي أبا الخطيم لضربة خطمت أنفه. أدرك قيس الإسلام ولكنه لم يسلم وقتل في الهجرة لكثرة ملاحاته الخزرج الذين قتلوا أباه وهو صغير. انظر أخباره في الأغاني (ساسي) ٢/ ١٥٤-١٦٤، معجم المرزباني ٣٢١-٣٢٢، طبقات الشعراء لابن سلام ص ٨٩، ١٧٦، الخزانة ٣/ ١٦٨-١٦٩، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ١/ ١١٤-١١٥ وقد نشر ديوانه في ليبزيك ١٩١٤ وفي بغداد ١٩٦٢.

(٣) قول الشاعر: «متى ما تقد بالباطل...» البيت أورده الماوردي في الأمثال والحكم منسوباً إلى قيس بن الخطيم (الورقة ٢٠٢) وهو من قصيدة طويلة مطلعها:

تروح من الحسناء أم أنت معتد وكيف انطلاق عاشق لم يزود

انظرها في ديوانه الذي جمعه الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور أحمد مطلوب ص ٤٤-٤٧

٤٧ رقم القصيدة ٦ وقد ورد البيت صفحة ٤٦ منه. والبيت في التذكرة السعدية ١/ ٣٣٢

منسوبا إليه.

نفسه عن إقامة الحجّة عليه، يراعي حقّ نفسه في ضبط شهواته؛ فإنها من نتائج الهوى المذموم المذهل عن زواجر العقول فيأتي منها [ما] لم يكن في العقل قبيحاً، ولا في الشرع محظوراً.

قال بعض العقلاء<sup>(١)</sup>

إذا تفرّغ الملك للهو<sup>(٢)</sup>، تفرّغت الرعية لإفساد<sup>(٣)</sup> ملكه<sup>(٣)</sup>.

[قال بعض البلغاء]<sup>(٤)</sup>

من أثر اللهو ضاعت رعيته، ومن دوام السكر فسدت رويته<sup>(٥)</sup>.

[الاعتدال]:

وليقف في مباح الشهوات على حدّ معتدل بين منزلتين متقابلتين: منع وتمكين؛ ليصل بالتمكين إلى لذته، ويقف بالمنع على مصلحته. ولأنّ يميل إلى المنع فيتوقّف على سياسته خير من أن يميل إلى التمكين، فينهمك في لذته؛ لأنّ زمان السياسة جدّ، وزمان اللهو هزل، والجدّ حقّ، والهزل باطل، والقيام بالحقّ أولى من الانهماك<sup>(٦)</sup> في الباطل. (٢٩ آ)

قال بعض الحكماء:

من قوي على نفسه تناهى في القوة، ومن صبر على شهوته، بالغ في المروءة<sup>(٧)</sup>.

(١) ط: بعض الحكماء.

(٢) ط: للشهوة.

(٣) غ: لفساد ملكه وما أثبتناه عن ط، وقد أورد الماوردي ما يشبه هذا القول في نصيحة الملوك مما ينسب إلى أردشير في عهده: «إن اللعب واللهو ليس من أخلاق الملوك وأنها يضران بأسباب المملكة مؤذنان بخرابها مؤذيان إلى تداعيها» (الورقة ٣٤ب).

(٤) الزيادة من ط.

(٥) قولهم: «من أثر اللهو ضاعت رعيته...» أوردته الرخجي غير معزو بما نصه «من أكثر اللهو من السلاطين ضاعت رعيته، ومن داوم الشك فسدت رويته» (أحاسن المحاسن ١٦٥).

(٦) غ: الانهمال.

(٧) قوهم: «من قوي على نفسه تناهى في القوة...» ورد هذا القول ضمن الأقوال المنسوبة للإمام علي رضي الله عنه بلفظ «من قوي على نفسه تناهى في القوة ومن صبر على شهوته تناهى في المروءة» (غرر الحكم ٢٧٤) وورد أيضاً بلفظ «أجل الناس من وضع نفسه، وأقوى

[وقيل في مشور الحكم :  
أيدي العقول تمسك أعتة الأنفس] (١)

[السواسية]:

وربما اختص بعض الملوك في اللذات بما يحظره على من سواه  
لينفرد باللذة كما تفرّد بالقدرة، ويأسى أن يشاركه فيها من لا يساويه في  
الرتبة، فيخالف عدل السياسة وصواب التدبير؛ لأنه يوغر الصدور وينشيء  
النفور؛ لما جُبلت عليه القلوب من بغض من استبدّ واستأثر، وتوقع الغير  
بمن استباح ما حظر.

وربما عوجل بالغوائل، فإن نوازع الشهوات تبعث على التوصل إليها  
بكل حق وباطل، فيصير الخطر في حظرها يكدرّ اللذة [في] استباحتها،  
ولو أباح ما استباح لكان أصفى للذمة، وأسلم في عاقبته.

فليكن ما استباحه من اللذات مباحاً للعموم، ولو أطاعته نفسه على  
أن يمنعها من اللذات التي لا يقدر من دونه عليها كان أبلغ في استعفاف  
القلوب، وطمس العيوب.

كتب الإسكندر<sup>(٢)</sup> إلى معلمه<sup>(٣)</sup> يسترشده في تدبير ملكه فكتب إليه  
في جملة رسالته:

الناس من قوي على نفسه» (ص ٨٩) وقد ورد هذا القول في غ بلفظ: «... ومن صد عن  
شهوته» وما أثبتناه عن ط.

(١) الزيادة من ط وليست في غ.

(٢) الإسكندر بن فيلبس أو فيلبس أول ملك من ملوك اليونانيين وأعظمهم على ما ذكره  
ببليوموس تتلمذ على معلمه أرسطوطاليس، امتد سلطانه إلى فارس والهند والصين ومصر  
والشام توفي في بابل سنة ٣٢٤ قبل الميلاد وقد ذكره المؤرخون العرب كثيراً وأثنوا عليه وربما  
لقبوه بلذي القرنين، انظر نماذج من أقواله وبعضاً من أخباره في مسروج  
الذهب / ١٧٩-١٨٧، التمثيل والمحاضرة ١٣٣، ١٣٧، ١٧٦-١٧٧، نهاية الأرب ٦ / ١٦،  
العقد الفريد / ٢٨، ٢٩، ١٤٥، ١٤٦، البيان والتبيين / ١، ٨١، ٤٠٧، ٢٠٤ / ٦٥، مختار الحكم  
ص ٢٢٢-٢٥١، الحكمة الخالدة ٢١٩.

(٣) معلم الإسكندر هو أرسطوطاليس حكيم اليونان والفيلسوف الكبير صاحب مدرسة  
المشائين، خلف عدداً من المؤلفات في المنطق والطبيعيات والإلهيات والأخلاق توفي سنة  
٣٢٢ قبل الميلاد، انظر شيئاً من مؤلفاته وأخباره في الفهرست ٣٥٩-٣٦٦، أخبار الزمان =

لا تتناول من لذيد<sup>(١)</sup> العيش ما [لا]<sup>(٢)</sup> يمكن أوساط أصحابك تناول  
مثله؛ فليس مع الاستبداد محبة، ولا مع المواساة بغضة<sup>(٣)</sup>.  
[مخاسبة النفس]:

ليكن من دأب الملك تهذيب نفسه بسبب أخلاقه، وتصفح أحواله  
وأفعاله؛ فإنه لا يحد عليها بإنكار، وإن استنكرت، ولا يواجه عليها بإكبار  
وإن أكبرت، ولا يسمع لها بدم وإن ذمت، ولا يلقي فيها إلا بما يرضيه من  
سداد مختلها (٢٩ ب) وصلاح معتلها.

فإن ترك نفسه وهو متروك محتشم، وأهملها وهو مطاع معظم، قادة  
الهوى في القدرة إلى مساوىء الأخلاق، وساقه الإهمال والمتاركة إلى  
قبائح الأفعال.  
قال بعض الألباء:

من عمل عملاً في السرّ يستحي منه في العلانية، فليس لنفسه عنده  
قدرة<sup>(٤)</sup>.

للمسعودي ٩٤، تاريخ الفلسفة في الإسلام تأليف دي بور وترجمة محمد عبد الهادي أبي ريدة  
ط ١ ص ٢٧ وما بعدها، مختار الحكم ١٧٨-٢٢٢، الحكمة الخالدة ٢٦٦-٢٨١، عيون الأنباء  
في طبقات الأطباء ١ / ٨٤-١٠٥، طبقات الأدباء ٢٥.

(١) غ: لذة والتصحيح من ط.  
(٢) الزيادة من ط، وعبارة غ: لا تتناول من لذة العيش ما يمكن تناوله أوساط أصحابك تناول  
مثله...

(٣) كتاب أرسطوطاليس إلى الإسكندر تجرد مقاطع منه في مختار  
الحكم ١٩٦، ٢٠٥، ٢١٥، ٢١٨، ٢١٨، الحكمة الخالدة ٢١٩، عيون الأنباء في طبقات  
الأطباء ١ / ٩٩، نهاية الأرب ٦ / ١٦.

(٤) قوله: قال بعض الألباء: «من عمل عملاً في السرّ...» ورد في أدب الدنيا والدين أنه  
«سئل محمد بن علي عن المروءة؟ فقال: ألا تعمل في السر عملاً تستحي منه في العلانية»  
(ص ٢٩٩) وقد ورد القول غير منسوب لقاتل في (٢٢٧) وفي (مختار الحكم ٢٩٨)، وفي  
حاشيته أنه لإسقليوس (المصدر نفسه) وفي التمثيل والحاضرة أن أنوشروان قال: «المروءة  
ألا تعمل عملاً تستحي منه في العلانية» (ص ٤٢١-٤٢٢) ومن أقوال علي رضي الله عنه:  
«جماع المروءة أن لا تعمل في السر ما تستحي منه في العلانية» (غرر الحكم ١٦٥) ونسبه  
الثعالبي في الإيجاز والإعجاز إلى اسفندياذ (أحد ملوك العجم) وأتى به بلفظ «لا تعمل في  
السر ما تستحي منه في العلانية» (ص ١٠) وأورده ابن قتيبة من كلام محمد بن عمران  
التيمي بلفظ «ما شيء أشد حملاً علي من المروءة، قيل: وأي شيء المروءة؟ قال: لا تعمل  
شيئاً في السر تستحي منه في العلانية» (عيون الأخبار ١ / ٢٩٥).

فيهذبُ الملكُ نفسهُ بنفسه، ويستعينُ في صلاحها بحزمه، ويراقبُ وليه كما يراقبُ عدوه، ولا تحدثُ (١) له الثقةُ والأنسةُ والانسباطُ، تركُ التحفِظِ عند وليِّ، أو نسيبِ (٢)، فمن عَرَفَ منهم زلَّتهُ استقلَّ هيئتهُ.

وقد يصيرُ الموالي المؤمنُ عدوًّا وموحشًا، فينمُّ بما علم.

قال بعضُ العلماءِ (٣):

ليكن استحيائك من نفسك أكثرَ من استحيائك من غيرك (٤).

وقيل:

ما أحببتُ أن تسمعهُ أذنكُ فاتيه، وما كرهتُ أن تسمعهُ أذنكُ

فاجتنبه (٥).

\* \* \*

فهذه جملةٌ كافيةٌ في أخلاقِ الملكِ الرشيدِ،

واللهُ وليُّ التوفيقِ

والتسديدِ (٦)

(١) غ: يحدث.

(٢) غ: نسب.

(٣) ط: بعض الحكماء، وكذا في أدب الدنيا والدين.

(٤) قولهم: «ليكن استحيائك من نفسك أكثرَ من استحيائك من غيرك» أورده المؤلف بلفظه في أدب الدنيا والدين (٢٢٧) غير منسوب لأحد. ومن كلام علي: «أحسن الحياء استحيائك من نفسك» (غرر الحكم ٩١) و«غاية الحياء أن يستحي المرء من نفسه» (٢٢٢) و«من تمام المروعة أن تستحي من نفسك» (٣٠٤).

(٥) قوله: «ما أحببت أن تسمعه أذنك...» أورد الماوردي هذا القول على أنه حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في أدب الدنيا والدين (٢٢٦) وهو من الأمثال السائرة فانظره في أمثال أبي عبيد (ص ١٥) وجمع الأمثال (٢ / ٤١١ رقم ٤٦٣٩).

(٦) ورد في ط قوله: فصل: قد مضى الكلام في أخلاق الملك. وأما الكلام في سياسة الملك فروي عن النبي عليه السلام أنه قال: «ومن سار فيمن بين ظهره بسيرة حسنة... الخ الحديث الذي سيرد بعد قليل إن شاء الله تعالى.

## الباب الثاني

### في سياسة الملك<sup>(١)</sup>

[تمهيد]:

قال أفضى القضاة رَحِمَهُ اللهُ:   
 حَقُّ عَلَى مَنْ مَكَتَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ، وَاتْتَمَنَهُ عَلَى خَلْقِهِ  
 وَعِبَادِهِ، أَنْ يَقَابَلَ جَزِيلَ نِعْمَتِهِ بِحَسَنِ السَّرِيرَةِ، وَيَجْرِيَ مِنَ الرَّعِيَةِ بِجَمِيلِ  
 السَّرِيرَةِ.

قال اللهُ تَعَالَى: (١٣٠)

«يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ  
 وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىَّ»<sup>(٢)</sup>.

وقال عزَّ وجلَّ:

«وَلَا تَنْسَ نَصِيحَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) في سياسة الملك قال أفلاطون:

«السياسة خمسة أنواع:

أولها: السياسة الكلية: وهي الشاملة لجوامع الكليات. وهي التي تقول بأن الناموس الأجل  
 تولى إحكامها وإتقانها.

والثانية: الملكية: وهي التي يسوس لها الملك رؤساء المدن.

والثالثة: المدنيّة: وهي التي يجب أن يساس بها سكان المدينة.

والرابعة: البيتيّة: وهي التي يتولاها رب كل منزل في أهله.

والخامسة: البدنيّة: وهي التي تجب على كل واحد في بدنه ونفسه.

(انظر السعادة والإسعاد ٢٠٩-٢١٠).

(٢) سورة ص، آية ٢٦.

(٣) سورة القصص، آية ٧٧.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«من سارَ فيمن بين ظهره بسيرة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سارَ فيمن بين ظهره بسيرة سيئة كان عليه وزرها ووزرُ العاملين بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»<sup>(١)</sup>.

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال:

لو ضاعت سحلة على شاطيء فراتٍ لخشيتُ أن يسألني الله عليها<sup>(٢)</sup>.

وحكي أن عثمان بن عبد الله وقف على محمد بن سماعة<sup>(٣)</sup> القاضي وهو في مجلس قضائه يحكم بين الناس فقال:

(١) حديث: «من سار فيمن بين ظهره بسيرة حسنة. الخ» الحديث رواه مسلم عن جرير بن عبد الله في العلم من كتاب الصحيح بلفظ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء» (صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ٢٢٥-٢٢٦) وانظر (رياض الصالحين ١٠٢). ورواه الترمذي في العلم عنه (سنن ٤ / ١٤٩، رقم ٢٨١٥)، قال وفي الباب عن حذيفة، هذا حديث حسن صحيح. ورواه النسائي في الزكاة، وابن ماجه في السنة (ذخائر الموارث ١ / ١٨١، رقم ١٦٤١)، (والتريغيب والترهيب ١ / ٤٢-٤٣) وفي الباب عن أبي حنيفة في الطبراني في الأوسط، وعن وائلة بن الأسقع في الطبراني في الكبير وغيرهما، (مجمع الزوائد ١ / ١٦٧-١٦٨)، (وكشف الخفاء ٢ / ٣٥٣، رقم ٢٥٠٩).

(٢) قوله: وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لو ضاعت سحلة. «أخرجه ابن الجوزي في السيرة بألفاظ مختلفة منها قوله: «لومات شاة على شاطيء الفرات ضائعة لظننت أن الله عز وجل سألني عنها يوم القيامة» وأخرجه عن داود بن علي. وفي لفظ آخر عن عبد الله بن عمر: «لومات جدي بطف الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر»، وعن علي رضي الله عنه قال: «رأيت عمر بن الخطاب رضوان الله عليه على قتب يعدو فقلت يا أمير المؤمنين أين تذهب؟ فقال: بعير نذ من إبل الصدقة أطلبه، فقلت: لقد أذلت الخلفاء بعديك، فقال: يا أبا الحسن لا تلمني، فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً (أي سحلة) ذهبت بشاطيء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة»، (سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي طبعة الدار القومية، ص ١١٣)، (وكتاب ألف كلمة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص ٦٩، و ص ٩٠).

(٣) محمد بن سماعة: هو أبو عبد الله محمد بن سماعة بن عبيد بن هلال بن وكيع بن بشر =



إِسْمَعُ - لا سَمِعْتَ - يا ابنَ سَمَاعَةَ، وَأَنْشَدَ يَقُولُ: [من الوافر]  
لَقَدْ كَلَّفْتُ يَا مَسْكِينُ أَمْرًا  
تَضِيقُ لَهُ قُلُوبُ الْخَائِفِينَ<sup>(١)</sup>  
أَعْلَمُ أَنَّ رَبَّ الْعَرْشِ قَاضٍ  
وَتَقْضِي أَنْتَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ  
فَقَامَ ابْنُ سَمَاعَةَ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَدَمُوعُهُ تَجْرِي<sup>(٢)</sup> عَلَى خَدَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

فليسَ أحدٌ [أجدر] بالحذرِ والإشفاقِ، وأولى بالنصبِ والاجتهادِ ممنْ  
تقلدَ أمورَ الرعية؛ لأنها أمانةُ الله التي أمانةُ عليها، ورعيته التي استرعاه فيها  
واستخلفه على أمورها، وهو تعالى وليّ السؤالِ عنها.

ولأنه سبحانه حسَمَ موادَّ الاعتراضِ منها على أفعالِهِ وكفَّ ألسنتها عن  
ردِّ ما رآه في اجتهاده، وأوجبَ عليها طاعته، وألزمها الانقيادَ لحكمه،  
وأمرهم أن يتصرفوا بين أمره ونهيه فقال تعالى:

«يا أيُّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمرِ منكم»<sup>(٤)</sup>.

= التميمي، أخذت عن الليث بن سعد وأبي يوسف وعبد بن الحسن وكتب النوادر على أبي  
يوسف ومحمد وروى الكتب والأماشي، وهو من الحفاظ وأحد أصحاب الرأي، ولي القضاء  
ببغداد للمأمون بعد يوسف بن أبي يوسف، فلم يزل ناظرًا إلى أن ضعف بصره فاستعفاه،  
وتوفي بعد تركه القضاء بمدة طويلة في سنة ٢٣٣هـ، وكان مولده سنة ١٣٠هـ وله كتب  
مصنفة، وأصول في الفقه، انظر ترجمته وأخباره في: أخبار القضاة لوكيع ٣/ ٢٨٢، ٢٨٩،  
٣٢٦، الفهرست ٣٠٣، تاريخ بغداد ٥/ ٣٤١-٣٤٢، رقم الترجمة ٢٨٥٩، تاج التراجم  
٥٤-٥٥، طبقات ابن سعد ٥/ ٣٢١، أخبار قضاة بغداد وحكامها للدروبي بتحقيقنا  
(مخطوط) رقم الترجمة ١٦، طبقات أصحاب الحنفية لحنائي زادة، (مخطوط)، الورقة  
١٩-ب، الجواهر المضية ٢/ ٥٨، رقم ١٨٩.

(١) غ: الخافقين والنصح من ط.

(٢) ط: جارية:

(٣) غ: على خده.

(٤) سورة النساء، آية ٥٨.

وجعل صلاح جماعتهم بصلاحه، وفساد أمورهم بفساده، لأنه قلب،  
وهم أطراف، وقطب وهم أكناف. (٣٠ب).

قال بعض العقلاء:

رشاد الوالي خير من خصب الزمان<sup>(١)</sup>.

وأرشد الولاة من حرس بولايتيه الدين، وانتظم بنظره صلاح  
المسلمين؛ لأن الدين يصلح سرائر القلوب، ويمنع من ارتكاب الذنوب،  
ويبعث على التأله والتناصف، ويدعو إلى الألفة والتعاطف، وهذه قواعد  
لا تصلح الدنيا إلا بها، ولا يستقيم الخلق إلا عليها، وإنما السلطنة زمام  
لحفظها، وباعت على العمل بها، ولو أهملوا، ونوازع الأهواء جاذبة،  
واختلاف الآراء متقاربة، لتمازحوا، وتغالبوا، ولما عرف حق من باطل،  
ولا تميز صحيح من فاسد، وليس في العقل ما يجمعهم على حكم يتساوى  
فيه قوتهم وضعيفهم، ويتكافأ فيه شريفهم ومشروفهم، فلذلك وقفت  
مصالحهم على دين يقودهم إلى جمع الشمل واتفاق الكلمة، وينقطع به  
تنازعهم، وتنحسم به مواد أطماعهم واختلافهم، وتصلح به سرائرهم،  
وتنحفظ به أمانتهم.

(١) قولهم: «رشاد الوالي خير من خصب الزمان»، ورد في عهد أردشير مبدوءاً بقوله: «وقد قال  
الأولون منا: رشاد الوالي خير للرعية من خصب الزمان» (عهد أردشير ص ٥٣ الفقرة ٣)  
ومن هنا نسب إلى أردشير في الإيجاز والإعجاز، ص ١٢، بلفظ «عدل السلطان خير من  
خصب الزمان» ونسبه السعدي إلى كسرى أنوشروان بلفظ «صلاح أمر الرعية أنصر من كثرة  
الجنود وعدل الملك أنفع من خصب الزمان»، (مروج الذهب ١ / ٢٧٠)، وورد منسوباً إلى  
أمثال الفرس في التمثيل والمحاضرة (٤٣)، وورد غير منسوب في غرر السير ٤٨٣،  
ومحاضرات الراغب الأصفهاني ١ / ١٦٣، والإمتاع والمؤانسة ٢ / ١٤٩، والمستطرف  
١ / ١٠١، والمصباح المضيء في خلافة المستضي ١ / ٤٢٤، ٤٥١ وفي هذا المعنى ورد قول  
عمرو بن العاص «إمام عادل خير من مطر وابل، وأسد حطوم خير من إمام غشوم، وإمام  
غشوم خير من فتنة تدوم»، انظر في التمثيل والمحاضرة (٣١) وغاية الأدب (٢٥٧) والإيجاز  
والإعجاز (ص ١٢)، والمحاضرات ١ / ١٦٩، ونسبه عبد الواحد الأمدي إلى علي رضي الله  
عنه (غرر الحكم ٣٥)، وكذا في سراج الملوك ٥٢، وقد نسب القول الأخير إلى أردشير  
(غرر أخبار ملوك الفرس ٤٨٣، ولباب الآداب ٣٤٦، والعقد الفريد ١ / ٧، والكامل  
للمبرد ١ / ٢٦٩).

وربما أهمل بعض الملوك الذين، وعول في أمره على قوته، وكثرة أجناده، وليس يعلم أن أجناده إذا لم يعتقدوا وجوب طاعته في الدين كانوا أضرباً عليه من كل ضد مباين، لاقتراحهم عليه ما لا ينهض به، وتحكمهم عليه بما لا يثبت له، فإن سمعوا بنايغ نبغ عليه، قوي طمعهم في اجتياح أمواله، ولم يقنعهم استيعاب حاله، وكان منهم على شفا جرف هار، لا يأمن سطوتهم به.

وقد قيل:

من جعل ملكه خادماً لدينه انقاد له كل سلطان، ومن جعل دينه خادماً لملكه طمع فيه كل إنسان<sup>(١)</sup>.



(١) قوله: «وقد قيل: من جعل ملكه خادماً لدينه انقاد له كل سلطان...»، أورده الأمير أسامة بن منقذ بهذا اللفظ ولم ينسبه لمعين بل قال: «وقال حكيم آخر...» (لباب الآداب ٥٤)، وقد ذكر المبشر بن فاتك هذا القول منسوباً إلى أرسطوطاليس بلفظ: «أي ملك أخدم ملكه دينه فهو مستحق للرياسة، وأي ملك جعل دينه خادماً لملكه، فالملك آفة له» (مختار الحكم ١٩٢)، وقد أورده عبد الواحد الأمدي بلفظه ضمن أقوال الإمام علي رضي الله عنه، (غرر الحكم ٢٩٥) وأورد في موضع آخر من كلامه أيضاً: «إن جعلت دينك تبعاً لدنياك أهلكت دينك ودنياك وكنت في الآخرة من الخاسرين، وإن جعلت دنياك تبعاً لدينك أحرزت دنياك ودنياك، وكنت في الآخرة من الفائزين» (ص ١٢٣-١٢٤) وانظر ما يشبهه من (ص ٢٠٢، ٢٠٣). وأورده أبو الحسن بن الحسين الرخعي غير منسوب بلفظ: «كل ملك جعل ملكه خادماً لدينه انقاد له كل سلطان، ومتى جعل دينه خادماً لملكه طمع فيه كل إنسان» (أحاسن المحاسن ١٥١).

[الفصل التاسع عشر]  
[أن يكون الملك أفضل الناس ديناً]

[الدين والملك]:

ينبغي<sup>(١)</sup> للملك أن يأنف من أن يكون (١٣١) في رعيته من هو أفضل ديناً منه، كما يأنف أن يكون في رعيته<sup>(٢)</sup> [من هو]<sup>(٣)</sup> أنفذ أمراً منه .

وقال أردشير بن بابك<sup>(٤)</sup> في عهده<sup>(٥)</sup> إلى ملوك فارس:

(١) ط: قال بعض الحكماء: ينبغي للملك أن يأنف أن يكون . . .

(٢) غ: فيهم .

(٣) الزيادة من ط .

(٤) أردشير بن بابك: وأردشير: بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الشين

المعجمة وسكون الباء المثناة من تحتها وبعدها راء، قاله الدارقطني الحافظ، وقال غيره:

معناه دقيق وحليب، ومثيل معناه دقيق وحلو، وهو لفظ أعجمي مكون من لفظتين (أرد)

وهو عندهم الدقيق و(شير) الحليب، و(شيرين): الحلو، والله أعلم. وقال بعضهم: أردشير

بالمهمزة والزاي، قال ابن مكي الصقلي: «والصواب أردشير بن بابك براءين وفتح الباء»

(تتقيف اللسان ٦٥)، وانظر (مجلة لغة العرب ١/ ١٥٢)، وأردشير هذا هو أحد ملوك

الفرس الذي آباد ملوك الطوائف، ومهد الملك لنفسه، واستول على الممالك، حكم بعد

أردوان بن بهرام واستمر في حكمه ١٤ سنة وجاء من بعده ابنه سابور، انظر حوله وفيات

الأعيان ٢/ ١٠٠-١٠١، ضمن الترجمة ٢٤١، ٣/ ٤٨١، ضمن الترجمة ٦٢٠، وغرر أخبار

ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي ٤٧٣-٤٨٦، وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ٤٢-٤٤،

مروج الذهب ١/ ١٤٥-١٥٥، وانظر نماذج من أقواله وأخباره في تاريخ الطبري

٢/ ٣٧-٤٣، (١/ ٨١٣-٨٢٢، طبعة أوروبا)، التنبيه والإشراف ٩٨، البدء والتاريخ

٣/ ١٥٦، التاج في أخلاق الملوك: ٢٥، ٢٧، ٤٧، ١١٨، ١٥٥، العقد الفريد

١/ ٢٧، ٢٩، ٤٨، ١٤٨، التمثيل والمحاضرة ١٣٦، ثمار القلوب ١٧٨، مقدمة كتاب

عهد أردشير للدكتور إحسان عباس .

(٥)

عهد أردشير: كان الملك من ملوك فارس يعهد إلى من بعده من الملوك عهداً يكون لهم إماماً ومرشداً، ويكون واجباً عليهم أن يدمنوا قراءته ويكثروا تدبره، فعهد أردشير وصية جامعة لمؤسس دولة جمع فيها تجاربه ومعرفته منسقة، فلا غرابة إذا ما صار لديهم دستوراً يحاط بالإجلال والتقديس؛ لما امتاز به أردشير من الذكاء، وبعد النظر، والعدالة، والحزم، فكان وثيقة سياسية هامة، تبين جوانب الفكر السياسي آنذاك، وقد ترجم إلى العربية في دور مبكر، يرجح أنها كانت في أواخر العصر الأموي، (انظر مقدمة عهد أردشير، ص ٣٥)، وظل هذا العهد متناثراً بين ثنايا الكتب، ولم ينشر - إذا استثنينا منتخب العلامة أحمد تيمور =

إِنَّ الدِّينَ وَالْمُلْكَ<sup>(١)</sup> تَوَامَانِ لَا قِوَامَ لِأَحَدِهِمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ؛ لِأَنَّ الدِّينَ أُسٌّ، وَالْمُلْكَ حَارِسٌ<sup>(٢)</sup>، وَلَا بَدَّ لِلْمُلْكِ مِنْ أُسِّهِ، وَلَا بَدَّ لِلْأُسِّ<sup>(٣)</sup> مِنْ حَارِسِهِ؛ لِأَنَّ مَا لَا حَارِسَ<sup>(٤)</sup> لَهُ ضَائِعٌ، وَمَا لَا أُسَّ لَهُ مِنْهُدُمْ<sup>(٥)</sup>.

= باشا منه الذي طبعه سنة ١٣١٨هـ - حتى قام الدكتور إحسان عباس أخيراً بتحقيقه وطبعه مطبعة دار صادر، بيروت، طبعته الأولى سنة ١٩٦٧.

قال المبرد: «ويروى أن المأمون أمر معلمه اللواتي بالله - وقد سأله عما يعلمه إياه - أن يعلمه: كتاب الله جل اسمه، وأن يقرئه عهد أردشير، ويحفظه كتاب كليله ودمته» (الفاضل ص ٤).

(١) غ: الملوك، وما أثبتناه عن ط وعن مصادر التخريج.

(٢) غ: حادث.

(٣) ط: للدين، وما أثبتناه عن غ، وعن مصادر التخريج.

(٤) غ: حادث.

(٥) قول أردشير: «إن الدين والملك توأمان..» وردت هذه الفقرة في عهد أردشير بلفظ: «واعلموا أن الملك والدين أخوان توأمان لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه؛ لأن الدين أسٌ والملك عماده، ثم صار الملك بعد حارس الدين، فلا بد للملك من أسه، ولا بد للدين من حارسه؛ لأن ما لا حارس له ضائع، وما لا أس له مهديم»، (انظر عهد أردشير ص ٥٣، الفقرة رقم ٤)، وقد استشهد الماوردي بنصوص من هذا العهد في كتابه نصيحة الملوك، (الورقة ٦ب، ٢١أ)، وقد وردت هذه العبارة في كثير من المصادر على صور مختلفة: ففي رسائل البلغاء: (ط ٣ ص ٣٨٢): «الدين أساس الملك، والملك حارس الدين، فلا يقوم أحدهما إلا بالآخر..» وفي عيون الأخبار: «إن الملك والدين أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر، فالدين أسٌ والملك حارس، وما لم يكن له أسٌ فهديم، وما لم يكن له حارس فضائع..» (ج ١ ص ١٣)، وأيضاً في (ص ٥ منه)، وتجذ العبارة كما وردت في العهد في مروج الذهب (١/ ١٥٤) وأنها من وصية أردشير لابنه سابور، وهي في لباب الآداب (ص ١٨)، وفيها زيادة، ونهاية الأرب (٦/ ٣٥)، والمستطرف (١/ ٨٧)، والعقد الفريد (١/ ٢٧) وفيه: «إن الملك والعدل أخوان..»، وفي سراج الملوك (٦١)، وغرر الخصائص (٦٣)، ومحاضرات الراغب الإصفهاني (١/ ١٦٧)، وقد ورد مقطع منه في التاج في أخلاق الملوك (ص ٣) غير منسوب، وفي الترجمة والنقل عن الفارسية منسوباً إلى نوشروان بلفظ: «إن قوام الملك إنما هو الدين، فإذا ضعف الدين ضعف الملك» (ص ١٠٥)، والسعادة والإسعاد منسوباً إليه في كلام طويل (ص ٢٠٧)، وتفسير روح البيان للشيخ اسماعيل حفي البرزوسي (المطبعة العثمانية ١٣٣٠هـ، ج ١، ص ٣٩٢)، في تفسير آية: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض»، (آية ٤٠، من سورة الحج)، وانظر شرح نهج البلاغة (٤/ ١٣٦) وقد تكلم الغزالي بمعناها (نصيحة الملوك ٥١)، قال ابن الجوزي معلقاً على هذا العهد: «قلت وهذا الذي قاله صحيح؛ فإن الأصل الملة والدين، والأنبياء تسوس بالترهيب والتشويق الأخراوي، ولما لم يكف ذلك في ردع النفوس لقوة غلبة الطباع، ردعت =

## [الدفع عن الدين بالملك]:

وكتب حكيم الروم<sup>(١)</sup> إلى الإسكندر:  
 ادفع عن دينك بملكك، ولا تدفع بدينك عن ملكك، وصير دنياك  
 وقاية لأخرتك، ولا تصير أخرتك وقاية لدنياك<sup>(٢)</sup>  
 وكيف يرجو من تظاهر بإهمال الدين استقامة ملك، وصلاخ حال،  
 وقد صار أعوان دولته أصدادها، وسائر رعيته أعداءها، مع فبح أثره وشدّة  
 ضرره، وبذلك قال النبي عليه السلام:  
 «[إنكم] ستحرصون على الإمارة، ثم تكون حسرةً وندامةً يوم القيامة،  
 فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة»<sup>(٣)</sup>.

= بالتحذير الدنياوي كالقتل والحد، قال الله عز وجل: «لقد أرسلنا رسلاً بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد» - الحديد: ٢٥ - فالأمراء يدعون ما أمرت به الشرائع من الردع، فعلمت أن السلطنة شرعية، فيجب أن تكون السياسة فيها قائمة على حدّ العدل، فإن مالت إلى الظلم صار الوالي متصرفاً بهواه لا بأمر الشرع، فخرجت الولاية إلى مقام الهوى والطبع، (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ١ / ٤٤٩ - ٤٥٠).

(١) قوله: «حكيم الروم» قلت هو أرسطوطاليس وقد مرت ترجمته وترجمة الإسكندر.  
 (٢) كتاب أرسطوطاليس إلى الإسكندر «ادفع عن دينك بملكك...» ذكره المشر بن فاتك منسوباً إليه بلفظ «صير دنياك وقاية لأخرتك، وصير أخرتك وقاية لدنياك، وقدم مجلس من كان معروفاً بالورع واقض حوائج العامة بهم» (مختار الحكم ١٩٣)، وأورد عبد الواحد الأمدي قولاً لعلي رضي الله عنه بلفظ (صير الدين حصن دولتك والشكر حرز نعمتك، فكل دولة يحوطها الدين لا تغلب، وكل نعمة يجزها الشكر لا تسلب» (غرر الحكم ٢٠٢)، وورد القول غير منسوب في أحاسن المحاسن بلفظ «ذب بملكك عن دينك، ولا تذب بدينك عن ملكك، واجعل دنياك وقاية لأخراك، ولا تجعل أخرتك وقاية لدنياك، فمن ذب بملكه عن دينه عز نصره، ومن وفق أخرته بدنياه جلّ قدره»، (ص ١٦١).

(٣) حديث «إنكم ستحرصون على الإمارة...» رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة بلفظ «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة»، (صحيح البخاري ٤ / ١٥٨ - باب الأحكام) والنسائي من حديث أبي هريرة في سننه في كتاب القضاة والبيعة بلفظ «إنكم ستحرصون على الإمارة وإنما ستكون ندامة وحسرة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» (سنن ٨ / ٢٢٥ و ٧ / ١٦٢)، وأحد في مسنده مرتين: إحداهما بلفظ «وستصير ندامة وحسرة... فيئست المرضعة ونعمت الفاطمة»، والثانية بلفظ «... حسرة وندامة... نعمت المرضعة وبئست الفاطمة»، من حديث أبي هريرة (مسند أحمد ٢ / ٤٤٨، ٤٧٦).

وقد قيل:

الملك خليفة الله في بلاده، ولن يستقيم أمرُ خلافته مع مخالفته<sup>(١)</sup>.

فالسعيد من وقى الدين بملكه، ولم يوقُ الملكَ بدينه، وأحى السنة بعدله، ولم يمتها بجوره، وحرس الرعية بتدبيره، ولم يضعها بتدميره؛ ليكون لقواعد ملكه موطداً، ولأساس دولته مشيداً، ولأمر الله في بلاده ممتلاً، فلن يعجزَ الله استقامة الدين عن سياسة الملك وتدبير الرعايا.

\* \* \*

(١) قولهم: «الملك خليفة الله في بلاده..» أورده الأمير أسامة بن منقذ بلفظ «.. لأن السلطان خليفة الله في أرضه..» ضمن قول طويل للحكيم أرسطوطاليس، (لباب الآداب ٥٨)، وانظر (ص ٧٢ منه) منسوباً إلى الحكماء. ومن كلام أنوشروان: «الملوك خلفاء الله في أرضه» وقال: «الملوك أمناء الله في أرضه، وأولى الأمور بالمؤمن حفظ ما أوتمن عليه..»، (السعادة والإسعاد ٢٠٦-٢٠٨)، وفي (الترجمة والنقل عن الفارسية ص ١٠٤-١٠٥)، وأورد الطرطوشي كلاماً طويلاً لسعد العشيرة حين دخل على بعض ملوك حمير جاء فيه «طاعة الأئمة فرض على الرعية، كما أن طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله، اتقوا الله بحقه والسلطان بطاعته. من إجلال الله إجلال السلطان عادلاً كان أو جائراً..» (سراج الملوك ٥٩)، وأورده أبو الحسن محمد بن أبي ذر يوسف العامري النيسابوري ضمن أقوال أنوشروان بلفظ: «قال أنوشروان: إن الله تبارك وتعالى إنما خلق الملوك لتنفيذ مشيئته في خلقه، وإقامة مصالحهم وحراستهم، فلذلك نقول بأنهم خلفاء الله في أرضه»، (السعادة والإسعاد ٢٠٦)، وفي الحديث: «إنما السلطان ظل الله ورحمه في الأرض»، (المقاصد الحسنة ١٠٥، رقم ٢٠٧) و(كشف الحفاء ١/ ٢٤٦، رقم ٦٤٥) و(نهاية الأرب ٦/ ١٢)، ومن كلام كعب الأحبار: «السلطان ظل الله في أرضه»، (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ٤٠١/١).

## [الفصل العشرون]

[قواعد الملك<sup>(١)</sup>]

ثم أقول:

- إن قواعد الملك مستقرة على أمرين:
- تأسيس.
- وسياسة.

---

(١) ذكر المؤلف هذه القواعد في أدب الدنيا والدين بتفصيل آخر إذ يقول:  
«إعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتزمة ستة أشياء هي  
قواعدها وإن تفرعت وهي:

- دين مشيع.
  - وسلطان قاهر.
  - وعدل شامل.
  - وأمن عام.
  - وخصب دائم.
  - وأمل فسيح. . . .»
- وأخذ يشرح كل قاعدة من هذه القواعد. (انظر ص. ١١٩ وما بعدها).



[تأسيس الملك وأقسامه] (١):

فأما تأسيس الملك فيكون في تثبيت أوائله ومباده، وإرساء قواعده ومبانيه.

وتنقسم ثلاثة أقسام:

تأسيس دين.

وتأسيس قوة. (٣١ب)

وتأسيس مالٍ وثروة.

[تأسيس الملك على الدين]:

فأما القسم الأول، وهو تأسيس الدين فهو أثبتها قاعدة، وأدومها مدة، وأخلصها طاعة.

وليس يخلو انتقال الملك به من ثلاثة أسباب:

أحدها:

أن يخرج الملك من منصب الدين حتى يتولى عليه غير أهله، ويظهر منه خلاف عقده، فتتفر منه النفوس إن لآن، وتعانده إن خشن، تعصيه

(١) أورد الأمير أسامة بن منقذ للحكيم أرسطوطاليس قولاً فيه أقسام الملوك على النحو التالي: -  
«قال الحكيم:

اعلم أن الملوك ثلاثة: ملك دين، وملك حزم، وملك هوى. فأما ملك الدين فإنه إذا قام لأهله دينهم، وكان دينهم هو الذي يعطيهم الذي لهم، ويلحق بهم الذي عليهم أرضاهم ذلك، وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الإقرار والتسليم.

وأما ملك الحزم فإنه يقوم به الأمر ولا يسلم من الطعن والسخط، ولن يضر طعن مع حزم القوي.

وأما ملك الهوى فلعب ساعة ودمار الدهر. (لباب الآداب ٧٤)، وفي الأدب الكبير من كلام ابن المقفع ضمن رسائل البلغاء، وفي سراج الملوك (٥٤) وعميون الأخبار (ج ١ ص ٢) منسوبةً فيها إلى ابن المقفع.

القلوب وإن أطاعته الأجساد، فيتطلبُ الناسُ للخلاص منه أسباباً، ويفتحون للوثوب عليه أبواباً، يستهلون فيها بذلَ النفوس والأموال؛ حفظاً لدينهم، فيصيرُ ملكه عرضةً للطالب، وحریمه غنیمةً للسالب، وقد قال حكيمُ الروم:

لا يزالُ الجائرُ من الملوكِ مهلاً، حتى يتخطى إلى أركانِ العمارة، ومباني الشريعة، فإذا قصدها اقتربت مدته.

### والسبب الثاني:

أن يكونَ الملكُ ممن قد استهانَ بالدين، وهونَ<sup>(١)</sup> أهله، فأهمَلَ أحكامه، وطمسَ أعلامه، حتى لا تؤدي فروضه، وتوفى حقوقه، إماً لضعفِ عزمه في الدين، وإما لانهماكه في اللذات، فيرى الناسُ أن الدينَ أقومٌ، ولحقوقه وفروضه ألزمٌ، فيصيرُ دينه مذحولاً<sup>(٢)</sup>، وملكه محلولاً.

قال بعضُ الحكماء:

إذا أقبلتِ الدولةُ خدمتِ الشهواتِ للعقول، وإذا أدبرتِ خدمتِ العقولُ للشهواتِ<sup>(٣)</sup>.

### والسبب الثالث:

أن يكونَ الملكُ ممن قد أحدثَ بدعةً في الدينِ شنعاً، واختارَ فيه أقوالاً بشعةً، يُفضي استمرارها إلى تبديله، ويؤوّل إلى تغييره وتعطيله، فتأبى نفوسُ الناسِ بغيرِ دينٍ قد صحَّ لهم معتقدهُ، واستقرتْ في القلوبِ أصوله وفواعدهُ، فيصيرُ دينه مرفوضاً، وملكه منقوضاً.

فإذا طرأ على الدينِ هذه الأسبابُ الثلاثةُ، ونهضَ إلى طلبِ الملكِ

(١) غ: وهو من أهله وهو تصحيف.

(٢) مذحولاً: الذحل: الحقد والعداوة.

(٣) قولهم: «إذا أقبلت الدولة... الخ» أورد هذا القولُ المبشر بن فاتك ضمن آداب ومواعظ أفلاطون بنفس ألفاظ المقطع الأول، أما المقطع الثاني منه فبلفظ: «... وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات» (مختار الحكم ١٣٨).

من يقومُ بنصرةِ الدينِ، ويدفعُ (آ٣٢) تبديلَ المبتدعينِ، ويجري فيهم على السُّننِ المستقيمِ، أذعنَتِ النفوسُ لطاعتهِ<sup>(١)</sup>، واشتدَّت في مؤازرتهِ ونصرتِهِ، ورأوا أن بذلَ النفوسِ له من حقوقِ اللهِ المفترضةِ، وأنَّ النصرَةَ له من أوامرهِ الملتزمةِ، فملكَ القلوبَ والأجسادَ، واستخلصَ الأعوانَ والأجنادَ، فإن نالوا معه من الدنيا حظًّا، وجمعوا به بين صلاحِ الدينِ والدنيا، صارَ مجتذباً<sup>(٢)</sup> إلى الملكِ لا جاذباً، ومرغوباً إليه لا راغباً، ولأنَّ له كلُّ صعبٍ، وهانَ عليه كلُّ خطبٍ، وتوطَّد له من أسِّ الملكِ ما لا يقاومُ سلطانهُ، ولا تُغلُّ أَعوانُهُ؛ لفرقٍ ما بين ملكِ الطالبِ والمطلوبِ، وتباينِ ما بين طاعةِ الخاطبِ والمخطوبِ.

[تأسيس الملك على القوة]:

وأما القسمُ الثاني، وهو تأسيسُ القوَّة، فهو أن يُحلَّ نظامُ الملكِ إما بالإهمالِ والعجزِ، وإما بالظلمِ والجورِ، فينتدُبُ لطلبِ الملكِ أولو القوَّة، ويتوثَّب عليه ذو القدرَةِ، إما طمعاً في الملكِ حينَ يضعفُ، وإما دفعاً للظلمِ حينَ استمرَّ.

وهذا إنما يتمُّ لجيشٍ قد اجتمعت فيهم ثلاثُ خلالٍ:  
كثرةُ العددِ.

وظهورُ الشجاعةِ.

وتفويضُ الأمرِ إلى مقدِّمٍ عليهم إما لنسبِ وأبوَّةِ، وإما لفضلِ رأيٍ وشجاعةِ.

فإذا توثَّبوا على الملكِ بالكثرةِ، واستولوا عليه بالقوَّة كانَ ملكٌ قهريُّ.

فإن<sup>(٣)</sup> عدلوا مع الرعيَّةِ، وساروا فيهم بالسيرةِ الجميلةِ صارَ ملكٌ تفويضٍ وطاعةٍ؛ فرساً وثبتت.

(١) غ: أذعن في النفوس بطاعته.

(٢) غ: محتذباً.

(٣) غ: وإن.

وإن جاروا وعسفوا، فهي حولة توثب، ودولة تغلب، يبيدها الظلم،  
 ويزيلها البغي، بعد أن تهلك بهم الرعايا، وتخرب بهم البلاد.  
 [تأسيس الملك على المال والثروة]:

وأما القسم الثالث فهو تأسيس المال والثروة، فهو أن يكثر المال في  
 (٣٢ب) قومه، فيحدث لهم بعلو الهمة طمعاً في الملك، وقل أن يكون هذا  
 الأمر إلا فيمن له بالسلطنة اختلاط، وبأعوان الملك امتزاج، فيبعث مطامع  
 الراغبين فيه على طاعته، وتسليم الأمر إلى زعامته.

وبعيد أن يتم ذلك إلا عند ضعف الملك وهائه، وفساد أعوانه  
 وزعمائه. وقيل في منشور الحكم:  
 المال ربما سؤد غير السيد، وقوى غير الأيد<sup>(١)</sup>.

فإذا انتقل به الملك كان أوهى الأسباب قاعدة وأقصرها مدة؛ لأن  
 المال ينفذ مطامع طالبيه، ويذهب باقتراح الراغبين فيه.

وقد قيل:

من وذك لأمر ولي مع انقضائه<sup>(٢)</sup>.  
 قال سليمان بن داود عليه السلام:

(١) قولهم: «المال ربما سؤد غير السيد...» ورد هذا القول في رسالة كلمات مختارة غير منسوب  
 لأحد وبلفظ: «ربما سؤد المال غير السيد وقوى غير الأيد» (ص. ٢١) وفي الإمتاع والمؤانسة  
 (١٤٩/٢) ومن كلام علي: «الغني يسؤد غير السيد. المال يقوي غير الأيد» (غرر الحكم  
 ٣١) والأيد، بوزن جيد، القوي.

(٢) قولهم: «من وذك لأمر ولي مع انقضائه» قال أبو حيان: «وجد على خاتم ملك الهند: من  
 وذك لأمر ولي عند انقضائه» (البصائر والذخائر ١٤٦) وفي آداب النفس منسوباً إلى حكيم  
 بلفظه (٨٥/١)، وفي هذا المعنى يقول صالح بن عبد القدوس: «شر الإخوان من كانت  
 مودته مع الزمان، إذا أقبل، فإذا أدير الزمان أدير عنك، فأخذ هذا المعنى الشاعر فقال:

شر الأخلاء من كانت مودته مع الزمان إذا ما خفاف أو رغبا  
 إذا وترت امرءاً فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يجصد به عنبا  
 إن العدو وإن أبدى مسألته إذا رأى منك يوماً فرصة وثبا

وقد أورد عبد الواحد الأمدي هذا القول ضمن أقوال علي رضي الله عنه بلفظ: «من واذك  
 لأمر ولي عند انقضائه» (غرر الحكم ٢٨١) وفي موضع آخر «من رغب فيك عند إقبالك زهد =

الذي يتوكل على غنايته سقوطه سريع.

فإن اقترن بسبب يقتضي ثبوت الملك [ثَبَّتْ] وإلا فهو وشيك الزوال،  
سريع الانتقال.

واعلم أن الدولة تبتدىء بخشونة الطباع، وشدة البطش؛ لتسرع  
النفوس إلى بذل الطاعة، ثم تتوسط باللين والاستقامة؛ لاستقرار الملك،  
وحصول الدعة، ثم تختتم بانتشار الجور وشدة الضعف؛ لانتقاض الأمر،  
وقلة الحزم.

وبحسب هذه الأحوال الثلاثة يكون ملوكها في الآراء والطباع.

وقد شبه المتقدمون الدولة بالثمرة؛ فإنها تبدو حسنة الملمس، مرة  
الطعم، ثم تدرك فتلين وتستطاب، ثم تنضج فتكون أقرب للفساد  
والاستحالة.

وكما تُبتدأ الدولة بالقوة، وتختتم بالضعف، كذلك تُبتدأ بالوفاء وتختتم  
بالغدر؛ لأن الوفاء مشيد، والغدر مشرد<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

= فيك عند إيدبارك» (ص ٢٩٠) ونسبه الثعالبي إلى بلهرا ملك الهند بلفظ: «من ودك لأمر  
أبعضك عند انقضائه» (الإيجاز والإعجاز ١١).

(١) قوله: «وكما تُبتدأ الدولة بالقوة وتختتم بالضعف... إلخ» أورد المشرحين فاتك قولاً  
لأفلاطون قريباً من هذا المعنى وهو قوله: «الدولة تُبتدأ بالعدل والرغبة، فإذا توسط أمرها  
سيست بالرغبة والرغبة، وإذا قرب زوالها سيست بالرغبة والمحابة...» (مختار الحكم  
١٦٣).

## [الفصل الحادي والعشرون]

## [سياسة الملك]

[قواعد سياسة الملك]:

وأما سياسة الملك بعد تأسيسه واستقراره (٢٣٣) فتشتمل على أربع قواعد<sup>(١)</sup>، وهي:

عمارة البلدان.

وحراسة الرعية.

وتدبير الجند.

وتقدير الأموال.

[١ - عمارة البلدان]:

فأما القاعدة الأولى، وهي عمارة البلدان، فالبلاد نوعان

مزارع.

وأمصار.

(١) غ: أربعة قواعد. وقوله «وأما سياسة الملك بعد تأسيسه واستقراره فتشتمل على أربع قواعد» لم تذكر نسخة ط هذه الأمور. وقد جاء في أدب الدنيا والدين ما نصه: «والذي يلزم سلطان الأمة من أمورها سبعة أشياء: أحدها: حفظ الدين من تبديل فيه، والحث على العمل به من غير إهمال له، والثاني: حراسة البيضة، والذب عن الأمة من عدو في الدين، أو باغي نفس أو مال، والثالث: عمارة البلدان باعتماد مصالحها، وتهذيب سبلها ومسالكها، والرابع: تقدير ما يتولاه من الأموال بسنن الدين من غير تحريف في أخذها وإعطائها، والخامس: معانة المظالم والأحكام بالتسوية بين أهلها واعتماد النصفة في فصلها، والسادس: إقامة الحدود على مستحقها من غير تجاوز فيها ولا تقصير عنها، والسابع: اختيار خلفائه في الأمور، أن يكونوا من أهل الكفاية فيها، والأمانة عليها» (أدب الدنيا والدين ١٢٣).

ومن كلام أنوشروان في واجبات الملك: «وأول ما يجب على الملوك إقامة الدين...» السعادة والإسعاد (٢٠٦-٢٠٨) والترجمة والنقل عن الفارسية (١٠٥)، وقال أفلاطون: «وأول ما يجب على الملك أن يأخذ به رعيته الإيمان بالله» السعادة والإسعاد (٣٤٠).

## [آ - عمارة المزارع]:

فأما المزارعُ فهي أصولُ الموادِ التي يقومُ بها أودُ الملكِ، وتتنظّمُ بها أحوالُ الرعايا، فصلاحيها خصبٌ وثراء، وفسادها جذبٌ وخلاء، وهي الكنوزُ المدخورة، والأموالُ المستمدة، وأيُّ بلدٍ كثرتْ ثماره ومزارعه استقلَّ بخيره، وفاضٌ على غيره، فصارتُ الأموالُ إليه تجلبُ، والأقواتُ منه تطلبُ، وهو بالصدِّ، إن قلَّتْ أو اختلَّتْ.

فلزمَ مدبّرُ الملكِ فيها ثلاثةَ حقوقٍ:

أحدها: القيامُ بمصالحِ المياهِ التي هو عليها أفدرُّ، ولها أفهرُّ، حتى تدرَّ فلا تنقطع، وتعمَّ فلا تمتنع، ويشارك فيها القريبُ والبعيدُ، ويستوي في الانتفاعِ بها القويُّ والضعيفُ.

فإن أهملتْ حتى قلَّتْ، وتغالبَ الناسُ عليها بسطوةٍ وقوةٍ، اختلَّ نظامُها، وفسدَ الثامُها، واستبدَّ فيها من استطالَّ، وتحكَّم في الأموالِ والأقواتِ، فضيَّقَ على الناسِ لسعته، وهزَّهم لمنفعته، وصارَ خصبهُ جذباً، وخطبهُ صعباً.

والحقُّ الثاني: عليه أن يحميهم من تخطفِ الأيدي لهم، ويكفِّ الأذى عنهم، فإنهم مطامعُ أولي السلاطة، ومأكلةُ ذوي القوة، ليأمنوا في مزارعهم، ولا يتشاغلوا بالذَّبِّ عن أنفسهم، ولا يكون لهم غيرُ الزراعةِ عملاً؛ لأنَّ لكلَّ صنعةٍ أهلاً فيستكثروا من العمارة، ويتسعوا في الزراعة، فيكونوا عوناً وعواناً لمن عداهم.

وقال النبيُّ عليه السلام:

«التمسوا الرزق في خبايا الأرض، الزرع»<sup>(١)</sup>

والحق الثالث: عليه تقديرٌ ما يؤخذ منهم بحكمِ الشرعِ وقضيةِ العدلِ (٣٣ ب) حتى لا ينالهم في قدرها حيفٌ<sup>(٢)</sup>، ولا يلحقهم في أخذها عسفٌ؛ فإنهم لا يصلون إلى إنصافه إلا بعدله؛ لتدعن نفوسهم ببذلِ الحقِّ منها طوعاً، ويكونَ لهم في تخفيفِ الكلفِ عنهم فضلٌ<sup>(٣)</sup>، فإنَّ الزمانَ باتساعهم خصبٌ، والملكُ باستقامةِ أمورهم ملتئمٌ.

فإن حيفَ عليهم في القدرِ، أو عسفَ بهم في الأخذِ انعكسَ الصِّلاحُ إلى ضدهِ، فدانوا وأدانوا، وصارتْ ولايةٌ فهِرٍ تخرجُ من سيرةِ العدلِ والإنصافِ.

ثم هم لإخلالهم واختلالهم من وراءِ نفورٍ وجلاءٍ.

قال سليمانُ بن داودَ عليه السلامُ:

اشرب الماءَ من ينبوعِكَ، وليفضْ ماؤُك في أسواقِكَ ليكونَ<sup>(٤)</sup>  
ينبوعُكَ مباركاً.

(١) حديث «التمسوا الرزق في خبايا الأرض، الزرع» رواه الدارقطني والبيهقي عن عائشة (كشف الخفاء / ٢٠٣ رقم ٥٢٩) وروى بلفظه، وقد يروي بلفظ «اطلبوا» عند أبي يعلى والطبراني والبيهقي بسند ضعيف (نفس المصدر ١ / ١٥٤ رقم ٣٩٦) وانظر أيضاً المقاصد الحسنة (ص ٨٣ ضمن الحديث رقم ١٦٢) والجامع الصغير (١ / ٤٤) وقال النسائي هذا حديث منكر (التيسير بشرح الجامع الصغير / ١٦٤) وقد ذكر الماوردي هذا الحديث في أدب الدنيا والدين (١٩٤) والأمثال والحكم (الورقة ٤١ ب) وأدب الوزير (٢٠) وانظره في ثمار القلوب (٥٠٩) والتمثيل والمحاضرة (ص ٢٦) وفيه «يعني الحرث» وفيه أيضاً أنه من أمثال الفلاحة والزراعة (ص ١٩٤، ٢٥٢) وخصاص الخصاص (٨١) ومن كلام عمر بلفظ «ابتغوا الأرزاق...» (ألف كلمة لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب ص ٧).

(٢) غ: خوف.

(٣) غ: فضلاً.

(٤) غ: ليكن.



قال بزرجهر:  
مَنْ عَمَرَ بَيْتَ الْمَالِ مِنْ ظُلْمِ رَعِيَّتِهِ كَمَنْ طَيَّنَ سَطْحَهُ مِنْ قَوَاعِدِ  
بَيْتِهِ<sup>(١)</sup>.

وكتب زياد<sup>(٢)</sup> إلى عماله على السواد:  
أحسنوا إلى المزارعين؛ فإنكم لا تزالون سماناً ما سمينا<sup>(٣)</sup>.

[ب - عمارة الأمصار]:

وأما الأمصارُ فهي الأوطانُ الجامعةُ.  
والمقصودُ بها خمسةُ أمورٍ:  
أحدها: أن يستوطنها أهلها طلباً للسكون والدعة.

(١) قول بزرجهر: «من عمر بيت المال...» أورده الثعالبي ونسبه إلى أنوشروان بلفظ: «إن الملك إذا كثرت أمواله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلع من قواعد بنيانه» (ثمار القلوب ١٧٩) و(التمثيل والمحاضرة ١٣٧) و(نهاية الأرب ٦ / ٨) ويلفظ: «مثل الملك الذي يعمر خزائنه بأموال رعيته كمثل الذي يطين سطح بيته بالتراب الذي يقتلعه من أساسه» (الإيجاز والإعجاز ١٤).

ومن كلام جعفر بن يحيى الذي ساقه الطرطوشي بقوله: «... ومثل من كلف الرعية من الخراج فوق طاقتها كالذي يطين سطحه بتراب أساس بيته» (سراج الملوك ١٢٣) وانظر المستطرف ١ / ١٠٨).

ومن كلام كسرى في قصة طريفة بينه وبين عجوز وابنتها في العدل والخصب: قال: «إن الملك إذا عمر بيوت أمواله بما يأخذ من الرعية كان كمن يعمر سطح بيته بما يقلعه من قواعد بنيانه» (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ١٠ / ٥٠٦).

(٢) زياد: هو زياد بن أبي سفيان، كان من الدهاة الخطباء الفصحاء. ضرب به المثل في حسن السياسة ووفور العقل وحسن الضبط لما يتولاه، مات سنة ثلاث وخمسين وهو أمير المصريين الكوفة والبصرة ولم يجمع قبله لغيره ونخطبه البتراء مشهورة انظر شيئاً من أخباره في الإصابة (١ / ٥٦٣ رقم ٢٩٨٧)، الاستيعاب (على هامش الإصابة) (١ / ٥٤٨-٥٥٥) أسد الغابرة ٢ / ٢٧١ رقم ١٨٠٠ (طبعة الشعب)، وانظر نماذج من أقواله في التمثيل والمحاضرة ٣٢، ١٣٤، ٤٤٠، البيان والتبيين ١ / ٧٣، ١١٨، ١٦٥، ١٩٦، ٢٩٦، ٢٦٠، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٥، ٦ / ٢، ٦١، ٦٥، ٦٦، ٨١، ٩٥، ١١٢، ١١٤، ١٤٥، ١٩٤، ٢٠٠، ٢١٠، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٢٠، ٣ / ٢٤٠، ٢٩٤.

(٣) قوله: «كتب زياد إلى أعماله على السواد: «أحسنوا إلى المزارعين...» انظر هذا الكتاب بلفظه منسوباً إليه في عبون الأخبار (١ / ١٠) وسراج الملوك (١٢٣) بلفظ «لم تزالوا».

والثاني: حفظ الأموال فيها من استهلاك وإضاعة.  
 والثالث: صيانة الحريم والحرم من انتهاك ومذلة.  
 والرابع: إلتماس ما تدعو إليه الحاجة من متاع وصناعة.  
 والخامس: التعرض للكسب وطلب المادة.  
 فإن عُدِمَ فيها أحد هذه الأمور الخمسة، فليست من مواطن الاستقرار،  
 وهي منزل قبيحة ودمار<sup>(١)</sup>.

قال الزبير بن العوام<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

«إِنَّ الْبِلَادَ بِلَادُ اللَّهِ، فَحَيْثُ مَا وَجَدْتَ خَيْرًا فَاحْمَدِ اللَّهَ وَأَقِمَّ»<sup>(٣)</sup>

وحظَّ السلطانُ في عمارة (٣٤ آ) البلدانِ والأوطانِ أوفى من حظِّ رعيته؛ لأنه أصلُهم فروعه، ومتبوعُهم أتباعه.

[شروط إنشاء الأمصار]:

والذي يُعتبرُ في إنشائها ستة شروطٍ:

أحدهما: سعة المياه المستعذبة.

والثاني: إمكان<sup>(٣)</sup> الميرة المستمدة.

والثالث: اعتدال المكانِ الموافق لصحة الهوى والترية.

(١) غ: منزل قلعة ووقار، وهو تصحيف، والقبيحة كما في الصحاح مثل القاع، وبعضهم يقول هو جمع.

(٢) الزبير بن العوام الصحابي الجليل وأحد المبشرين بالجنة المقتول سنة ٣٦هـ انظر الإصابة ١/ ٥٢٦-٥٢٨ رقم ٢٧٨٩، الاستيعاب ١/ ٥٦٠-٥٦٥، أسد الغابة ١/ ٢٤٩-٢٥٢ رقم ١٧٣٢، طبقات خليفة بن خياط ١٣، ١٨٩، ٢٩١، تاريخ خليفة بن خياط ٢٧، ٤٥، ٦٤، ٧٨، ١١٤، ١١٩، ١٢١، ١٦٠-١٦٨، ١٨٦.

(٣) حديث: «إن البلاد بلاد الله...» رواه أحمد والطبراني من حديث الزبير بسند ضعيف ولفظه عندهما: «البلاد بلاد الله، والعباد عباد الله فأبي موضع رأيت فيه رفقا فأقم» (المقاصد الحسنة ١٤٧ رقم ٣٠٤) ويلفظ «فحيثما أصبت خيرا فأقم» (الجامع الصغير ١/ ١٢٨) و(كشف الخفاء ١/ ٣٤٢ رقم ٩٢٤) و(التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٤٤١).

(٤) غ: أركان الميزة.

والرابع: قرْبَةُ مما تدعو الحاجةُ إليه من المراعي والأحطاب.  
والخامس: تحصينُ منازلِهِ من الأعداءِ والرُّعَارِ (١)  
والسادس: أن يحيطَ به سوادٌ يعينُ أهلهَ بموادِهِ.  
فإذا تكاملتْ هذه الشروطُ الستةُ في إنشاءِ مصرٍ، استحكمتْ قواعدُ  
تأييدهِ، ولم يزلْ إلاّ بقضاءِ محتومٍ، وأجلٍ معلومٍ

[ما على منشيءِ المصرِ في حقوقِ ساكنيه]:

ثم على منشيءِ المصرِ في حقوقِ ساكنيه ثمانيةُ شروطٍ:  
أحدها: أن يسوقَ إليه ماءَ الساريةِ إن بعدتْ أطرافُهُ، إما في أنهارٍ  
جاريةٍ، أو حياضٍ سائِلةٍ، ليسهلَ الوقوفَ إليه من غيرِ تعسّفٍ.  
والثاني: تقدِيرُ طرقِهِ وشوارعِهِ، حتى تتناسبَ ولا تضيقَ بأهلها،  
فيستضرّ المارُّ بها.

والثالث: أن يبنى جامعاً (٢) للصلواتِ في وسطهِ؛ ليقربَ على جميعِ  
أهلِهِ، ويعمّ شوارعَهُ بمساجدهِ.

والرابع: أن يقدرَ أسواقَهُ بحسبِ كفايتهِ، وفي مواضعِ حاجتهِ.  
والخامس: أن يميزَ خططَ أهلِهِ، وقبائلَ ساكنيهِ، ولا يجمعَ بينَ  
أضدادٍ متنافرين، ولا بينَ أجناسٍ مختلفين.

والسادس: إن أرادَ الملكُ أن يستوطنَهُ سكنَ منه في أفسحِ أطرافِهِ،  
وأطافَ به جميعَ خواصِّهِ، ومن يكفيه (٣) من أمرِ أجنادهِ، وفرقَ باقيهم في  
بقيةِ أطرافِهِ، ليكفوهُ من جميعِ جهاتهِ، وخصَّ أهلَهُ بالعدلِ، وجعلَ وسطَهُ  
بعواماً أهلِهِ (٣٤ ب) ليكونوا مكنوفينَ بهم، وليقلَّ ركوبُهُ فيهم، حتى لا يلينَ  
في أعينهم.

(١) الزُّعَار: جمع زُعْر، والزُّعْر: الرجل الذي فيه زُعْارة، والزُّعْرَاءَة -بتشديد الراء- شراسةُ الخلق.

(٢) غ: جامع.

(٣) غ: يكفئه.

والسابع: أن يحوطهم بسورٍ إن تاخموا عدوًّا، أو خافوا اغتيالًا، حتى لا يدخل عليهم إلَّا من أرادوه، ولا يخرج عنهم إلَّا من عرفوه؛ لأنَّه دارٌ لساكنيه، وحرزٌ لمستوطنيه.

والثامن: أن ينقل إليه من أعمالِ أهلِ العلومِ والصنائعِ ما يحتاجُ أهلهُ إليه؛ حتى يكتفوا بهم، ويستغنوا عن غيرهم.

فإذا قامَ منشئه بهذه الشروطِ الثمانيةِ فيه، فقد أدَّى حقَّ مستوطنيه، ولم يبقَ لهم عليه إلَّا أن يسيرَ فيهم بالسيرةِ الحسنَى، ويأخذهم بالطريقةِ المثلى، وقد صارَ من أكملِ الأمصارِ وطنًا، وأعدلها مسكنًا.

[أنواع الأمصار]:

والأمصارُ نوعان:

مصرٌ مزارعٌ وسوادٌ.

ومصرٌ فرصةٌ وتجارةٌ.

[مصر المزارع والسواد]:

فأما مصرُ المزارعِ والسوادِ، فهو أثبتُ المصرينِ أهلًا، وأحسنهما<sup>(١)</sup> حالًا، وأولاهما<sup>(٢)</sup> استيطانًا؛ لوجودِ موادِّه فيه، واقتناءِ أصولهما منه.

[من شروط مصر المزارع والسواد]:

ومن شرطه: أن يكونَ في وسطِ سوادهِ، وبينَ جميعِ أطرافه، حتى تعتدلَ موادِّه منها، وتتساوى طرقُه إليها، وهو موفورُ العمارَةِ ما كانَ سوادهُ عامرًا.

فإن نالَ أهلهُ فيه حيفًا، فرَّقهم الحيفُ في سوادهِ، فأصابوا عيشًا، ودافعوا من زمانِ الحيفِ وقتًا. وإن جارَ السوادُ على أهلهِ كانَ لهم في المصرِ أمنٌ وملاذٌ، ويكونُ كلُّ واحدٍ منهما للآخرِ معاذًا<sup>(٣)</sup>.

(١) غ: وأحسنها.

(٢) غ: وأولاهما.

(٣) غ: معاذ.

[مصر الفرصة والتجارة]:

وأما مصرُ الفرصةِ والتجارةِ فهو من كمالِ الإقليمِ، وزينةِ الملكِ؛ لأنَّه مقصودٌ بتحفيِّ البلادِ، وطرفِ (٣٥ آ) الأقاليمِ، فلا يعودُ فيه مطلوبٌ، ولا ينقطعُ عنه مجلوبٌ.

[شروط هذا النوع من الأمصار]:

والمعتبر فيه ثلاثة شروط:

أحدها: أن يتوسطَ أمصارَ الريفِ، ويقربَ من بلادِ المتاجرِ، فلا يبعدَ على طالبه، ولا يسبقَ على قاصده.

والثاني: أن يكونَ على جادةٍ تسهلُ مسالكُها، ويمكنُ نقلُ الأثقالِ فيها، إما في نهرٍ، أو على ظهرٍ. فإن توعرتُ مسالكُه، وأجدبتُ مفاوزُه، عدلَ الناسُ عنه إلا من ضرورةٍ.

والثالث: أن يكونَ مأمونَ السبلِ لأهلِ الطرقاتِ، خفيفَ الكلفِ، قليلَ الأثقالِ؛ فإنه ليسَ يأتيه إلا جالبٌ مجتارٌ يطلبُ من البلادِ أجداءها، فإن توعرَ هجرَ.

وهذا أكثرُ البلدينِ طالباً، وأنشرهما في الأقاليمِ ذكراً.

وهو معدٌّ لمطالبِ الملوكِ، لا لموادهم، فإن استمدوه وتحققوه بالمكوسِ والأعشارِ نفروا عنه.

وإن وجدوا سواه صارَ لأهلِ الضروراتِ دونَ الاختيارِ<sup>(١)</sup>، ولا دوامَ لأوطانِ الإضرارِ، ولا يبعدُ أن يندرسَ، فيلحقَ المضطربُ بالمختارِ، وإن لم يستدرِكهُ سلطانهُ بتخفيفِ وإنصافِ؛ لأنَّ [أمواله]<sup>(٢)</sup> أموالٌ تجاريةٌ متقلبةٌ،

(١) غ: الاختيار.

(٢) الزيادة من السياق.

لا يشق عليهم تحويلها، فهم<sup>(١)</sup> يستوطنون من البلاد أعدائها، ويقصدون من المتاجر والمعاملات أسهلها، فإن نبا بهم وطن، فكُلَّ البلاد لهم وطن.

قال الشاعر<sup>(٢)</sup>: [من الكامل]

وَأَتْرُكُ مَحَلَّ السَّوِّءِ لَا تَحْلُلُ بِهِ

وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحْوَلِ<sup>(٣)</sup>

(١) غ: فهو.

(٢) قوله: «قال الشاعر...» قلت إن البيت للشاعر قيس (أو عبد قيس) بن خفاف بن عمرو بن حنظلة البرجمي التميمي والبراجم من بني تميم، شاعر مجيد، له المفضليتان ١١٦، ١١٧، وهما الأصمعيان ٨٧ و٨٨، وتدلان على خلق رفيع، وكان جاهلياً، انظر بعضاً من أشعاره في الحماسة الشجرية ١/ ٤٦٨، وحماسة الظرفاء ١/ ١٥٣، وعن نسبه انظر اللباب ١/ ١٣٣، وربما نسب لشعراء آخرين. انظر مصادر التخريج.

(٣) قوله: «واترك محل السوء...» إلى آخر البيت نسبة الماوردي في كتابه الأمثال والحكم إلى قيس بن خفاف البرجمي (الورقة ٤٦ب) وجاء به بلفظه، وكذا في الحماسة البصرية (٢/ ١٦) وفي الحماسة الشجرية مع قصيدة (١/ ٤٦٩) منسوباً إلى عبد قيس بن خفاف وكذا في حماسة البحتري (١٧٩) بلفظ «احذر محل السوء...» وهو كذلك عند المفضل الضبي منسوباً إلى عبد قيس أيضاً ضمن ثمانية عشر بيتاً بلفظه (المفضليات ٢/ ١٨٥ رقم القصيدة ١١٦ من تحقيق أحمد محمد شاکر وعبد السلام هارون وص ٧٥١ من طبعة كارلوس يعقوب لايل بمطبعة الآباء اليسوعيين بيروت) وقد أورده ابن منظور في قصيدة من ١٤ بيتاً منسوبة إلى عبد القيس بن خفاف (لسان العرب - دار صادر - مادة كرب ١/ ٧١٢) قال ناشره حول هذا الاسم: «كذا في التهذيب، والذي في الحكم: قال خفاف بن عبد القيس البرجمي» (المصدر نفسه) وانظر تهذيب اللغة (مادة كرب ١٠/ ٢٠٦) والبيت في حماسة الظرفاء (١/ ١٥٣) وفيها تخريج ضمن أحد عشر بيتاً منسوبة إلى عبد قيس الحنظلي لابنه جبيل بلفظ «واحذر محل السوء... فإذا...» وقد ورد شطره الثاني غير منسوب في التمثيل والمحاضرة (ص ٤٠٠) وقد ورد البيت غير منسوب أيضاً في الأشباه والنظائر للخالديين (١/ ١٩٤) وقال محققه: إنه لعنترة وذكر تخرجاً له، كما ذكر أنه ينسب إلى عبد قيس (انظر حاشية ١/ ١٩٤) قال الخالديان: «ويروى أن هبنقة القيسي الذي يجمع سمع منشداً ينشد هذا البيت، فقال: أخطأ القائل. قيل له: ولم؟ قال: لأن أهل السجون قد نبا بهم منزلهم ولا يقدر على التحول، ولكن الصواب أن يقول:

إذا كنت في دار يمينك أهلها ولم تكن مكبولاً بها فتحول

(الأشباه والنظائر ١/ ١٩٤ والتذكرة السعدية ١/ ٣١٣. وفي الحماسة البصرية من شعر المقنع الكندي (٢/ ٣) ونسبه في موضع آخر إلى أبي الميالح العبدي (٢/ ٢٣) وهذا المعنى قد طرقة الشعراء كثيراً قال مسكين الدارمي:

وأما القاعدة الثانية [وهي حراسة الرعية] فلأنهم - لأمانات الله التي استودعه حفظها، واسترعاه القيام بها، لا يقدرُونَ على الدفع عن أنفسهم إلا بسلطانه، ولا يصلون إلى العدل والتناصف إلا بإحسانه، وهو منهم بمنزلة وليّ اليتيم المندوب لكفالتِهِ، والقيم بمصالحِهِ، يلزمه - بحكم الاسترعاء والأمانة - أن يقومَ زلله، ويصلحَ خلله، ويحفظَ أمواله، ويثمرَ مواده، كذلك مكانة من عيته في الذب عنهم، والنظر لهم، والقيام (٣٥ ب) بمصالحهم<sup>(٢)</sup>، فإن النفع بصلاح أحوالهم عائدٌ عليه، والضرر [بفسادها]<sup>(٣)</sup> متعدّدٌ إليه، فلن توجد استقامة ملكٍ فسدت فيه أحوالُ الرعايا.

= أقيم بدار الحي ما لم أهن بها وإن خفت من دار هواناً تركتها (أنظر الأشباه والنظائر ١ / ١٩٥) وفيه آيات أخرى بهذا المعنى. وقال العباس بن مرداس. وإن بوؤوك مبركاً غير طائل غليظاً فلا تنزل به وتحول (شرح ديوان الحماسة ١ / ٤٣٤)، وقال حزن بن جناب التميمي: وإن خفت من دار هواناً فوفاً سواك وعن دار الأذى فتحول (البتكرة السعدية ١ / ٣٢٢) ويلفظ «وإن خفت من أمر فواتاً فوله...» منسوباً إلى منقر بن فروة المقرري (البيان والنبين ٣ / ٢٢٨).

(١) حول حراسة الرعية قال أنوشروان:  
«الرعايا أربعة أقسام:

فقسم منها أهل الدين، وهم أصناف: الحكام والعباد والنسك والمعلمون.  
وقسم المقاتلة، وهم صنفان: فرسان ورجالة.  
والقسم الثالث: الكتاب، وهم أصناف: فمنهم كتاب الرسائل، وكتاب الخراج، وكتاب الشروط.  
والقسم الرابع: الخدم وهم الزراع والرعاة والصناع والتجار»  
(السعادة والإسعاد ص ٢٠٩).

(٢) قال ابن المقفع: «حق الوالي أن يتفقد لطيف أمور رعيته فضلاً عن جسيمها؛ فإن اللطيف موضعاً ينتفع به، وللجسيم موضعاً لا يستغنى عنه، ليتفقد الوالي - فيما يتفقد من أمور الرعية - فاقة الأحرار منهم فليعمل في سدها، وطفيان السفلة منهم فليقمعه» (الأدب الكبير ١١٦).

(٣) الزيادة من حاشية غ.

[ما يلزم الملوک في حق الاسترعاء]:

والذي يلزم الملك في حقوق الاسترعاء عليهم عشرة أشياء<sup>(١)</sup>:

أحدها: تمكين الرعية من استيطان مساكنهم وادعين.

والثاني: التخلية بينهم وبين مساكنهم آمنين.

والثالث: كف الأذى والأيدي الغالبة عنهم.

والرابع: استعمال العدل والنصفة معهم.

والخامس: فصل الخصام بين المتنازعين منهم.

والسادس: حملهم على موجب الشرع في عباداتهم ومعاملاتهم.

والسابع: إقامة حدود الله تعالى، وحقوقه فيهم.

والثامن: أمن سبلهم ومسالكهم.

والتاسع: القيام بمصالحهم في حفظ مياههم وقناطرهم.

والعاشر: تقديرهم وترتيبهم على أقدارهم، ومنازلهم، فيما يتميزون

به من دين وعمل وكسب وصيانة.

فإذا قام فيهم بهذه الحقوق، فهي السياسة العادلة، والسياسة الفاضلة

التي تستخلص بها طاعة الرعية، وتنتظم بها صلاح المملكة.

وإن أخل بها كان وإياهم على ضدها.

قال أردشير بن بابك:

(١) قوله: «عشرة أشياء...» ذكر المؤلف في أدب الدنيا والدين ص ١٢٣ أن الذي يلزم سلطان الأمة من أمورها سبعة أشياء سبق أن نقلناها في حاشية موضوع (فصل سياسة الملك بعد تأسيسه) فلتراجع. وقد سئل أنوشروان: ما الذي يجب على الملوك للرعية، وما الذي يجب للرعية على الملوك؟ قال: للرعية على الملوك أن ينصفوهم ويتصفوا لهم، ويؤمنوا سرهم، ويجرسوا نغورهم، وعلى الرعية للملوك النصيحة والشكر» (الحكمة الخالدة ص ٥٦).



سعادة الرعية في طاعة الملك، وسعادة الملك في طاعة المالك<sup>(١)</sup>.

قال بعض الألباء<sup>(٢)</sup>:

إذا لم يكن في سلطان الملك سرور لرعيته كان ملكه ظلماً<sup>(٣)</sup>.  
حكى أن أنوشروان أنفذ<sup>(٤)</sup> رسولا إلى ملك قد أزمع<sup>(٥)</sup> على محاربتيه،  
وأمره أن يتعرف سيرته في نفسه ورعيته، فرجع [إليه]<sup>(٦)</sup> وقال:

وَجَدْتُ عِنْدَهُ<sup>(٧)</sup> الْهَزْلَ أَقْوَى مِنَ الْجِدِّ، وَالْكَذِبَ أَكْثَرَ<sup>(٨)</sup> مِنَ الصِّدْقِ،  
وَالْجَوْرَ أَرْفَعَ<sup>(٩)</sup> مِنَ الْعَدْلِ.

فقال أنوشروان: رزقت الظفر عليه<sup>(١٠)</sup>، سر<sup>(١١)</sup> إليه، وليكن عملك في

(١) من قوله «قال سليمان بن داود عليه السلام: الذي يتوكل على غناؤه سقوطه سريع...» إلى هنا ليس في ط.

وقول أردشير بن بابك: «سعادة الرعية...» استشهد به الماوردي في كتابه نصيحة الملك وإنه من كلام أردشير في عهده وجاء به هناك بلفظ: «سعادة الرعية في طاعة الملك وسعادة الملك في طاعة الله الملك» (الورقة ٢٩ب)، وقد أورد الجاحظ هذا القول منسوباً إليه بلفظ «... في طاعة الملك، وسعادة الملك...» (التاج في أخلاق الملك ص ٢)، وقد أورده ابن الجوزي منسوباً إليه بلفظ: «سعادة الرعية في طاعة الملك، وسعادة الملك في طاعة الله» (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ١٤ / ٤٠١).

(٢) ط: بعض الحكماء.

(٣) قولهم: «إذا لم يكن في سلطان الملك سرور لرعيته كان ملكه ظلماً» أورده المؤلف في كتابه أدب الوزير بلفظه وفيه (... سرور الرعية... (ص ١٢) ومن أقوال عمر في هذا المعنى: «أشقى الولاة من شقيت به رعيته» (التمثيل والمحاضرة ٢٩) و(مجمع الأمثال ٢ / ٤٥١) و(الإيجاز والإعجاز ٨).

(٤) في نصيحة الملك: وجه.

(٥) في سراج الملك: قد أجمع.

(٦) الزيادة من سراج الملك وليست في غ ولا في ط ولا في نصيحة الملك.

(٧) في نصيحة الملك: الهزل عنده.

(٨) في نصيحة الملك: أكثر عنده.

(٩) في نصيحة الملك وسراج الملك: أوقع وما أثبتناه عن غ وط.

(١٠) في سراج الملك؛ الظفر به.

(١١) في نصيحة الملك: ثم دعا بعض قواده فقال له: سر إليه...

محاربتيه بما هو (١) أضعفُ عندهُ، وأقلُّ، وأوضَعُ، فإنك منصورٌ عليه (٢)، وهو مخذولٌ.

فسارَ إليه فظفرَ به (٣) واستولى على ملكه (٤).

[٣ - تدبير الجند]:

وأما القاعدةُ الثالثةُ - وهي تدبيرُ الجندِ - فلأنَّ بهم مَلَكٌ (٣٦) حتى قهرَ، واستولى على قدرٍ، فإن صلحوا كانت قوتهم له، وإن فسدوا صارت قوتهم عليه.

وبعيدٌ ممن كان معه فصارَ عليه أن يرى معه رشداً.

[شروط تدبير الجند]:

وتدبيرهم الذي يحقظُ عليهم طاعتهم، ويستخلصُ به نصرتهم، يكون بأربعةِ شروط، إن استكملها صلحوا به، واستقاموا له، وإن أخلَّ بها فسدوا عليه، وأفسدوا ملكه.

أحدها: تقيمهم بالأدب الذي يحفظُ عليه وفورَ نجدتهم، وكمالِ تجنيدهم، ليصلحَهُمُ بذلك لأنفسِهِم، ثم لنفسِهِ، ثم لرعيتهِ.

(١) في نصيحة الملوك وسراج الملوك: بما هو عنده أضعف، وفي ط بما هو أضعف وأقل.

(٢) (عليه) ليست في نصيحة الملوك ولا في سراج الملوك.

(٣) في نصيحة الملوك وسراج الملوك فقتله.

(٤) في نصيحة الملوك: على مملكته. وقوله: «حكى أن أنوشروان أنفذ رسولا إلى ملك قد أزمع على محاربتيه... الخ» أوردها الماوردي في كتابه نصيحة الملوك (الورقة ٣٧) ورواها الطرطوشي قائلا: «وقال الواحشي: وجه أنوشروان...» (سراج الملوك ١٨٨) ونجد مثل هذا الأمر ما رواه ابن مسكويه عن بعض قدماء الملوك أنه كان «إذا أراد محاربة ملك وجه من يبحث عن أخباره وأخبار رعيته... الخ» (الحكمة الخالدة ١٨٧) وابن عبد ربه في (العقد الفريد ١/ ١٤٨).

فأما صلاحهم لأنفسهم، فيكون بثلاثة أشياء:

أحدها: معطاة ما يحتاج إليه أجناد الملوك من الارتياض بالركوب، والخبرة بالحروب؛ لأنها صناعة تجمع بين علم وعمل.

والثاني: اختصاصهم بالجندية، واقتصارهم عليها؛ حتى لا ينقطعوا عنها بكسب سواها، فيصيروا مقصرين فيها.

والثالث: أن يقفوا في اللذات على اعتدال مباح، لا يقطعون إليها فتلهم، ولا يمنعون منها فتغريهم.

وأما صلاحهم لنفسه: فيكون بثلاثة أشياء:

أحدها: أن تستقر محبته في نفوسهم حتى ينصحوه.

والثاني: أن تعظم هيئته في قلوبهم حتى يطيعوه.

والثالث: أن يعتقدوا أن صلاح ملكه عائد عليهم، وفساده متعد إليهم.

وأما صلاحهم<sup>(١)</sup> لرعيته: فيكون بثلاثة أشياء:

أحدها: أن يكف نفسه عن أذاهم.

والثاني: أن يذب عنهم من أرادهم.

والثالث: أن يكون عوناً لهم على منافعيهم.

إذا صح له حملهم على هذا التأديب، واستقاموا على هذا التهذيب، كانوا أصلح جنود لأسعد ملك.

(١) غ: إصلاحه.

كتب الإسكندرُ إلى معلمه يسترشده [في جنده] <sup>(١)</sup>، فكتب إليه:

تفقدَ جنديك؛ فإنهم أعداءُ ينتقمُ بهم من أعداءِ.  
ومعناه <sup>(٢)</sup>: أنهم أعداءُ إذا فسدوا ينتقمُ بهم من أعداءِ إذا صلحوا.

### والشرط الثاني:

أن يرتبوا على حسبِ عنائهم <sup>(٣)</sup> في الحروب، وذبيهم عن الملك،  
ومسارعتهم إلى الطاعة، حتى يعلموا أن سعيهم مشكور <sup>(٤)</sup>، ونصحهم  
مذخور <sup>(٥)</sup> (٣٦ب)، يتقدمون به، ويتجاوزون <sup>(٦)</sup> عليه؛ فإن ذلك مفضي بهم  
إلى ثلاثِ خصالٍ تصلحُ بها أمورهم، وينتظمُ بها تدبيرُهُم:

إحداهن: أن يزدادَ محسنُهُم طاعةً ونصحاً، طلباً للزيادة في التقديم،  
ورغبةً مضاعفةً الجزاءِ.

والثانية: أن يرغبَ من قصرَ منهم <sup>(٧)</sup> أو أساء، في مثل ما ناله  
المحسنُ من منزلةٍ وجزاءٍ؛ فيتأسى به في الطاعة، ويساويه في المناصحة.

والثالثة: أن يكفَّ المقصّرُ عن طلبِ ما لا يستحقُّه، ويتأخرَ عن مقامٍ  
لا يستوجبُه، ويرضى بالخمولِ إن صغرتْ همتهُ، ويقنعَ بالتقصيرِ إن ضعفتْ  
مشتهُ، فإن حركتهُ حميةٌ لم يتردد <sup>(٨)</sup> إن لم يزد.

(١) الزيادة من ط.

(٢) في ط: قال أفضى القضاة: معناه أنهم...

(٣) غ: غناهم.

(٤) غ: مشكوراً.

(٥) غ: مذخوراً.

(٦) غ: ويتجاوزن.

(٧) غ: عنهم.

(٨) غ: لم يسترد.

## والشرط الثالث:

أن يقوم بكفائاتهم؛ حتى لا يحتاجوا؛ فإن الحاجة تدعوهم إلى  
اخصلة من ثلاث، لا خير في واحدة منهن:

إما أن يتسلطوا على أموال الرعية.

وإما أن يعدلوا إلى من يقوم لهم بالإكفاء.

وإما أن يشتغلوا بمكسب فيوهنوا، وإذا احتيج إليهم لم يغنوا،  
ما بذلوا انفسهم إلا لقيامه بكفائتهم.

وقد قيل:

من وثق بإحسانك أشفق على سلطانك.

ومتى اقتطعهم طلب الكسب ضعف في أنفسهم رجاؤه، وقل في  
أعينهم عطاؤه، ثم [إن] (١) بدر عليهم العطاء فلا يجوعون (٢) إلى المطالبة؛  
فإن المطالب جرى، وفي جراتهم خرق للحشمة، ووهن للهية، وقل  
ما يختل الملك إلا بمثله؛ لأن بهم تدفع الخطوب الملمة، فإذا كانوا هم  
الخطب الملم فبمن يدفعون إلا بالتلطف والإنصاف، فهم كالمثل السائر في  
قول الشاعر: [من البسيط]

بالمح يصلح ما يخشى تغييره  
فكيف بالملح إن حلت به الغير

وقد كانوا يرون القصد في إعطائهم قدر الكفاية أولى من التوسعة  
عليهم بالزيادة؛ لأن الزيادة تؤول بهم إلى إحدى خصلتين مذمومتين:

(١) الزيادة من السياق وليست في الأصل.

(٢) غ: يجوعوا.

إمّا إلى صرفها في الفساد ليفسدوا.

وإمّا إلى الاستغناء بها فيتقاعدوا.

حكى ابن قتيبة<sup>(١)</sup> أن أبرويز<sup>(٢)</sup> (١٣٧) قال لابنه [شيرويه<sup>(٣)</sup>] وهو في حبسه<sup>(٤)</sup>:

لا توسّعنّ على جنديك<sup>(٥)</sup>؛ فيستغنوا عنك، ولا تضيّقنّ عليهم؛  
فيضجّوا منك، وأعطهم<sup>(٦)</sup> عطاءً قصداً، وامنعهم منعاً جميلاً، ووسّع<sup>(٧)</sup> لهم  
في الرجاء، ولا توسّع عليهم في العطاء<sup>(٨)</sup>.

(١) ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الأديب والمؤرخ وصاحب التصانيف البديعة: المعارف، وأدب الكاتب، وعيون الأخبار، والشعر والشعراء، والإمامة والسياسة. وهو غني عن التعريف كان فاضلاً ثقة، ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ وتوفي سنة ٢٧٠هـ وقيل ٢٧١ وقيل ٢٧٦ والأخير أصحها، وفتية تصغير قبة بكسر القاف واحدة الأقتاب والأقتاب الإمعاء انظر أخباره في وفيات الأعيان ٢/٢٤٦-٢٤٧، رقم الترجمة ٣٠٤، ومقدمة عيون الأخبار بقلم أحمد زكي العدوي ١/١-٤٤، الفهرست ١٢١-١٢٢، تاريخ بغداد ١٠/١٧٠، شذرات الذهب ٢/١٦٩، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ٢٢١-٢٣٠، ومقدمة كتاب المعارف بقلم ثروت عكاشة.

(٢) أبرويز: هو أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان، أحد ملوك الفرس. ولي بعد خلع أبيه هرمز وملك ثمانين وثلاثين سنة، حتى صجر الناس منه فخلعوه ونصبوا ابنه شيرويه. انظر نبذة من أخباره في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص. ٦٦١-٧٢٧، وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص. ١٩، المعارف ٦٦٥، مروج الذهب ١/١٦٩-١٧٥.

(٣) شيرويه: هو شيرويه بن أبرويز وقد ملك بعد أبيه، ذلك أن أباه كان قد استعان بقيصر فانكحه قيصر ابنته فكان شيرويه ابن بنت قيصر، وقد خفف بعض الشيء على الناس، وإن كان قد قتل أباه وبعضاً من إخوته، وقد دام حكمه سبعة أشهر، انظر أخباره في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ص. ٧٢٧، مروج الذهب ١/١٧٥، المعارف ٦٦٥، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص. ١٩.

(٤) الزيادة من عيون الأخبار ومن سراج الملوك والعقد الفريد وليست في غ ولا في ط.

(٥) ط: على عبيدك.

(٦) في عيون الأخبار وغرر أخبار ملوك الفرس: أعطهم بسقوط الواو.

(٧) ط: وأوسع.

(٨) قوله: «حكى ابن قتيبة أن أبرويز قال لابنه...» روى ابن قتيبة ذلك في عيون الأخبار (١١/١)، وقال: «وقرأت في كتاب التاج...» ثم ساقه بلفظه، وروى ذلك أيضاً =

## والشرط الرابع:

أن لا تنطوي عنه أخبارهم، ولا تخفى عليه آثارهم، وهم رعاة دولته، وحماة رعيته.

فإن تدلّس سقيمهم، وستر جميلهم للقبیح، سرى فيهم أخبث الأمرين؛ لأن الشرّ أنفر بين الخير، فمالوا وأمالوا.

وتلحقهم ثلاث آفات خطيرة تقدح في صلاحهم، وتمنع من فلاحهم:

إحداهن: أن يكرهوا زمن السلامة والمسالمة، ويستقلّوا مدة الدعة، لبوار نفاقهم، وفتور أسواقهم، فيجعلوا لفتق الرتوق أسباباً، ويفتحوا لمخارجة العدو أبواباً يتوصلون بها إلى مطامع حسنها السلام والدعة، فإن استدركت غوائلهم، وإلا فهم الخطب الأطم، والفذح الأعم.

## والثانية:

أن يتوصل العدو إلى استمالتهم لفرصة الغفلة عنهم، فإذا لم يمنعه التيقظ، ولم يكفه التحفظ، وسهام الرغائب صائبة، ظفر بكيده فاصطلم، ومال به فاحتكم.

## والثالثة:

أن يبعثهم الإغفال على التسلط، ويدعوهم الإهمال إلى التبسط؛

== الثعالبي في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (٦٩٠) بلفظه أيضاً، وقد أورده الطرطوشي بنصه فيه «ووسع لهم في الرخاء» بالخاء المعجمة الفوقية وهو تصحيف (سراج الملوك ١٢٢). وقد أورده ابن عبد ربه بلفظ: «لا توسعن على جنك سعة يستغنون بها عنك ولا تضيقن عليهم ضيقاً يضجون به منه، ولكن أعطهم عطاء قصداً، وامنعهم منعاً جميلاً وابسط لهم في الرجاء ولا تبسط لهم في العطاء» (العقد الفريد ٣٠/١) وهو اللفظ نفسه الذي دونه النويري في نهاية الأرب (١٧/٦).

تطاولاً للسلطنة؛ فلا يقبضوا يداً عن إرادةٍ يستهلكون بها الأموال، ويستأصلون بها الأحوال، فتكثر بهم الرزايا، وتهلك بهم الرعايا، ويكونوا أضراً بالملك من كل متغلب، وأذكى<sup>(١)</sup> فيه من كل متوثب، وهذا لا يتحسب إذا استمر إلا بالزواج القاهرة، وهم يده الباطشة، فيستعين بمستقيمهم إن ظفروا بتسليم مستقيم، وإلا فإلى عطب يؤول [إلى]<sup>(٢)</sup> الفساد، فبعيد أن يعم فسادهم وفي الملك ثبات.

فإن (٣٧ب) أسعدته الفضل بصلاحهم استدرك ما يستأنفه بالبحث عن أحوالهم المستقلة، ولم يغفل عن صغيرٍ لكبير، فإن كبار الأمور تبدو صغاراً كالنار يصير إغفال قليلها ضراً ما لم يستدرك.

وأصعب ما يعانیه المدبر للدولة سياسة الجند؛ لأن بهم يقهر حتى يسوس، وإذا عجز بفسادهم صار مقهوراً، وإن ساسهم بحزمه حتى انقادوا كان لهم بالقوة سلطاناً، وكانوا له بالطاعة أعواناً، وقد قيل:

من علامات الدولة قلة الغفلة<sup>(٣)</sup>.

[٤ - تقدير الأموال]:

وأما القاعدة الرابعة - وهي تقدير الأموال - فلأنها المواد التي يستقيم الملك بوفورها، ويختل بقصورها.

(١) غ: وأزكى وليست في ط.

(٢) الزيادة من السياق.

(٣) قوهم: «من علامات الدولة قلة الغفلة» ساق الماوردي هذا القول في أدب الوزير دون أن يسميه لقائل وذلك بلفظ من علامة بقاء الدولة قلة الغفلة» (ص. ١٣)، ومن كلام علي رضي الله عنه: «من إمارات الدولة التي تقط لحراسة الأمور» (غرر الحكم ٣٠٤) و«من دلائل الدولة قلة الغفلة» (٣٠٥).

وقالوا: «من لم يستظهر باليقظة لم يتفح بالحفظه» (سراج الملوك ٥٧).



وتقديرها على الملوك مستصعب.

لأنهم يَرَوْنَ - بفضل القدرة - بلوغ كل غرض، ودرك كل مطلب، فإن وصلوا إليه بالأسهل الألف، وإلا توصلوا بالأصعب الأعنف، وإن استباحوه شرعاً، وإلا ارتكبوا<sup>(١)</sup> محذوره، وكابدوا معسوره.

فإن أقاموا بفضل الحزم على السياسة العادلة حتى وقفت بهم القدرة على تقدير الأموال أن يعتبر بما استدام حصوله، ويسهل وصوله، ولم يحتج معه إلى التماس معذر<sup>(٢)</sup>، وارتياح متعذر، اعتدلت ممالكهم، وتعذلت مطالبهم، فلم يعجزوا عن حق، ولم يتعدوا إلى باطل، وكان الظافر بهذه الحال منهم هو الملك السعيد، ورعيته به أسعد الرعايا، وكان المقصر فيها على ضدها.

قال لي بعض الملوك - وقد توفّر على لذته، ولأم غيره من الملوك عليها، وكنث سفيراً بينهما: إني قدّرتُ خرجي بدخلي، وجعلتُ لكلّ خرجٍ دخلاً كافياً، واستنبتُ فيه أمناً (٣٨٨) كفاة<sup>(٣)</sup>، وأذنتُ لمن قصر دخله عن خرجِه أن يقترض من غيره ما يقضيه عند وفور دخله، ثم صرفتُ زمانَ التشاغل به إلى اللذة بعد إحكامه، ونفسي ساكنة [إلى]<sup>(٤)</sup> انتظامه؛ فإن الملك يراؤ للالتذاذ به، ولو لم أفعل هذا لكنث في التشاغل باللذة ملوماً. فإن كان هذا الملك قبل توفّره على لذته قد أحكم ما أحكمته<sup>(٥)</sup> لم يلم، وإن<sup>(٦)</sup> كان قد أهمله فهو الملوّم دوني.

(١) غ: ارتكبه.

(٢) غ: معوز.

(٣) ط: على امان الكفاة

(٤) الزيادة من ط.

(٥) ط: أحكمت.

(٦) ط: وإن أهمل فهو الملوّم.

فقلتُ له: قد لمتَ غيرَكَ بذنبٍ خلصتَ منه نفسِكَ، فجعلتَهُ (١)  
لنفسِكَ عذراً، ولغيرِكَ جرماً، ولعمري إنَّ المستظهرَ أعذرُ من المسترسلِ.

وأحجمتُ عن استيفاءِ مناظرتهِ (٢) التزاماً لحشمتِهِ، وإنَّ كَانَ حجاجُهُ  
معتلاً، وعذرهُ مختلاً؛ لأنَّ قليلَ الذلِّ (٣) لا يعري [من] (٤) قليلَ العدلِ.

[وجه تقدير الأموال]:

وإنَّ كَانَ تقديرُ الأموالِ قاعدةً، فتقديرُها معتبرٌ من وجهين:

أحدهما تقدير دخلها:

وذلك مقدَّرٌ من أحد وجهين:

إما بشرعٍ وردَ النصُّ فيه بتقديره، فلا يجوزُ أن يخالفَ.

وإما باجتهادٍ ولأه العبدُ فيما آذاهم الاجتهاد إلى وضعه وتقديره،  
ولا يسوغُ أن ينقضَ. وإذا ردتْ إلى القوانينِ المستقرةِ ثمرتْ بالعدلِ وكان  
إضعافُها بالجورِ ممحوقاً.

والثاني تقدير خرجها:

وذلك مقدَّرٌ من وجهين:

أحدهما: بالحاجةِ فيما كانتْ أسبابه لازمةً أو مباحةً.

والثاني: بالممكنةِ حتى لا يعجزَ منها دخلٌ، ولا يتكَلَّفَ معها عسْفٌ.

(١) ط: فجعلت.

(٢) ط: مناظرته.

(٣) ط: القليل الزلل.

(٤) غ: لا يعترى قليل والتصحيح والزيادة من ط، وهذه الحكاية تؤيد ما ذكره المترجمون  
للماوردي من أنه كان يقوم بمهمة السفارة بين الملوك.

## [مقابلة الدخل بالخرج]:

ثم لا يخلو حال الدخل إذا قوبل بالخرج من ثلاثة أحوال:

أحدها:

أن يفضل الدخل عن الخرج .

فهو الملك السليم، والتقدير المستقيم؛ ليكون فاضل الدخل معداً لوجوه النوائب (٣٨ب) ومستحدثات العوارض؛ فيأمن الرعية عواقب حاجته، ويشق الجند بظهور مكنته، ويكون الملك قادراً على دفع ما طرأ من خطب، أو حدث من خرق؛ فإن للملك فنوناً لا ترتقب، وللزمان حوادث لا تحسب.

## والحال الثانية:

أن يقصر الدخل عن الخرج .

فهو الملك المعتل، والتدبير المختل؛ لأن السلطان - بفضل القدرة - يتوصل إلى كفايته كيف قدر، فتأول ما وجب، ويطلب بما لا يجب، وتدعو الحاجة إلى العدول عن لوازم الشرع وقوانين السياسة إلى حرف<sup>(١)</sup> يصل به إلى حاجته ويظفر بإرادته، فيهلك معه الرعايا، وينسبط عليه الأجناد، وتدعوهم الحاجة إلى مثل ما دعت، فلا يمكن قبضهم عن التسلط وقد تسلط، ولا منعهم من الفساد وقد أفسد.

فإن استدرك أمره بالتقنع، وساعده أجناده على الاقتصاد، وإلا فإلى عطب ما يؤول الفساد.

## والحال الثالثة:

أن يتكافأ الدخل والخرج حتى يعتدل، ولا يفضل، ولا يقصر؛ فيكون الملك في زمان السلم مستقلاً، وفي زمان الفتوق والحوادث مختلاً، فيكون لكل واحد من الزمانين حكمه. فإن ساعده القضاء بدوام السلم كان على

(١) حرف: وجه وقد سقط هذا الموضوع من ط.

دَعْتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ، وَإِنْ تَحَرَّكَتْ بِهِ النَوَائِبُ، كَدَّهُ الاجْتِهَادُ، وَتَلَمَّهَ الْأَعْوَانُ،  
فَيَجْعَلُ الْمَلِكُ ذَخِيرَةَ نَوَائِبِهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْإِحْسَانَ إِلَى رَعِيَّتِهِ،  
وَتَحْكِيمَ الْعَدْلِ فِي سِيَاسَتِهِ؛ لِيَكُونَ بِالرَّعِيَةِ مُسْتَكْتَرًا، وَبِالْعَدْلِ مُسْتَمْرًا.

\* \* \*

## [الفصل الثاني والعشرون]

[أصل ما تبني عليه السياسة العادلة]

وأصل ما تبني عليه السياسة العادلة في سيرة الرعية بعد حراسته الدين  
وتخيار الأعوان أربعة:  
الرجبة.  
والرهبة. (٣٩)  
والإنصاف.  
والانتصاف<sup>(١)</sup>  
فأما [الرجبة]:

فتدعو إلى التآلف، وحسن الطاعة، وتبعث على الإشفاق، وبذل  
النصيحة، وذلك من أقوى الأسباب في حراسة المملكة.  
فإن قبضها عنهم زال حكمها معهم، وتصنعوا بالطاعة تريباً للدوائر،  
وسارعوا إلى المعصية عند هجوم النوائب، فهو منهم بين نفاق وإن  
ساتروه، وبين شقاق وإن جاهره، ولا خير في ما تردد بين نفاق وشقاق.  
وقال أبرويز:

أجهل الناس من يعتمد في أمره على من لا يأمل خيره، ولا يأمن  
شره<sup>(٢)</sup>.

وأما [الرهبة]:

فتمنع خلاف ذوي العناد، وتحسم سعي أهل الفساد؛ حذراً من

(١) أصل هذا الكلام قول أرسطوطاليس للإسكندر: «تشكل بأشكال مختلفة من لين سياسة  
وغلظة؛ ليجتمع لك أمر الناس طوعاً من بعض، وكرهاً من آخرين... الخ» في أقوال  
كثيرة (انظر السعادة والإسعاد ٣٠١).

(٢) قول أبرويز: «أجهل الناس من يعتمد في أمره على من لا يأمل خيره ولا يأمن شره»،  
أورده الأمير أسامة بن منقذ بهذا اللفظ منسوباً إليه (لباب الآداب ٥٨).

السطوة؛ وإشفاقاً من المؤاخذه، وذلك أقوى الأسباب في تهذيب المملكة.

فإن زالت عنهم زال حكمها معهم، فلأن، واشتدوا وهان، واعتزوا، فاستسهلوا معصيته، واستقلوا طاعته، وصارت أوامره فيهم لغواً، وزواجره لهواً، وقد قيل:

من إمارات الجدِّ حسنُ الجدِّ<sup>(١)</sup>.

وإذا جمع بين الرغبة والرغبة، قادهم الرجاء إلى طاعته، وصددهم الخوف عن معصيته، وانبسط فيهم الأمل، وكثر منهم الرجل، فعز سلطانه، واستقام أعوانه.

قال بعض الحكماء:

من أعرض عن الحذر والاحتراس، وبنى أمره على غير أساس، زال عنه العز، واستولى عليه العجز<sup>(٢)</sup>.

وأما [الإنصاف]:

فهو عادلٌ يفصل بين الحق والباطل، يستقيم به حال الرعية وتتنظم به أمور المملكة؛ فلا ثبات لدولة لا يتناصف أهلها، ويغلب جورها على عدلها؛ فإن الندرة من الجور تؤثر، فكيف به إذا كثر.

(١) قولهم: «من إمارات الجد حسن الجد» أورده الأمير أسامة بن منقذ ضمن أقوال أرسطوطاليس بلفظه (لباب الآداب ٦٨). قال الشيخ أحمد محمد شاكر في شرح هذا القول: «الجد الأولى بفتح الجيم بمعنى البخت والحظوة، والثانية بكسرها بمعنى الاجتهاد» (لباب الآداب حاشية ص ٦٨).

(٢) قولهم: «من أعرض عن الحذر والاحتراس... الخ» سيورده المؤلف مرة أخرى في هذا الكتاب بزيادة فيه وهي قوله: «فصار من يومه في نحس ومن غده في لبس»، وأورده في أدب الوزير (ص ٢١) باللفظ الذي ورد هنا وفي الأمثال والحكم (الورقة ٥٢ب)، باللفظ الذي ورد هناك. وقد نسب الأمير أسامة بن منقذ هذا القول إلى الحكيم أرسطوطاليس بألفاظه وبزيادته باستثناء كلمة (الحذر) فإنها فيه بلفظ (الحزم)، (لباب الآداب ٦١)، وأورده النويري منسوباً لبعض الحكماء بزيادة هي قولهم: «وإن قدم لطوارئه حذر المتيقظ وتلقاها بعدة المتحفظ رد بادرها بعزم ذي حزم، قد حلب أشطر دهره وقام بواضح عذره»، (نهاية الأرب ٦/ ١٠٦).

ولو لم يتناصف أهل الفساد لما تم لهم فعل الفساد، فكيف بملك قد استرعاه الله صلاح عباده، ووكّل إليه عمارة بلاده، إذا لم يحمل على التناصف والتعاطف، ومزجت (٣٩ب) فيه الأهواء بالخرف<sup>(١)</sup>، وتحكمت القوة في منع الحق أن لا يوفى، وفي إحداث ما لا يستحق أن يستوفى، وتهارج الناس فيها بالتغالب، وتمازجوا فيها بالتطاول والتغاضب، هل يقترب بهذا الملك - وقد تعطلت هذه الأصول به - صلاح؟ كلاً، لن يكون الباطل حقاً، والفساد صلاحاً، وقد قال أردشير بن بابك:

إذا رغبت الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة<sup>(٢)</sup>.

قال الإسكندر لحكماء الهند:

أيما أفضل: العدل أم الشجاعة؟

قالوا:

إذا استعمل العدل استغني عن الشجاعة<sup>(٣)</sup>.

(١) غ: بالحرف.

(٢) غ: عن الباطل والتصحيح مما سيورده المؤلف في هذا الكتاب إذ استشهد به مرة ثانية، ومن ط ومن كتب التخريج. وقوله: «إذا رغبت الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة»، تجده في ثمار القلوب (١٧٨) بلفظه منسوباً إلى أردشير، وفي التمثيل والمحاضرة (ص ١٣٦) بلفظ «عن طاعته»، ونسب أيضاً إليه، وهو بهذا اللفظ الأخير في زهر الآداب (٢١٢) وأقوال أردشير (ملحقه بكتاب عهد أردشير)، ص ١٠٢، رقم الفقرة ٢٦، والمستطرف ١/ ١٠١.

(٣) قول الإسكندر لحكماء الهند: «أيما أفضل العدل أم الشجاعة؟»، أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين بزيادة هي قوله: «وحكي أن الاسكندر قال لحكماء الهند، وقد رأى قلة الشرائع بها: لم صارت سنن بلادكم قليلة؟ قالوا: لإعطائنا الحق من أنفسنا، ولعدل ملوكنا فينا، فقال لهم: أيما أفضل: العدل أم الشجاعة؟..» (انظر ص ١٢٥)، وأورده النويري بلفظ: «سأل الإسكندر حكماء بابل فقال: أيما أبلغ العدل أو الشجاعة.. وفيه: إذا استعملنا العدل استغنيينا عن الشجاعة»، (نهاية الأرب ٦/ ٣٥)، وانظر (المستطرف ١/ ١٠١-١٠٢). وأورده الأمير أسامة بن منقذ بلفظه منسوباً إليه (لباب الآداب ٥٧)، وأورده الحسن بن الحسين الرخجي بلفظ: «وقد قيل إنه - أي الإسكندر - سأل من حضره من حكماء الهند: لم سريتمكم قليلة؟ فقالوا لإعطائنا الحق من نفوسنا وطاعتنا للملوكنا، وحسن سيرتهم وعدلهم فينا، فقال لهم: أيما أفضل العدل أم الشجاعة عند الحرب؟ فقالوا: من عدل استغنى عن الحرب، ومن استغنى عن الحرب استغنى عن الشجاعة» وأورده ابن =

قال بعضُ العلماءِ<sup>(١)</sup>:

الملكُ يبقى على الكفرِ ولا يبقى على الظلمِ<sup>(٢)</sup>.

فأخذه بعضُ الشعراءِ فقالَ في ذلك:

عليك بالعدلِ إن وليتَ مملكةً

واحذرْ من الجورِ فيها غايةَ الحذرِ

فالملكُ يبقى على الكفرِ البهيمِ ولا

يبقى مع الجورِ في بدوٍ وفي حصرِ

ولا ينقض<sup>(٣)</sup> هذا القول ما قدّمناه من اعتبارِ الدينِ في قواعدِ الملكِ؛

لأنَّ الكفرَ تدينٌ باطلٌ، والإيمانَ تدينٌ بحقٍّ، وكلاهما دينٌ معتقدٌ، وإن صحَّ أحدهما وبطلَ الآخرُ.

وربما<sup>(٤)</sup> ظن من تسلطَ بالسطوةِ من الولاةِ أنه بالجورِ أقدرُ، وأقهرُ،

وأنَّ أمواله بالحيفِ أكثرُ وأوفرُ، ويخفى عنه أنَّ الجورَ مستأصلٌ، يقطعُ قليلٌ

باطلِهِ كثيرَ الحقِّ في الأجلِ، ثم إلى زوالِ يكونِ المألُ، فقد قيلَ في حكمِ

الفرسِ:

ستةُ أشياء لا ثباتَ لها:

= الجوزي بلفظ: قيل لأنوشروان: أي العدد أقوى؟ قال: العدل، وأول العدل أن يبدأ المرء بنفسه، فيلزمها كل خلة زكية وخصلة مرضية» (المصباح المضيء ١ / ٤٥١) وفيه تحريج.

(١) ط: بعض الحكماء.

(٢) قولهم: «الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم»، ورد هذا القول بلفظه دون نسبة إلى قائل في التمثيل والمحاضرة ١٣٠، والمصباح المضيء ١ / ٤٦١، ونسبه الثعالبي إلى النجاشي أحد ملوك الحبشة (الإيجاز والإعجاز ١٥)، وقد أورده الغزالي على أنه حديث نبوي بلفظه وفيه «مع الكفر... مع الظلم»، (نصيحة الملوك ٤٤).

(٣) ط: قال أقضى القضاة: ليس ينقض..

(٤) ط: قال أقضى القضاة: وربما ظن...



ظلّ الغمام، وخلة الأشرار، وعشرة<sup>(١)</sup> النساء، والثناء الكاذب،  
والسلطان الجائر، والمال الكثير<sup>(٢)</sup>

وقالوا:

إنّ الجور يرفع [نفسه].<sup>(٣)</sup>

وعلة هذا صحيحة<sup>(٤)</sup>؛ لأن الجور مدرسة<sup>(٥)</sup>، ولا يبقى مع الدارس ما يتوجّه الجور إليه، والعدل ثابت الأصول، نامي الفروع، مكين القوانين؛ فهو كالغرس في الأرض، يعلو شجره، ويتوالى ثمره، والجور (٤٠) مستأصل لما أنشأه العدل؛ فلا يدع له أصلاً ثابتاً ولا فرعاً نابتاً.

(١) وعشرة كذا في غ وط وفي مصادر التخريج عشق.

(٢) قوله: «وقد قيل في حكم الفرس: ستة أشياء لاثبات لها.». استشهد المؤلف بهذا القول في الأمثال والحكم (الورقة ٥١-٥١ب)، بلفظ «وعشق» وقد أورده ابن مسكويه ضمن وصايا الفرس بلفظ «خسة أشياء لا بقاء لها ولا ثبات: ظل الغمام، وخلة الأشرار، وعشق النساء، والثناء الكاذب، والمال الكثير» (الحكمة الخالدة ٧٨)، وهو عند ابن المقفع بلفظ: «وقيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء: ظل الغمام، وخلة الأشرار، وعشق النساء، والثناء الكاذب، والمال الكثير» (الأدب الصغير، ضمن رسائل البلغاء، ٣٧)، ونجد القول عند ابن قتيبة بلفظ: «وفي كتاب للهند لا ثناء مع كبر، وفيه: ستة أشياء لا ثبات لها: ظل الغمام وخلة الأشرار، وعشق النساء، والمال الكثير، والسلطان الجائر، والثناء الكاذب»، (عيون الأخبار ٣/ ١٦٩)، وعند ابن عبد ربه: «ثلاثة لا بقاء لها: ظل الغمام، وصحة الأشرار، والثناء الكاذب»، (العقد الفريد - تحقيق العريان - ٢ / ١١٠)، من أقوال بطليموس: «لا بقاء لظل الغمام، ولا لمودة الأشرار، ولا لآخوة أهل الرياء، ولا لمن سن سنة الجور» (مختار الحكم ٢٥٩)، ونجد معنى هذا الكلام في سراج الملوك ١٢.

(٣) الزيادة من ط. وقولهم: «إن الجور يرفع نفسه» نجد معناه في قول أنوشروان في كلام طويل يقول: «ويجب على الملوك أن يقيموا العدل الذي به صلاح الملك والمملكة؛ فإن العدل هو سبب عمارة المملكة، والجور سبب الخراب والوباء» (السعادة والإسعاد ٢٠٨)، والترجمة والنقل عن الفارسية (ص ١٠٥)، وقد وقع المأمون في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة: «يا عمرو أعمرو نعمتك بالعدل فإن الجور يهدمها» (سراج الملوك ص ٥٣)، وقالوا: «الجور آفة الزمان»، (نهاية الأرب ٦ / ٤٠).

(٤) ط: صحيح.

(٥) غ: يدرسه، ومدرسة مفعلة (مصدر ميمي) من درس أي عفا.

ثم الإنصاف<sup>(١)</sup> استثماراً، والعدل استكثاراً، فيصيرُ [الإنسان]<sup>(٢)</sup> بالإِنصافِ مستثمراً، وبالعدلِ مستكثراً. وما نقصَ ملكٌ من إنصافٍ، ولا جاءَ من إسعافٍ، وهما بالمزيدِ أجدر<sup>(٣)</sup>. وفرقُ ما بين العدلِ والإنصافِ في الحقوقِ الخاصةِ.

وليسَ يخرجَانِ بهذا الفرقِ من الاشتراكِ في الحقِّ، كما أن بمثله يكونُ فرقٌ ما بينَ الجورِ والحيفِ، ولا يمنعُ من الاشتراكِ في الباطلِ.

وقد قيل:

من عدلَ في سلطانه استغنى عن أعوانه<sup>(٤)</sup>.

وقال جعفرُ بنُ يحيى<sup>(٥)</sup>:

[الخِراجُ عمودُ الملكِ، و]<sup>(٦)</sup> ما استُغزِرَ المالُ بمثلِ [العدلِ، وما استُثِرَ بمثلِ]<sup>(٧)</sup> الجورِ<sup>(٨)</sup>.

(١) ط: والإنصاف.

(٢) الزيادة من ط.

(٣) ط: احذر.

(٤) قولهم: «من عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه» أورده الأمير أسامة بن منقذ بهذا اللفظ، ونسبه إلى الحكيم، أي أرسطوطاليس، (لباب الآداب ٥٨)، وأورده مرة أخرى منسوباً إليه أيضاً بلفظ: «وأي ملك عدل في حكمه وقضيته استغنى عن جنده ورعيته» (ص ٦٥، ٧١)، وأورده عبد الواحد الأمدي بلفظه ضمن أقوال علي (غرر الحكم ٢٨٤) وأورده الرخجي غير منسوب وبفس لفظه (أحاسن المحاسن ١٦٠)، وقد نسبة المسعودي إلى أنوشروان بلفظ: «صلاح أمر الرعية أنصر من كثرة الجنود، وعدل الملك أنفع من نصب الزمان»، (مروج الذهب ١ / ٢٧٠) وقد عد الطرطوشي قولهم «إصلاح الرعية خير من كثرة الجنود» من الأمثال (سراج الملوك ١١٤).

(٥) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد، كان كاتباً بليغاً، قتل في نكبة البرامكة سنة ١٨٧هـ، انظر بعضاً من أخباره في تاريخ بغداد ٧ / ١٥٢، النجوم الزاهرة ٢ / ١٢٣، وفيات الأعيان ١ / ٢٩٢-٣٠٥، رقم الترجمة ١٢٩، العقد الفريد ١ / ٣٦، ٢٠٠، ٢٠١، ٣٠٩، ٣١١، ومناذج من توقيعاته في العقد - العريان - ٣٠٨ / ٤، البيان والتبيين ١ / ١٠٦.

(٦) الزيادة من مصادر التخريج وليست في غ ولا في ط.

(٧) الزيادة من ط؛ ومصادر التخريج وليست في غ.

(٨) قول جعفر بن يحيى: «الخِراجُ عمودُ الملك...» ورد منسوباً إليه وفيه «عماد الملوك»، والإيجاز =

وأما [الانتصاف]:

فهو استيفاء الحقوق الواجبة، واستخراجها بالأيدي العادلة؛ فإن فيه قوام الملك، وتوفير أمواله، وظهور عزه، وتشييد قواعده، وليس في العدل ترك مالٍ من وجهة، ولا أخذه من غير وجهة، بل كلا الأمرين عدلٌ، لا استقامة للملك إلا بهما.

وكما أن الانتصاف عدلٌ في حقوق الملك، ولما كان الحيف في حقوق الرعية قبيحاً، كان الحيف في حقوق الملك أقيح؛ لأن يده أعلى، ونفع ماله أعم.

وإن لم ينتصف لعجز، كان ذلك من وهاءٍ ملكه.

وإن لم ينتصف لإهمالٍ كان ذلك من ضعفٍ سياسته.

وإن لم ينتصف لترك، كان ذلك من تبيذيره وسرفه، إلا أن يكون عفواً لموجب يندب إلى مثله، لا يخرج عن قانون السياسة، وهو منها، وليس بعلمٍ فيلام.

فإذا ذهب الأموال - أموال الملك - بأحد هذه الأسباب القاطعة لموادّه، زال عنه الرجاء، واشتد فيه الطمع، وصار على شفا جرف، إن صدعه خطب، أو قازعه (٤٠ب) ضد، فتلجئه الحوادث إذا ترك ما يستحق، إلى أن يأخذ ما لا يستحق، فيصير في الترك جائرًا على ملكه،

= والإعجاز ص ٢٥، وخاص الخاص ٩٠، والعقد الفريد ١ / ٣٦، عيون الأخبار ١ / ١٣، وفيه «بمثل الظلم» وسراج الملوك ١٢٣، في وصية طويلة، وقد ورد منسوباً إلى أنوشروان، وأنه من توقيعاته إلى ولادة الخراج (رسالة العسكري في التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم ٢١٧)، وقد ورد منسوباً إلى أردشير بلفظه في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ٤٨٤، وعين الأدب والسياسة (على هامش غرر الخصائص) ص ١٤٧، وأقوال متفرقة لأردشير (ملحقة بآخر كتاب عهد أردشير ص ١٠١، الفقرة ٢٤)، وهو من أقوال الحكماء بهذا اللفظ عند ابن الجوزي والمصباح المضيء في خلافة المستضيء ٢ / ٥٣١، وقد ذكره الماوردي في كتابه نصيحة الملوك (الورقة ٥٥ب)، على أنه مما وقع به عبد الله بن طاهر. ثم أنه نشره في كتابه أدب الوزير بلفظ «واعلم أنك لن تستغزر موادك إلا بالعدل والإحسان ولن تستندرها (بالدال) بمثل الجور والإساءة، لأن العدل استثمار دائم، والجور استئصال منقطع» (ص ٤).

وفي الأخذ جائراً على رعيته، فلا ينفك في الحالين من أن يكون خاطئاً ملوماً، وجائراً مذموماً.

قال بعضُ البلغاء:

لا يستغني الملك عن الكفاة، ولا الكفاة عن الإفضال، والإفضال عن المادة، ولا المادة عن العدل<sup>(١)</sup>.

فالملك بغير الكفاة<sup>(٢)</sup> مختل، والكفاة بغير الإفضال مسلّون<sup>(٣)</sup>، والإفضال بغير المادة منقطع، وإنما يقيم المواد تسليط العدل، وفي تسليط العدل حياة الدنيا، وبهاء الملك.

[و]<sup>(٤)</sup> في هذا التنزيل تعليل للعدل<sup>(٥)</sup>؛ فإنه من قواعد الملك<sup>(٦)</sup>؛

(١) قول بعض البلغاء: «لا يستغني الملك عن الكفاة..» ورد في ط بلفظ «..» ولا المادة عن المال ولا المال عن العدل، وقد أورد المؤلف ما يشبه هذا القول ونسبه إلى أنوشروان بلفظ «إن الملك بالجنود، والجنود بالأموال، والأموال تستخرج من الأرضين، والأرضون تزكو بالعمارة، والعمارة لا تتم إلا بالعدل»، (نصيحة الملوك، الورقة ٥٥ب-٥٦أ)، ومروج الذهب ١/ ١٦٨، والترجمة والنقل عن الفارسية ١١٧، والمستطرف ١/ ١٠١، والمصباح المضيء في خلافة المستضيء ١/ ٤٥٠، باختلاف يسير.

وقد نسبه ابن عبد ربه إلى عمرو بن العاص بلفظ: «لا سلطان إلا بالرجال، ولا رجال إلا بجال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل»، (العقد الفريد ١/ ٣٩)، وانظره أيضاً منسوباً إلى عمرو في كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخليفة، ص ٢٧ والنويري في نهاية الأرب (٦/ ٣٥)، وقال الطرطوشي: إن ذلك مما اتفق عليه حكماء العرب والعجم (سراج الملوك ٥٢)، وانظر معناه فيه في (ص ٨٨)، وقد أوردته الثعالبي في كتبه ونسبه إلى أردشير بلفظ «لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بجال، ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل وحسن سياسة»، (ثمار القلوب ١٧٨)، و(التمثيل والمحاضرة ١٣٦)، و(الإيجاز والإعجاز ١٢)، و(غور ملوك الفرس ٤٨٢)، و(غور الخصائص ٦٢)، ثم انظره في أقوال متفرقة لأردشير ملحقه بعهد أردشير ص ٩٨، فقرة ١٦.

(٢) غ: كفاة.

(٣) غ: مبطلون والصواب ما أثبتناه عن ط.

(٤) الزيادة من ط وفيها: قال أقصى القضاة: وهذا التنزيل الواضح.. الخ ومعنى العبارة، إن في هذا الترتيب بيان سبب العدل وأهميته.

(٥) غ: العدل.

(٦) ط: من قواعد المصالح.

فإنك لن تجد صلاحاً<sup>(١)</sup> كان الجورُ علةً وجوده، ولا فساداً كان العدلُ علةً ظهوره<sup>(٢)</sup>، وإنما تجتذب<sup>(٣)</sup> العلة<sup>(٤)</sup> [إلى]<sup>(٥)</sup> الأصولِ نظائرها.

[شروط استقامة الملك بهذه القواعد الأربع]:  
ولاستقامة الملك بهذه القواعد الأربع ثلاثة شروط:

أحدها:

أن يقفَ منها على الحدِّ المقصودِ، ويتتهيَ فيها إلى العرفِ المعهودِ.  
فإن تجاوزَ فيها مسرفاً أو مقصراً كان باللوم<sup>(٦)</sup> جديراً؛ فإن الزيادة في الرغبة صرعٌ، والزيادة في الرهبة سلاطةٌ، وكذلك النقصانُ منهما يكونُ على ضدِّهما.

والثاني:

أن يستعملها<sup>(٧)</sup> في مواضعها، ولا يعدلُ بالرغبة إلى موضع الرهبة<sup>(٨)</sup>، ولا يستعملُ الرهبة في موضع الرغبة؛ فيصيرُ تاركاً للرغبة والرهبة، وقد تكلف<sup>(٩)</sup> عناءً ضاعثت مغارمهُ، وبطلت مغنمهُ<sup>(١٠)</sup>، فهو كآكلِ الطعام من الظمأ، وشاربِ الماء من المجاعة، لا يرتوي بما أكل، ولا يشبع بما شرب.

(١) ط: سلاحاً.

(٢) ط: علة وجوده.

(٣) ط: تجذب.

(٤) غ: عليك الأصول.

(٥) الزيادة من ط.

(٦) غ: اللوم. وهذه الفقرة ليست في ط.

(٧) غ: يستعملها. وهو تصحيف، وفي ط هنا قوله: قال أفضى القضاة في أثناء كلامه في هذا المعنى: ويجب أن يستعمل هذه الأمور في مواضعها.

(٨) ط: إلى محل الرهبة فيصير تاركاً للرغبة والرهبة.

(٩) ط: كلف.

(١٠) ط: وبطلت مغنمته، وهو على وجل من ضرره وحذر من خطره، فهو كآكلِ الطعام من الظمأ.

ثم هو على وجلٍ من ضرره، وحذرٍ من خطره، وقد أحسن<sup>(١)</sup> المتنبّي<sup>(٢)</sup> في قوله: [من الطويل]

وَوَضِعَ التَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعَلَى

(٤١آ) مَضْرُوءُ كَوْضِعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ التَّدَى<sup>(٣)</sup>

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ:

من سكراتِ السلطانِ الرضا عن بعضٍ من يستوجبُ السخَطَ، والسخَطُ على بعضٍ من يستحقُّ الرضا<sup>(٤)</sup>.

(١) ط: وقد أصاب.

(٢) المتنبّي: أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي الشاعر المشهور الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، المولود في سنة ٣٠٣هـ بالكوفة، والمتوفى سنة ٣٥٤هـ، انظر نماذج من أخباره في وفيات الأعيان ١/١٠٢-١٠٧، رقم الترجمة ٤٩، اللباب في تهذيب الأنساب ٣/١٦٢، وقد شرح ديوانه الواحدي والعكبري وابن جني، ويقام مهرجان في بغداد هذه الأيام (سنة ١٩٧٥) احتفالاً به.

(٣) البيت في ديوانه ١/٢٨٨، و(الواحدي) ٥٣٣، واليازجي ٣٨٧، من قصيدة يمدح بها سيف الدولة، وفي كتاب المختار من دواوين المتنبّي والبحري وأبي تمام لعبد القاهر الجرجاني (ضمن الطرائف الأدبية) ص ٢٠٨، وقد جعل الصاحب ابن عباد هذا البيت من الأمثال السائرة، (الأمثال السائرة من شعر المتنبّي ص ٤٨)، وانظر زهر الربيع في المثل البديع ص ٨٦، وقد ورد في التمثيل والمحاضرة منسوباً إليه (١١١، ٢٩١)، مجمع الأمثال ١/١٤، وشرح مشكلات ديوان أبي الطيب المتنبّي أو الفتح على فتح أبي الفتح لأبي علي ابن فورجة البروجدي (تحقيق الدكتور محسن غياض مجلة المورد المجلد الثاني العدد الثاني، ١٩٧٣ ص ٩٧)، وقد جعل العلامة أبو علي محمد بن الحسن المظفر الحاقمي هذا البيت مأخوذاً من قول أرسطوطاليس: «من استعمل الفكر في موضع البديهة فقد أضر بخاطره وكذلك مستعمل البديهة في موضع الفكر»، (انظر الرسالة الحاقمية ص ١٤٨-١٤٩)، ومعناه من الأمثال العالمية (المثل المقارن ١٠١، ١٥١) وهو في شرح نهج البلاغة ٤/٣٨، أسرار البلاغة ٢٤٠، الكشكول (مصر ١٣١٨)، ص ١٣٨، نهاية الأرب ٣/١٠٦.

(٤) غ: والسخط عن بعض من يستحق الرضا، والنصح من ط ومن أدب الوزير (ص ٥)، فقد استشهد المؤلف بهذا القول بلفظه هناك وقد سقطت منه كلمة (السخط)، وقد أورد أبو الحسن الرخجي قولاً مقارباً له دون أن ينسب لأحد بلفظ: «من عفا عن مستحق العقوبة كان كمن عاقب من يستوجب الأجر والثوبة» (أحاسن المحاسن ١٦٥).

## والثالث:

أن يترجى لها زمانها<sup>(١)</sup>، ويتوقع إبانها، حتى لا تضيع الرغبة والرغبة إن قدمهما، ولا يقر بأن آن آخرهما؛ فإن<sup>(٢)</sup> فعل الشيء في غير زمانه كصلاح المرض في غير أوانه، لا يقع من الانتفاع موقعا، ولا يكون العمل فيه إلا ضائعا. وقد قيل:

مَنْ أَخَّرَ الْعَمَلَ عَنْ وَقْتِهِ فليكنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ فَوْتِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَلَيْسِيرٌ<sup>(٤)</sup> ذَلِكَ فِي وَقْتِهِ أَنْفَعُ مِنْ كَثِيرِهِ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ.

وربما ضرر كما يستضر بالدواء في الصحة، وإن كان نافعا في المرض.

وإذا صادف بالرغبة زمانها، ووافق بالرغبة أوانها سعد بحزمه، وحظي بعزمه، وطبق مفاضل أغراضه، وبلغ كنه مراده.

\* \* \*

(١) ط: قال: ويتوخى بها زمان الحاجة حتى لا تضيع الرغبة والرغبة وفعل الشيء في غير زمانه كعلاج المرض...

(٢) ط: وفعل، غ: وإن.

(٣) قوله: «من أخر العمل عن وقته...» استشهد به المؤلف في أدب الوزير على أنه من أقوال الحكماء بلفظ: «من أخر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها»، (ص ٥٣). ومن أقوال أرسطوطاليس في هذا المعنى قوله: «إياك والتأخير في أمورك، والتواني عنها فيما يحدث منها؛ فإنك إن فعلت ذلك كثرت عليك، ثم لم تجد لك مباشرتها يدا، ويقدرحك إن وكلتها إلى غيرك وتضيع من يدك...»، (مختار الحكم ١٩٠-١٩١)، وقيل للملك قد زال عنه ملكه: «وما الذي سلبك ما كنت فيه؟ قال: دفع عمل يوم إلى غد والتماس عذر بتضييع عمل»، (لباب الآداب ٣٩).

(٤) ط: قال أفضى القضاة: وليسير. والمعنى: ولقليل، واللام لام الابتداء.

## [الفصل الثالث والعشرون]

## [تهذيب الأعوان والحاشية]

[سياسة الملك بالأعوان والحاشية]:

وليُعلم الملكُ أنه لا استقامةَ له، ولرعِيته، إلا بتهديبِ أعوانه وحاشيته؛ لأنه لا يقدرُ على مباشرةِ الأمورِ بنفسه، وإنما يستتِبُ فيها الكفاةَ من أصحابه<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ سياساتِ الملوكِ مقصورةٌ في مباشرتهم لها على أمرين:

أحدهما: تدبيرُ أمورِ الجمهورِ<sup>(٢)</sup> بأرائهم.

والثاني: استنابةُ الكفاةِ في تنفيذها على أوامره.

وما سوى ذلك فالأعوانُ هم كفلاء مباشرتها، وزعماء القيام بأعوامها<sup>(٣)</sup>.

وقد شَبَّهَ المتقدمونَ السائِسَ المدبِرَ للمملكةِ في السلمِ والحربِ بالطبيبِ المدبِرِ للجسدِ في حفظِ الصحةِ، وعلاجِ الأمراضِ: اليدينِ في بطشهما بالجندِ والأعوانِ، والرجلينِ بالكراعِ (٤١ب)، والظهرَ والعينينِ بالحجابِ والحرسِ، والأذنينِ بأصحابِ البريدِ والأخبارِ، واللسانَ في نطقه بالوزراءِ والكتابِ، والأعضاءِ المجاورةَ في القلبِ بحاشيةِ الملكِ على طبقاتهم في القربِ والبعدِ.

وحاجةُ الخاصةِ للعامةِ في الاستخدامِ كحاجةِ الأعضاءِ الشريفةِ إلى التي ليستُ بشريفةٍ؛ لأنَّ بعضَ الأمورِ لبعضِ سببٍ، وعوامُّ الناسِ لخواصهم عدةً، ويكلُّ صنفٍ منهم إلى الآخرِ حاجةً.

(١) قوله: «وإنما يستتِبُ فيها الكفاةَ من أصحابه...» قال ابن المقفع: «ولا عيب على الملك في تعيشه وتعمه إذا تعهد الجسم من أمره وفوض ما دون ذلك إلى الكفاة» (الأدب الكبير ١١٥-١١٦).

(٢) غ: تدبير الأمور الجمهور.

(٣) غ: بأعوامها.



وإذا كان<sup>(١)</sup> أعوانه منه بمنزلة أعضائه التي لا قوام للجسد إلاّ بها، ولا يقدر على التصرف إلاّ بصحتها واستقامتها، وجب عليه تقويم عوجهم، وإصلاح فاسدهم؛ ليستقيموا، فيستقيم الملك بهم، كما لا تستقيم أفعاله إلاّ باستقامة أعضائه من جسده.

قال النبي عليه السلام:

«العينان دليّان، والأذنان قمعان، واللسان ترجمان، واليّدان جناحان، والكبد رحمة<sup>(٢)</sup>، والطحال [ضحك، والرئة]<sup>(٣)</sup> نفس، والكليتان مكر، والقلب ملك، فإذا صلح الملك صلحت رعيته<sup>(٤)</sup>، وإذا فسد الملك فسدت رعيته<sup>(٥)</sup>».

فتشابهت أعضاؤه في حق نفسه بحواشيه في حق ملكه، ومن لم يستقم منهم من عوجه بعد التقويم، ولا<sup>(٦)</sup> كف عن زيغة بعد التهذيب كان إبعاده منهم أسلم لبقية أعوانه كالسلع<sup>(٧)</sup> التي تقطع من الجسد.

قال أبرويز<sup>(٨)</sup>:

مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى كِفَاةِ السُّوءِ لَمْ يَخُلْ مِنْ رَأْيٍ فَاسِدٍ، وَظَنَّ كَاذِبٍ، وَعَدُوٌّ غَالِبٌ<sup>(٩)</sup>.

(١) غ: كانوا.

(٢) غ: والكبد جَد والتصحیح من الجامع الصغير ٧١ / ٢ والتيسير ٢ / ١٥٩.

(٣) الزيادة من الجامع الصغير ومن التيسير.

(٤) غ: الرعية.

(٥) غ: الرعية. وحديث: العينان دليّان والأذنان قمعان... الخ» أخرجه أبو الشيخ في العظمة وابن عدي في الكامل، وأبو نعيم في الطب عن أبي سعيد الحكيم عن عائشة، (الجامع الصغير ٢ / ٧١). قال المناوي: «وسببه أنه دخل عليها كعب الأخبار فقال لها ذلك فقالت: هكذا سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وسلم» (التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ / ١٥٩) وفي أمثالهم: «العين ترجمان القلب» التمثيل والمحاضرة ٣٠٩ «والأذن قمع الفؤاد» التمثيل والمحاضرة ٣١١.

(٦) غ: وإلا وهو تصحيف.

(٧) السلع: جمع سلعة وهي زيادة في البدن كالغدة تتحرك إذا حركت.

(٨) غ: برويز (بسقوط الألف).

(٩) قول أبرويز: «من اعتمد على كفاة السوء...» ذكره الماوردي بلفظه في أدب الوزير (٣٢)، =

[أصل ما بيني عليه قاعدة أمره في اختيارهم]:

وأصل ما بيني عليه قاعدة أمره في اختيار أعوانه وكفائه: أن يختبر أهل مملكته، ويسبر جميع حاشيته، يتصفح (١) عقولهم وآرائهم، ومعرفة هممهم وأخلاقهم، حتى يعرف به (١٤٢) باطن سرائرهم، وما يلائم كامن شيمهم؛ فإنه سيجد طباعهم مختلفة، وهممهم متباينة، ومنهم متفاضلة.

وقد قيل:

الهمة رائد الجد (٢)

فيصرف كل واحد منهم: فما طبع عليه من خلقي، وتكاملت فيهم الآلة، وتخصصت به من همة، فهي أحوال ثلاث يجب اعتبارها في كل مستكفي وهي:

الخلق، والكفاية، والهمة.

فلا يُعطي أحدهم منزلة لا يستحقها لنقص أو خلل، ولا يستكفيه أمر ولايته، ولا ينهض بها، لعجز أو فشل؛ فإنهم آلات الملك، فإذا اختلت كان تأثيرها مختلاً وفعلها معتلاً.

= وأورده النويري بلفظه أيضاً منسوباً إلى أبرويز في نهاية الأرب (٦ / ١١٤) وقد أورده الأمير أسامة بن منقذ منسوباً إليه ويزيادة. وجاء به بلفظ «... ما ينجو من رأي فاسد، وظن كاذب، وعدو غالب، وأن مما يعود بنصح الولاة ويؤمنهم غدر الكفاة ربهم (أي تربيتهم) لسائف النعم وحفظهم لواجب الذمم، وتعففهم عن أموال الخدم، وتصرفهم على شرط الكرم، فمن خافه وزيره ساء تدبيره، ومن طمع في أموال عماله ألجأهم إلى اقتطاع أمواله» (لباب الآداب ٢٥٦) وستأتي قطعة من هذا الكلام بلفظ: «من طمع في أموال عماله... الخ» وقد أورد هذا القول أبو الحسن بن الحسين الرخجي منسوباً إلى بهرام جور بلفظ: «من اعتمد على كفاة السوء لم يخل من رأي فاسد، وظن كاذب، وأمل خائب، وعدو غالب» (أحاسن المحاسن ١٤٦)

(١) غ: يتصفح.

(٢) قولهم: «الهمة رائد الجد» رائد بالبدال كذا في الأصل غ وقد ورد أيضاً بهذا اللفظ في الأمثال والحكم (الورقة ٢٤ب-٢٥أ) أما في أدب الدنيا والدين فقد أورده المؤلف بلفظ «الهمة راية الجد» (ص ٢٩١).

وفي عكس هذا القول أورد المؤلف قولاً منسوباً لبزرجهر بلفظ «الجزل آفة الجد، والكذب عدو الصدق، والجور مفسدة الملك» (أدب الوزير ص ٨) وفي سراج الملوك قال بزرجهر: «المرح آفة الجد، والكذب عدو الصدق، والجور مفسدة الملك» (ص ١٨٨).

قيل ليزرجمهر:

كيف اضطربت أمور آل ساسان وفيهم مثلك؟

قال:

لأنهم استعانوا بأصاغر<sup>(١)</sup> العمال على أكابر الأعمال، فال أمرهم إلى

ما آل<sup>(٢)</sup>.

وقيل في منشور الحكم:

من استعان بأصاغر رجاله على أكابر أعماله فقد ضيع العمل وأوقع

الخلل<sup>(٣)</sup>.

وقيل<sup>(٤)</sup>:

من استوزر غير كافٍ، خاطر بملكه، ومن استشار غير أمين<sup>(٥)</sup> أعان

على هلكه، ومن أسر إلى غير ثقة ضيع سره، ومن استعان بغير مستقل

أفسد أمره، ومن ضيع عاقلاً دل على ضعف عقله، ومن اصطنع جاهلاً

أعرب عن فرط جهله<sup>(٦)</sup>.

(١) ط بأصغر العمل على أكثر الأعمال.

(٢) قوله: «وقيل ليزرجمهر: كيف اضطربت...» أورد الطرطوشي هذا القول بلفظ: «وسئل

بزرجمهر: ما بال ملك آل ساسان صار إلى ما صار إليه بعدما كان فيه من قوة السلطان

وشدة الأركان؟ فقال: ذلك لأنهم قلدوا كبار الأعمال صغار الرجال» (سراج الملوك ٥٥)

وذكره في موضع آخر بلفظ: «وقد روي عن بزرجمهر وقد قيل له: ما بال ملك آل ساسان

صار أمره إلى ما صار إليه؟ قال: لأنهم قلدوا كبار الأعمال صغار الرجال» (ص ١٤٦).

(٣) قولهم: «من استعان بأصاغر رجاله...» ليس هذا القول في ط، وقد ذكره أسامة بن منقذ

ضمن أقوال أرسطوطاليس بلفظ: «من استعان بصغار رجاله على كبار أعماله ضيع العمل

وأوقع الخلل» (لباب الآداب ٦١) ورواه ابن الجوزي على أنه من أقوال الحكماء بلفظ:

«من استعمل صغار الرجال على كبار الأعمال ضيع العمل وأوقع الخلل» (المصباح المضيء

في خلافة المستضيء ١ / ٤٩٥).

(٤) ط: قال بعض البلغاء.

(٥) ط: غير مؤتمن.

(٦) قولهم: «من استوزر غير كافٍ خاصر بملكه...» أورد عبد الواحد الأمدي بعضاً من هذا

القول ضمن أقوال علي رضي الله عنه بلفظ: «من خانته وزيره فسد تدبيره، ومن غش

مستشيريه سلب تدبيره» (غرر الحكم ٢٧٠) وفي موضع آخر بلفظ: «من أسر إلى غير ثقة =

قال عبيدُ الله بنُ عبدِ الله بنِ طاهرٍ: [من البسيط]  
لا بدُّ للشاةِ من راعٍ يدبِّرها  
فكيف بالناسِ إن كانوا بلا والٍ  
وإن أُضيفَ إلى الأذنبِ أمرُهُم  
دونَ الرؤوسِ فهمُ في حالٍ إهمالٍ<sup>(١)</sup>

وكما أنه لا يزيدُ أحدَهُم على قدرِ استحقاقِهِ، فكذلك لا ينقصُهُ عن  
المنزلةِ التي يستحقُّها بكفائتِهِ، ويستوجبُها بكمالِ آتِهِ، وترقى إليها بعلوِّ  
همتهِ، فتضاعُ كفائتُهُ وتبطلُ (٤٢ب) آتُهُ، فيصيرُ -لأنفِيةً من عمله- متهاوناً،  
وباستقلالِهِ واحتقاره متوانياً، فيختلُّ العملُ بكمالِهِ، كما اختلَّ عملُ العاجزِ  
بنقصِهِ، فيصيرُ الكمالُ فيه نقصاً في عمله، والكفايةُ فيه عجزاً في نظره.

وإذا وافقَ بهم قدرُ استحقاقِهِم، فصرفَ أكابرَ العمالِ في أكابرِ  
الأعمالِ، وأصاغرُهُم في أصاغرِها، استقلتْ أعمالُهُ، واستقامَ عملُهُ.  
وإن خالفَ، فالخللُ بالأمرينِ واقعٌ، وكلاهُما بالعملِ مضرٌّ، وبالسياسةِ  
مُعرٌّ.

وتدبيرُ هذا على امتيازِهِ حتَّى يوافقَ قدرَ استحقاقِهِ صعبٌ، إلا على من  
كانَ صائبَ الفكرةِ، حسنَ الفطنةِ، صادقَ الفراسةِ، ثم ساعدهُ القضاءُ في  
تقديرِهِ، وأعانَهُ التوفيقُ في تدبيرِهِ، وإن كانَ تقديرُ الحظوظِ بحسبِ الفضائلِ  
متعذراً، وإنما هي أقسامٌ جرَّها قدرٌ محتومٌ، وساقها حظٌ مقسومٌ.

قال بزرجمهر:

يجبُ للعاقلِ أن لا يجرعَ من جفاءِ الولاةِ، وتقديمِهِم الجهالِ عليه

= ضيع سره، ومن استعان بغير مستقل ضيع أمره، ومن ضيع عاقلاً دل على ضعف عقله،  
ومن اصطنع جاهلاً برهن عن وفور جهله (ص ٢٧٥)، وفي أحاسن المحاسن غير منسوب  
بلفظ: «من استتاب غير كاف خاطر بملكه، ومن اسثار غير أمين أعانه على هلكه، ومن  
ضيع أمره ضيع كل أمر، ومن جهل قدره جهل كل قدر...» (ص ١٦٤).

(١) قول عبيد الله: لا بد للشاة من راع يدبها... أورد الماوردي هذين البيتين في كتابه  
(نصيحة الملوك الورقة ١٣ب) دون أن ينسبها إلى قائل.

إذا<sup>(١)</sup> كانت الأقسام لم توضع على قدر الأخطار، وإن حكم الدنيا أن لا تعطي أحداً ما يستحقه لكن تزيده أو تنقصه<sup>(٢)</sup>.

وليحذر الملك تولية أحدٍ بشفاعة شفيح<sup>(٣)</sup> أو لرعاية حرمية، إذا لم يكن مضطرباً بثقل ما ولي، ولا ناهضاً بعبء ما استكفي، فيختل العمل لعجز عامله، ويفتضح العامل بانتشار عمله، فيصير الحزم بهما مضاعفاً والهوى فيهما مطاعاً، وليقتض حقوق الحرمة بأمواله في معونتهم وتقريبهم ومنزلتهم، ففيهما حفاظ وأجزاء<sup>(٤)</sup>، وقد سلمت أعماله من خلل العجز، وضياع التقصير.

قال بعض الحكماء:

من قلّد لذي الرعاية ندم.

ومن قلّد لذي الكفاية سلّم<sup>(٥)</sup>.

قيل في (٤٣) حكم الفرس:

(١) إذا بالالف كذا في ط وفي غ وفي أدب الوزير (الأمثال والحكم: إذ).

(٢) قول بزرجهر: «يجب للعاقل أن لا يجزع... الخ» أورده المؤلف منسوباً إليه بلفظه وفيه: «... وتقديهم الجاهل... فإن حكم الدنيا أن لا تعطي أحداً ما يستحقه لكن تزيده وتنقصه» (أدب الوزير ٤٥) و(الأمثال والحكم السورة ٣٦ ب-٣٧ أ)، وقد أورده أبو هلال العسكري منسوباً إليه بلفظ «لا ينبغي للعاقل أن يجزع من حط السلطان إياه عن منزلة رفيع إليها خاملاً؛ فإن الأقدار لم تجر على قدر الأخطار».

وقد أورد ابن مسكويه هذا القول ضمن حكم الروم ونسبه إلى أرسطوطاليس بلفظ: «لا يوجد العاقل يجزع من جفاء الولاة وتقريبهم الجهلة دونه لعلمه بأن الأقسام لم توضع على قدر الأخطار» (الحكمة الخالدة ٢٧٠).

(٣) قوله: «وليحذر الملك تولية أحدٍ بشفاعة شفيح...» ورد في عهد علي رضي الله عنه الذي كتبه إلى مالك بن الحارث الأشتر حين ولّاه مصر في كلام طويل: «... ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختياراً ولا تولهم محاباة وأثره؛ فإنها جماع شعب الجور والحيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام... الخ» (نهاية الأرب ٦/ ٢٥).

(٤) غ: وجرا.

(٥) قول بعض الحكماء: «من قلّد لذي الرعاية ندم...» ورد في أحاسن المحاسن معناه بلفظ: «ولا تستكف إلا الكفاة الصحاء، ولا تستبطن إلا الثقة الأمانة... فمن أسلم لغير الكفاة أعماله ضيع ولايته وأمواله...» (ص ١٦٦).

لا تستكفينَ مخدوعاً عن عقله، [والمخدوع] (١) من بلغَ به قدرأ لا يستحقه، أو أثيبَ ثواباً لا يستوجبه (٢).

وعلى هذا الاعتبار لا يورثُ الأبناء منازلَ الآباء، إذا لم يناسبوا في الطباع، كما لا يرثُ الأشرارُ مراتبَ الأخيارِ.

ولا يستعملُ في الكتبة من كان أبوه كاتباً إذ كان هو غيرَ كاتبٍ.

فإن أحبَّ مكافأةً واحدٍ من هؤلاء لحقوقِ آبائهم كافأةً بما قدمناه من المال والتقريب، دونَ الولاية والتقليد؛ ليكونَ قاضياً لحقوقهم بماله، ولا يكونَ قاضياً لحقوقهم بملكه.

حكيم (٣) أنه كان على بابِ كسرى (٤) ساجةً (٥) عليها مكتوب:

العملُ للكفاة، وقضاء الحقوقِ على بيوتِ الأموال (٦).

ومن رآه قد تصدَّى للمعالي وليسَ من أهلها، وقد تطاولَ للرتب، ولم يؤهَلْ لها، فلا بأسَ باستكفائه، إذ كانَ على ما تصدَّى له مطبوعاً، ولما

(١) الزيادة من أدب الوزير والأمثال والحكم ولباب الآداب ونهاية الأرب.

(٢) قوله: «لا تستكفينَ مخدوعاً... الخ» أورده المؤلف في الأمثال والحكم (الورقة ٥١آ) وأدب الوزير (ص ٣٢) وأورد قولاً يشابهه في موضع آخر من أدب الوزير (ص ٤٧) وقد جاء في لباب الآداب ما صورته: «وكتب بعض الحكماء إلى ملك زمانه: لا تستكفينَ في مهامك مخدوعاً عن عقله، والمخدوع عن عقله من بلغ به قدرأ لا يستحقه، وأثيبَ ثواباً لا يستوجبه» (ص ٣٩) وفي أحاسن المحاسن: «ولا تصطنع من خاتنه الأصل، ولا تدن من فاته العقل؛ لأن من خاتنه الأصل يغش من حيث ينصح، ومن لا عقل له يفسد من حيث يريد أن يصلح» (ص ١٦٥) وقد أورده النويري مرة بلفظه منسوباً إلى بعض الحكماء (نهاية الأرب ١١٥ / ٦) ومرة أخرى بلفظ: وقيل للملك سلب ملكه: ما الذي سلبك ملكك؟ فقال: دفع شغل اليوم إلى غد، والتماس عدة بتضييع عُدده، واستكفاء كل مخدوع عن عقله، والمخدوع عن عقله من بلغ قدرأ لا يستحقه، أو أثيبَ ثواباً لا يستوجبه» (نهاية الأرب ٤٥ / ٦) و(العقد الفريد ١ / ٥١).

(٣) غ: حتى والتصحيح من ط.

(٤) كسرى: وهو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وقد مرت ترجمته، قال ابن قتيبة: «أبرويز بن هرمز ويعرف بكسرى... الخ» (المعارف - عكاشة - ٦٦٥).

(٥) ط: ساجة منقوشة بذهب عليها: العمل للكفاة...

(٦) قولهم: «العمل للكفاة وقضاء الحقوق على بيوت الأموال» لم أجده.

تطاوُل له مستحقاً، إذا نهزته الهمة، وساعدته الآلة؛ فلا سبيل إلى نجباء الأولاد نجباء على الأبد، وقد قيل:

من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه<sup>(١)</sup>.  
وعبر رجل سقراط بنسبه<sup>(٢)</sup>، فقال سقراط:  
نسبك إليك انتهى ونسبي مني ابتدا<sup>(٣)</sup>.

قال أبو تمام الطائي: [من الوافر]

إذا ما شئت حسن العبد      م منك بصالح الأدب  
فممن<sup>(٤)</sup> شئت كن فلقد      فلكت بأكرم النسب  
فنفسك قط أصلحها      ودعني من قديم أب<sup>(٥)</sup>  
وحكي في سيرة الأكاسرة: أن بعض ملوكهم مرّ بغلام يسوق حماراً  
غير منبعث، وهو<sup>(٦)</sup> يعتف عليه بالسوق فقال:  
- يا غلام أرفق به.

فقال: أيها الملك في الرفق به مضرّة عليه، وفي العنف به إحسان

إليه.

(١) في معنى قوله «من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه» جاء قولهم: «ليست الأنساب بالأباء والأمهات لكنها بالفضائل المحمودات» من أقوال علي رضي الله عنه (غرر الحكم ٢٥٣).

(٢) غ: بنفسه.

(٣) قول سقراط: «نسبك انتهى ونسبي مني ابتدا» رواه المبشر بن فاتك بلفظ: «قال له رجل شريف الجنس وضع الخلاق: لم تأنف - كذا ولعلها لم لم تأنف - يا سقراط من خسارة جنسك؟ فأجاب: جنسك عندك انتهى، وجنسي مني ابتدا» (مختار الحكم ص ١٠٠) ونسبه مرة أخرى إلى ذبوجانس الكلبي حين عبره رجل شريف الجنس بضعة أمه فقال له: «أنا شرفي مني ابتدا، وأنت شرفك إليك انتهى» (ص ٨٠) ورواه ابن حبان بلفظ: «تناظر شريفان، فقال أحدهما لصاحبه: إن شرفك إليك ينتهي، وشرفي مني يبتدي» (البصائر والذخائر ٥٥).

(٤) غ: فمن... فلجت.

(٥) قول أبي تمام: «إذا ما شئت حسن العلم... الخ» الأبيات في ديوانه بشرح الخطيب التبريزي تحقيق محمد عبده عزام مجلد ٤ ص ٥٩٣ في باب الزهد القصيدة رقم ٤٨٥ وفيه: «إذا ما شئت حسن الدين...».

(٦) في سراج الملوك: وقد عتف عليه.

قال<sup>(١)</sup>: (٤٣ب) وما في الرفق به من المضرة؟

قال: يطول طريقه، ويشتد جوعه<sup>(٢)</sup>.

قال: وما في العنف من الإحسان؟

قال: يخف حمله، ويطول أكله.

فأعجب الملك بكلامه<sup>(٣)</sup>.

قال: قد أمرت لك بألف درهم.

قال: رزق مقدور، وواهب ماجور.

قال: وقد أمرت بإثبات اسمك في حشمي.

قال: كفيت مؤونة، ورزقت<sup>(٤)</sup> معونة.

قال: ولولا أنك حدث<sup>(٥)</sup> السن لاستوزرتك.

قال: لن يعدم الفضل من رزق العدل<sup>(٦)</sup>.

قال: فهل تصلح لذلك؟

قال: إنما يكون الحمد والذم بعد التجربة، ولا يعرف الإنسان نفسه

حتى يبلوها<sup>(٧)</sup>.

فاستوزره، فوجدته ذا رأي صليب، وفهم رحيب، ومشورة تقع مواقع

التوفيق<sup>(٨)</sup>.

وَلَقَلَّ مَا يَتَكَامَلُ لِلْمَلِكِ الظُّفْرُ بِكَفَاةِ أَعْمَالِهِ، لِكثْرَةِ الْأَعْمَالِ وَقِلَّةِ

الكفاة.

(١) في سراج الملوك: فقال الغلام يا أيها الملك في الرفق به مضرة عليه قال وما مضرته؟

(٢) في سراج الملوك: تطول طريقه ويشتد جوعه، وفي العنف إحسان إليه، قال: وما الإحسان إليه.

(٣) في غ: كلامه وما أثبتناه عن سراج الملوك.

(٤) في سراج الملوك: ورزقت بها معونة.

(٥) في سراج الملوك: حديث.

(٦) في سراج الملوك: رزق العقل.

(٧) غ: يتلوها، وهو تصحيف.

(٨) قوله: «حكي في سيرة الأكاسرة أن بعض ملوكهم مرّ بغلام يسرق حماراً... الخ» القصة رواها الطرطوشي بلفظ «ومرّ بعض الملوك بغلام يسوق حماراً غير منبعث... الخ» (سراج الملوك ١٨٨).



فإذا ظفرَ بذِي الكفاية لمنصبٍ اغتنمها، ولم يعطَ لها، وأن استغنى في الحالِ عنها؛ فإنه لا يدري متى يحتاج إليها، ليكونَ ذخراً لحاجته، ومعداً لطوارقه، كما لا يضيعُ أمواله إذا استغنى عنها، ويعدّها ذخراً للحاجة، والكفاة أعوزُ من الأموال، والأموالُ أوجدُ من الكفاة، وبهم تجتذبُ الأموال، وتستجرُّ الأعمال، وإن تراد<sup>(١)</sup> الأعمالُ للكفاة دونَ النسب، وإن كانت الكفاية هي النسب، وحسبُ صاحبها ما يبلغُ بها إذا ساعدته الجدُّ، وإن كانت الكفاية من الجدِّ.

قيل في منشور الحكم:

من علامة الإقبالِ اصطناعُ الرجالِ<sup>(٢)</sup>

وإن نفرتِ النفوسُ من هجومِ رتبته، ولم تدعُنْ بالانقيادِ لطاعته، وطئتْ له النفوسُ بتدرجه فيها إلى رتبةٍ بعد رتبةٍ، حتى تصلَ إلى الكفاية من أقربِ مراقبيها، فلا تنفرُ منه النفوسُ إذا (١٤٤) رقاها، ولا تقف عن الطاعة له إذا علاها؛ ليكون على عمله معاناً، والعملُ بتدرجه فيه مصاناً، فما أحدٌ يحمُّ إلا عن غمضٍ، ولا ارتفع إلا عن خفضٍ، ولا يقدم إلا من تأخيرٍ، ولا كمل إلا عن تقصيرٍ، ومن خبرَ الزمانَ لم يستجهل أخباره، ولم يستهول آثاره.

وقد قال النبي عليه السلام:

«الناسُ بأزمتهم أشبه»<sup>(٣)</sup>.

(١) غ: يراد.

(٢) قوله: «قيل في منشور الحكم: من علامة الإقبالِ اصطناعُ الرجالِ» ذكره الماوردي في أدب الوزير بلفظه (ص ١٦) وذكره في أدب الدنيا والدين مرتين إحداهما مصدرة بقوله: «قال بعض الحكماء...» (انظر ص ١٦٦)، والأخرى مصدرة بقوله «قال بعض البلغاء...» (انظر ص ٣٠٦) وقد ورد ضمن أقوال علي رضي الله عنه بلفظه (غرر الحكم ٣٠٢) ولفظه «لكل شيء فضيلة، وفضيلة الكرام اصطناع الرجال» (ص ٢٥١) وقد ورد بلفظه غير منسوب في أحاسن المحاسن (١٦٣) ومرة أخرى غير منسوب أيضاً بلفظ: «رأس الفضائل اصطناع الأفاضل ورأس الرذائل اصطناع الأراذل» (أحاسن المحاسن ١٥٧). وقد أورده الأمير أسامة بن منقذ منسوباً إلى أرسطوطاليس بلفظ: «من علامات...» (لباب الآداب ٦٨).

(٣) ط: «الناس بأزمانهم أشبه» ورواه الماوردي في الأمثال والحكم بلفظ: «الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم» ولم يذكر اسم الراوي (الورقة ٦١ ب) وهو مثل من الأمثال في التمثيل =

[من يتفقدهم الملك من أعوانه؟]:

وبالمَلِكِ أَشَدُّ الْحَاجَةِ [إلى] أَنْ يَتَفَقَّدَ أَرْبَعَ طَبَقَاتٍ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ تَفَقُّدِ أَحْوَالِهِمْ بِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُمْ عِمَادُ مَمْلَكَتِهِ، وَقَوَاعِدُ دَوْلَتِهِ، لَيْسَتْ كَفَيْهِمْ، وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ سَدَادِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ، وَيَسْتَعْمَلُهُمْ بَعْدَ عِلْمِهِ بِكَفَايَتِهِمْ وَشَهَامَتِهِمْ:

فَالطَّبَقَةُ الْأُولَى الْوُزَرَاءُ<sup>(١)</sup>:

لأنهم خلفاؤه في سلطانه، وسفراؤه في أعوانه، وشركاؤه في تدبيره، وأمناءه على أسرارِهِ.

ثم لهم مزية الاستيلاء والتفويض؛ لأنَّ على ألسنتهم تظهر أقواله، وعلى أيديهم تصدر أفعاله.

فإذا باشروا عنه الأمور عادَّ عليه خيرها وشرها، وكان له نفعها وضررها، وبقي عليه صفوها وكدرها؛ فإن أحسنوا نسبَ إليه إحسانهم، وإن أساءوا أضيفت إليه مساوئهم، فيصيرُ بإحسانهم محموداً، وبإساءتهم مذموماً، ويسدادهم مشكوراً، وبالتوائهم متوراً، يخفي صلاحه بفسادهم، ويبطل عدله بجورهم، ويقلَّ خيرُه بشرهم، مع عظم الضررِ الداخلِ على مملكته،

= والمحاضرة (٣٠٥) باللفظ الأخير وهو من أمثال المولدين في جمع الأمثال (٢ / ٣٥٨) والبيان والتبيين (٣ / ٢٩٤) قال الغزالي: «قالت الحكماء: الناس بملوكهم أشبه منهم بزمانهم، وقد جاء في الخبر أيضاً: الناس على دين ملوكهم» (نصيحة الملوك الغزالي ٥٣) وقد أخرج ابن الجوزي «عن مصعب بن سعد قال: قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم» (سيرة عمر بن الخطاب ١٤٠)، قال السخاوي: «حديث الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم أورده الحافظ الصريفي في بعض أجزاءه من قول عمر بن الخطاب وقال: قال محمد بن أيوب: ارتحلت إلى يحيى بن هشام الغساني من أجله» (المقاصد الحسنة ٤٤١ رقم ١٢٣٥) وقيل إنه قول علي بن أبي طالب. قال القاري: وهو الأشهر الأظهر (كشف الخفاء ٢ / ٤٣٠-٤٣١ رقم الحديث ٢٧٨٨).

(١) حول صفات الوزراء وضع الماوردي كتابه (أدب الوزير) المطبوع في مطبعة دار العصور الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩ / ١٣٤٨ بتصحيح حسن الهادي حسين فلينظر، ثم عقد فصلاً حول تقليد الوزارة في الأحكام السلطانية (ص ٢٢-٢٩) وانظر الأحكام السلطانية لأبي يعلى (١٣-١٧)، وتجد أمثالاً لأنوشروان حول صفات الوزير في السعادة والإسعاد (ص ٤٢٥-٤٢٦) وفي كتاب الترجمة والنقل عن الفارسية (ص ١١٠) ونهاية الأرب (١٥١-٩٢ / ٦).

والقدح الموهن لدولته، والخلل العائد على رعيته، فهو وملكته معهم على استقامة ما استقاموا، وعلى اختلال إذا فسدوا.

قال النبي عليه السلام:

«إذا أراد الله بالملك خيراً جعل له وزيراً صدقاً، إن نسي ذكره، وإن<sup>(١)</sup> ذكر أعانه، وإذا أراد به (٤٤ب) غير ذلك جعل له وزيراً سوءاً، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه»<sup>(٢)</sup>.

[ووصى سابور بن أردشير ابنه في عهده فقال:

ليكن وزيرك مقبول القول عندك مكين المحل من نفسك يمنعه مكانه منك من الضراعة إلى غيرك، حتى تبعته بك إلى محض النصيحة لك، والتجريد في منابذة عن عنتك أو نقض عهد حقلك]<sup>(٣)</sup>.

وذكر حكماء الملك<sup>(٤)</sup> من صفات اختياره أن يكون وافر العقل سليم الطبع، أديب النفس، معتدلاً الأخلاق، مناسب الأفعال، عالي المهمة، قوي المنية، سريع البديهة، مقبول الصورة، جزل الرأي، صائب الفكرة، كثير التجربة، شديد النزاهة، قليل الشرّة، حسن التدبير، تام الصناعة.

(١) غ: وإذا والتصحيح من مصادر التخريج.

(٢) حديث: «إذا أراد الله بالملك خيراً...» رواه أبو داود في سننه عن عائشة بلفظ: «إذا أراد الله بالأمر خيراً...» وإذا أراد الله به...» (سنن أبي داود ٣ / ١٣١ رقم ٢٩٣٢) والنسائي عنها بلفظ: «من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه» (سنن النسائي ٧ / ١٥٩) وأحمد عنها أيضاً بلفظ: «من ولاه الله عز وجل من أمر المسلمين شيئاً فأراد به خيراً جعل له وزير صدق فإن نسي ذكره وإن ذكر أعانه» (مسند الإمام أحمد ٦ / ٧٠) والبيهقي في شعب الإيمان في حديث حسن (الجامع الصغير ١ / ١٨) قال المناوي ضعفه العراقي (التيسير بشرح الجامع الصغير ٦٦ / ٦٦)، والحديث في لباب الأدب بلفظ: «من أراد الله به خيراً جعل الله له وزير صدق صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه» (ص ٣٦) ورواه المنذري بلفظ أبي داود وذكر رواية النسائي قال ورواه ابن حبان أي بالفاظ النسائي (الترغيب والترهيب ٣ / ٩٤).

(٣) الزيادة من ط وليست في غ وقوله وصى سابور... انظر هذا العهد لابنه في نهاية الأرب ٦ / ١٨.

(٤) قوله: «وذكر حكماء الملك من صفات اختياره...» ذكر المؤلف كثيراً من أقوالهم في كتابه أدب الوزير (ص ٢٣-٢٨) وذكر النويري بعضاً من ذلك (نهاية الأرب ٦ / ٩٢-١٥١).

وهذه أوصافُ كمالٍ، يوفِّقُ اللهُ تعالى لها من شاء، ويسعدُ بها من الملوكِ من أحبِّ.

### والطبقةُ الثانيةُ القضاةُ والحكامُ:

الذين هم موازينُ العدلِ، وتفويضُ الحكمِ إليهم، وحراسُ السنةِ باتباعها في أحكامهم، وبهم يتصفُ المظلومُ من الظالمِ في ردِّ ظلامتهِ، والضعيفُ من القويِّ في استيفاءِ حقِّه.

فإنَّ قَلَّ ورعُهم، وكثُرَ طمعُهم، فأما تواروا<sup>(١)</sup> السُّنةَ بأحكامٍ مبتدعةٍ، وأضاعوا الحقوقَ بأهواءٍ متبعةٍ، فكانَ قدحُهم في الدِّينِ أعظمَ من قدحِهم في المملكةِ، وإضرارُهم بالمملكةِ في إبطالِ العدلِ أعظمَ من إضرارِهم بالمتحاكَمينَ إليهم في إبطالِ الحقِّ.

وقد قيلَ:

من أقبحِ الأشياءِ سَخْفُ القضاةِ، وظلْمُ<sup>(٢)</sup> الولاةِ.

وقال أنوشروانُ:

ما عدلٌ من جارتِ قضاةِ، ولا صلحٌ من فسدتْ كفاةُ<sup>(٣)</sup>.

والذي تقتضيه السياسةُ في اختيارِهم بعدَ الشروطِ المعتبرةِ فيهم بالشرعِ<sup>(٤)</sup> أن يكونَ القاضي حسنَ العلانيةِ، مأمونَ السريَّةِ، كثيرَ الجدِّ،

(١) غ: فماتوا.

(٢) ط: وجور الولاة.

(٣) قول أنوشروان: «ما عدل من جارت قضاة ولا صلح من فسدت كفاة» أورده الرخجي منسوباً إليه بلفظ «... جارت ولاته...» (أحسن المحاسن ص ١٤٦).

(٤) قوله: «الشروط المعتبرة فيهم بالشرع» ذكر الماوردي شروط جواز ولاية القاضي هي على الإجمال سبعة:

١ - ذكؤه وفطنته وصحة تمييزه، ولا يكتفي في ذلك بالعقل فقط.

٢ - الذكورة

٣ - الحرية.

٤ - الإسلام.

٥ - العدالة.

قليل الهزل، شديد الورع، قليل الطمع، قد صرفته القناعة عن الضراعة، ومنعته النزاهة من الشرّة (١٤٥) وكفه الصبر عن الضجر، وصدّه العدل عن الميل، يستعينُ بدرسه على علمه، وبمذاكرته على فهمه، لطيف الفطنة، جيد التصور، مجاناً<sup>(١)</sup> للشبه، بعيداً<sup>(٢)</sup> من الرّيب، يشاورُ فيما أشكل، ويتأنّى فيما أعضل، فلا معدّلَ عن تكاملها، ولا رغبةً فيمن أخلّ بها.

### والطبقة الثالثة: أمراء الأجناد:

الذين هم أركانُ دولته، وحماةُ مملكته، والذابون عن حريمِ رعيتِه، والمالكونَ أعتةَ أجناده، والعاطفونَ بهم على صدقِ نصرته وموالاته.

فإن استقامت له هذه الطبقة، استقامَ له جميعُ أعوانه.

وإن اضطربَ عليه فسَدَ نظامُ تدبيره مع سائرِ أجناده؛ لأنهم إلى طاعةِ أمرائهم أسرع، ولقولِ زعمائهم أطوع؛ فإن خافَ سطوةَ من به يسطو، ولم يأمنَ جانبَ من به ينجو، كانَ بملكه مغرراً، وبنفسه مخاطراً.

وقيل:

إنّ الوفاء<sup>(٣)</sup> لك بقدرِ الجزاء منك<sup>(٤)</sup>.

والمعتبرُ فيهم: النجدة، والحمية، والوفاء، والمودة، وظهورُ الطاعة منهم ولهم، ليكونوا بطاعتهم متقادين، وبالطاعة لهم قائدين.

= ٦ - كماله في نفسه.

٧ - العلم بالأحكام الشرعية والعمل بأصول الشرع الأربعة: القرآن، والحديث، والإجماع، والقياس (انظر الأحكام السلطانية ٦٥-٦٦) وفصل فيها القول بإسهاب في (أدب القاضي ٦٤٣-٦١٨ / ١).

(١) غ: بجانب، وهو سهو.

(٢) غ: بعيد، وهو سهو.

(٣) غ: للوفاء، والتصحيح من ط.

(٤) ط: بقدر الوفاء منك. وقولهم: «إن الوفاء لك بقدر الجزاء منك» أورده الأمير أسامة بن منقذ ضمن قول الحكيم أرسطوطاليس بلفظ: «من أبل حذته في خدمتك، وأفنى مدته في طاعتك، فارح ذمامه في حياته، وتكفل أيتامه بعد وفاته؛ فإن الوفاء لك بقدر الرجاء فيك...» إلخ في كلام طويل (لباب الآداب ٥٩).

والطبقة الرابعة عمال الخراج:

الذين هم جباة الأموال، وعمّار الأعمال، والوسائط بينه وبين رعيته.  
فإن نصحوه في أمواله، وعدّلوا في أعماله، توفّرت خزائنه بسعة  
الدخل، وعمّرت بلاده بسط العدل.

وقد قيل:

فضيلة السلطان عمارة البلدان<sup>(١)</sup>.

وإن خانوه في ما اجتنّبوه<sup>(٢)</sup> من أمواله، وجاروا في ما تقلّدوه من أعماله،  
نقصت موائده، وخربت بلاده، وتغيّر عليه - لقلّة دخله - أعوانه وأجنّاده،  
وتولد منه ما يكون<sup>(٣)</sup> محل فساد.

قال بعض العلماء: (٤٥ب)

ظلم العمال ظلمة الأعمال<sup>(٤)</sup>.

وحكي أنّ المأمون<sup>(٥)</sup> جلس ذات يوم وأحضر العمال فقبلهم<sup>(٦)</sup>  
أعمال السواد، واحتاط في العقود، فلما فرغ قام إليه<sup>(٧)</sup> بعض قضائه فقال:

(١) قولهم: «فضيلة السلطان عمارة البلدان» ورد ضمن أقوال علي رضي الله عنه بلفظه (غرر الحكم ٢٢٧) وانظره في كتاب ٢٠٠٠ كلمة للإمام علي (ص ٧٧ رقم ١٨٠٤) وأورده الأمير أسامة بن منقذ ضمن أقوال أرسطوطاليس بلفظه (لياب الآداب ٦٨)، وأخرج ابن الجوزي عن كعب الأحبار أنه قال: «الرعية تصلح بصلاح الوالي وتفسد بفساده» (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ١ / ٤٧٠ وفيها تحريج).

(٢) غ: احتبوه، وليست في ط.

(٣) غ: ما ليس محل فساد. ولا يصح ذلك.

(٤) قولهم: «ظلم العمال ظلمة الأعمال» ورد في ط مصدراً بقوله قال بعض الحكماء، وهذا القول ورد في رسالة (كلمات مختارة ص ٢١) غير منسوب لقاتل.

(٥) قوله: «وحكي أنّ المأمون...» إلخ روى المؤلف هذه القصة في أدب الوزير بلفظ: «وحكي أنّ المأمون عزم على تضمين السواد، وعنده عبيد الله بن الحسن العنبري القاضي فقال له: يا أمير المؤمنين إن الله دفعها إليك أمانة فلا تخرجها من يدك قبالة، فعدّل عن الضمان» (أدب الوزير ص ٣٧)، والحادثة بهذا اللفظ نقلها النويري عن أدب الوزير (نهاية الأرب ٦ / ١٢١).

(٦) قبلهم أعمال السواد: أي جعلها عليهم تضميناً.

(٧) ط: قام إليه عبيد الله بن الحسن العنبري القاضي فقال.

يا أمير المؤمنين: إن الله [قد] (١) دفعها إليك أمانةً، فلا تخرجها من يدك قبالةً، فقال: صدقت، وفسخ ذلك.

وإنما (٢) أراد القاضي أن تقبيل الأعمال [ذريعة] (٣) إلى تحكّم (٤) العمال، وتحكمهم سبب لخراب الأعمال.

فتنبه المأمون على مراده وعمل برأيه.

والمعتبر في أختيارهم (٥) أن يكون فيهم إنصاف، وانتصاف، وعمارة، وخبرة، ونزاهة؛ لتدرّ أموال الرعية، وتتوفر أموال السلطنة.

[والطبقة الخامسة من يستخدمهم في شؤونه الخاصة]:

وها هنا طبقة أخرى يجب أن يتفقد أحوالهم بنفسه، غير أنهم يختصون بحراسة نفسه، لا بسياسة ملكه، وهم الذين يستخدمهم في مطعمه

(١) الزيادة من ط.

(٢) ط: وقال أقصى القضاة؛ وإنما أراد عبيد الله أن تقبيل...

(٣) الزيادة من ط.

(٤) غ، ط: تحكيم وهو تصحيف.

(٥) في اختيار عمال الخراج نقل ابن قتيبة عن كتاب أبريز إلى ابنه شيرويه ما نصه:

انتخب لخراجك أحد ثلاثة:

إما رجلاً يظهر زهداً في المال ويدعي ورعاً في الدين، فإن من كان كذلك عدل على الضعيف، وانصف من الشريف، ووفر الخراج، واجتهد في العمارة، فإن هو لم يرع ولم يعف إبقاء على دينه ونظراً لأمانته كان حرياً أن يخون قليلاً ويوفر كثيراً استساراً بالرياء واكتتاماً بالخيانة، فإن ظهرت على ذلك منه عاقبته على ما خان، ولم تحمده على ما وفر، وإن هو جلح في الخيانة وبارز بالرياء، نكلت به في العذاب واستنظفت ماله مع الحبس.

أو رجلاً عالماً بالخراج غنياً في المال مأموناً في العقل فيدعوه علمه بالخراج إلى الاقتصاد في الجلب والعمارة للأرضين والرفق بالرعية، ويدعوه غناه إلى العفة، ويدعوه عقله إلى الرغبة فيما ينفعه والرهبة مما يضره.

أو رجلاً عالماً بالخراج مأموناً بالأمانة مقترأً من المال فتوسع عليه في الرزق فيغتنم حاجته الرزق، ويستكثر لفاقته السير ويزجي بعلمه الخراج، ويقف بأمانته عن الخيانة...

وذكر النويري أنه حكى أن الإسكندر كتب إلى معلمه أرسطوطاليس ليستشيريه في عماله فكتب إليه: «إن من كان له عيب فأحسن في سياستهم فوله الجند، ومن كان له صنعة فأحسن تدبيرها فوله الخراج» (نهاية الأرب ٦ / ١١٧).

ومشربيه وملبسيه، ومن يقربُ منه في خلوته؛ فإنهم حصَّته من الأعداء، وجنَّته<sup>(١)</sup> من الأسواء.

وقد اختارَ حكماء الملوك أن لا يستخدموا<sup>(٢)</sup> في مثل هذه الحالِ إلَّا أحدَ ثلاثة:

إمَّا من تربَّى مع الملكِ وألفه.  
وإمَّا من ربَّاهُ الملكُ على أخلاقه.  
وإمَّا من ربَّى الملكُ في حجره.

فإن هؤلاء أهلُ صدقٍ في موالاته، ونصحٍ في خدمته، وعلوِّ في حفاظه وحياطته، ومن أجل ذلك وجب أن يكون إحسانه إليهم أفضل، وتفضُّله عليهم أظهر، ويتولَّى فعلَ ذلك بنفسه، ولا يكلُّ مراعاتهم إلى غيره، كما لم يكلِّ مراعاته إلى غيرهم، حتى لا يلجئهم إلى من يجتذب قلوبهم بنفقتِه فيما يلوهُ، ويكون من تقلبهم على عرض<sup>(٣)</sup>، ومن تنكرهم على خطرٍ.

فقد قيل في سالف الحكم: (٤٦آ)  
ليس من استكره نفسه في حظك كمن كان حظُّه في طاعتك<sup>(٤)</sup>.

[تفقدته لمن سوى هؤلاء]:

ثم يتفقُّد في من سوى هذه الطبقات بحسب منازلهم من خدمته، فقد قيل:

- 
- (١) الجنة: بضم الجيم ما استترت به من سلاح.  
(٢) غ: يستخدمون.  
(٣) على عرض كذا في غ وليست في ط وربما كانت على حذر لتستقيم الفاصلة.  
(٤) قوله: «فقد قيل في سالف الحكم: ليس من استكره...» أورد الأمير أسامة بن منقذ معنى هذا القول بلفظ: «قالت الحكماء: إن الملوك حقيقون باختيار الأعوان فيما يهتمون من أعمالهم وأمورهم من غير أن يكرهوا على ذلك أحداً فإن المكره لا يستطيع المبالغة في العمل» (لباب الآداب ٤٢).



من قضيت واجبه أمئت جانبه<sup>(١)</sup>.

وليكن اعتناؤه بمراعاته من استبطنته منهم أكثر؛ ليكونوا أحياناً مهذبين، وأصفياء مأمونين، فيسلم من مكرهم، ويأمن من شرهم، فقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال:

«ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

ويمنع كل أحد من أعوانه أن يتجاوز قدر رتبته، أو يتعدى إلى غير عمله [فيكون]<sup>(٣)</sup> بعمله منفرداً وعلى رتبته مقتصراً.

وربما دل بعضهم بحظوة نالها فتخطى بها إلى غير عمله، وتجاوز<sup>(٤)</sup> بها قدر رتبته، ثقة بحسن رأي الملك فيه، وتعوياً على مكانه منه. و[قد]<sup>(٥)</sup> روي عن النبي عليه السلام أنه قال:

«ما هلك امرؤ عرف قدره فانتشر بجناح مهيض وزاحم بجسد مريض»<sup>(٦)</sup>.

(١) قولهم: «من قضيت واجبه أمئت جانبه» أورده الماوردي في أدب الوزير بلفظه مبدوءاً بقوله: وقد قيل في منشور الحكم (انظر ص ٣٣).

(٢) حديث: «ما بعث من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان...» رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري بلفظه إلا أن فيه «... تأمره بالمعروف...» بدل «... تأمره بالخير...» (صحيح البخاري ٤ / ١٦٥ في كتاب الأحكام) وأخرجه أيضاً من حديثه في كتاب القدر بلفظ «ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة...» (٤ / ٩٩) والنسائي عن أبي سعيد أيضاً ولفظ المتن (سنن ٧ / ١٥٨) وقد أورد لفظين للحديث أحدهما عن أبي هريرة والآخر عن أبي أيوب (سنن ٧ / ١٥٨-١٥٩)، ورواه أحمد عن أبي هريرة في موضعين باختلاف (مسند أحمد ٢ / ٢٣٧، ٢٨٩) وعن أبي سعيد الخدري في موضعين أيضاً (٣ / ٨٨، ٣٩) وانظر أيضاً (الترغيب والترهيب ٣ / ٩٤).

(٣) الزيادة من السياق.

(٤) غ: ويتجاوز.

(٥) الزيادة من السياق.

(٦) حديث: «ما هلك امرؤ عرف قدره...» أورده المؤلف في أدب الدنيا والدين (٢٩٢) وهو مثل من أمثال العرب: انظر أمثال أبي عبيد (ص ١٣) بلفظ «لن يهلك امرؤ عرف قدره» =

فلا يلبث أن يهبط سريعاً، أو يخطّ سريعاً، بعد مضرة إفراطه،  
وهجنة انبساطه.

وكذا عاقبة من عدلّ طوره، وجهلّ قدره، ثم قد اختلفت به الرتب  
حتى هانت، واعتلت به المملكة حتى لانت، فصار عزّها مسكوناً وملكها  
متهوناً.

[من يحذر الملك أن يجعلهم في بطانته؟]:

وليحذر الملك أن يستبطن، أو يسترسل إلى أحدٍ من عدد<sup>(١)</sup>،  
معائهم<sup>(٢)</sup> مفترقة، وأحكامهم متفقة، بالأعداء المباينين أشبه منهم بالأعوان  
المساعدين، فإن صرعة الاسترسال لا تقال<sup>(٣)</sup>.

= وهو بلفظه في التمثيل والمحاضرة (ص ٢٨)، وفي مجمع الأمثال (٢/ ٨٧) وفي  
المعمرين ٩-١٦، وهو من كلام علي في غرر الحكم (١٨١ و ٣٠٨) وكتاب ألفي كلمة  
(ص ٢١ رقم ٤١٨) وهو من كلام أكثم بن صيفي في الفاخر (ص ٢٦٢ رقم ٣٩٦).

(١) قوله: «من عدد..»، أي من جماعة محدودين. وسيذكر المؤلف هذا العدد وأوصافهم. قال  
بطليموس في هذا الشأن: «ينبغي للذي السلطان أن لا يثق بمن كان له مهيتاً، ولا بمن اشتد  
حرصه، ولا بمن أجهده الفاقة والمسكنة، ولا بمن تقدم له جرم  
بخاف العقوبة عليه. ولا بمن سلبه ماله، أو عزله عن  
سلطانه، ولا بمن له مضرة بدولته، ولا منفعة له فيها، ولا بمن بينه وبين عدوه مودة،  
ولا يفوض إليهم ولا يستعين بهم ما وجد من ذلك بدأ»، (مختار الحكم ٢٥٦). وحكى ابن  
قتيبة جامعاً لهذه الأمور ناقلاً عن التاج أن أبرويز كتب إلى ابنه شيرويه من الحس: «ليكن  
من تختاره لولايتك امراً كان في ضعة فرفعته، أو ذا شرف وجدته مهتضاً فاصطنعته،  
ولا تجعله امراً أصبته بعقوبة فانقمع عنها، ولا امراً أطاعك بعدما أذلته، ولا أحداً ممن  
يقع في خللك أن إزالة سلطانتك أحب له من ثبوته، وإياك أن تستعمله ضرعاً غمراً كثر  
إعجاباه بنفسه، وقلت تجاربه عن غيره، ولا كبيراً مديراً قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت  
السن من جسمه» (عيون الأخبار ١/ ١٥)، ونقله ابن عبد ربه باختلاف يسير في العقد  
الفرید (١/ ٣٢).

(٢) معائهم: مظاهرم.

(٣) لا تقال: لا تغتقر.

- أحدهم: (٤٦ب) شريراً مظاهراً بالخير؛ لأنه ذو نفاقٍ ومكرٍ.
- والثاني: مطرَحٌ للدينِ والمراقبة؛ لأنه قليلُ الوفاءِ سريعُ الغديرِ.
- والثالث: حَرِصٌ شَرِيهٌ؛ لأنه يَنبِي (١) باليسيرِ ويطمع في التافهِ الحَقِيرِ.
- والرابع: مَضْرُوبٌ ذو فاقَةٍ؛ فإنه لا يصفو لمن لا يجرُّ فاقَتَهُ، ويسدُّ خَلَّتَهُ.
- والخامس: محطوطٌ عن رتبةٍ بلغها، أو ممنوعٌ من حقوقِ استوجِبها، وهو ساخطٌ متنكراً.
- والسادس: مهاجرٌ بذنبٍ لم يُعْفَ عنه، ولم ينتقمُ منه، فهو خائفٌ حذرٌ.
- والسابع: مذنبٌ مع جماعةٍ عفي عنهم وعوقبَ فصارَ موتوراً.
- والثامن: محسنٌ مع جماعةٍ جُوزوا ومُنِعَ، فصارَ محروماً.
- والتاسع: ذو كفاءٍ من حسدةٍ وأعداءٍ قُدِّموا عليه وأُخِرَ، فصارَ حنقاً.
- والعاشر: مستضرٌّ بما ينفَعُك، أو منتفعٌ بما يضرُّك، فلا يكونُ [إلا] (٢)
- مبايناً.
- والحادي عشر: من كانَ لعدوكَ أرجى منه لك، فيكونُ لعدوكَ ممايلاً.
- والثاني عشر: من بغى عليه أعداؤه، فسعدوا عليه، فتنتقلَ عداوته إلى من صارَ له مساعداً.
- فلا حظٌ للملكِ في استكفاءِ أحدهم، ولا أقاربه، إن هزَّته الرتبُ، ولزَّته النوائِبُ، كانَ بينَ مراقبةٍ مختلسٍ، أو مواثبةٍ مفترسٍ.

(١) غ: ينسى.

(٢) الزيادة من السياق.

وليحذر الملك من استدنائهم؛ فإنه معهم على خطرٍ من اغتيالٍ،  
أو احتيالٍ.

قال حكيمُ الرومِ :

ينبغي للملك أن يصرفَ حذرَه إلى الأشرارِ واستنابتهِ إلى الأخيارِ (١).

فإن زالت أسبابُ الحذرِ، وعادوا إلى أحوالِ السلامة، صاروا كأهلِها  
في جوازِ الاستكفاءِ والاصطناعِ؛ فليسَ المأمونُ أن يصلحَ الفاسدُ، كما  
ليسَ بمأمونٍ أن يفسدَ الصالحُ، وللعليّ نتائجُ يرتفعُ معلوؤها (٤٧آ) بزوالِ  
تعليلِها، ونتائجُ الأضدادِ متباينةٌ.

وقد قيلَ في منشورِ الحكيمِ :

من حسنَ (٢) صفاؤه وجبَ اصطفاءُه (٣).

قال الشاعرُ (٤) : [من الطويل]

وقد تقلبَ (٥) الأيامُ حالاتِ أهلِها

وتعدو على أسدِ الرجالِ الثعالبُ (٦)

(١) قال ابن المقفع: «ليتفقد الوالي فيما يتفقد من أمور الرعية فاقة الأحرار منهم فليعمل في سدها، وطغيان السفلة منهم فليقمعه»، (الأدب الكبير ١١٦).

(٢) غ: من وجب صفاؤه والتصحيح من الأمثال والحكم والمستطرف.

(٣) قوهم: «من حسن صفاؤه وجب اصطفاءه»، أورده المؤلف في الأمثال والحكم (الورقة ٣١) غير منسوب، وأبو الحسن بن الحسين الرخجي غير منسوب أيضاً بلفظ «من عرف...» (أحسان المحاسن ١٥٨)، والإبشهي بلفظه غير منسوب أيضاً، (المستطرف ٢٥/١).

(٤) قوله «قال الشاعر» قلت هو الحارث بن نمر التنوخي إذ قد أورد الماوردي البيت في الأمثال والحكم منسوباً إليه وفي التذكرة السعدية.

(٥) تقلب كذا في غ، ط، التذكرة السعدية، وفي الأمثال والحكم (تغلب) بالغين.

(٦) البيت في الأمثال والحكم للماوردي (الورقة ٨ب)، منسوباً إلى الحارث بن نمر التنوخي والتذكرة السعدية ٣٧٥، رقم القطعة ١٥٩، من باب الأدب والحكم والأمثال ونسبه إليه مع بيت آخر قبله هو:

وكل له فيما يروم ضريبة وتفضيل ما بين الرجال الضرائب  
فانظرهما فيها وفيها تخريج.

وإذا اكتفى من استكفاه، اقتصر، ولم يستكثر؛ فحسبه في العمل من كفاه؛ فما في الاستكثار بعد الاكتفاء إلا مال مضاع، [وسر مداع]<sup>(١)</sup>، وكلا الأمرين خلل وزلل.

قال بعض البلغاء:

ليس العمل بكثرة الإخوان، ولكن بصالح الأعوان<sup>(٢)</sup>.

وإن وجد كافياً، ولم يجد عملاً لاستيلاء الكفاة على الأعمال، تمسك به، ولم يهمله، وراعه بقدر كفايته، وأدخره لوقت حاجته، فلا غنى بالملك عن أدخار أعوان يعدهم لما يطغى، ويستظهر بهم على من استكفى، حتى لا تفجأ الحاجة وأعوانها متعدرون، ويكفي أن يسترسل أو يدل عليه الناظرون.

فإذا أدخر الأموال لنواب الملك كان أدخار الأعوان أحق؛ لتمائل الأموال، وتفاضل الأعوان.

\* \* \*

(١) الزيادة من السياق لذكره أمرين.

(٢) قوهم: «ليس العمل بكثرة الإخوان ولكن بصالح الأعوان» أورده المبرهن بن فاتك غير منسوب لأحد بلفظ «ليس رجاء الغلبة بكثرة الأعوان ولكنه بصالحائهم» (مختار الحكم

## [الفصل الرابع والعشرون]

[أشد ما يمني به الملك في سياسة ملكه]

وأشدُّ ما يمني<sup>(١)</sup> به الملكُ في سياسة ملكه شيثان :  
أحدهما : أن يفسدَ عليه الزَّمانُ .  
والثاني : أن يتغيَّرَ عليه الأعوانُ .

[فساد الزمان] :

فأما فسَادُ الزَّمانِ فنوعانِ :  
نوع حدثَ عن أسبابِ إلهية .  
ونوعٌ حدثَ عن عوارضَ بشرية .

[ما حدث عن أسباب إلهية] :

فأما الحادثُ عن الأسبابِ الإلهيةِ [فيجب]<sup>(٢)</sup> أن يقابلها الملكُ  
بأمرين :

أحدهما : إصلاحُ<sup>(٣)</sup> سريره، وسرائرِ رعيته . فقد<sup>(٤)</sup> روي عن النبيِّ  
عليه السلام أنه قال :  
«إذا جارت الولاةُ قحطت السَّماءُ»<sup>(٥)</sup> .

(١) غ : تمني . ط : قال أقصى القضاة وأما ما تكلم به في سياسة الملك فأشد ما عني .

(٢) الزيادة من ط وفيها : فأما الأول فيجب . . .

(٣) ط : صلاح .

(٤) غ : وقد .

(٥) حديث «إذا جارت الولاة قحطت السماء»، أورده المؤلف من الأمثال والحكم بلفظه (الورقة ٤٨ب)، ومن توقيعات الأقدمين توقيع أردشير بن بابك، وكان أهل زمانه قحطوا فرفعوا إليه قصة يشكون ذلك فوقع إلى صاحب بيت المال: «إذا قحط المطر جادت سحائب الملك ففرق فيهم ما قاتهم ومانهم»، (رسالة أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في التفضيل بين بلاغي العرب والعجم، ص ٢١٧)، وفي غرر السير «رفع أهل اصطخر إلى أردشير يشكون إمساك القطر وسوء أثر القحط فوقع: إذا بخلت السماء بقطرها جادت =

وقال عليّ<sup>(١)</sup> بن أبي طالب رضي الله عنه:

من حاولَ أمراً بمعصيةِ اللهِ كانَ أبعدَ لما رَجَا وأقربَ لمجيءِ ما اتقى<sup>(٢)</sup>.

والثاني: (٤٧ب) أن يتطامنَ لها إذا طرقت، ويتلطفَ<sup>(٣)</sup> في تلاقيها إذا هجمت، حتى تنجلي عنه<sup>(٤)</sup> وهو سليمٌ من لفحتها<sup>(٥)</sup> معانٍ في شدتها، فما عن أفضيةِ اللهِ صادٍ، ولا<sup>(٦)</sup> عن أوامرهِ رادٌ، فالسلمُ<sup>(٧)</sup> فيها أسلمٌ، ودفاعُ الله عنها أقومٌ.

وُجِدَ في عضدِ الإسكندرِ صحيفةٌ فيها مكتوبٌ:  
قَلَّةُ الاسترسالِ إلى الدنيا أسلمٌ، والاتكُّالُ على القدرِ أروحٌ، وعند  
حسنِ الظنِّ تقرُّ العين<sup>(٨)</sup>.

= سبحانه بدرها، وقد أمرنا لكم بما يجبر كسرکم، ويعني فقرکم» (ص٤٨٤)، وانظر (أقوال متفرقة لأردشير بكتاب عهد أردشير، ص١٠١-١٠٢، الفقرة رقم ٢٥)، وفي الإيجاز والإعجاز: «رفع أهل اصطخر إلى نرسي بن بهرام احتباس المطر فوقع: إذا انجلت - كذا ولعلها بخلت - السماء بقطرها جادت يد الملك بدرها» (ص١٣)، وانظر (خاص الخاص ٨٤). ومن كلام كسرى في قصة طريفة ما يأتي من هذا المعنى (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ٥٠٦/١)، وفي سيرة أنوشروان قصة تؤيد مصداق ما جاء في الحديث، أوردها الغزالي (نصيحة الملوك ٧٠-٧١).

- (١) غ: وقال على كرم الله وجهه.  
(٢) قول علي رضي الله عنه: «من حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد لما رجا وأقرب لمجيء ما اتقى»، نجده بلفظه في نهاية الأرب (٦/١٠٧)، وأورده المؤلف في الأمثال والحكم (الورقة ٤٥ب)، منسوباً إليه بلفظه وفيه «لمحي ما أبقى»، وهو تصحيف.  
(٣) غ: ويتسلط.  
(٤) غ: من وقد سقطت من ط.  
(٥) غ: نفحتها.  
(٦) ط: ولا لأوامره راد.  
(٧) ط: والسلم.  
(٨) غ: العيون والتصحيح من ط ومن الأمثال والحكم. وقوله: «وجد في عضد الإسكندر صحيفة فيها مكتوب: قلة الاسترسال.. إلخ» أورده المؤلف في الأمثال والحكم بلفظه (الورقة ٣٦ب)، ومن أقوال علي رضي الله عنه: «قلة الاسترسال إلى الناس أحزم»، (غرر =

وقد قيل في مشور الحكم<sup>(١)</sup>:

لا تجهدن<sup>(٢)</sup> في ما لا ذرّك فيه تريح التعب، وادحض البخل، وإلا  
كنت خازن غيرك، [ولا تدخرن المال لبعل عرسك]<sup>(٣)</sup> ولا تظهرن<sup>(٤)</sup> إنكار  
ما لا عدّة معك لدفعه، ولا يلهيتك قدره<sup>(٥)</sup> عن كيد وحيلة<sup>(٦)</sup>.

قال الشاعر: [من الكامل]

ما للرجال مع القضاء تحيّل

ذهب القضاء بحيلة المحتال<sup>(٧)</sup>

[ما حدث عن العوارض البشرية]:

وأما الحادثات عن العوارض البشرية من أفعال العباد<sup>(٨)</sup>، فهي التي  
يسأس فسادها بالحزم حتى تنحسم، وبالاجتهاد حتى تنتظم؛ فليس ينشأ<sup>(٩)</sup>  
الفساد إلا عن أسباب خارجة عن العدل والاقتصاد، ولا تنحسم إلا بحسم  
أسبابها.

= الحكم ٢٣٤) وفي موضع آخر «عشرة الاسترسال لا تقال» (٢٢١)، ويلفظ «من أقل  
الاسترسال سلم، من أكثر الاسترسال ندم» (ص ٢٦٦).

(١) ط: في حكم الفرس.

(٢) غ: لا تجهدون، والصواب ما أثبتناه عن ط، وعن الأمثال والحكم.

(٣) الزيادة من الأمثال والحكم.

(٤) غ: ولا تظهر.

(٥) ط: قدر وما أثبتناه هو الصواب عن غ وعن الأمثال والحكم.

(٦) قوله: «وقد قيل في مشور الحكم: لا تجهدن في ما لا درك فيه...» أورده المؤلف بلفظه في

الأمثال والحكم (الورقة ٥٠ب)، ومن أقوال علي رضي الله عنه، «لا تبسطن يدك على من

لا تقدر على دفعها عنه» (غرر الحكم ٣٣٥)، و«ما جمعت من المال فوق قوتك فإمّا أنت فيه

خازن لغيرك» (سراج الملوك ٩١)، ووجد مكتوباً على حجر: «انتبهز الفرص عند إمكانها

ولا تحمل على نفسك هم ما لم يأتك، واعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك،

فكم من جامع لبعل حليلته» (سراج الملوك ٩١) ونجد في كلام الأحنف بن قيس ما يشبه

هذا الكلام في خطاب طويل فانظره في (نهاية الأرب ٨ / ١٨٥-١٨٦).

(٧) مرّ هذا البيت قبلاً.

(٨) ط: وأما الحادث عن الأسباب البشرية من أفعال المخلوقين.

(٩) ط: ينتشر الفساد.



قال الشاعر<sup>(١)</sup>: [من البسيط]

[وقلما يفجأ المكروه صاحبه

إذا رأى لوجوه الشر أسبابا<sup>(٢)</sup>

فيراعي الملك سبب الفساد: فإن كان حادثاً عن شدة وعسفٍ وعنفيٍّ  
حَسَمَهُ باللين واللطيف، وإن حدث عن لينٍ وضعفٍ حَسَمَهُ بالشدة والعنف،  
وكذلك ما عداهما من الأسباب، تنحسّم بأضدادها، فإن حَسَمَ الداء بضده  
من الدواء فقد قال الشاعر: [٣]: [من الكامل]  
فالنارُ بالماءِ الذي هو ضدها

تعطي النضاج وطبعها الإحراق<sup>(٤)</sup>

وربما اختلفت<sup>(٥)</sup> الأسباب لامتزاج أنواع الفساد، فتحسّم الأسباب  
المتنوعة<sup>(٦)</sup> بأضدادٍ متنوعةٍ، كما تعالج الأمراض المضادة بأدوية متضادة،  
فيستخرج حسم كل فسادٍ من سببه، وما يصعب من هذه السياسة إلا معرفة  
الأسباب، فإذا عرفها وقف على الصواب، وإن أشكلت عليه التيسر عليه  
الصواب؛ فتاة عن قصده وذهل عن رشده.

قال الشاعر<sup>(٧)</sup>: (٤٨) [من الطويل]

- (١) قوله: قال الشاعر: قلت هو حثامة بن قيس كما نسبته إليه الماوردي في الأمثال والحكم.
- (٢) قوله: وقلما يفجأ المكروه.. إلخ، البيت ورد منسوباً إلى حثامة بن قيس في الأمثال والحكم (الورقة ٧ب)، وهو غير منسوب لأحد في العقد الفريد (طبعة العريان، ٢ / ١٨٨) وفيه: حتى يرى لوجوه الشر...
- (٣) الزيادة من حاشية الأصل غ وبعض منها من ط.
- (٤) قوله: «فالنار بالماء الذي هو ضدها.. إلخ» البيت مع بيت آخر قبله هو قوله: وإذا عجزت عن العمدو فداره وامزح له إن المزاح وفاق سيأتى بها المؤلف مرة أخرى في هذا الكتاب كما أتى بها في أدب الدنيا والدين (١٦٧)، دون عزو إلى قائل. وقد ورد البيت غير معزو أيضاً في التمثيل والمحاضرة (٢٦٤) بلفظ (والنار). وقد سقط ما بين هذا البيت وبين ذكره مرة ثانية بعد ورقات من نسخة ط.
- (٥) غ: اختلف.
- (٦) غ: المتنوعة.
- (٧) قوله «قال الشعر..» قلت قد سماه المؤلف في الأمثال والحكم فذكر أنه عبدة بن حصن =

إذا ما أتيت الأمر من غير بابِه  
ضللت وإن تقصِد إلى البابِ تهتد<sup>(١)</sup>  
وتقلَّب الزمان بأحوالِ أهله يعودُ عليهم بخيره وشره. روي عن النبي  
صلى الله عليه وسلّم أنه قال:

«إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وكان أمركم  
بينكم، فظهور الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم<sup>(٢)</sup>،  
وكان أغنياؤكم بخلاءكم، وكان أمركم إلى نساءكم، فبطن الأرض خير لكم  
من ظهرها»<sup>(٣)</sup>.

[تغيّر الأعوان]:

وأما تغيّر الأعوانِ فنوعان:

أحدهما: أن يكونَ لفسادٍ تعدى إليهم.

والثاني: أن يكونَ لفسادٍ حدثَ منهم.

[تغير الأعوان لفساد تعدى إليهم]:

فإذا كانَ تغيّرهم لفسادٍ تعدى إليهم عوجلوا بحسبِ أسبابه قبل  
تفأقمها؛ فسيجدهم - بعد حسمها - على السداد.

= الأودي، على حين ورد البيت في ديوان قيس بن الخطيم الذي جمعه الدكتور إبراهيم  
السامرائي والدكتور أحمد مطلوب ضمن قصيدة طويلة.

(١) قول الشاعر: «إذا ما أتيت الأمر من غير بابِه..» البيت أورده المؤلف في الأمثال والحكم  
(الورقة ١٤ب)، منسوباً إلى عبدة بن حصن الأودي، وأورده دون أن ينسبه إلى قائل في  
أدب الوزير (ص١٩)، وهو في ديوان قيس بن الخطيم ضمن قصيدة طويلة لقيس بلفظ:

مى ما أتيت الأمر من غير بابِه ضللت وإن تدخل من الباب تهتد

(انظر ديوان قيس بن الخطيم، القصيدة رقم ٦، ص٤٦) وقد ورد البيت غير  
منسوب في نهاية الأرب (٦ / ١٠٥) وفي المستطرف (١ / ٣٠)، وهو فيها بلفظه.

(٢) غ: أشراكم وكذا في الجامع الصغير والتصحيح من مصادر التخريج.

(٣) حديث: «إذا كان أمراؤكم خياركم..» رواه الترمذي عن أبي هريرة بلفظ «إذا كانت..  
وأمركم شورى بينكم.. وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نساءكم..»، وقال هذا حديث  
غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح المري وصالح في حديثه غرائب، لا يتابع عليها  
وهو رجل صالح، (سنن الترمذي ٣ / ٣٦١، رقم الحديث ٢٣٦٨)، وانظره في الجامع  
الصغير (١ / ٣٤)، والتيسير (١ / ١٢٥)، والترغيب والترهيب (٣ / ١٦٦-١٦٧).

فإن أهملوا، فلكل برهة تمضي من زمانهم تأثير في استحكام فسادهم، حتى يفضي إلى غاية لا تستدرك؛ لأن حسم ما استحكم متعذراً، مستبعداً.

وسبب هذا الفساد واحد من ثلاثة أسباب:  
 إما أن يكون لتقصير بهم فيستدرك بالتوفر عليهم.  
 وإما أن يكون لعدوان عليهم فيستدرك بالكف عنهم.

وإما [أن يكون] لمفسد أطمعهم، فهو أخبثها؛ لأن الطمع مصائل<sup>(١)</sup> للعقول، ومفسدة للقلوب. فإن لم يصدّه حزم، أو حذر، خبثت به السرائر؛ فهيج من النفوس سواكنها، وأبرز من القلوب كوامنها، وصار كأجيج النار في يابس الحطب.

وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال:  
 «استعيذوا بالله من طمع يؤدي إلى طمع»<sup>(٢)</sup>.

(١) مصائل: اسم فاعل مأخوذ من صؤل البعير بالهمز من باب ظرف إذا صار يقتل الناس ويعدو عليهم ويوانهم فهو جل صؤل.

(٢) حديث «استعيذوا بالله من طمع يؤدي إلى طمع»، رواه الإمام أحمد من حديث معاذ بلفظ «استعيذوا بالله من طمع يهدي إلى طمع ومن طمع يهدي إلى غير مطعم ومن طمع حيث لا طمع»، (مسند أحمد ٥ / ٢٣٢)، ورواه مرة أخرى عنه بلفظ «ومن طمع في غير مطعم» بدل قوله «ومن طمع يهدي إلى غير مطعم»، (مسند أحمد ٥ / ٢٤٧)، وقد ورد الحديث في أدب الدنيا والدين (ص ٢٩٨)، وفي نسخة ط بلفظ: «وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ادعائه: اللهم إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طمع»، وقد ورد أيضاً في تهذيب اللغة (مادة طمع ٢ / ١٨٦)، بلفظ: «نعوذ بالله من طمع يهدي إلى طمع»، وقد رواه أيضاً الحاكم في المستدرک والطبراني في الكبير عن معاذ من حديث صحيح (الجامع الصغير ١ / ٤٠)، قال في التيسير: قال القاضي: والمعنى تعوذوا بالله من طمع يسوق إلى شيء في الدين وإزراء بالبروءة (١ / ١٤٧)، وإحياء علوم الدين ١ / ٣٣٠ ومن حكمهم: «رب طمع أدى إلى طمع» في قصة المثل المشهور «قالب الصخرة» وهي أنهم قالوا إنه كان رجل من معد رأى صخرة عظيمة ببلاد اليمن مكتوباً عليها بالمسند «اقلني أنفعك» فاحتال في قلبها ولقي العناء من ذلك، فإذا على الجانب الآخر «رب طمع أدى إلى طمع» فما زال يضرب برأسه الحجر تلهفاً حتى انثرت لحمه ومات (ثمار القلوب ٥٥٨)، و(مجمع الأمثال ١ / ٤٣٩) رقم (٢٣٣٢)، وقولهم «رب طمع أدى إلى طمع» قد ورد في التمثيل والمحاضرة (ص ٤٤٦)، =

وقال عمرُ [بِنُ الخطابِ رضي الله عنه] (١):  
 إِنَّ الطَّمَعُ فَقْرٌ وَإِنَّ [الْيَأْسَ غِنًى، وَإِنَّ المَرءَ إِذَا يَثَسَّ مِنْ شَيْءٍ (٢)  
 اسْتَغْنَى عَنْهُ (٣).

وحسُمُ هذا الطَّمَعُ يَكُونُ بِمَعالِجَةِ إِرْغابٍ مِنْ اشْتَدَّ حَتَّى يَنْسَى،  
 وَإِرْهَابٍ مِنْ لَأَنَّ حَتَّى يَنْتَهِيَ، لَتَمْتَرِجَ (٤٨ب) الرِّغْبَةُ بِالرَّهْبَةِ، ففِي انْفِرَادٍ  
 أَحَدُهُمَا فَسَادٌ.

== وجمع الأمثال (١/ ٣٠٦، رقم ١٦٤٢)، بلفظ (يهدي) وقال: الطبع الدنس، وقد أخذ  
 هذا المعنى عروة بن أذينة القرشي - أموي - إذ قال:  
 لا تحسِر في طمع يهدي إلى طبعٍ وَغُفَّةً مِنْ قِوامِ العيشِ تكفييني  
 (حاشية التاج في أخلاق الملوك ١٢١)، وفي الحماسة البصرية ٨١ / ٢ بلفظ «... يندى إلى  
 طبعٍ وَغَيْرٍ مِنْ كِفافٍ...»، ونسبه ابن السكيت لثابت بن قطنة العتكي مع بيتين آخرين (كنز  
 الحفاظ من كتب تهذيب الألفاظ تهذيب الخطيب التبريزي ص ٢٢ و ٤٣٧)، ومن أمثالهم  
 «الطمع طبع»، (جمهرة اللغة مادة ط ب ع ١/ ٣٠٦).

(١) الزيادة من ط وفي غ: عمر عليه السلام.

(٢) غ: من الشيء.

(٣) قول عمر رضي الله عنه: «إن الطمع فقر واليأس غنى...» أخرجه ابن الجوزي من حديث  
 هشام عن أبيه قال: قال عمر رضوان الله عليه: تعلموا أن الطمع فقر وأن اليأس غنى،  
 وأن المرء إذا يئس من شيء استغنى عنه»، (سيرة عمر بن الخطاب ١٢٦)، وكتاب (ألف  
 كلمة لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب) بلفظ «إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وإنه من يئس  
 عما في أيدي الناس استغنى عنهم»، (ص ٣٣ رقم القول ٣٢٤)، ورواه الماوردي في الأمثال  
 والحكم (الورقة ٤٤) وأخرجه رزين من حديث عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب قال  
 يوماً في خطبته «تعلمون أيها الناس: أن الطمع فقر وأن اليأس غنى، وأن المرء إذا يئس من  
 شيء من أمور الدنيا استغنى عنه» (جامع الأصول ١١ / ٣٥٧، رقم الحديث ٨٤٥٠)، وقد  
 ورد في ما نسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: «الطمع فقر ظاهر واليأس غنى  
 حاضر»، (غرر الحكم ١٦)، وفي موضع آخر: «إن أكيس الناس من اقتنى اليأس ولزم  
 الصمت والورع، وبرىء من الحرص والطمع الفقر الحاضر، وإن اليأس والقناعة الغنى  
 الظاهر» (١١٤-١١٥)، وقد ورد معنى قول عمر ضمن حديث للرسول صلى الله عليه  
 وسلم أن رجلاً قال: يا رسول الله أوصني. قال: عليك باليأس مما في أيدي الناس، وإياك  
 والطمع فإنه الفقر الحاضر، وإذا صليت صلاةً فصلِّ صلاةً مودع، وإياك وما يعتذر منه»  
 (المستدرک ٤ / ٣٢٦) عن سعد بن أبي وقاص وانظر (أدب الدنيا والدين ٢٩٨)، وانظر  
 (الدر المنظم في الوعظ والحكم ص ١٧)، وقد ورد هذا القول في رسالة (كلمات مختارة  
 ص ٢١)، بلفظ «إن المطامع فقر والغنى يأس» غير منسوب وبهذا اللفظ أيضاً في (الإمتاع  
 والمؤانسة ٢ / ١٤٨).

قال الشاعر<sup>(١)</sup>: [من الكامل]  
والنفسُ راغبةٌ إذا رَغِبَتْهَا  
وإذا تُرِدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ<sup>(٢)</sup>

[تغيّر الأعوان لفساد حدث منهم]:

وأما تغيّر الأعوان لفساد حدث منهم، عدلوا به عن الاستقامة، وزالوا عن أحوال السلامة، فهو الدَّغْلُ<sup>(٣)</sup>، والقرحُ النغلُ<sup>(٤)</sup>، والخطبُ العضلُ<sup>(٥)</sup>.  
والفرق ما بين الفساد الطارىء عليهم، والفساد الناشئ منهم من وجهين:

أحدهما: أن الطارىء منفصل، والناشئ متصل، ونكاية المتصل أبلغ من نكاية المنفصل.

والثاني: أن الطارىء ظهر قبل حلوله فيهم، فأمكن تعجيل استدراكه، والناشئ ظهر بعد استحكامه فيهم، فتعذر تعجيل استدراكه، فلزم لدغل دائه، وعضل دوائه، أن تقرّر في تلافيه، وحسم دواعيه، قواعد كل حالة على قاعدتها، ويدبّر بموجبها.

\* \* \*

- 
- (١) قوله: «قال الشاعر» قلت هو لأي ذؤيب الهزلي وقد مرت ترجمته.  
(٢) قوله: «والنفس راغبة..» مر الاستشهاد بهذا البيت وتخرجه.  
(٣) الدغل - بفتحين: الفساد.  
(٤) النغل: يقال نغل الأديم: فسد وبابه طرب فهو نغل، ومنه قوسم: فلان نغل إذا كان فاسد النسب، والعاقبة تقول نغل بالتسكين.  
(٥) العضل: الشديد الذي أعيا الأطباء.

[الفصل الخامس والعشرون]  
[سياسة الملك وأحواله]

[بم يساس الملك؟]:

وإذا كان كذلك فالملك يساس بثلاثة أمور:  
أحدهما: بالقوة في حراسته وحفاظه.  
والثاني: بالرأي في تديره وانتظامه.  
والثالث: بالمكيدة في فل أعدائه.  
فتكون القوة مختصة بالعقل.

والرأي مختصاً بالتدير. وهما على العموم في جميع الأحوال والأعمال.

فأما المكيدة فمختصة بفل الأعداء؛ فإن من ضَعَفَ كيده قوي عدوه، وهذا أصل يعتمد<sup>(١)</sup> عليه مدار السياسة، ويحمل عليه تدير الملك<sup>(٢)</sup>.

[أحوال الملك]:

وللملك ثلاث أحوال:  
فالحال الأولى: تثبيت قواعده.  
والحال الثانية: تدير رعيته.  
والحال الثالثة: استقامة أعوانه.

[١ - تثبيت قواعد الملك]:

فأما الحال الأولى في تثبيت قواعده وحراسته من الأعداء المنازعين فيه فضربان:

أحدهما: (١٤٩) حاله قبل استقراره عند المنازعة فيه والمحاربة عليه، فيساس بالأمور الثلاثة:

(١) غ: معتمد.

(٢) قال محمد بن يزداد الكاتب: «إذا لم تستطع أن تقطع يد عدوك قبلها»، (عيون الأخبار ١١٢/٣).

أحدها: بالقوة في حراسته والذب عنه حتى تستقر قواعده.  
والثاني: بالرأي في تدييره، حتى ينتظم على اعتداله.  
والثالث: بالمكيدة في انتهاز فرصته ودفع غوائله.  
والثاني: حاله بعد استقراره في السلم والدعة، فيساس بأمرين:  
أحدهما: بالقوة الحافظة لقواعده المستقرة.  
والثاني: بالرأي الجامع للسياسة العادلة.  
ولا حاجة إلى استعمال المكيدة فيه عند السلم والموادعة.  
[٢ - تدبير الرعية]:

وأما الحال الثانية في تدبير الرعية فضربان:  
أحدهما: حالهم في السلامة والسكون، فيساس بالرأي وحدة  
المحافظة لتدييرهم على السيرة العادلة.  
والضرب الثاني: حالهم في الاضطراب والفساد، فيساسون بأمرين:  
أحدهما: بالقوة في كف مفسدهم، وكف الفساد عنهم.  
والثاني: بالرأي في تدبير أمورهم على السيرة العادلة.  
ولا وجه لاستعمال المكيدة فيهم؛ لأن حقوق الأموال مستمدة منهم؛  
فإن كيدوا صار الملك بهم مكيداً، فكان الضرر عليه أعود، والفساد فيه  
أزيد.  
[أحوال الملوك مع رعيتهم]:

وقد تنقسم أحوال الملوك مع رعيتهم أربعة أقسام يعلم بتفصيلها  
أسباب الصلاح ومواد الفساد:  
فالقسم الأول: ملكٌ صلحت سريرته، واستقامت رعيته، فأعين على  
صلاح السيرة باستقامة رعيته، وأعينت الرعية على الاستقامة بصلاح سيرته،  
فهذا هو العدل منهما، فصارت السعادة شاملةً لهما، وقد روي عن النبي  
عليه السلام أنه قال:  
«خيرُ أمرائكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وشرُّ أمرائكم (٤٩ب) الذين  
تبغضونهم ويبغضونكم»<sup>(١)</sup>.

(١) حديث: «خير أمرائكم الذين تحبونهم ويحبونكم...» رواه مسلم من حديث عوف بن مالك =

والقسم الثاني: ملكٌ صلحت سيرته، وفسدت رعيته، فقد أضاعت الرعيةً بفسادها صلاحَ ملكها، وخرجوا من سكون الدعة، إلى زواجر السياسة، فاحتاج إلى تقويمهم بالشدة بعد لينه، وبالسطوة بعد سكونه<sup>(١)</sup>، ليقلعوا عن الفساد إلى السداد فيكف عنهم، والعدل في الحالين مستعمل معهم؛ لأنَّ الزجرَ تأديبٌ، والرهبة تهذيبٌ.  
قال بعض الألباء:

لا تُعادوا الدُولَ المقبلةَ، فإنَّكم تدبرون بإقبالها<sup>(٢)</sup>.

والقسم الثالث: ملكٌ فسدت سيرته، واستقامت رعيته. فإن استدركَ صلاحَ ملكه بعدلِ سيرته وصحةِ سياسته، وإلا تطاولت عليه الرعيةُ بقوة الاستقامة، وكان معهم [على] أمرين:

أحدهما: أن يصلحوه حتى يستقيم، فيصير مأموراً بعد أن كان أمراً، ومقهوراً بعد أن كان قاهراً، وتزول هيئته، وتبطل حشمته، ولا يبقى له من الملك إلا اسمٌ مستعارٌ، قد استبقوه عليه تفضلاً.

قيل: من كثر تعديهِ كثر أعاديهِ<sup>(٣)</sup>.

= الأشجعي بلفظ «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم...» (صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٤٥) وأخرجه الترمذي من حديث عمر بن الخطاب بلفظ «ألا أخبركم بخيار أمرائكم وشرارهم؟ خيارهم الذين تحبونهم ويحبونكم وتدعون لهم ويدعون لكم وشرار أمرائكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم» (جامع الأصول ٤/ ٥٥٥ رقم ٢٠٥٠) والجامع الصغير (٢/ ٨) والتيسير (١/ ٥٢٣-٥٢٤) والحديث في أدب الدنيا والدين بلفظ «خير أئمتكم... وشر أئمتكم...» وفيه زيادة هي قوله: «وتلعنونهم ويلعنونكم» (ص ١٢٣).

- (١) غ: كونه.  
(٢) قول بعض الألباء: «لا تعادوا الدول المقبلة...» نجد معناه في أدب الدنيا والدين بلفظ «لا تعرضن لعدوك في دولته، فإذا زالت كفت شره» (ص ٣١٠). وقد نسبة البشر بن فاتك إلى أفلاطون وجاء به ضمن حكمه وآدابه بلفظ «لا تعادوا الدول المقبلة، وتشربوا قلوبكم استتقالها فتدبروا بإقبالها» (محاسن الكلم ١٧١).  
(٣) قولهم: «من كثر تعديهِ كثر أعاديهِ» ورد غير منسوب في رسالة كلمات مختارة بلفظ: «من قلت أياديهِ كثرت أعاديهِ» (ص ٤٠) ومن أقوال علي رضي الله عنه «من حسنت مساعيه طابت مراعيه ومن كثر تعديهِ كثرت أعاديهِ» (غرر الحكم ٢٧٦).



والثاني: أن يعدلوا إلى غيره فيملكوه عليهم فيكونوا له أعواناً إن نوزع، وأنصاراً إن قورع، فيصير بفساد سيرته مزبلاً لملكه، ومعيناً على هلكه.

والقسم الرابع: ملك فسدت سيرته، وفسدت رعيته، فاجتمع الفساد في السائس والمسوس، فظهر العدوان من الرئيس والمرؤوس، فلم يتقاصد عن فساد، ولا داع إلى صلاح، فخرجت الأمور عن سبيل السلامة، وزالت عن قوانين الاستقامة، ولا ثبات لملك زالت عنه السلامة (٥٠) وعدمت فيه الاستقامة<sup>(١)</sup>، وهو بمرصد من تائر يصطلم<sup>(٢)</sup>، وقاهر ينتقم. وقد قال أردشير بن بابك:

بمثل هذا الملك، وهذه الرعية تختم الدول، وتستقبل الفتنة، وتذال الدهور<sup>(٣)</sup>.

### [٣ - استقامة الأعوان]:

وأما الحال الثالثة في استقامة الأعوان فضربان: أحدهما: حالهم في السكون والدعة: فيسأسون بالرأي وحده في تدبيرهم بالرغبة والرغبة حتى تستقر أمورهم على السيرة العادلة. قال سابور<sup>(٤)</sup> في عهده إلى ابنه هرمز<sup>(٥)</sup>:

(١) غ: وعدمت فيه السلامة.

(٢) يصطلم: يستأصل.

(٣) قول أردشير: «بمثل هذا الملك...» تجد غرراً من كلامه في هذا المعنى في عهد أردشير والأموال الملحقة به وفي كتاب غرر ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٨٢).

(٤) سابور: معرب عن شابور وهي مخففة عن شاهبور، وهو سابور بن أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس ملك بعد أبيه واقتدى بسيرته طيلة إحدى وثلاثين سنة، انظر غرراً من أخبار ملوك الفرس وسيرهم ٤٨٧-٤٩٨ ومروج الذهب ١/ ١٥٤-١٥٥ والمستطرف ١/ ٩٤-٩٦ وفيها قصة ولادته وعدها من أعجب ما حدث، وثمرات الأوراق - على هامش المستطرف ١/ ١٨١-١٩٦.

(٥) هرمز: هو هرمز بن سابور ويقال له هرمز البطل لشدة بأسه ومراسه. ملك بعد أبيه سابور وكانت مدة ملكه نحواً من سنتين ثم ملك بعده بهرام بن هرمز. انظر نبذة من أخباره في =

اعلم أنّ جندك لم يغنوا عنك وإن كثروا وكملت عدّتهم، حتى تكمل فيهم ثلاث خصالٍ ليس عنهن<sup>(١)</sup> عوض: محض المودّة، وصدق الناس، وسلس الطاعة؛ فإنهم يؤدون بهن حَقك، ويدفعون بهن عدوك<sup>(٢)</sup>.

والضرب الثاني: حالهم في تغيُّرهم وفسادهم:

[وفسادهم]<sup>(٣)</sup> على ضربين:

أحدهما: أن يكون الفساد خاصاً في بعضهم، فيساس من فسد منهم بأمرين:

بالقوة في إصلاحهم بمن سلم.

وبالرأي في تدبير أمورهم كالمسالمة؛ ليسيروا جميعاً على السيرة العادلة؛ فإن انتشار فسادهم من كثرة رؤسائهم المتنافسين في الرتب، فيجتذب كل رئيس حزباً يدعوهم إلى طاعته، ويبعثهم على نصرته، فيصيرون أحزاباً مختلفين، وأضداداً متنافرين. فهذه حالهم إن كثروا، وهم بالضد منها إن قلّوا.

والضرب الثاني: أن يكون الفساد عاماً في جميعهم؛ فلا يخلو حالهم في الفساد العام من أن يتظاهروا به، أو<sup>(٤)</sup> يستروه.

فإن استروه فقد استبقوا<sup>(٥)</sup> بالمساترة شطراً، فيساسون بالرأي وحده؛ لإعواز القوة بفسادهم، ولا يساسون بالمكيدة؛ لمساترتهم.

فإن جاهرُوا بالفساد (ب٥٠) فهو الوهنُ الواصمُ، والخطبُ القاصمُ.

== غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ٤٩٨-٤٩٩، مروج الذهب ١/ ١٥٥، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ٢٩.

- (١) غ: منهن.
- (٢) عهد سابور إلى ابنه هرمز تجد نصوصاً منه في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ٤٩٥-٤٩٨.
- (٣) الزيادة من السياق وقد سقط هذا الموضوع من ط.
- (٤) غ: ويستروه (بالواو).
- (٥) غ: استبقوه.

ويتنوع ثلاثة أنواع:

أحدها: أن يكون فسادهم مختصاً بانتهاك الرعايا، واستباحة الأموال؛ فقد سلبوه القوة بمتاركته<sup>(١)</sup>، ومنعوه الطاعة بمخالفته، وجعلوه كالصنم الذي لا يزداد على التعظيم، فاستبقوا يسير حشمته، واستولوا على جميع مملكته، فيسوسهم بالرأي واللين، واجتذاب فريق، فعساه يقوى فيمنع، ويشتد فيدفع، وإلا فالملك وإه والفساد متناه، وهو كالمثل المضروب بقول الشاعر: [من الخفيف]

كم ترى يلبث الرصاص على النا.....ر ومنها يكون ذوب الرصاص

قال بعض البلغاء:

أضعف الحيلة خير من أقوى الشدة، وأقل الثاني أجدي من أكثر العجلة، والدولة رسول القضاء المبرم، وإذا استبد الملك برأيه عميت عليه المراشد<sup>(٢)</sup>.

والنوع الثاني: أن يكون فسادهم مختصاً بالإسراف في مطالبته بما لا يستحقونه، والإقتراح عليه في التماس ما لا يستوجبونه، فلا يخلو فيه من أحد أمرين:

إما أن يكون قادراً عليه،

أو عاجزاً عنه.

فإن كان قادراً عليه كان هذا منهم طمعاً فيه قد أطرحوا فيه مراقبته، واستبدلوا فيه [الاستطالة] بحشمته<sup>(٣)</sup>، وأوهنوا بالاستطالة ملكه، فصار مسلوب القوة باستطالتهم،

(١) غ: لمتاركته.

(٢) قول بعض البلغاء: «أضعف الحيلة خير من أقوى الشدة...» نسبة الماوردي إلى الفرس في حكمها وفيه «وأقل الثاني خير من أكثر العجلة...» (أدب الدنيا والدين ص ٢٧٧) وفي هامشه: الدولة: أي الحرب. وقد ذكر ابن مسكويه أن قائله هو أوشهنج وأورده بلفظ: «أضعف الحيلة أنفع من أقوى الشدة...» والدعاء رسول القضاء المبرم... (الحكمة الخالدة ص ٩).

(٣) غ: واستبدلوا فيه حشمته، والزيادة يقتضيها السياق.

منهوب المال بمطالبتهم ، قد جعلوه مأكلة مطامعهم ، فهو معهم كذي المال المستضعف مع البغاة الأقوياء محروب<sup>(١)</sup> ، ومسلوب ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، فيساسون بالرأي والخذاع ، فيما استبقوا من حشمته إلا حشاشته<sup>(٢)</sup> ، فلا يعرضها لنفور مهلك ، ويتوصل إلى رضاهم سرّاً وجهراً ، بما يختلفون (٥١ آ) في أسبابه ، وهم لا يشعرون ؛ لمتزج أسباب الرضا من وجوه متغايرة ، فيكون به أرفق ، ولهم أوفق ، كما قال الشاعر : [من الكامل].

وإذا عجزت عن العدو فداره  
وامزح له إن المزاح وفاق  
فالنار بالماء الذي هو ضدّها  
تعطي النضاج وطبعها الإحراق<sup>(٣)</sup>

فإذا سكنوا من فورة الاشتطاط ، توصل إلى حسم مطامعهم ، وإن حسمت سلم ملكة بعد السقم ، وإن لم تحسم<sup>(٤)</sup> فهو ذاهب الملك ، وشيك الهلك ، إن لم يعضده نصر من الله وفتح قريب .

وإن كان عاجزاً عما اقترحوه ، وطمعوا فيه فهو عنك مستحيل ، قد جعلوا العنت فيه سبباً لغيره ، فيساسون بأمرين : بالرأي والمكيدة ؛ فإنهم لا يقفون على حالهم المستحيلة ، وسينقلون عنها إلى خصلة من ثلاث :

إما أن يكفوا عن عنتهم ، فيكفي أمرهم ، ويدبرهم بعد كفهم .

وإما أن يختلفوا ، فيقوى بمن وافقه منهم على باقيهم .

وإما [أن] يتنقلوا إن لم يعنه القدر عليهم إلى ما يقع فيه التسليم

والاستسلام ، والله يقضي فيه بما يشاء وهو القوي العزيز .

(١) المحروب : المسلوب قال في القاموس : حربه حرباً كطلبه طلباً سلب ماله فهو محروب وحريب (مادة حرب / ١ / ٥٥٥).

(٢) الحشاشة : بضم الحاء بقية الروح في المريض والجريح (قاموس - حشش - ٢ / ٢٧٩).

(٣) قول الشاعر : وإذا عجزت . . . البيتين : مر ذكر البيت الثاني قبل قليل .

(٤) غ : ينحسم .

والنوع الثالث: أن يكون فسادهم مختصاً بالتعريض لنفسه، وهو الشر المغتلم<sup>(١)</sup>، والبلاء المصطلم<sup>(٢)</sup>، وقل أن يكون إلا لسبب من أحد ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون لسوء سيرته فيهم، فهو الملوّم دونهم، وليس يرجى زواله مع بقاءه على سوء السيرة. فإن أقلع عنها فرجعوا عنه، وإلا ساسهم بما اقتضاه الرأي من لينٍ ولطفٍ، ثم لله الأمر من قبلٍ ومن بعدُ.

والسبب الثاني: أن يكون تغيرهم عليه لملل<sup>(٣)</sup> منهم له حدث بطول مكثه فيهم. فليس الملل<sup>(٤)</sup> من لوازم العلل، ولئن لم (٥١ب) يزدّه المكثُ حقاً لم ينقصه.

وقلّ أن يكون ذلك إلا عند حدوثِ ناشئةٍ لم ينالوا من دولته حظاً، فهم يأملون بتقلبِ الأمور أن يستحدثوا نقمًا، ويرجون بانتقالها توجيهاً وتقدماً.

فإن لم يفسد بهم غيرهم كان الخطبُ بهم أيسرَ للظفرِ ببقيةٍ منهم؛ ليستعانَ بها عليهم.

وإن عمّ بهم الفسادُ فهو أصعبُ الخطبين؛ فيسوسُهم باللطفِ والتأمينِ، واستصلاحِ فريقٍ بعد فريقٍ.

فإن ظفرَ منهم بظهورِ الأملِ، وإلا فهو بمرصادٍ من بغيةٍ قد استولى، ومملكٍ قد تولى، إلا أن يمدّه الله تعالى بلطفٍ غير مرتقبٍ، وعونٍ<sup>(٥)</sup> غير محتسبٍ.

والسبب الثالث: أن يكون تغيرهم عليه لانحرافهم إلى عدوّ قد مايلوه، وإغرائهم إلى ضدّ قد استبدلوه، فهو أسوأ الخطوبِ حالاً،

(١) المغتلم: الهائج.

(٢) الاصطلام: الاستصال.

(٣) غ: للملك وهو تصحيف.

(٤) غ: الملك وهو تصحيف.

(٥) غ: وهون وهو تصحيف.

وأعظمها وبالأ؛ لأنه قد بلي بانحراف أعوانه، واستطالة أعدائه؛ لأن لكل واحدٍ منهما نكايَةً لا تطاق، فكيف إذا اجتمعاً؟

قال الشاعر<sup>(١)</sup>: [من الكامل]

إنَّ البلاءَ يطاقُ غيرَ مضاعفٍ

فإذا تضاعفَ صارَ غيرَ مطاقٍ<sup>(٢)</sup>

ولم يبق ما يستدفع به خطبه إلا المكيدة؛ فإنها علاج ما أعضل من دائهم، فيعالجهم بها قبل أن يستأصلوه، ويظهر معها إن تراخت له المدة بإجمال سيرته، واحتماله رعيته؛ ففي كل واحد منهما عون.

فإن سرت المكيدة في عدوه لأن أعوانه.

وإن سرت في أعوانه لأن عدوه؛ لأن أعوانه يُسرُّ في واحد منهم، فهو موكول، متوقع لما تجري به الأقدار، ويتقلب به الليل والنهار، ولئن كان في غاية متناهية فليس بمأبوس أن يظفر.

روي<sup>(٣)</sup> عن النبي صلى الله عليه وسلم (١٥٢) أنه قال:

«الدنيا دولٌّ، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك، لم تدفعه بقوتك<sup>(٤)</sup>، ومن انقطع رجأؤه مما فات استراح بدنه، ومن رضي بما رزقه الله قرت عينه<sup>(٥)</sup>».

(١) قوله: قال الشاعر: قلت هو ابن الرومي وقد مرت ترجمته.

(٢) قوله: «إن البلاء يطاق... إلى آخر البيت» في ديوان ابن الرومي - بعناية كامل الكيلاني -

٣/٣٦١ مع ثلاثة أبيات أخرى. وقد أورده المؤلف في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٠) منسوباً إليه. كما أورده غير منسوب لقائل في أدب الوزير (ص ٢٤) وهو في نهاية الأرب غير منسوب أيضاً (٦/ ١١٠) وذكره الطرطوشي منسوباً إليه (سراج الملوك ١٠٢).

(٣) ط: روى علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤) غ، ط: بقوة، والتصحيح من مصادر التخريج.

(٥) حديث: «الدنيا دول...» في أدب الدنيا والدين (٢٠٩) وقسمه الأول في الحكمة الخالدة

(١٨٨) بلفظ «... لك منها... وما كان عليك... إلى قوله: بقوتك». وقد نسبه ابن الأثير

إلى أكثم ابن صيفي بلفظ «... لم تدفعه بقوتك، وسوء حمل الغنى يورث مرجأ، وسوء حمل =

وقيل:

ربّما كان اليأس إدراكاً، والحرصُ هلاكاً<sup>(١)</sup>.

وقيل:

ربّ مستسلمٍ سلّم، ومتحرّزٍ ندِم<sup>(٢)</sup>.

قال الشاعر: [من الكامل]

وحذرتُ من أمرٍ فمرّ بجانبِي

لم يبكني ولقيتُ ما لم أُحذِر<sup>(٣)</sup>

وليسَ بطراً أمثالُ هذهِ الحوادثِ على الممالكِ إلا من استرسالِ الملوكِ

في حالتين:

إحدهما: أن يغفلوا عن الحزمِ حتى ينتشرَ من الإهمالِ ما يطغى.

والثانية: أن يسترسلوا في العدلِ، حتى يظهر من الجورِ ما يوحشُ.

قال أردشيرُ بن بابك:

= الفاقة يضع الشرف، والحاجة مع المحبة خير من البغضة مع الغنى، والعادة أملك بالأدب» (مجمع الأمثال ١ / ٣٣٧ رقم المثل ١٨٠١). وقد أخرجه الشريف الرضي موقوفاً على علي رضي الله عنه من كتاب له إلى عبد الله بن عباس بلفظ: «أما بعد فإنك لست بسابق أجلك، ولا مرزوق ما ليس لك، واعلم بأن الدهر يومان يوم لك ويوم عليك، وأن الدنيا دار دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ / ٢٣٢) وانظر الشطر الأول من الحديث غير منسوب في الأدب الصغير بلفظه (ص ٥٣، وضمن رسائل البلغاء ص ١٧).

(١) قوله: «وقيل: ربما كان اليأس إدراكاً والحرص هلاكاً» نسب هذا القول إلى علي رضي الله عنه بلفظ «قد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع إهلاكاً» (غرر الحكم ٢٣٢).

(٢) قولهم: «رب مستسلم سلم ومتحرز ندِم» جاء معناه منسوباً إلى علي رضي الله عنه بلفظ «رب متحرز من شيء فيه آفته» (غرر الحكم ١٨٤).

(٣) قول الشاعر: «وحذرت من أمر فمر بجانبِي... الخ» أورده المؤلف في الأمثال والحكم

(الورقة ٢٦٦) بلفظ «... فمن... لم يبلني... باللام. ونسبه إلى سهل بن حنطب وأورده

كذلك في أدب الوزير (ص ٢١) ولم ينسبه لقائل، وهو في نهاية الأرب غير منسوب

(١٠٧ / ٦).

إذا رغبَ الملكُ عن العدلِ رَغِبَتِ الرعيَّةُ عن الطاعةِ<sup>(١)</sup>.

وهما أُسَانُ للملكِ، فإذا خلا منهما، فاجتمع فيه طغيانُ الإهمالِ، واستيحاشُ الجورِ، تقوّضت قواعِدُ صلاحه، وتهدّمت أركانُ سداه، فلم تبعُدْ عليه نتائجُ فسادِه، بحوادثٍ لا تحتسب، لأن عواقبَ الفسادِ أدهى وأمر، ونتائجُ الشرِّ أعدى وأضر. كما قال لقمنُ لابنِه:

يا بني اعترَلِ الشرَّ يعتزلُك؛ فإنَّ الشرَّ للشرِّ خلقٌ<sup>(٢)</sup>.

قال بعضُ الألباءِ<sup>(٣)</sup>:

من فعلَ الخيرَ فبنفسِه بدأ، ومن فعلَ الشرَّ فعلى نفسِه جنى<sup>(٤)</sup>.

(١) قول أردشير: «إذا رغب الملك عن العدل...» مر هذا القول قبلاً.

(٢) قول لقمان لابنِه «يا بني اعترَلِ الشرَّ يعتزلُك فإنَّ الشرَّ للشرِّ خلقٌ» أورده المؤلف في الأمثال والحكم (الورقة ٤٣ب) منسوباً إليه، وفي أدب الوزير (ص ٢٩ و ١٥) أيضاً، وأورده ابن مسكويه دون أن ينسبه إلى أحد بلفظ «اعترَلِ الشرَّ يعتزلُك الشرُّ فإنَّ الشرَّ يسرع إلى الشرِّ» (الحكمة الخالدة ١٢٧) ومن الأمثال التي تنسب إلى لقمان: «اترك الشرَّ يتركك» (مجمع الأمثال ١ / ١٣٨ رقم المثل ٦٨٨)، وأورد شطره الثاني دون نسبة بلفظ «الشرُّ للشرِّ خلقٌ» وقال «هو كقولهم: الحديد بالحديد يفلح» (مجمع الأمثال ١ / ٣٦٦ رقم المثل ١٩٦٦)، ومن كلام الأحنف بن قيس: «إن رأيت الشرَّ يتركك إن تركته فاتركه» (العقد الفريد ١ / ١١٦) ولبطليموس قول يشابهه بلفظ: «ادفع الشرَّ بالشرِّ فإنَّ الحديد بالحديد يفلح» (مختار الحكم ص ٥٤) وأمثال أبي عبيد (ص ٢) وفيه «ادفع الشرَّ بمثله» (ص ٤) وقد جاء عن لقمان ما يكذب ذلك إذ قال: «يا بني كذب من قال: إن الشرَّ لا يطفئه إلا الشرُّ، إن كان صادقاً فليوقد ناراً إلى جنب نار، ولينظر هل يطفئها؟ ولكن الشرَّ لا يطفئه إلا الخبز كما يطفىء الماء النار» (مختار الحكم ٢٦٤) و(التمثيل والمحاضرة ٣٥) وقال أيضاً: «اعترَلوا شرار الناس تصلح لكم قلوبكم وتسترح أبدانكم وتطب نفوسكم» (مختار الحكم، ٢٧٦).

(٣) ط: بعض الحكماء.

(٤) قولهم: «من فعل الخيرَ فبنفسِه بدأ ومن فعل الشرَّ فعلى نفسه جنى» استشهد به المؤلف في أدب الوزير بلفظه ونسبه إلى بعض الحكماء (ص ١٥) وقد أخرجه ابن الجوزي بلفظ «من أحسن فبنفسِه بدأ ومن أساء فعلى نفسه اعتدى» (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ٢ / ٤٦١ وفيها تحريج، وهو من أحسن المحاسن غير معزو لأحد وقد جاء به بلفظ «... فعليها جنى واعتدى» (ص ١٥٠) وقد نسبه الأمير أسامة بن منقذ إلى الحكيم أرسطوطاليس وجاء به بلفظ «لأن تحسن وتكفر خير من أن تسيء وتشكر، فمن أحسن فبنفسِه بدأ، ومن أساء فعلى نفسه اعتدى» (لباب الآداب) ونسبه الثعالبي إلى الخليفة القاهر بالله بلفظ «من صنع خيراً أو شراً بدأ بنفسِه» (الإيجاز والإعجاز ص ٢٢).



قال الشاعر<sup>(١)</sup>:

الخيرُ لا يأتيك مجتمعاً  
والشرُّ يسبقُ سيئه مَطْرُهُ<sup>(٢)</sup>  
[استعمال الحزم وبسط العدل]:

وإذا أحكمَ الملكَ قواعدَ ملكه باستعمالِ الحزمِ وبسطِ العدلِ، ولم يغفلَ عن الحزمِ في صغيرٍ ولا كبيرٍ، ولم يترخَّصْ في الجورِ من قليلٍ ولا كثيرٍ، أحاطت السلامةُ بملكه، وحفَّت السعادةُ بدولته، فأمنَ غوائلِ الفسادِ، وسَلِمَ (ب٥٢) من ظهورِ الفسادِ، وكان الناسُ معه من بين حامدٍ لعدله وإحسانه، وحذرٍ من بأسه وسلطانه، فشكره الأخيارُ، واتقاهُ الأشرارُ، ولم يتطرقَ إلى ملكه خللٌ، ولا على نفسه وجَلٌ، فصَحَّ أن الحزمَ والعدلَ أدفعَ لشوائبِ الملكِ، ومخاوفِ الملوكِ من كلِّ عدَّةٍ وأبلغَ في صلاحهم من كلِّ نجدةٍ، فيستنجدُ للملكِ حزمه، ويستعدُّ عدله؛ فإنه يستغنى بهما عن كلِّ عدَّةٍ، ويستعانُ بهما في حراسته من الخطرِ، وحفظِ ملكه من الغيرِ.

(١) قوله: «قال الشاعر...» قلت هو أبو زيد الطائي - المنذر بن حرملة، وفي الطرائف اسمه حرملة بن المنذر، أدرك الإسلام ومات نصرانياً وكان من المعمرين يقال إنه عاش خمسين ومائة سنة، وكان ينادم الوليد بن عقبة، وأبو زيد شاعر غير مكثر له ديوان جمعه زميلنا الدكتور نوري حمودي القيسي (مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٧) وله أبيات في حماسة ابن الشجري ٢/ ٩١٣، والأغاني ١٢/ ١٢٦، والحياوان ٣١٨، وجمهرة أشعار العرب ٢٦٠، والطرائف الأدبية ٩٨-١٠١.

(٢) صطره بالهاء في كل من غ وط وفي الأمثال والحكم (مطر) والبيت في الأمثال والحكم (الووقة ٢٦ب) منسوبٌ إليه، وفي (أدب الوزير ٢٥) غير منسوبٍ لأحد، ولم أجده في ديوان أبي زيد الطائي الذي جمعه الدكتور نوري حمودي القيسي. وقد وردت العبارة الأخيرة من الشطر الثاني مثلاً من الأمثال في التمثيل والمحاضرة (ص ٢٣٧) بلفظ «سبق سيئه مطره». والبيت في المستطرف (١/ ٣٠) دون نسبة، وفيه «... لا يأتيك متصلاً...» ومثل هذا قول الشاعر:

ألم تر أن سير الخير ريث وأن الشر راكبه يطير  
وقول محمد بن بشير (أو يسير):  
تأتي المكاره حين تأتي جملة وترى السرور يجبي مع الفلانات  
(البيان والتبيين ٣/ ٢٠٨-٢٠٩).

قال بعضُ العلماءِ<sup>(١)</sup>:

بالعدلِ والإنصافِ تكونُ مدةُ الائتلافِ<sup>(٢)</sup>.

[قيل لأنوشروان: أي الخير أوفى؟ قال: الدين. قيل: وأي العدد

أقوى؟ قال: العدل]<sup>(٣)</sup>

[تصفح أحوال الحاشية في زمان السلم]:

وليعلم الملك أن من الحزم أن يتصفح أحوال حاشيته وأعوانه<sup>(٤)</sup> في زمان السلم، وأوقات السكون؛ لأن القدرة أشد، والمكيدة أمد؛ فإن لكل صنف من الحواشي والأعوان آفة مفسدة، وبلية قاذحة، تجعل الصلاح بهم فساداً، والميل منهم عناداً، فيقف عليها، يتصفح أحوالهم؛ ليسلموا، فيصير منهم سليماً، ويستقيموا فيصير بهم مستقيماً، فقد قيل في منشور الحكم<sup>(٥)</sup>:

آفة الملوك<sup>(٦)</sup> سوء السيرة.

وآفة الوزراء خبث<sup>(٧)</sup> السريرة.

وآفة الأمراء مفارقة الطاعة<sup>(٨)</sup>.

(١) ط: وفي منشور الحكم.

(٢) قوهم: «بالعدل والإنصاف تكون مدة الائتلاف»، أورده المؤلف مصدراً بقوله: «وقد قيل في منشور الحكم»، دون نسبة إلى قائل (أدب الوزير، ص ٤).

(٣) الزيادة من ط.

(٤) قوله: «إن من الحزم أن يتصفح أحوال حاشيته وأعوانه..»، قال الجاحظ: «ومن أخلاق الملك السعيد البحث عن سرائر خاصته وحامته - بالحاء - أي الخاصة - وإذكاء العيون عليهم خاصة وعلى الرعية خاصة»، (التاج في أخلاق الملوك ١٦٧).

(٥) قوله: «قيل في منشور الحكم: آفة الملوك.. الخ» أورد هذه الأقوال كلها مع غيرها الأمير أسامة بن منقذ وقال ما نصه: «قال أبو الحسن علي بن محمد الصغاني في كتاب الفوائد والقلائد في الاستعانة على حسن السياسة آفة الملوك..» (لباب الآداب ٦٧-٦٨)، وقال الشيخ أحمد محمد شاكر: «لم أجد لهذا الكتاب ولا لمؤلفه ذكراً في شيء مما بين يدي من المراجع»، (لباب الآداب حاشية ٦٧)، وقد أوردها عبد الواحد الأمدي بتقديم وتأخير ضمن حكم الإمام علي رضي الله عنه، (غرر الحكم ١٣٦-١٣٧)، وهذه الأقوال وردت غير منسوبة في (أحاسن المحاسن ١٦٣).

(٦) غ، ط: الملك، ومن أحاسن المحاسن: السلاطين.

(٧) غ: خب.

(٨) في غرر الحكم: «آفة الرعية مخالفة الطاعة، آفة الورع قلة القناعة»، وفي أحاسن =

- وأفة الجند مخالفة القادة<sup>(١)</sup>  
وأفة الرعية ضعف السياسة<sup>(٢)</sup>  
وأفة العلماء حب الرياسة.  
وأفة القضاة حب الطمع<sup>(٣)</sup>  
وأفة العدول قلة الورع.  
وأفة الملك تضاد الحماية<sup>(٤)</sup>  
وأفة العدل ميل الولاية<sup>(٥)</sup>  
وأفة الجريء إضاعة الحزم<sup>(٦)</sup>  
وأفة القوي استضعاف الخصم.  
وأفة المجرد عوائق القضاء<sup>(٧)</sup>  
وأفة المشاورة انتقاض الآراء<sup>(٨)</sup>  
وأفة المنعم قبح المن<sup>(٩)</sup>  
وأفة المذنب سوء الظن<sup>(١٠)</sup>

= المحاسن: «أفة الأمراء، إضاعة الحزم» وليست في لباب الآداب، وقد قدمت في ط على ما قبلها.

- (١) ورد في غرر الحكم بعدها: أفة الرياسة غلبة العادة.  
(٢) في غرر الحكم ولباب الآداب: أفة الرعية مخالفة الطاعة، ومن لباب الآداب بعدها: وأفة الزعماء ضعف السياسة.  
(٣) في غرر الحكم: أفة القضاء الطمع، وفي لباب الآداب شدة الطمع، وفي أحاسن المحاسن بعدها: أفة الفقهاء قلة الورع.  
(٤) في لباب الآداب: أفة العدل ميل الولاية، وأفة الملك تضاد الحماية، وفي غرر الحكم: أفة الملك ضعف الحماية، أفة العهود قلة الرعاية، أفة النقل كذب الرواية، وفي أحاسن المحاسن: أفة الملك اختلاف الآراء فيه.  
(٥) غرر الحكم: أفة العدل الظالم القادر.  
(٦) لباب: أفة الحرب، الغرر: أفة الشجاعة إضاعة الحزم، أحاسن: أفة الأمراء إضاعة الحزم.  
(٧) غ: القضاء والتصحيح من أحاسن المحاسن، ومن ط. وقد سقطت هذه العبارة وما بعدها من لباب الآداب.  
(٨) غ: المعد والتصحيح من غرر الحكم وأحاسن المحاسن: أفة الحمد اختلاف الأهواء.  
(٩) غرر الحكم: أفة السخاء المن، وفي أحاسن المحاسن أفة المنعم سرعة المن.  
(١٠) غرر الحكم: أفة الدين سوء الظن، وفي أحاسن المحاسن: أفة الحمد حسن الظن، وأفة الحزم شتات الآراء.

وأفة الزعماء قلة السياسة<sup>(١)</sup> (١٥٣)

وليس أسباب الفساد في هؤلاء الأصناف مقصورة على هذه الأوصاف، حتى لا يتعداها إلى ما سواها، وإنما ذكّر الأغلب من فساد كل صنف، وإن جاز أن يفسد بغيره، فيتوصل إليه بتصفيحه، وسيره.

[حسم مواد الفساد]:

فإذا وقف الملك على موادّ فسادهم، وأسباب آفاتهم، قطع أسبابها، وحسم موادّها؛ لتسلم له مصادر الأمور، فتستقيم مواردها، ويأمن نتائج التقصير، فتحمد عواقبها، فإن مبادئ<sup>(٢)</sup> الأمور أسّ إن رسا تشيد، وإن وهي تقوض.

\* \* \*

(١) في غرر الحكم ولباب الآداب: آفة الزعماء ضعف السياسة، وقد سقطت من ط.

(٢) غ: فبان مباد.

[الفصل السادس والعشرون  
[دوام تفقد الملك الأحوال العامة]

[١ - تفقد الملك سيرة حماة البلاد وولاية الأطراف]:

وليكن كثير الاعتناء بسير حماة البلاد، وولاية الأطراف، الذين فوض إليهم أمانات ربّه، واستخلفهم على رعاية خلقه، فيندب لذلك من أمنائه من حاز خصال التفويض، واستحق بحزمه وشهامته الولاية والتقليد.

قال أردشير [بن بابك من بعض حكمه] (١):

لا يصلح لسد الثغور، وقود الجيوش، وتدريب الجنود (٢)، وحراسة الأقاليم (٣)، إلا من تكاملت فيه خمس خصال:

حزمٌ يتيقن به عند موارد الأمور حقائق مصادرها.

وعلمٌ يحجزه عن (٤) التهور في المشكلات، إلا عند تجلّي فرصتها.

وشجاعة لا تنقصها (٥) الملمات بتواتر حوائجها [وعظم هولها] (٦)

وصدق في الوعد والوعيد، يوثق منه بالوفاء عليهما (٧).

(١) الزيادة من ط.

(٢) ط: وتدريب الخيول.

(٣) ط: الإقليم

(٤) ط: عند التهور.

(٥) غ، ط: لا تقصها، والتصحيح من مروج الذهب.

(٦) الزيادة من ط.

(٧) ط: عليها.

وجود يهون عنده تبذير الأموال عند ازدحام السؤل عليه (١).

وأقول (٢):

إن كمالها [فيه مقيد] (٣) باعتبار خصلتين معها:

إحداهما: أن يقدم مصالح ما تقلده على مصالح نفسه؛ لعود صلاحه إليه، ورجوع فساده عليه.

والثانية: أن يرى [أن] (٤) اكتساب الأجر والحمد أفضل مكاسبه (٥)، فإن لم يجذبه (٦) الميل إلى نفسه [فهو] (٧) موثوق بخيره، مأمون (٨) على غيره، [وإلا] (٩) فلا خير فيه.

(١) قول أردشير: «لا يصلح لسد الثغور، وقود الجيوش.. الخ» أورده المسعودي ونسبه إلى هرمز بن سابور بلفظ: «كتب إلى بعض عماله: لا يصلح لسد الثغور، وقود الجيوش، وإبرام الأمور، وتدبير الأقاليم، إلا رجل تكاملت فيه خمس خصال.. وعلم يحجبه.. يوثق بوفاته بهما، وجود يهريق عليه تبذير الأموال في حقها»، (مروج الذهب ١ / ١٥٥).

وقد ورد في هذا المعنى قولهم «ينبغي أن يجتمع في قائد الجيش: وثبة الأسد، واستلاب الحدأة، وختل الذئب، وروغان الثعلب، وحملة الخنزير، وبكور الغراب، وحراسة الكركي..»، (التمثيل والمحاضرة ص ١٥٣)، وجعلها الثعالي عشر خصال (برد الأكباد في الأعداد ١٤١)، وأن القائد العظيم ينبغي أن تكون فيه خصال من أخلاق الحيوان: شجاعة الأديك، وتحمن الدجاجة، وقلب الأسد، وحملة الخنزير، وروغان الثعلب، وختل الذئب، وكان يقال من صفة الرجل الجامع: له وثبة الأسد، وروغان الثعلب، وختل الذئب، وجمع الذرة، وبكور الغراب»، (عيون الاخبار ١ / ١١٥)، وانظر ذلك وأنه من أقوالهم في (العقد الفريد - تحقيق العريان - ٢ / ١١١).

(٢) ط: قال أفضى القضاة: وأقول...

(٣) الزيادة من ط، وفيها مقيد بخصلتين أن يقدم.

(٤) الزيادة من ط.

(٥) ط: أفضل من اكتساب المال.

(٦) ط: لم يجذبه.

(٧) الزيادة من السياق وليست من غ، أو ط.

(٨) غ: ومأمون.

(٩) الزيادة من السياق وليست من غ، أو ط. وقد سقطت العبارة (فلا خير فيه) من ط.

فهذه خصال إن لم يحزها (ب٥٣) سائس الملك، ومدبر الرعايا، كان اختلال عمله بحسب اختلال كماله؛ لأن لكل ثلمٍ مسدداً، ولكل وهْيٍ (١) مردداً.

وقد (٢) يقترن بهذه الخصال ما يختلف باختلاف الزمان، فربما حمد في بعض الأحيان اللين واللطف، وفي بعضها الخشونة والعنف، فإن لكل وقت (٣) حكماً، ولكل قوم تدبيراً.

وقد وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخلاق الولاة فقال: لا يصلح لمن يلي أمر الأمة إلا أن يكون حصيفَ العقدة (٤) قليل العزة، بعيد الهمة، شديداً من غير عنف، ليناً من غير ضعفٍ، جواداً من غير سرفٍ، لا يخشى في الله لومة لائم (٥).

وهذه الأخلاق التي وصفها يجب أن تكون لازمةً في كل والٍ، مطبوعةً في كل مدبرٍ، [وقد ذكر الإيادي (٦)، مع إعرابيته، أوصاف الولاة في شعره] (٧) فقال: [من البسيط]

- (١) الوهي: يقال وهي السقاء يهي بالكسر وهيا تحرق وانشق.  
 (٢) ط: وقال أفضى القضاة في أثناء كلامه: فربما حمد في بعض الزمان اللين.  
 (٣) ط: لكل زمان.  
 (٤) غ: حصيف العقدة. والعقدة ما عقد عليه من رأي وعزم.  
 (٥) قول عمر: «لا يصلح لمن يلي أمر الأمة إلا أن يكون...» أخرجه ابن سعد وأبو عبيد والخطيب في رواية مالك، وابن عساكر، عن ابن عباس بأسانيد وألفاظ، (انظر كنز العمال ج٥ ص٤٣٦-٤٤٠، رقم الحديث ٢٤٧٣، ٢٤٨٠، ٢٤٨٤)، وقد أورده الماوردي في كتابه أدب القاضي ١/٢٥٤، وانظره في العقد الفريد ١/٢٨، وعيون الأخبار ١/٩، والبيان والبيان ٣/٢٥٥، وسراج الملوك ٦٢، ١٣٩، ١٤٠، وقد نسبت أقواله لجماعة إلى أفلاطون من السعادة والإسعاد ٢١٤، وإلى زياد بن أبيه في لباب الآداب ٣٥ وإلى علي رضي الله عنه في غرر الحكم ٢٤٦، وإلى المهدي في التمثيل والمحاضرة ١٣٨.  
 (٦) الإيادي: هو لقيط بن يعمر الإيادي، الشاعر المشهور الذي عاصر كسرى أنوشيران، وقد طبع ديوانه بعناية زميلنا الدكتور خليل إبراهيم العطية، (بغداد ١٩٧٠)، وفي مقدمته تعريف بالشاعر ومصادر ترجمته.  
 (٧) الزيادة من ط، وفي غ: قال الشاعر.

[و] (١) قَلَدُوا أَمْرَكُمُ اللَّهُ دَرَكَمَ  
 رَحْبَ الذَّرَاعِ (٢) بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلَعًا  
 لَا مَتْرَفًا إِنْ رَخَاءَ (٣) الْعَيْشِ سَاعَدَهُ  
 وَلَا إِذَا عَضَّ (٤) مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا  
 مَا زَالَ يَحْلِبُ دَرَّ (٥) الْعَيْشِ (٦) أَشْطَرَهُ  
 يَكُونُ مُتَّبِعًا يَوْمًا وَمُتَّبِعًا  
 حَتَّى اسْتَمَرَّتْ (٧) عَلَى شِزْرِ مَرِيرَتِهِ  
 مُسْتَحْكَمَ الرَّأْيِ (٨) لَا قَحْمًا (٩) وَلَا ضَرَعًا (١٠)

(١) الزيادة من ط، ومن مصادر التخريج وفي بعضها: فقلدوا.

(٢) في حماسة الظرفاء: رحب الجنان، وقوله رحب الذراع: أي واسع (الكامل ٣ / ٤٠٦).

(٣) غ: رجاء.

(٤) ط: عَضَّ، حماسة الظرفاء: حل.

(٥) غ: ذر، ط: دى، وفي مختارات ابن الشجري: ما انفك يحلب هذا.

(٦) في عيون الأخبار ونهاية الأرب والأحكام السلطانية: در الدهر، وفي حماسة الظرفاء ومختارات ابن الشجري والكامل: هذا الدهر.

(٧) في شرح نهج البلاغة والأحكام: حتى استمر. واستمرت مريرته: أي قتلت فتلاً شديداً، وقوله: على شزر أي قتل مقلوباً، ويقال شزرت الحبل، إذا كررت قتله بعد استحكامه راجعاً عليه، (الكامل ٣ / ٤٠٧).

(٨) في عيون الأخبار مستحکم السن، وفي حماسة الظرفاء: صعب المقادة، وفي الكامل: مر العزيمة.

(٩) في غ، وحماسة الظرفاء: قحماً وفي ط، والأحكام السلطانية وعيون الأخبار قحماً، وفي شرح نهج البلاغة قحيم - بالرفع - وفي الكامل: لارتاً، وما أثبتناه عن نهاية الأرب ومختارات ابن الشجري والكامل. والقحيم: الكبير السن (قاموس قحيم ٤ / ١٦٣)، وقيل: آخر سن الشيخ، (الكامل ٣ / ٤٠٧).

(١٠) قوله: «قلدوا أمركم..» الأبيات استشهد الماوردي بها في الأحكام السلطانية (ص ١٦)، دون أن ينسبها إلى قائل. والأبيات من القصيدة التي كتب بها الشاعر لقيط بن يعمر الأيادي إلى قبيلته (لياد) وهم بالجزيرة حين وجه إليهم كسرى أنوشروان جيشاً كثيفاً على أثر نهوضهم على امرأته، وأخذهم لها مع أموال كثيرة لها في قصيدة طويلة وقعت في ٥٤ بيتاً ومطلعها:

يا دار عمرة من عتلها الجرعا هاجت لي الهم والأحزان والسوجعا =



ثم عليه أن يحفظ مراتب جماعتهم، وينزل كل واحد منهم المنزلة التي يستحقها بكفائته<sup>(١)</sup> وحسن أثره. وإن حفظ المراتب في المملكة كحفظ السمع والبصر؛ لعظم المنافسة فيها، وانتشار العداوة منها، وقد تدلس عليها كتدليس البهرج، وبترشح لها من ليس لها كفواً، ولا من أهلها غاصباً، أو مغالطاً، فتصفر منها أيدي أربابها وينفذ فيها حكم غصابها، وليس كل من تعظم بعظيم، ولا كل من تنسك بناسك، ولا كل من تسود بسيد، والناسك غير المتناسك، (٥٤) والشريف غير المشرف، ولا خير في مملكة صار الرؤوس فيها أذناً، والأذنان فيها رؤوساً.

عهد بعض ملوك الفرس إلى ابنه فقال:

لا تكونن<sup>(٢)</sup> في شيء من الأشياء أشد خشية منك من رأس صار ذنباً، أو ذنب<sup>(٣)</sup> صار رأساً، أو يد مشغولة أحدثت فراغاً، أو كريم حال إلى ضر، أو لثيم صار إلى فرح؛ فإنه يتولد من تنقل الناس عن حالاتهم فساد مضر<sup>(٤)</sup>.

= وكان تسلسل هذه الأبيات فيها على التوالي: ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٧. انظر ديوان لقيط، (ص ٤٦-٤٨)، وفيه إحالات إلى مظان القصيدة والأبيات، فلتراجع.  
وقد وردت منسوبة إليه في عيون الأخبار ١/ ١٥، نهاية الأرب ٦/ ١٧، شرح نهج البلاغة ١/ ٤٠٨، ٤/ ٢٨٠، حاسة الظرفاء ١/ ٣٤-٣٥، رقم الحماسية ٢٨، وفيها إحالات إلى مظان القصيدة، والعقد الفريد - العريان - ٦/ ١١٨-١١٩، الكامل ٢/ ١٥٢، ٣/ ٤٠٦. وقوله: ضرعاً: الضرع بالتحريك: الدليل والضعيف (مختار الصحاح، مادة ضرع ٣٠١)، والكامل ٢/ ١٥٢، ٣/ ٤٠٧.

(١) قوله: «وينزل كل واحد منهم المنزلة التي يستحقها بكفائته..» قال بطليموس: «وينبغي لأعوان السلطان أن يبدي كل واحد منهم عند سلطانه ما فيه من فضله ودينه ومروءته لشرفه بحسبه، وينبغي للسلطان أن يعرف أوليائه على منازلهم بقدر الذي عندهم من الفضل والدين والمروءة، ثم تكون منازلهم عنده واستعانتهم بهم على قدر الذي عند كل واحد منهم، من العناء والمنفعة»، (مختار الحكم ٢٥٧).

(٢) غ: (تكون) والصواب ما أثبتناه عن عهد أردشير، وقد سقطت هذه القطعة من ط.

(٣) غ: أو ذنباً. أو يداً. بالنصب.

(٤) قوله: «عهد بعض ملوك الفرس إلى ابنه فقال: لا تكونن في شيء..» إلى آخره، أورد الثعالبي بعض هذا العهد منسوباً إلى أردشير بلفظ: «أوحش الأشياء عند الملوك رأس صار =

وحفظ المراتب معتبر من وجهين:

أحدهما: في الولاية والتقليد.

والثاني: في الإكرام والتقريب.

فلا يتجاوز بأحدٍهم قدرَ الاستحقاق في أحدهما؛ فإنه يطغى بالزيادة، ويستوحش من النقصان. وهذا أمرٌ يجب صرفُ الاهتمامِ إليه؛ لما في نظامه من نضارةٍ، وغبارة<sup>(١)</sup>، وحفظٍ مراتبه، وحشمته؛ إذ لا شيءٌ أعظمُ إحاشاً، ولا أكثرُ تنكراً أو فساداً من حطِّ مراتبِ الكفاة، ورفعِ السُّفلةِ والدناةِ.

حكى أن أنوشروان وقع إلى ولاية الحسبة<sup>(٢)</sup> من أعماله أن لا يدعوا<sup>(٣)</sup> أولاد السُّفلة أن يقعدوا<sup>(٤)</sup> في المكاتب، وأن يطردوا<sup>(٥)</sup> عن مجالس القضاة؛

= ذنباً، وذنبٌ صار رأساً، انظر ثمار القلوب (ص ١٧٨)، وفي التمثيل والمحاضرة له أيضاً (ص ١٣٦)، وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٨٣). ونجد هذا في عهد أردشير بلفظ: «فلا يكوننَّ لشيءٍ من الأشياء بأوحش منه من رأس صار ذنباً وذنب صار رأساً، أو يد مشغولة أحدثت فراغاً، أو كريم ضير، أو لثيم مرح؛ فإنه يتولد من تنقل الناس عن حالاتهم أن يلتبس كل امرئٍ منهم أسنى من مرتبته، فإذا انتقل أوشك أن يرى أسنى مما انتقل إليه فيغبط وينافس، وقد علمتم أن من الرعية أقواماً هم أقرب الناس حالاً من الملوك، وفي تنقل الناس عن حالاتهم مطمعة للذين يلون الملوك في الملك، ومطمعة للذين دون الذين يلون الملك في تلك الحال، وهذا لقاح بوار الملك»، (عهد أردشير، ص ٦٣-٦٤، رقم الفقرة ١٣).

ونجد مقاطع من هذه الفقرة في عين الأدب والسياسة (على هامش غرر الخصائص، ط القاهرة، ١٦٠) ونجد في التاج بلفظ: وكان أردشير.

- (١) غ: غضارته وليست هذه القطعة في ط.  
 (٢) ط: الحيشة. وهو تصحيف والحسبة وظيفة اجتماعية مهمتها إزالة كل ما هو منكر وقد أصبحت في عهد المسلمين وظيفة دينية لها دورها في المحافظة على المصالح العامة، انظر مقالاتنا حول نظام الحسبة في الإسلام في مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ٢٩، ٣١، ٣٧.  
 (٣) ط: لا تدعوا أولاد السقل.  
 (٤) ط: أن يقفوا.  
 (٥) ط: واطردوهم.

لأنهم متى ما تعلموا الجدال قدحوا في الدين، ومتى ما تمكنوا من أعمال  
السلطان عملوا في بوار<sup>(١)</sup> أهل البيوتات فقال [فيه]<sup>(٢)</sup>: [من البسيط]

لله در أنوشروان من ملك  
ما كان أعرفه بالدون والسفل  
نهامهم أن يمأسوا بعده قلماً  
وأن يروموا<sup>(٣)</sup> ركوب الخيل والإبل<sup>(٤)</sup>

وإذا حمد سعي صاحب في ولايته أقره على عمله؛ فإنه وإن حسن  
أن ينقل الحمد من مدينة إلى أخرى وهو الأولى، حتى لا يستقر بهم وطن  
يأسون إلى فراقه، ولا يفتنون فيه ما يطيبون نفساً بتركه؛ فليس بصواب أن  
يُنقل والي المدينة، ولا صاحب الخراج، بل يكونُ على ولايته ما بقي على  
حميد سيرته. (٥٤ب) فإن أتى بمعصية، أو خيانة، صرف صرفاً لا ولاة  
بعده، إلا عن توبة وإقلاع، وكذلك في الحواشي والحكام.

والعلة في ذلك: أنه متى عرف من السلطان أنه يرى الصِّرف  
والاستبدال، اعتقد كل وال أن أيامه قصيرة، فعمل لسوق يومه، ولم يلتفت  
إلى صلاح غده، واحتجن الأموال في صدر ولايته، وتأهب عليها لزمان  
عطلته، فإذا صرف عنها خلف البلاد على من بعده مختلة، وزاده الثاني  
اختلالاً على مثل حاله، ولا يلبث الإهمال حتى تخرب بمناهية العمال.  
وإذا سكنت نفس الناظر إلى أن أعماله مقبرة عليه ما أقام على

(١) ط: في بوار أرباب البيوتات.

(٢) الزيادة من ط.

(٣) ط: وأن يدبوا.

(٤) قوله: «حكى أن أنوشروان وقع إلى ولاية الحسبة...» إلى آخر القصة مع البيتين، أورد  
الشعالي هذه الحكاية مع البيتين باختلاف، ونصها عنده كما يلي: «وكان يمنع أبناء العامة من  
التأديب ويقول: إن أبناء السفلى إذا تأدبوا طلبوا معالي الأمور وإذا نالوها تحكّموا في وضع  
الأشراف، وقد ذكر ذلك من نظمه فقال:

لله در أنوشروان من رجل ما كان أعلمه بالدون والسفل  
نهامهم أن يمأسوا بعده قلماً كي لا يذلوا بني الأشراف بالعمل

(تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، ص ٦٠٨).

نصيحته، وجرى على جميل سيرته، نظر فيها كنظر الفنى في عمارة ضياعهم وتميز خلاتهم، وفكره في صلاح غده قبل فكره في صلاح يومه؛ لعلمه ببقاء العمل عليه، وأن خير العاقبة وشرها عائد عليه، ومنسوب إليه، فتوفر نصحه واجتهاده، وعمّ صلاحه وعفافه، وليكن نزهاً عن أموالهم وإن توفرت، غير طامع فيها وإن كثرت، ما لم تظهر منهم خيانة واحتجاج؛ لأنهم قد يكسبون بجاه أعمالهم من مباحات الوجوه ما لا تبتغى فيها عليهم، ولئن يكونوا ذوي أحوال وأموال يستعينون بها على العفة والأمانة أولى من أن يكونوا ذوي فاقة تضطرهم إلى الخيانة، فقد قيل:

لا أمانة لمحتاج<sup>(١)</sup>.

وليعلم أنه متى طمع منهم في اليسير أطمعهم في الكثير، وإن أخذ أموالهم جهراً بتأويل أخذوا منه أضعافها سرّاً بغير تأويل، فيظن أنه قد ارتفق بمال غيره، وهو قد أخذ بعض حقه، ويصير معدوداً من الظالمين، وهو مظلوم، ويصيروا معدودين في المظلومين وما منهم إلا ظلوم، وإذا كف عنهم استكفهم، فناصف ونوصف.

قال بعض العلماء:

من طمع في أموال عماله، ألجأهم إلى اقتطاع أمواله<sup>(٢)</sup>.

وقال أنوشروان: (٥٥آ)

من خاف شرك أفسد أمرك<sup>(٣)</sup>.

(١) ط: لا أمانة لمحتاج وقيل: «من طمع في أموال عماله» أي بسقوط الكلام الذي بين القولين.

(٢) قوله: «قال بعض العلماء: من طمع في أموال عماله، إلخ»، أورده الأمير أسامة بن منقذ ضمن قول أبرويز الذي مرّ وهو قوله: «من اعتمد على كفاة السوء...» وبلغظه فليظنر في (لباب الآداب ٥٦)، وفي التمثيل والمحاضرة: «السلطان إذا قال لعماله: هاتوا فقد قال لهم خذوا» (ص ١٣١).

(٣) قول أنوشروان: «من خاف شرك أفسد أمرك»، أورده الريحاني منسوباً إليه بزيادة هي «فلا ترجو من لا يرجو خيرك، ولا تأمن من لا يأمن شرك»، وهو قول أردشير الذي سيأتي (انظر أحاسن المحاسن ١٤٧)، وسيأتي في معناه قولهم «من خاف إساءتك اعتقد مساءتك».

وقال أردشير:

لا ترجو<sup>(١)</sup> خير من لا يرجو خيرك، ولا تأمن جانب من لا يأمن جانبك<sup>(٢)</sup>.

فإن ظهر منهم على مال قد احتجونه، وحق قد خانوه، طالبهم به مطالبة المدين المنصف، واستوفاه منهم استيفاء المحق المسعف، بعد إقامة حججه، وإظهار شواهد، ولا يستغنى بالقدرة عن إظهار الحجة ليكون معذوراً وهم مذمومين، ومنصفاً وهم خائنين.

فإذا استوفى حقه، واسترجع ماله كان من وراء تأديبهم؛ تقويماً لهم واستصلاحاً لغيرهم.

وعلى حسب أقدارهم يكون التقويم.

وإذا وجد من بعض خدمه هفوة أو تقصيراً لم يأتته عمداً، لم يأخذه بذنب الدهر وعوائق الزمان، مع حسن الثقة، وجميل الظن فيه؛ فليس من الزلل أمان، ولا إلى العصمة سبيل وقد قيل:

أي عالم لا يهفو، وصارم لا ينبو، وجواد لا يكبو<sup>(٣)</sup>.

(١) لا ترجو كذا بالواو على النبي لا على النبي.

(٢) قول أردشير: «لا ترجو خير من لا يرجو خيرك...»، أورده الرخجي بعد القول الذي سبقه منسوباً إلى أنوشروان بلفظ «فلا ترجو من لا يرجو خيرك، ولا تأمن من لا يأمن شرك، فاجهل الناس بالزمان وأهله من اعتمد في أموره على من لا يأمل خيره ولا يأمن شره»، (أحاسن المحاسن ١٤٧)، وأورده في سراج الملوك (١٩٩-٢٠٠)، بلفظه دون عزو إلى قائل.

(٣) قولهم: «أي عالم لا يهفو، وصارم لا ينبو، وجواد لا يكبو»، نسبة الماوردي في أدب الدنيا والدين (١٦٣) إلى الحكماء وقد استشهد به ابن مسكويه ضمن حكم العرب وأمثالها السائرة بلفظ: «لا بد للجواد من كبوة، وللسيف من نبوة، وللحليم من هفوة» (الحكمة الخالدة ١٩٧)، وانظر أمثال أبي عبيد (ص٣)، بلفظ «إن الجواد قد يعثر»، والتمثيل والمحاورة ٣٣٩، وعيون الأخبار ١/ ١٠٢. ويلفظ «لكل جواد كبوة، ولكل صارم نبوة ولكل عالم هفوة»، في أمثال أبي عبيد، ص١٣، ومجمع الأمثال ٢/ ١٨٧، رقم ٣٢٩٨، ونهاية الأرب ٨/ ١٧٦، ١٨١ من كلام علي، وهو في معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة»، الذي سيأتي بعد قليل.

قال بعض العقلاء:

من كثر صوابه لم يطرح لقليل الخطأ<sup>(١)</sup>.

قال الشاعر<sup>(٢)</sup> [من الطويل]

ولست بمستبِقٍ أحمأ لا تلمه

على شعثٍ أي الرجال المهذب<sup>(٣)</sup>

قال النبي عليه السلام:

«لا حلِيمَ إلَّا ذو عثرةٍ، ولا حكيمَ إلَّا ذو تجربةٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) قوله: «من كثر صوابه لم يطرح لقليل الخطأ»، أتى به المؤلف من منشور الحكم، ولم ينسبه لقاتل في أدب الوزير ٥٢، والأمثال والحكم، الورقة ٦٤ب، ونقله النويري عنه في نهاية الأرب ٦/ ١٣٧، وقد أورد ابن المقفع معنى هذا القول بلفظ «لا يمنعك صغر شأن اخرى من اجتناب ما رأيت من رايه صواباً واصطفاء ما رأيت من أخلاقه كريماً؛ فإن اللؤلؤة الفائقة لا تمان لهوان غائصها الذي استخرجها»، (الأدب الصغير ٦٣).

(٢) قوله: «قال الشاعر...»، قلت هو النابغة الذبياني الشاعر المشهور بالاعتداليات وديوانه طبع كثيراً. وفي ط: قال بعض الشعراء.

(٣) قول الشاعر: «ولست بمستبِقٍ أحمأ لا تلمه...»، أوردته المؤلف في أدب الدنيا والدين ١٥٨، منسوباً إلى النابغة الذبياني وهو في ديوانه - باريس - ٨٤ - ٨٤، وصادر ٢٥، وضمن مجموع يشتمل على خمسة دواوين - المطبعة الوهية - ١٤ والتمثيل والمحاضرة ٤٨، وعيون الأخبار ٣/ ١٦، ونهاية الأرب ٣/ ٦٣، ٢٦٢، ١٧٦/ ٨، أخبار النوايح وآثارهم ٣٨٦، الإيجاز والإعجاز ٣٨، وخصائص الخاص ٩٧، حاسة البحري ٩٩، جهرة أشعار العرب ٥٦، ٦١، لباب الأدب ٣٨٠، ٤٢٢، الفاخر ٣٨٦، رقم ٤٥٠، والعقد القريد - العريان - ٢/ ٣٦٥، المثل المقارن ١٤٧، العمدة ١/ ٩٧، كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت وتهذيب الخطيب التبريزي ٥٠٩، ديوان المعاني ٢/ ١٩٦، شرح نهج البلاغة ٣/ ٢٣، ٤/ ٤٩٩، الموشح ٣٣، وقانون البلاغة لأبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي منسوباً إليه - ضمن رسائل البلغاء - ٤٥٩، والتقنية للبلنديجي بتحقيق زميلنا الدكتور العطية - مطبوعة على الرونيو ص ٥٣٥، وفيها تحريج. وقد أخذه زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر الوردی الشافعي فقال:

فمن ذا سواه في السورى لا تلمه

على شعث أي الرجال المهذب

(ديوان ابن الوردی، مطبعة الجوانب - القسطنطينية ١٣٠٠هـ، ص ١٧٠)، وقوله «أي الرجال المهذب»، عده ابن سلام في الأمثال، (أمثال أبي عبيد، ص ٢)، وجمع الأمثال ١/ ٢٣، رقم المثل ٦٥).

(٤) حديث: «لا حلِيمَ إلَّا ذو عثرة، ولا حكيمَ إلَّا ذو تجربة»، رواه الترمذي عن أبي سعيد =

وفي (١) تأويله وجهان:

أحدهما: أن معناه أنه لا يخلو حليم من عشرة، ولا حكيم أن يحتاج إلى تجربة.

والثاني: أن [لا] يكون حليماً، ولا حكيماً حتى تكثر عثراته وتجربته، فيصير - بعد كثرة التجارب والعثرات - حليماً حكيماً.

وإذا قطعت بعضهم عن الخدمة قواطع قطع، وظهرت بأعدادها، ووضح برهانها لم يكفله فعل ما ليس في وسعه وطاقته؛ فقد رفع الله الحرج عن المعذور في حقه، وقد تقطع الملوك القواطع عن حقوق أنفسهم، وهم أقدر، فكيف بأوليائهم وخدمهم، وهم أعجز، وقد قال الشاعر (٢): [من

البيسط]

ما كلفَ اللهُ نفساً فوق طاقتِها

ولا تجودُ يدٌ إلا بما تجدُ (٣)

= الحدري من حديث حسن، (سنن الترمذي، كتاب البر، ج٣، ص ٢٥٥، رقم ٢١٠٢)، والإمام أحمد عنه (مسند الإمام أحمد ٨/٣، ٦٩)، والحاكم (المستدرک علی الصحیحین ٤/٢٩٣)، وابن حبان في صحيحه، (الجامع الصغير ٢/٢٠٣)، وإسناده صحيح (التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/٤٩٩)، وربما روي بلفظ «لا حليم إلا ذو عزة» كشف الحفاء ٢/٥٠٤، رقم ٣٠٦٠، ويلفظ «لا حكيم إلا ذو تجريرة ولا حليم إلا ذو عشرة»، كشف الحفاء ٢/٤٩٤، رقم ٣٠١٧، (والمقاصد الحسنة ٤٩٥، رقم ١٣٠٣).

(١) ط: قال أفضى القضاة، وفي تأويله..

(٢) قوله: «قال الشاعر»، ذكر الماوردي أنه العقيمي (الأمثال والحكم، الورقة ١١٤).

(٣) قول الشاعر: «ما كلف الله نفساً..»، ذكر الماوردي أن عمرو بن العلاء قال: «ثلاثة أبيات قالها أصحابها لم يعلموا ما خرج من رؤوسهم، منها قول العقيمي، وذكر البيت. وقال الفزاري.

ومن يلقى خيراً يحمد الناس أمراً ومن يغوي لا يعدم على الغي لائماً وقول الآخر:

أنسا عائد بالله من عدم الغي ومن رغبة يوماً إلى غير مرغب

(الأمثال والحكم ١١٤). وقد أورده ابن عبد ربه في قصة، قال: قال أبو هريرة ما وددت أن أحداً ولدتني أمه إلا جعفر بن أبي طالب عليه السلام، تبعته ذات يوم وأنا جائع، فلما بلغ الباب التفت فرأني، فقال لي: ادخل، فدخلت ففكر حيناً فما وجد في بيته شيئاً إلا نخباً - أي زقاً خاصاً بالسمن - كان فيه سمن مرّ، فأنزله من رف لهم، فشقه بين أيدينا، فجعلنا نلغى ما كان فيه من السمن والرّبب - أي ثقله الأسود - وهو يقول: ما كلف الله =

## [٢ - استخبار الملك عن رعيته وحاشيته والنائبين عنه]:

وإن الملك لجدير أن لا يذهب عليه صغير ولا كبير من أخبار رعيته، وأمور حاشيته، وسير خلفائه، والنائبين عنه في أعماله، بمداومة الاستخبار عنهم، وبث أصحاب الأخبار فيهم سراً وجهراً، ويندب لذلك أميناً يوثق بخبره، وينصح الملك في مغيبه ومشهده، غير شره فيرتشي، ولا ذي هوى فيوري أو يعتدي، لتكون النفس إلى خبره ساكنة وإلى كشفه عن حقائق الأمور راكنة؛ فإنه لا يقدر على رعاية قوم تخفى عليه<sup>(١)</sup> أخبارهم، وتنطوي عنه آثارهم، فربما ظن استقامة الأمور بتمويه الخونة، فأفضى به حسن الظن إلى فساد مملكته، وهلاك رعيته، وأن ينتهز العدو فرصة غفلته، فيستثير عن غوائل ضرره ما عساه يصعب، بعد أن كان سهل المرام، ويقوى بعد أن كان ضعيف القوام، فإن كبار الأمور تبدأ<sup>(٢)</sup> صغاراً.

قال بهرام جور<sup>(٣)</sup>:

لا شيء أضرَّ على الملك من استكفاء من لا ينصح إذا دبَّر،  
واستخبار من لا يصدق إذا خَبِر<sup>(٤)</sup>.

= نفساً.. البيت»، العقد الفريد ١ / ٢٧٤، ٣ / ١٠٦، ٣ / ١٣٧، وانظره أيضاً في التمثيل والمحاضرة (ص ١٠)، وفي المستطرف بلفظ: لا كلف الله، مع بيت آخر هو قوله:  
فلا تعد عدة إلا وفيت بها واحذر خلاف مقالٍ للذي تعدُّ

(١) غ: عليهم.

(٢) غ: تبدو.

(٣) بهرام جور: هو بهرام جور بن يزجرد بن بهرام بن سابور، أحد ملوك الفرس. ولي بعد أبيه يزجرد، بعد خلاف على توليته، وحكم ثلاثاً وعشرين سنة، انظر نبذة من سيرته وأخباره في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ٥٣٩-٥٦٩، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، ٤٩، ومروج الذهب ١ / ١٧٢، وذكر أن للفرس كتاباً مفرداً في أخبار بهرام جور، وحول ضبط حركات حروفه، انظر تثقيب اللسان ١٤١.

(٤) قول بهرام جور: «لا شيء أضرَّ على الملك من استكفاء من لا ينصح..» قد ورد في لباب الآداب ٥٦، منسوباً إليه بلفظ، «لا شيء أضرَّ بالملك من استخبار من لا يصدق إذا خَبِر، واستكفاء من لا ينصح إذا دبَّر»، وهذا اللفظ الأخير ورد في أحسن المحاسن منسوباً إليه وفيه «ما شيء..»، وقد أورد المؤلف قولاً قريباً منه في المعنى المنسوب إلى بعض البلغاء بلفظ «لا تصطنع من خانه الأصل، ولا تستصحب من فاته العقل؛ لأن من لا أصل له يغش من حيث ينصح، ومن لا عقل له يفسد من حيث يصلح، وذلك مما يعسر توقيه ويفوت تداركه وتلافيه»، (أدب الوزير، ص ٦).



ولم يكن في طلب الأجناد أشدَّ بحثاً عنها من أردشير بن بابك في آل ساسان، ومن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلفاء الإسلام؛ فإنه كان علمهما بأحوال العامة كعلمهما بأحوال الخاصة، وعلمهما بمن بعد عنهما كعلمهما بمن قرب منهما. وبه استقامت سيرتهما، وظهرت حرمتهما.

وإذا كان باحثاً على الأخبار، مطلعاً على غوامض الأسرار، جمع في الاستخبار بين معروف مجاهر يكون به في الناس محذوراً، وبين مجهول مساتر يصير به واثقاً خبيراً، لا يتعارفان فيتواطآن، انكشف له غطاء الغفلة، وانجلت شبه الحيرة، فساس الأمور (١٥٦) بثقته وبصيرته، وحرس الرعية بيقظته وصدق عزيمته، وتهيب أعوانه فعل الخير فاستقاموا، وتجنبوا<sup>(١)</sup> قبح المكاسب فأنصفوا<sup>(٢)</sup>، ووثقت الرعية بكف العوادي<sup>(٣)</sup> عنهم فأمنوا.

وإذا أنس بمطالعة الأخبار، استلذ غرائبها واستمد فوائدها.

وقد قال المنصور رضي الله عنه:

عجبت للسلطان الذي لا يتخذ بقراءة الأخبار لهواً بماذا يلهو؟  
وللمدبر الذي لا يعلم ما حدث في عمله كيف يمضي تديره؟

قال بعض العلماء:

إذا لها السلطان عن الأخبار، ولم يله بها، وانصرف عنها، ولم ينصرف إليها، فاسم العجز أولى به من اسم الحزم، والتقصير عليه أغلب من الاستيفاء<sup>(٤)</sup>، وجهل الواجب أبيض فيه من علم الصواب.

ويجب أن تكون عنايته بأخبار من بعد عن حضرته كعنايته بأخبار من قرب منها، بل ربما كان أهم؛ لأن بعد الدار يسط أيدي الظلمة، فإذا وافق بعد دارهم قلة الاستخبار عن أحوالهم أمنوا في اتباع أهوائهم، وسكنوا إلى

(١) غ: تحبوا.

(٢) غ: فانصافوا.

(٣) غ: العوادي.

(٤) غ: الاستبقاء.

الغفلة عن مذموم أفعالهم، فكانت أيديهم مبسوطة في الرعايا، وأهواؤهم مخلة في القضايا، وربما أفضى ذلك إلى فسادهم في الطاعة لقبح آثارهم ومذموم أفعالهم؛ فإن المسيء مستوحش، والمهمل مسترسل، فكم من عصيان كان هذا بداه، وانقراض ملك كان هذا بده، وقد قيل:

ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته أو تملكه إلا الحزم  
[والتواني]<sup>(١)</sup>.

ولا يغترر بمن سداه في حسن الثقة به، ويترك الاستخبار عن حاله؛ تعويلاً على من يقدر من سداه، فربما يصنع في الأول، ويغتر في الآخر؛ فإن قلب الزمان يغير أهله، فربما أفسد الصالح، وأصلح الطالح. فما تبقى الدنيا على حالة، ولا تمنع من استحالة.

وإذا أخبر بمنكر لم يستعجل المؤاخذة والإنكار<sup>(٢)</sup>، ويثبت لكشفه حتى يقف على حقه من باطله، فما كل مخبر يصدق في (٥٦ب) خبره.

وإذا عرف بالأناة للكشف، لم يخبر إلا بالصدق، ولم يعاقب إلا المستحق.

قال الشاعر: [من الطويل]

(١) الزيادة من مصادر التخريج وليست من غ، ولا من ط، وقوله: «ليس بين الملك وبين أن يملك رعيته...» نسبة الأمير أسامة بن منقذ إلى معاوية بلفظ «قال معاوية رحمه الله لعمر بن سعيد: ما بين أن تملك الملك رعيته وبين أن يملكها إلا الحزم والتواني»، (لباب الآداب ٣٥)، ونسبه الطرطوشي إلى معاوية أيضاً وجاء به بلفظ: «ليس بين أن يملك السلطان رعيته أو تملكه إلا الحزم والتواني»، قال: «وكماله أمران: شدة من غير إفراط، ولين من غير امتنان» (سراج الملوك ٥٧)، ولفظ لباب الآداب نفسه في السعادة والإسعاد ٢٩٤، منسوباً إلى معاوية أيضاً. وفي نهاية الأرب (٦ / ٤٥)، من أقوال عبد الملك إلى ابنه الوليد بلفظ «يا بني اعلم أنه ليس بين السلطان وبين... إلا حزم أو تواني»، والقول بلفظه من عيون الأخبار ٣٣ / ١، غير منسوب لقائل وهو فيه بلفظ «... إلا حزم أو تواني».

(٢) قوله: «لم يستعجل المؤاخذة والإنكار...» في هذا المعنى قال بطليموس: «ينبغي لذي السلطان العالم إذا رأى الذنب من أصحابه أن لا يعجل عليهم»، (مختار الحكم).

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِباً  
لِعَلَّ لَهُ عِذْرٌ وَأَنْتَ تَلُومٌ<sup>(١)</sup>

٣ - مراعاة أخبار البلاد المتاخمة وملوكها]:

ولئن كان من حقوق ما استرعى من بلاده أن يتعرف أخبار أعماله وعماله، فمن حقوق السياسة أن يراعى أخبار ما تاخمها من بلاد وملوك يتصل به خيرهم وشرهم، ويعود عليه نفعه وضرهم؛ لأن الصلاح والفساد يسريان فيما جاوراه، وربما روصد فاعتقل بالاهمال، وعوجل بالاسترسال، فيحم عليه الأعداء، ويحجم<sup>(٢)</sup> عنه الأولياء؛ لأن للغفلات<sup>(٣)</sup> فرصاً ينتهزها المستيقظ من اللاهي، ويدركها المتحفظ من الساهي؛ لأن الفرصة لمن واثبها بحزمه، وسابقها بعزمه، فليستدفع بواذر الغفلة بالاستخبار، ويتحذّر منها بالاستظهار، ولا يغفل فيستغفل، ويهمل فيستعذر؛ ليحرس ملكه، ويحوط رعيته؛ فإنه لم تطل مدة الملك إلا لمن يتيقظ<sup>(٤)</sup>. ويتحفظ.

(١) قول الشاعر: «تأن ولا تعجل بلومك صاحباً..»، ورد غير منسوب في الأمثال والحكم (الورقة ٥٢ب)، وجمع الأمثال ٢/ ١٩٢، رقم ٣٣٣٥ وقد ورد شطره الثاني مضمناً في قول الشاعر:

إذا ما رأيت الماء يشربه صد عليل ويستمر به وهو وخيم  
فدعه ولا تحزن بلومك قلبه لعَلَّ له عِذْرٌ وَأَنْتَ تَلُومٌ  
(انظر زهر الربيع في المثل البدیع ١٠٢).

وقد ورد هذا الشطر أيضاً في بيت آخر لنصور بن الزبيران التمری بلفظ:

لعَلَّ له عِذْرٌ وَأَنْتَ تَلُومٌ وكم لائم قد لام وهو سليم  
فانظره في التمثيل والمحاضرة ٨٣، والزهرة النصف الأول ١٤٩، وطبقات الشعراء لابن سلام ٢٤٧، بلفظ «لعَلَّ لها عِذْرٌ»، وفي نهاية الأرب ٣/ ٨٦، والبيان والتبيين ٢/ ٣٦٣، وأنه لسلم بن الوليد. وأورد ابن مكي هذا الشطر وأنه مما تلحن فيه العامة فيقرأ «عِذْرٌ» بالرفع (تثقيف اللسان ١٠١)، وفيها تحريك، ونقل محقق عن ابن هشام اللخمي من المدخل، أن البيت لدعبل الخزاعي (حاشية ص ١٠١، من تثقيف اللسان)، وهذا الشطر من الحاسن والمساويء ٢/ ٥٣٦ غير منسوب لأحد.

(٢) غ: واحجم.

(٣) غ: الغفلات.

(٤) غ: تيقظ.

وقد ذكر الأوائل في مواظب الملوك: أن الملك تطول مدته إذا كان فيه أربع خصال:

إحداها<sup>(١)</sup>: أن لا يرضى لرعيته ما يرضاه لنفسه.

والثانية: أن لا يسوف عملاً يخاف عاقبته.

والثالثة: أن يجعل ولي عهده من ترضاه رعاياه لا من تهواه نفسه.

والرابعة: أن يفحص عن أحوال رعيته<sup>(٢)</sup> فحصى المرضعة عن منام رضيعها.

[٤ - حذر الملك قبول السعاية في أصحابه]:

ومما ينبغي للملك أن يحذره قبول السعاية في أصحابه، فذلك يوحش الناصح، ويؤمن الخائن، ويفتح للسعادة أبواب الرشا.

وليعلم أن الساعي لم يحمله على سعيه إفراط نصحه لسلطانه، وإنما يفعله إما حسداً لمن سعى به وطلباً للتشفي به، وإما تعرضاً للكسب به، وإما (١٥٧) التماساً للحظوة عند السلطان.

فإذا شرع في السعاية أعطى الملك الرشوة، فأدخل عليه الشبهة، حتى يتصور الأمين بصورة الخائن، والمحسن بصورة المسمى، فتقل<sup>(٣)</sup> ثقته بأصحابه، وإذا قلت ثقته بهم أوحشهم، وإذا أوحشهم خافهم، فيكون إضراره بمن سعى إليه أكثر [من] إضراره بمن سعى به.

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«إياك ومهلك الثلاثة».

قيل: وما مهلك الثلاثة؟

(١) غ: أحدها.

(٢) غ: عن رعيته.

(٣) غ: فيقل.

قال:

«الذي يسعى بأخيه إلى سلطانه فيهلك نفسه، وسلطانه، وأخاه»<sup>(٢)</sup>.

[وروي عن النبي عليه السلام انه قال:

«شر الناس المثلث» يعني الساعي]<sup>(٣)</sup>.

قال بعض البلغاء:

الساعي كاذب لمن سعى إليه وخائن لمن سعى عليه<sup>(٤)</sup>.

ووقع المنصور في رقعة منتصح<sup>(٥)</sup>:

تقربت إلينا بما باعدك<sup>(٥)</sup> من الله عزَّ وجلَّ، ولا ثواب عندنا لمن آثرنا

عليه.

وإذا حسم قبول السعاية في أصحابه أكذب السعاة وأخلص نيات الولاة، وتصفح أحوالهم بدلاً من قبول السعاية فيهم. وليوقظ عزمه في قلة الغفلة فيهم، فإذا علموا أنه ليس يخفي عليه من أفعالهم خافية، أقلع الخائن عن خيائته، وازداد الناصح نِعَمًا في ولايته، وعدل [عن]<sup>(٦)</sup> التكبس بها إلى ما تستطاب جدواه، وتحمد عقباه، وصلح به الفريقان، مع استقامة الملك، وإخمد السعاية.

(١) حديث: «إياك ومهلك الثلاثة...» رواه المبرد بلفظ «لَعَنَ اللهُ المثلث، قيل وما المثلث؟ قال:

الذي يسعى بجاره إلى سلطانه فقد أهلك نفسه وجاره وسلطانه» (الفاضل ص ١٧).

(٢) الزيادة من ط وحديث «شر الناس المثلث» مر الآن.

(٣) قول بعض البلغاء: «الساعي كاذب...» ورد في مختار الحكم (ص ١٩) منسوباً إلى هرمس

وهو فيه بلفظه إلا أن فيه «كاذب إلى من... وخائن لمن سعى فيه» وفي غ: وخائن لمن

سعى إليه والصواب من ط.

(٤) ط: مستصح.

(٥) غ: أبعدك.

(٦) الزيادة من السياق وليست في غ وقد سقطت الفقرة كلها من ط من قوله: وإذا حسم قبول

السعاية... إلى قوله قيل في منثور الحكم: من فرطت العجز... إلخ. في الصفحة التالية.

وقيل:

انظر إلى المنتصح إليك، فإن دخل من جهته مضار الناس، فلا تقبل نصيحته، وتحرز منه، وإن دخل من جهته العدل والصلاح فاقبلها واستشره.

[٥ - مراقبة أحوال النقود وأمر جبايتها]:

وليعلم الملك أن الأمور التي يعم نفعها إذا صلحت، ويعم ضررها إذا فسدت أمر النقود من الدرهم والدينار، فإن ما يعود على الملك من نفع صلاحها لسعة دخله وقلة خروجه أضعاف (٥٧ب) ما يعود من نفعها على رعيته.

قيل في منشور الحكم:

من فرطات العجز ترك الأفضل وهو مباح<sup>(١)</sup>.

فإن سامح في غشها وأرخص في مزج الفضة بغيرها، لم يف نفع صلاحها بضرر فسادها؛ لأنه إذا خلط الفضة بمثلها، وجعل في كل عشرة خمسة خرقاً وخمسة غشاً، وأمر أن تؤخذ بقيمة الفضة، كان محالاً كما لو رام أخذ النحاس بالذهب.

وإن رام أن تؤخذ بقيمتها لم يجد في ذلك نفعاً، وكأنه غير مكياً ووزناً مع فساد الفضة وخسران العمل، ثم إذا طال مكثها وكثر لمسها قبحت عند الناس، وتجنبوا قبض قبيحها، ورغبوا في طريها ومليجها، وبهرج أصحاب اللبس عليها بضرب كثير الرش، ربما كان أحسن من عتيق تلك، فتفسد النقود، ويتجنب الناس قبض الدراهم، ويمنعون من بيع الأمتعة إلا بالعين وإن كان سليماً.

وإن كان كالورق في الغش، عدل الناس عن مطبوعها إلى الفضة الخرق، والذهب الخلاص، وصار أدخال الناس أصول أموالهم، واستحدثوا

(١) قولهم: «من فرطات العجز ترك الأفضل وهو مباح» ذكره الماوردي في كتابه الأمثال والحكم (الورقة ٥٨ب) بلنظ غير منسوب لقائل فيه.

لمعاملات<sup>(١)</sup> المهن نوعاً من غير النقود المألوفة يدفعون به الأقوات، وينالون به الحاجات، وبطلت معاملات الناس، فانتهك المستور المرق، ولم تصل الأمتعة والأقوات إلى أهل القدرة، وأرباب الأموال الجمعة، فعند ذلك تدعوه الحاجة إلى تغيير الضرب.

فإن غير بمثله كانت حالهما واحدة، وكان حكمه في المستقبل حكمه في الأول.

وإذا عرف من السلطان تغيير ضربه في كل عام، عدل الناس عن ضربه إلى ضرب غيره حذراً من الوضيعة والخسران، وكان عدولهم إلى ضرب غيره موهناً لسلطانه.

[وإن] كان النقد سليماً من غش، ومأموناً (١٥٨) من تغيير، صار هو المال المدخور، فدارت به المعاملات نقداً ونساءً، فعَمَّ النفع، وتم الصلاح.

وقد كان المتقدمون يجعلون ذلك دعامة من دعائم الملك.

ولعمري إن ذلك كذلك؛ لأنه القانون الذي يدور عليه الأخذ والعطاء، ولست تجد فساده في العرف إلا مقترناً بفساد الملك؛ فلذلك صار من دعائم الملك.

وليعلم الملك أن من أموال السلطنة شرعية، قد قدر الشرع مقاديرها، وبين وجوه مصرفها، وجعلها وفق الكفاية، وأغنى عما دعا إلى استزادة.

قال<sup>(٢)</sup> النبي عليه السلام:

«نزلت المعونة على قدر المؤونة»<sup>(٣)</sup>.

(١) غ: المعاملات.

(٢) ط: روى عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نزلت المعونة...».

(٣) حديث: «نزلت المعونة على قدر المؤونة» أورده الماوردي في كتابه الأمثال والحكم (الورقة ٣ب-٤آ) بلفظ: روى قتادة عن عبد الله بن مسعود عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): نزلت المعونة على قدر المؤونة» وقد رواه الحكيم والبخاري والحاكم في الكني والبيهقي =

فليكن الملك عليها مقتصرأً، ولأمر الله تعالى فيها ممثلاً؛ فإنه نائب عن الكفاية فيها، زعيم بتولي مصالحهم بها.

فإن اتبع أمره في أخذها وعطائها، أجابت النفوس إلى بذلها طوعاً، ولم يلتمسها إلا مستحق، وكفى أن لا يطالب بالمحال، كما لم يطلبه، فسلم دينه، واستقام ملكه، ورضي جنده، وصلحت رعيته.

وإن تجاوز حكم الشرع في طلب ما لا يستحق، نفرت منه النفوس، فلم يجب إلى بذله إلا بالعنف الخارج عن قوانين السياسة، وعاد بالنقص بالحقوق الواجبة، وانفتحت عليه المطامع في المطالبة بما لا يجب، كما طالب به؛ لأن من جازف في الأخذ جوزف في الطلب، ومن ناصف نوصف، فلا يفي بزيادة أخذه بزيادة جزفه.

ثم هو بين نفور رعيته واشتطاط أعوانه، وليس مع هذين ملك يستقر.

فليحذر الملك مما حذره الله من تحيف عباده، وليمثل أمره في مصالح بلاده، وليقم رعيته مقام عباده وحشمه اللائذين به وبكفنه، والداخلين في كفالتة، في ارتياد موادهم، وانتظام اكتسابهم وكف الأذى عنهم، فهم من أمانات الله (٥٨ب) التي استودعه حفظها، وكفله القيام بها، فلا يهمل مراعاة أمانته، ولا يغفل عن القيام بحقه، فيصيروا رعية قهر، وفرية دهر، يستنفد أحوالهم تحيف السلطان، وجوائح الزمان، فسيؤاخذ بهم مع فساد ملكه.

= في شعب الإيمان عن أبي هريرة في حديث صحيح (الجامع الصغير ١ / ٨٥) بلفظ: «إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤونة، وإن الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة» وانظر التيسير ٣٠١/١، وله ألفاظ أخرى، انظر المقاصد الحسنة ١٢٨ رقم ٢٥٣ وكشف الحفاء ٢٩٦ / ١ رقم ٧٨٢ وروى موقوفاً على علي (غرر الحكم ٤١) بلفظ: المعونة تنزل من الله على قدر المؤونة» وأخرى بلفظ «تنزل من الله المعونة...» (ص ١٥٣) ولفظ «على قدر المؤونة تكون من الله المعونة (٢١٥) وفي شرح نهج البلاغة (٤ / ٣٠٩) بلفظ «تنزل المعونة على قدر المؤونة» وانظر كتاب النبي كلمة للإمام علي ص ٢٠ رقم ٣٩٢، (ص ٤٠ رقم ٨٨٨، ص ٧٣ رقم ١٧٠٥) و«عيون الأخبار (٣ / ١٨١) وروى موقوفاً على عمر بلفظ «فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية...» كتاب ألف كلمة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ص ٦٦ رقم ٦٥١).



قال النبي عليه السلام:

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

وكتب أمير المؤمنين عمر [بن الخطاب] رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري<sup>(٢)</sup> رحمه الله:

إن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته، وأشقاهم من شقوا به، وإنك إن ترتع يرتع عمالك، فيكون مثلك مثل البهيمة رأت أرضاً خضرة ونباتاً حسناً، فترتعت تلتمس، و[[إنما]]<sup>(٣)</sup> حثفها في سمنها<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» قطعة من حديث ابن عمر الذي رواه البخاري عنه في باب الجمعة من صحيحه (انظر صحيح البخاري ١ / ١١٠) وفي باب الجنائز (١ / ١٥٣) وفي باب الاستقراض (٢ / ٤٠) وفي العتق (٢ / ٥٦ مرتين) وفي النكاح (٣ / ١٦٨، ١٧١) والأحكام ٤ / ١٥٨ ورواه في باب الوصايا (٢ / ٨٥) عن عمر ورواه مسلم في باب الإمارة من صحيحه (انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ / ٢١٣) عن ابن عمر وكذا رواه الترمذي في الجهاد من سننه (٣ / ١٢٤ رقم ١٧٥٧) وأبو داود عنه في الإمارة من سننه (٣ / ١٣٠ رقم ٢٩٢٨) ورواه الإمام أحمد في مسنده (مسند أحمد ٢ / ٥، ٥٤، ٥٥، ١٠٨، ١١١، ١٢١).

(٢) أبو موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس الصحابي المشهور، هاجر ثلاث هجرات، واستعمله الرسول (ص) على زيد وعدن وساحل اليمن، واستعمله عمر على الكوفة والبصرة وعهد إليه بعهدته المشهور (الدارقطني ٤ / ٢٠٦) توفي سنة ٥٠ هـ انظر ترجمته ومناقبه في تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢ / ٢٦٨، ابن سعد ٢ / ٢ / ١٠٥ و ١٠٥ / ٦، الإصابة رقم ٤٨٩٩، تذكرة الحفاظ رقم ١٠ ومناقبه في السنن والصحاح. وفي العبر ١ / ٥٢ أنه توفي سنة ٤٤ هـ.

(٣) الزيادة من ط ومصادر التخريج.

(٤) كتاب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه «إن أسعد الرعاة...» قد ورد بطوله وفيه تقديم وتأخير، وجاء قسمه الأخير في الوصايا الخالدة جمع وتحقيق عبد البديع صقر ومصطفى جبر (ط) مطابع العروبة ١٣٨٦ ص ٤٩) بلفظ: «... وقد بلغ أمير المؤمنين أنه قد فشئت لك ولأهل بيتك هيبة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة التي مرت بوادٍ خصب فلم يكن لها همة إلا السمن وإنما حثفها في السمن، واعلم أن للعامل مرداً إلى الله، فإذا زاع العامل رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته والسلام» وانظرها في عيون الأخبار ١ / ١١، البيان والنبين ٢ / ١٥٥، العقد الفريد ١ / ١٠٣، جبهة رسائل العرب ١ / ٢٤٨-٢٥٠. وقد وردت تلك الرسالة بلفظ أقرب إلى ما هو مدون في المتن بلفظ: «وأما بعد فإن أسعد الرعاة =

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان أن يحمله على أخذ أموال  
السواد، فكتب إليه:

لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك، وأبق لهم  
لحوماً يعقدوا<sup>(١)</sup> بها شحوماً<sup>(٢)</sup>.  
قال وهب بن منبه:

أحسن الناس عيشاً من حَسُنَ عيشُ الناسِ في عيشه<sup>(٣)</sup>.

### ٦ - الاهتمام بأمن السبل والمسالك

وليهتم الملك كل الاهتمام بأمن السبل والمسالك، وتهذيب الطرق  
والمفاوز، ليتشر الناس في مسالكهم آمنين، ويكونوا على أنفسهم وأموالهم  
مطمئنين.

ولا يقتصر على حماية ما يستمده من بلاده وسواده؛ فلم يستقم أمر بلاد  
كانت المسالك إليها مخوفة، لأنها تفتقر إلى مجلوب إليها، ومجتلب منها؛ ليكثر  
جلبهم فيما ليس لهم، وتخصب بلادهم بما ليس عندهم، فيكون نفعهم عاماً،

عند الله من سعدت به رعيته وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته، وإياك أن تزيع فيزيغ  
بملك فيكون مثلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغي بذلك  
السمن وإنما حثفها في سمنها» انظر جبهة رسائل العرب ١ / ٢٥٠، الخراج ص ١٧، شرح  
ابن أبي الحديد على نهج البلاغة ٣ / ١١٩ وفيه «فتزيغ رعيته» محل «فيزيغ بملك» وقد  
وردت فقرات من الكتاب بصورة متفرقة من الإيجاز والإعجاز ص ٨.

(١) يعقدوا كذا بحذف النون من ط ومن غ يعقدوها بحذف النون أيضاً، وكذا في مصدر  
التخريج.

(٢) كتاب الحجاج إلى عبد الملك نجده قد أورد الثعالبي بعضاً منه بلفظ: «ووقع إليه في أصل  
السواد: أبق لهم لحوماً يعقدوا بها شحوماً» (خاص الخاص ٨٧) وجاء في ط هنا: وقال  
زياد: أحسنوا إلى المزارعين فإنكم لا تزالون سماناً [ما سمنوا] وقال وهب بن منبه... أي  
بذكر قول زياد الذي مر في عمارة المزارع.

(٣) قول وهب: «أحسن الناس عيشاً...» نجده عند المؤلف في كتابيه أدب الوزير ص ١٧  
والأمثال والحكم الورقة ٣٣ ب بلفظ «لأن أحسن...» وهو بهذا اللفظ من أقوال علي (غرر  
الحكم ١١٣) ولفظ: «أحسن الناس عيشاً من عاش الناس في فضله» (ص ٩٠) ولفظ:  
«أحسن الملوك حالاً من حسن عيش الناس في رعيته وعم رعيته يَعدُّله» (ص ٩٦). وذكر  
الميداني أنه «قيل للمغيرة: من أحسن الناس؟ قال: من حسن في عيشه عيش غيره» (مجمع  
الأمثال ٢ / ٤٥٩) وعبارة ط: من حسن الناس في عيشه.

وخصبهم داراً، ويصير رفق السلطان به أعظم من رفق رعيته، وعقباه أنفع من مملكته؛ لأنه ليس يعم صلاح إلا ونصيبه منه أكثر، لأن عوام الأموال صادرة إليه، وصلاح الجمهور عائد عليه (١٥٩).

[٧ - مدهنة الأعداء]:

ليستعمل الملك مدهنة الأعداء قبل مكاشفتهم، وليجعل محاربتهم آخر مكايدهم، فإنه ينفق في المكاييد من الأموال، وينفق في المحاربة من النفوس<sup>(١)</sup>. ولذلك قيل:

أوهن الأعداء كيداً أظهرهم لعداوتهم<sup>(٢)</sup>:

قال الشاعر<sup>(٣)</sup>: [من البسيط]

والسلم تأخذ منها ما رضيت به

والحرب يكفيك من أنفاسها جرع<sup>(٤)</sup>

(١) قوله: «ليستعمل الملك مدهنة الأعداء...» قال الجاحظ: «ومن أخلاق الملوك المكاييد في حروبها، ولذلك كان يقال: ينبغي للملك السعيد أن يجعل المحاربة آخر حيلة؛ فإن النفقة في كل شيء إنما هي من الأموال، والنفقة في الحروب إنما هي من الأنفس والتاج في أخلاق الملوك (١٧٧) وقد وردت عبارة ط على الصورة التالية: وقال وهب بن منبه: أحسن الناس عيشاً من حسن الناس في عيشه، قال أفضى القضاة في أثناء كلامه: ويستعمل الملك مدهنة الأعداء قبل مكاشفتهم وليجعل محاربتهم آخر مكايدهم فقد قيل: أوهن الأعداء كيداً... أي بسقوط موضوع أمن السبل والمسالك كله.

(٢) قولهم: «أوهن الأعداء كيداً أظهرهم لعداوتهم» ورد في غ بلفظ بعداوتهم، وفي ط بعد عداوتهم والتصحيح من مصادر التخريج. وقد استشهد المؤلف بهذا القول في أدب الوزير ١٥ والأمثال والحكم والورقة ١٢ب، وهو في الآداب لابن المعتز ص ١٠٠ وفي نثر الدرر له أيضاً (الورقة ٣) ونهاية الأرب ١٠٢/٦ ومواسم الأدب ٩٠/١ وشرح نهج البلاغة ٢٠/٢٤٣ وفيه أهون الأعداء...» ونسبه إلى علي وكذا في غرر الحكم ٩٥-٩٦ بلفظ «من أظهر عداوتهم»، وبلغف «من أظهر عداوتهم قل كيدهم» من ص ٢٦٦ وأورده الثعالبي ضمن أقوال قسطنطين الرومي الوجيزة البليغة بلفظ «أوهن الأعداء أكثرهم إظهاراً للعداوة» (الإيجاز والإعجاز ص ١١).

(٣) قوله: «قال الشاعر» قلت قد اختلف في نسبة هذا البيت فقد عزاه بعضهم إلى عمرو بن معدي كرب، وآخرون إلى العباس بن مرداس وآخرون إلى غيرها فانظر مصادر التخريج.

(٤) قول الشاعر: «والسلم تأخذ منها ما رضيت به...» نسبة الماوردي في الأمثال والحكم (الورقة ٣٢٢) إلى عمرو بن معدي كرب، وقد خطأ جامع ديوان عمرو بن معدي كرب هذه

وليعلم أنهم منه على ثلاث مراتب، لكل واحدة منهم حكم، فليكن مع من علا منهم وتقدم على الملائفة والملاينة، ومع من دنا منهم وتأخر على التطاول والمباشرة، ومع من كافأ منهم ومايل على المقابلة والمسألة؛ ليدوم السكون والدعة، وتتم له السلامة والاستقامة؛ فقد قال [أبو] عمرو بن العلاء<sup>(١)</sup>:

من عرف فضل من فوّه عرف فضل من دونه؛ فإن جحد جحد<sup>(٢)</sup>.

= النسبة، ونسبه إلى العباس بن مرداس (مستدرك ديوان عمرو بن معدي كرب - مطبوع في آخر الديوان - ص ١٩١ رقم القطعة ١) والبيت من ديوان العباس بن مرداس الذي جمعه الدكتور يحيى الجبوري (ص ٨٦ رقم القطعة ٢٦) وفي هامشها مظان أخرى للبيت. وقد استشهد به الحسن بن علي في خطبة له بلفظ: «والصلح تأخذ منه ما رضيت به...» (شرح نهج البلاغة ١ / ٢٨٣) وقد أورده الشيخ محمود محمد شاكر مع بيت آخر قبله ونسبها إلى العباس بن مرداس (تفسير الطبري ج ٣ حاشية ص ٢٢٥). وقد أورد العبدلكاني البيت مع بيتين آخرين من حماسة الظرفاء (١ / ٤٤) وذاتك البيتان نسبا إلى خفاف بن ندبة (شعر خفاف بن ندبة السلمي ص ١٣٢، ١٣٥). وورد في اللسان وقبله بيت آخر على أنه من قول العباس بن مرداس يخاطب خفاف بن ندبة (مادة أسب ج ٦ ص ٣ - دار صادر) والبيت غير منسوب في تفسير الكشاف ١ / ١٢٧، وهو في كل هذه الإحالات بلفظ: «السلم» بدون واو.

(١) غ عمرو بن العلاء، والزيادة من ط ومصادر الترجمة.

وأبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازني التحوي القريني أحد القراء السبعة المشهورين، وقد اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولاً. ولد سنة ٧٠هـ وتوفي سنة أربع وقيل تسع وخمسين ومائة وقيل غير ذلك انظر نبذة من أخباره في بغية السوعة ٢ / ٢٣١-٢٣٢ رقم ١٨٦٤ البيان والتبيين ١ / ٣٢٠-٣٢١، معجم الأدباء ١١ / ١٥٧، العبر ١ / ٢٢٣ الفهرست ٤٨، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ٢ / ١٢٩ وفيه مصادر.

(٢) قول أبي عمرو بن العلاء: «من عرف فضل من فوّه... الخ» تجده في الأمثال والحكم (الورقة ١٤٥) بلفظه منسوباً إلى أبي عمرو بن العلاء. وقد وردت أقوال قريبة من هذا المعنى منها قول أبو ريز: «أطع من فوقك» (أدب الدنيا والدين ١٢٠) والإيجاز والإعجاز منسوباً إليه بلفظ: «أطع من فوقك يطعك من دونك» (ص ١٤) وعند ابن المقفع: «وقر من فوقك ولن لمن دونك» (الأدب الصغير ٧٤) ومن حكم القرس: «هب من فوقك هبك من دونك» (التمثيل والمخاضرة ٤٣). وفي غرر الحكم من كلام علي وأطع من فوقك يطعك من دونك» (ص ٤٥) ولفظ: «ومن الحكمة أن لا تنازع من فوقك ولا تستذل من دونك» (ص ٣٠٧) وفي خاص الخاص (ص ٨) بلفظ: «عجبت لمن يرجو من فوّه كيف يحرم من دونه» وهو فيه =

ولا يتبدي بالمنافرة ما وجد منها بدءاً، وإذا ظفر بفرصة انتهزها، ما لم ينقض بينه وبينهم عهداً، فقد قيل في مثور الحكم:

غافص<sup>(١)</sup> الفرص عند إمكانها، وكل الأمور إلى أوليائها ولا تحمل نفسك ما لم يأتك، ولا تحزن على ما فاتك، ولا تعدن وعداً<sup>(٢)</sup> ليس في يدك وفاؤه، ولا تجد في<sup>(٣)</sup> الحرص [تعش]<sup>(٤)</sup> ذا سرور<sup>(٥)</sup>.

وإذا كاشفه العدو بعد المساترة، ونافره بعد المسالمة، وتكافأت قوتاهما كان الحال معتبراً بسيرتهما، وهما فيه على ثلاث أحوال:

= منسوب للحسن بن سهل. وأورده الثعالبي من كلام أبرويز بلفظ «من لم يطع من فوقه لم يطعه من دونه» (غمر اختبار ملوك القرس ٦٩٠).

(١) غافص: المغافصة: المفاجأة والأخذ على غرة.

(٢) ط: وعدا ما ليس.

(٣) غ: من الحرص.

(٤) الزيادة من ط ومن الأمثال والحكم.

(٥) قوهم «غافص الفرص عند إمكانها... إلخ» أورده المؤلف في كتابه الأمثال والحكم (الورقة ٥٠ أ) بنفس لفظه ويطوله. وقد ورد هذا القول في السعادة والإسعاد بلفظ «مكتوب على باب الإسكندرية: يا ابن آدم فصّ الفرصة عند إمكانها، وكل الأمور إلى وليها، ولا يجملتك إفراط الشره على ركوب مآثم، ولا تحمل على نفسك همّ يوم لا تدري أنه من عمرك، ولا تكن أسوة المغرورين بجمع المال، فكم قد رأينا جامعاً مالاً ليعل زوجته، واعلم أن تقصيرك على نفسك توفير لخزائنه غيرك، اندم على الذنب، وإن لا ذنب لك» (ص ١٧٢) وأورده الطرطوشي بلفظ «وجد مكتوباً على حجر: انتهز الفرص عند إمكانها ولا تحمل على نفسك هم ما لم يأتك، واعلم أن تقصيرك على نفسك توفير لخزائنه غيرك، فكم من جامع ليعل حليلته» (سراج الملوك ٩١) وحول اغتنام الفرصة وردت أقوال عديدة منها: «قال أرسطوطاليس: اقتصر من عدوك الفرصة، واعمل على أن الدهر دول، ولا تصادم من كان على الحق، ولا تحارب من كان متمسكاً بالدين. صير الدين موضع ملكك، فمن خالفه فهو عدو لملكك، ومن تمسك بالسنة فحرام عليك ذمه، وإدخال المذمة عليه، واعتبر بمن مضى، ولا تكن عبثة لمن بعده» (مختار الحكم ١٩٣) و«الإمتاع والمؤانسة ٢/ ٦٢» وقال أوشهنج: «الحزم انتهز الفرصة» (الحكمة الخالدة ٨) وقوهم: «تخرج من عدوك الغصة إلى أن تجد منه الفرصة، فإذا وجدتها فانتهزها قبل أن يفوتك الدرك، أو يعينه الهلك، فإن الدول تبتها الأقدار ويهدمها الليل والنهار» (لباب الآداب ٦٣)، قال ابن قتيبة: «قرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه: عليك بالمشاورة... ولا تدع لك في عدوك فرصة إلا انتهزها، ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصنها...» في كلام طويل (عميون الأخبار ٣٠/ ١) ومن كلام ابن المعتز: «تناول الفرصة الممكنة، ولا تنتظر غداً، فمن لغد عن =

أحداها:

أن يكون الملك أعدل من عدوه، وأحسن سيرة في رعيته، فليثق الملك بعدله أنه عون، ورعيته أنهم أنصاره، وليستعن على عدوه بجوره؛ فإنه موهته، وبرعيته، فإنهم خاذلوه، ويكونون<sup>(١)</sup> أعوان الملك عليه، ويقدم على مقارعتة، فإن الرجاء في ظفره أقوى، ما لم يغلب قدر، فقد قيل في مشور الحكم:

العدل أقوى جيش (٥٩ ب) والأمنُ هنا عيش<sup>(٢)</sup>.

والحال الثانية:

أن يكون العدو أعدل من الملك، وأحسن سيرة في رعيته، فليخش على نفسه من عدل عدوه أنه عون، ومن رعيته أنهم أنصاره، وليحذر جور نفسه؛ فإنه موهته، ومن تنكر رعيته، فإنهم خاذلوه، ويحجم عن مقارعتة، فالرجاء في ظفر عدوه أقوى ما لم يغلب قدر، ويدفعه بالمقاربة والحذر، وقد قيل:

= حادث بكفيل؟» (كتاب الآداب ١٨٨ رقم القول ٣٣١) وفي (ص ٢١١ منه) كلام بمعناه. ومن كلام الحارث بن أبي شمر الغساني ملك عرب الشام: «الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود» (الإيجاز والإعجاز ١٥) وفي شرح نهج البلاغة (٤ / ٣٦) من أقوال علي بلفظ: «بادر الفرصة قبل أن تكون غصة» ومن أقواله أيضاً «انتهزوا هذه الفرص فإنها تمر من السحاب» (أدب الوزير ٥٣) و(شرح نهج البلاغة ٤ / ٢٥٢) ويلفظ «إضاعة الفرصة غصة» (شرح نهج البلاغة ٤ / ٢٩١) والعقد الفريد (١ / ١٩٥) وفيه زيادة: «ولا تطلبوا أثرا بعد عين»، وفي موضع آخر نجد من أقوال الحكماء: «رأس العقل مغافصة الفرصة عند إمكانها والانصراف عما لا سبيل إليه» (العقد الفريد ١ / ٢٥٠).

(١) غ: ويكونوا.

(٢) قولهم: «العدل أقوى جيش، والأمن هنا عيش» نسبة الثعالبي إلى أبي الحسن الأهوازي وزير صاحب الصاغالبان بنفس هذا اللفظ (منتخبات سحر البلاغة ص ٨٧)، وأورده في موضع آخر منسوباً إليه بلفظ «العدل أقوى جيش وأهنا عيش» (الإيجاز والإعجاز ص ٢٩). وورد هذا القول غير منسوب في (أحسن المحاسن ١٦١) بلفظ «... والعافية أهنا عيش» وأورد الطرطوشي قولهم في الأمثال: «إصلاح الرعية خير من كثرة الجنود» (سراج الملوك ١١٤). وقد أخرج ابن الجوزي غير منسوب وذلك بنفس لفظه وبزيادة هي قوله: «والولاية إذا لم يعم جوانبها عدل عزل» (المصباح المضيء في خلافة المستضيء ٢ / ٤٥٢).

من أعرض عن الخذر والاحتراس، وبنى أمره على غير أساس، زال عنه العز، واستولى عليه العجز، فصار من يومه في نحس، ومن غده في لبس<sup>(١)</sup>.  
والحال الثالثة:

أن يكون الملك وعدوه متكافئين في العدل والسياسة، فيعتبر أمرهما بحال الزمان والأعوان، فإن كان الزمان صالحاً، فأصلحهما أعواناً أقوى رجاء للظفر؛ لأن صلاح زمانهم مناسب لصلاحهم، فكان عوناً ما لم يغلب قدر. وإن كان الزمان فاسداً فأفسدهما أعواناً أقوى رجاء للظفر؛ لأن فساد زمانهم مناسب لفسادهم، فكان عوناً لهم ما لم يغلب قدر، فيكون الإقدام من الراجي والخذر من الخائف.

فإن استوى الفريقان في الصلاح والفساد، اعتبر بالجد والهزل في الزمان والأعوان؛ فإن كان زمان جد فالرجاء لأهل الجد أقوى، وإن كان زمان هزل فالرجاء لأهل الهزل أقوى، اعتباراً بمناسبة الزمان لأهله، ما لم يغلب قدر.

فإن استوى الفريقان في الجد والهزل فالبادي بالمنافرة بارع، والباغي مصروع ما لم يغلب قدر.

قيل في منشور الحكم:

من سل سيف البيغي اغمده في رأسه، ومن أسس أساس السوء أسسه على (٦٠) نفسه<sup>(٢)</sup>.

(١) قولهم: «من أعرض عن الخذر والاحتراس، وبنى أمره على غير أساس...» مر هذا القول وذكرنا تحريجه في تعليقات موضوع الرهبة من الفصل المسمى (أصل ما تبني عليه السياسة العادلة).

(٢) قولهم: «من سل سيف البيغي اغمده في رأسه...» نجده في كتب الماوردي بلفظه غير منسوب لقاتل فانظر أدب الوزير ١٤ والأمثال والحكم الورقة ٥٥-٦٦، وأدب الدنيا والدين ٣١٤ وكذا نجده في المستطرف ١ / ٢٦ وعده ابن مسكويه من حكم العرب وأمثالهم السائرة بلفظ «من سل سيف البيغي قتل» (الحكمة الخالدة ١٩٨) وهو في مجمع الأمثال ٢ / ٣٢٧، وفي التمثيل والمحاضرة ٤٥٠ بلفظ «من سل سيف البيغي قتل به»، وفي خاص الخاص ٢٦، وأورده ابن الجوزي بلفظه (المصباح المضيء ١ / ٤٦١ وفيه تحريج، وكل أولئك غير منسوب =

قال الشاعر<sup>(١)</sup>: [من الكامل]

والبغي يصرع أهله  
والظلم مرتعه وخيم<sup>(٢)</sup>

= لديهم إلى قائل وقد نسب إلى الإمام علي بلفظ «من أسس أساس الشر أسسه على نفسه ومن سل سيف البغي أغمد في رأسه» غرر الحكم ٢٨٤ ولفظ «من عامل بالبغي كوفى به، ومن سل سيف العدوان قتل به» ص ٢٧٩، ولفظ «من سل سيف العدوان سلب عز السلطان» ص ٢٨٨ ولفظ «من سل سيف البغي قتل به» (شرح نهج البلاغة ٤ / ٣٩٨ وكتاب ٢٠٠٠ كلمة ص ٤٧ رقم ١٠٦٦ وسراج الملوك ص ٢٨ ونهاية الأرب ٨ / ١٨٦ ونسبه الثعالبي إلى فيروز بن يزدجرد وقال: «وكان آخر ما تكلم به لما أشرف على الهلاك في حرب خشنوار ملك الهباطلة: من سل سيف البغي قتل به، ومن أوقد نار الفتنة كان وقوداً لها» (الإيجاز والإعجاز ص ١٤) وأورده الأمير أسامة بن منقذ منسوباً إلى الحكيم أي أرسطوطاليس بلفظ: «ومن سل سيف العدوان سلب عز السلطان...» ضمن كلام طويل (لباب الآداب ٥٦).

(١) قوله: «قال الشاعر» قلت هو يزيد بن الحكم الثقفى، وهو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص الثقفى أحد شعراء الدولة الأموية. شهد له الفرزدق بالمقدرة على الشعر، مدح سليمان بن عبد الملك بعد أن نفس عليه الحجاج حين فخر بأبيه، انظر الأغاني ١١ / ٩٦-١٠١ خزنة الأدب ١ / ١١١، شرح ديوان الحماسة ٣ / ١١٩٠-١١٩٨.

(٢) قول الشاعر: «والبغي يصرع أهله...» ذكره الماوردي في كتابه الأمثال والحكم ونسبه إلى يزيد بن الحكم الثقفى (الورقة ٥٣ أ)، وقد ورد البيت منسوباً إلى يزيد أيضاً في شرح ديوان الحماسة في الحماسية رقم ٤٤٥ ج ٣ ص ١١٩٢ ضمن ٢٣ بيتاً والتذكرة السعدية ١ / ٢٩٣ وفيه تحريج وديوان المعاني ٢ / ٢٤٩ وشطراه من الأمثال السائرة (كتاب الأمثال لأبي الوفاء محمد بن أحمد السالك ص ٤٠) والتمثيل والمحاضرة ٤٥٠ وجمع الأمثال ١ / ٤٤٤ رقم المثل ٢٣٥٣ وفي أمثال أبي عبيد ص ٤ ونسب شطره الثاني إلى حنين بن خشرم السعدي وجاء بنفس لفظه وجاء به مرة أخرى بلفظ «مرتع البغي وخيم» ص ١٥.

وقد ضمن الشطر الثاني الشاعر قيس بن زهير بقوله حين رثى حمل بن بدر بعد أن قتله الربيع بن زياد:

ولكن الفسى حمل بن بدر بغي والبغي مرتعه وخيم

جمع الأمثال ٢ / ١١٦ رقم المثل ٢٩٢٥ وقول قيس هذا في حماسة البحرى ص ١٦٦ وشرح ديوان الحماسة ١ / ٤٢٩، والعقد الفريد - العريان - ٦ / ٢٣ وفي العقد.

فلا تسعى على أحد ببغي فإن البغي مصرعه وخيم

٢ / ١٦٢، وقد نظمه محمد بن عيسى بن طلحة بن عبد الله التيمي وقيل مهلهل بن مالك الكنانى بلفظ:

= ولا تعجل على أحد بظلم فإن الظلم مرتعه وخيم



[٨ - مساواة الملك نفسه مع الرعية]:

وينبغي للملك، وإن كان بالملك مفضلاً، معظماً وبالسلطان مطاعاً مقدماً، أن يساوي بين نفسه ورعيته، في الحق لهم وعليهم، ولا يقدم شريفاً على مشروف، ولا يمايل فيه قوياً على ضعيف، ويعدل بين جمعهم في القضاء، ويجري الحكم على الخاصة والعامة بالسواء؛ فإن الله تعالى قد سوى بين عباده من غير تفضيل، ومائل فيه بين العزيز والذليل.

فإذا اقتدى فيه بأمره، وقام فيه بحقه، وأنصف فيه من نفسه، وحسم مواد الظلم وكف عوادي الغلبة، وتناصف الناس إذا أنصفوا رغباً ورهباً.

وقد قيل في مشور الحكم:

من جارت قضيته، ضاعت رعيته<sup>(١)</sup>.

وسأل ملك ناسكاً عن الإخلاص<sup>(٢)</sup>، فقال الناسك: ثلاث:

أعدل في القضية<sup>(٣)</sup>.

واقسم<sup>(٤)</sup> بالسوية.

واعدد نفسك واحداً من الرعية.

= الحماسة الشجرية ٤٧٠ / ١، ونهاية الأرب ٢٨٩ / ٣، والحماسة البصرية ٤١٤ / ٢. وفي المستطرف غير منسوب بلفظ:

وحق الله إن الظلم لؤم إلى ديان يوم الدين نمضي  
وإن الظلم مرتعه وخيم وعند الله تجتمع الخصوم

(المستطرف ١٠٥ / ١).

(١) سقط هذا الفصل من نسخة ط وبدأ بعد ذكر البيت بقوله: وسأل ملك ناسكاً.

(٢) غ: الخلاص، والصواب ما أثبتناه عن ط.

(٣) غ: أعدل في الرعية. وما أثبتناه عن ط.

(٤) ط: وأعدل بالسوية.

وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه:  
يا أبه ما السياسة؟

قال: هية الخاصة مع صدق محبتها، واستمالة قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الصنائع؛ فإن شكرها لأقرب الأيدي لها<sup>(١)</sup>.

ويتعهد<sup>(٢)</sup> حال الفقير منهم بالبر والصدقة، ويراعي خلة<sup>(٣)</sup> الكريم منهم بالرفد والصلة؛ فإن إحسانه إلى الفقير<sup>(٤)</sup> يشكره عليه الأغنياء، فلقل شكرٌ وقف على الشاكر إلا تعدّاه، ولقل برٌ اختص بالمبرور إلا تخطّاه.

كان الموبدان<sup>(٥)</sup> إذا دخل على أنوشروان يقول<sup>(٦)</sup>:  
يا ملك استنم النعم بالعطف<sup>(٧)</sup> على الرعية، وأهن طعامك بإشباع

(١) قول الوليد لأبيه: «يا أبه ما السياسة؟» رواه ابن قتيبة وهو فيه بلفظه غير أن فيه «يا أبت... واقتياد قلوب العامة...» (عيون الأخبار ١ / ١٠) وأورده النويري بلفظ ابن قتيبة وفيه: «مع صدق مودتها» وسقوط العبارة «فإن شكرها...» (نهاية الأرب ٦ / ٤٣) وقد رواه الأمير أسامة بن منقذ عن المدائني وهو فيه بلفظ «... واقتياد قلوب العامة...» فإن شكرها أقرب للأيدي منها» (تباب الآداب ٣٥) وأورده ابن عبد ربه بلفظ «... مع صدق مودتها» وسقوط العبارة «فإن شكرها...» ولعل النويري قد نقلها منه (أنظر العقد الفريد ١ / ٢٨).

(٢) ط: قال أقصى القضاة في أثناء كلامه في سياسة الملك ويتعهد حال الفقير... .

(٣) ط: ويراعي حال الكريم.

(٤) ط: إلى الفقراء.

(٥) ط: الموبذ، وما أثبتته عن غ قال ابن الأثير: الموبذان للمجوس كقاضي القضاة للمسلمين والموبذ كالقاضي (نهاية الأرب ٤ / ٣٦٩) والموبذ بضم الميم وفتح الباء كلمة مؤلفة من قسمين (مو) بمعنى الدين و(بذ) بمعنى الحافظ والقيم والفقير. والألف والنون في آخره علامة الجمع. وقد وردت أقوال للموبذ أو الموبذان في عيون الأخبار ١ / ٤٧، ٢ / ١٢٩، البيان والتبيين ٣ / ١٣ والعقد الفريد ١ / ٢٨٣ وموبذان موبذ هو رئيس الموبذة (التاج ١٥، ٢٥، ٢٧) (والترجمة والنقل ٢٦٥).

(٦) ط: يا ملك الملوك.

(٧) ط: بالعطف.

(٦٠ ب) الجائع وراء بابك<sup>(١)</sup>، وأنصف الناس من نفسك، وأعط<sup>(٢)</sup> الحق منك يتعاطاه الناس وراء بابك، واحذر<sup>(٣)</sup> النساء، ولا تفتح للسعاة طريقاً<sup>(٤)</sup>.

[وقيل في منثور الحكم]<sup>(٥)</sup>

بالراعي تصلح الرعية وبالعادل تملك البرية.

وينبغي للملك أن يميز أخبار رعيته، فيخصهم<sup>(٦)</sup> بالإكرام والتقريب، ويقمع أشرارهم بالإبعاد والتأديب، ليرغبوا في منازل الأخيار، ويقلعوا<sup>(٧)</sup> عن أخلاق الغاغة<sup>(٨)</sup> الأشرار؛ فإن لم يكونوا على الخير مطبوعين صاروا به مطبوعين؛ فقد يضعف الطبع بالتطبع<sup>(٩)</sup>، وإن لم يزل، وتتغير الأخلاق بالتصنع، وإن لم تحد؛ فقد قيل:

ليس في الطبع أن يكون ما ليس في التطبع.

وفرق<sup>(١٠)</sup> ما بينهما: إن الطبع جاذب متفاعل<sup>(١١)</sup>، والتطبع مجذوب مفتعل، تتفق نتائجها مع التكلف، ويفترق<sup>(١٢)</sup> تأثيرها مع الاسترسال، فيظهر<sup>(١٣)</sup> الطبع ويزول التطبع.

(١) ط: وراء بابك والتحف بالأمن بإنصاف الناس.

(٢) ط: يا ملك أعط الحق من نفسك معاطاة الناس.

(٣) ط: يا ملك واحذر النساء. وقد سقطت العبارة (ولا تفتح للسعاة طريقاً) من نسخة ط.

(٤) يمثل هذه الوصية نجد الفضل بن سهل يوصي المأمون في سراج الملوك ١٤٤.

(٥) الزيادة من ط.

(٦) ط: فيستحبهم.

(٧) ط: وتقلعوا.

(٨) الغاغة: الجمع الكثير المختلط من الناس، يقال تغاغى عليه الغوغاء ركبه بالشئ. (معجم متن اللغة ٣٤١/٤) والغوغاء من الناس الذين لا نظام لهم معروف، وأخذ من غوغاء الذباب وهو إذا مزج بعضه بعضاً قبل أن يطير (جمهرة اللغة ١/١٨٥).

(٩) ط: فقد يضعف الطبع وتتغير الأخلاق بالتصنع وإن قيل: ليس في الطبع...

(١٠) ط: قال: وفرق.

(١١) غ: جاذب منفعل.

(١٢) غ: ويفرق بتأثيرهما.

(١٣) ط: فيستقر الطبع.

وتعليل هذا الفرق يقتضي<sup>(١)</sup> أن يأمن أهل الورع<sup>(٢)</sup> والسلامة خوف عقوبته اكتفاء بزواجر طباعه<sup>(٣)</sup> في الخير، ويخاف أهل البذاء<sup>(٤)</sup> والزعارة<sup>(٥)</sup> بادرة سطوته؛ ليكون الخوف زاجراً لطباعهم عن الشر فيشاكل<sup>(٦)</sup> الفريقين في طلب الخير، وتوقى الشر طبعاً وتطبعاً؛ فإنه مندوب إلى صلاح<sup>(٧)</sup> المهج وتقويم العوج.

قال بعض الحكماء:

انقياد الأخيار بحسن الرغبة، وانقياد الأشرار بطول الرهبة<sup>(٨)</sup>.

- (١) غ: ينبغي أن.
- (٢) غ: أهله الوري.
- (٣) ط: طباعهم في الخيرات.
- (٤) غ: النداء، والبذاء بالمد: الفحش.
- (٥) الزعارة بتشديد الراء: شراسة الخلق.
- (٦) ط: فتشاكل الفريقان.
- (٧) ط: إلى إيضاح المنهج.
- (٨) قولهم: «انقياد الأخيار بحسن الرغبة، وانقياد الأشرار بطول الرهبة» تجده في أحاسن المحاسن ١٦٤ بلفظ «... بقوة الرهبة» غير منسوب وفي مختار الحكم: «قال أفليمون لأصحابه: عاملوا الأحرار بمحض المودة والرعية بالرغبة والرهبة، والسفلة بالمخافة والصغار» ص ٢٩٩، وفي غرر السير ٤٨٣ بلفظ: «الملوك يؤدبون بالهجران ولا يعاقبون بالحرمان» وانظر أقوالاً لأردشير ملحقة بكتاب عهد أردشير ص ١٠٠ الفقرة ٢٢، وورد بلفظ «إن الملوك يؤدبون...» منسوباً إلى ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله الحمداني في الإيجاز والإعجاز ص ٢٣ وخص الخاص ص ٥٢، وكان أنوشروان يكتب على عهد العمال: «س خيار الناس بالمحبة وامزج للعامه الرغبة بالرهبه، وسس سفلة الناس بالإخافه» سراج الملوك ١٤٢-١٤٣ وهو من توقيعاته في السعادة والإسعاد ٣٠٢ ونهاية الأرب ٦ / ٤٤، وربما نسب إلى بزرجهر بلفظ «وعاملوا أحرار الناس بصفو المودة وعاملوا العامة بالرغبة والرهبه وعاملوا السفلة بالمخافه صراحاً» (لباب الآداب ص ٣٩) وانظر الترجمة والنقل عن الفارسية ١ / ١٠٨ و ١١٥ و «عقوبة الأحرار بالتعريض، وعقوبة الأشرار بالتصريح» سراج الملوك ٧٦. وفي لباب الآداب أنه «غضب كسرى على رجل من أصحابه فأمر بحبسه وقطع ما كان جارياً عليه فقال له بزرجهر: إن الملوك تؤدب بالهجران ولا تعاقب بالحرمان» (ص ٣٧)، ونقل المؤلف من كلام أردشير: «عاملوا أحرار الناس بالمودة محضاً، فإنهم لا يحتلمون الهوان، وعاملوا العامة بالرغبة والرهبه، وعاملوا السفلة بالرهبه صراحاً» (نصيحة الملوك للموردي - مخطوط - الورقة ٦٢ب).

ووقع أنوشروان إلى عماله: تفقدوا أمور الرعية فسدوا فاقة أحرارها<sup>(١)</sup>، وامنعوا<sup>(٢)</sup> بظر أشرارها؛ فإنما يصول الكريم إذا جاع، واللثيم إذا شبع<sup>(٣)</sup>.  
وقيل<sup>(٤)</sup>:  
من أبطرته النعمة وقره زوالها<sup>(٥)</sup>.

قال الشاعر: (٦١) [من الطويل]  
إذا كنتم للناس<sup>(٦)</sup> في الأرض سادةً  
فسوسوا كرام الناس بالحلم والبذل  
وسوسوا لئام الناس بالذلّ وحدّه  
جميعاً فإنّ الذلّ يصلح للذلّ<sup>(٧)</sup>

- (١) ط: إفاقة أختيارها.  
(٢) ط: وامنعوا من نظر لئامها.  
(٣) قوله: «ووقع أنوشروان إلى عماله: تفقدوا أمور الرعية...» أورده ابن المقفع دون أن ينسبه لقتال، وهو عنده بلفظ: «ليتفقد الوالي فيما يتفقد من أمور الرعية فاقة الأحرار منهم فليعمل في سدها، وطغيان السفلة منهم فليقمعه، وليستوحش من الكريم الجائع واللثيم الشبعان، فإنما يصول الكريم إذا جاع، واللثيم إذا شبع» (الأدب الكبير ١١٦ وضمن رسائل البلغاء ٥٢-٥٣) وقد وردت مقاطع منه متفرقة: قال أفلاطون: «اتقوا صولة الكريم إذا جاع وبظر اللثيم إذا شبع» (مختار الحكم ١٣٩) وفيه من أقوالهم: «استوحش من الكريم المهان ومن اللثيم المكرم، فإن الكريم يصول عند الجوع، وإن اللثيم يبظر عند الشبع» ص ٣٥٥ وقد أورد المؤلف قولاً منسوباً إلى أردشير بن بابك بلفظ «احذروا صولة الكريم إذا جاع واللثيم إذا شبع» (أدب الوزير ١٧) وهو من أقوال علي في غرر الحكم ٧٣ وشرح نهج البلاغة ٤ / ٢٦٥ وكتاب ألفي كلمة ص ٧ رقم ٨٦ وهو من أمثال العرب في ثمار القلوب ٦٨١، وديوان المعاني ٢ / ٩٠ ونهاية الأرب ٦ / ١٠٤، وهو من أمثال الفرس في التمثيل والمحاضرة ٤٣.  
(٤) ط: وقال بعض الحكماء.  
(٥) قولهم: «من أبطرته النعمة وقره زوالها» أورده المؤلف بلفظه غير منسوب لقتال في أدب الوزير ص ٨ ومن كلام علي: «من لم يشكر النعمة عوقب بزوالها» (غرر الحكم ٢٧٤).  
(٦) ط: في الأرض للناس.  
(٧) قول الشاعر: «إذا كنتم للناس في الأرض سادة...» استشهد الماوردي بهذين البيتين مع بيتين آخرين وإن معناها مأخوذ من قول أردشير وإليك نص ما قال: «قالوا: وقد قال أردشير: عاملوا أحرار الناس بالمودة محضاً، فإنهم لا يحملون المهوان، وعاملوا العامة بالرغبة =

ويراعي أهل النسك والصلاح<sup>(١)</sup>، يؤدي حق الله تعالى فيهم وحق نفسه في موافقتهم، يجعل أقدارهم، ويعظم أخطارهم؛ لأنهم أهل الآخرة التي هي أشرف من الدنيا داراً، وأعزّ منها جواراً، ليعترف لله بحقوق أوليائه، وللدين بحقوق زعمائه، فإن من الديانة إعظام أهل الدين، وأن يرجع إليهم في ما أمروا به ونهوا عنه.

وليصلح من دينه ما اختل، ومن دنياه ما اعتل؛ فإنهم لا يأمرن إلا بطاعة، ولا ينهاون إلا عن معصية.

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:  
«استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا»<sup>(٢)</sup>.

== والرهبة، وعاملوا السفلة بالرهبة صراحاً، فأخذ هذا المعنى بعض المحدثين فجعله شعراً فقال:

إذا كتتم للناس أهل سياسة فسوسوا كرام الناس بالرفق والبلذ  
وسوسوا لثام الناس بالذل يصلحوا على الذل إن الذل يصلح للذل  
وكونوا لأوساط الرجال كمازج ذعافاً وماذياً كأحلي جنى النحل  
ولينوا لهم طوراً ببسط كرامة وخلوهم طوراً قياماً على رجل  
انظر نصيحة الملوك للماوردي - مخطوط - الورقة ٦٢ ب.

(١) لخصت نسخة ط هذا القول ولفظها كما يلي: قال أفصى القضاة: ويراعي أهل النسك والصلاح ببخصال ثلاث يؤدي بهم حق الله تعالى فيهم وحق نفسه في موافقتهم: إحداهن: أن يجعل أقدارهم ويعظم أخطارهم؛ لأنهم من أهل الآخرة التي هي أشرف من الدنيا داراً وأعزّ منها جواراً، ليعترف الله بحقوق أوليائه وللدين بحقوق زعمائه، فإن من الديانة إعظام أهل الديانة.

والخصلة الثانية: أن يرجع إليهم في ما أمروا به ونهوا عنه ليصلح بهم من دينه ما اختل ومن دنياه ما اعتل، فإنهم لا يأمرن إلا بالطاعة، ولا ينهاون إلا عن معصية.

والخصلة الثالثة: أن يتقرب إليهم بطاعة الله في خلقه، والقيام فيهم بحقه ليكونوا له حزباً وعلى أعدائه لبياً، يملك بهم القلوب ويستدفع بهم الخطوب فقد قيل لرسول الله عليه الصلاة والسلام: «إن الرجل ليعمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل البشرى - كذا - إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله فانظروا ما يتبعه من ثناء الناس؛ ومن يتدع ما ليس من خيم نفسه... إلخ.

(٢) حديث: «استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا» رواه الخطيب في رواية مالك عن أبي هريرة في حديث ضعيف (الجامع الصغير ١ / ٤٠) وانظر شرحه في التيسير ١ / ١٤٦، والحديث في أدب الوزير ٥٢.

وأن يتقرب إليهم بطاعة الله في خلقه، والقيام فيهم بحقه؛ ليكونوا له حزباً، وعلى أعدائه إلباً<sup>(١)</sup>، يملك بهم القلوب، ويستدفع بهم الخطوب، فقد قيل لرسول الله [صلى الله] عليه وسلم: إن الرجل يعمل العمل لله تعالى ويحبه الناس؟

فقال:

«تلك عاجل البشرى إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند الله تعالى فانظروا ما يتبعه من ثناء الناس»<sup>(٢)</sup>.

ولا ينبغي أن يتصور في قوم منهم رياء أو سمعة، فيسقطه بها فيسري ذلك إلى جميعهم، فإن التظاهر بالصلاح أجل من التظاهر بالصلاح، وقد أعطى من الأحكام بمظاهرتة شطراً، واستبقى منه في الباطن شطراً، وهما يتنافران كتنافر الطبع والتطبع، حتى يغلب أحدهما على الآخر، فتصح سريرته فيسلم، أو تفتضح علانيته فيسقم؛ فإن تدليس الرياء لا يستمر، حتى ينتهي إلى غاية من صلاح أو افتضاح، كالمريض الذي يفضي مرضه إلى سلامة أو عطب فقد قيل:

قيل:

من طمع أن يذهب على (٦١ب) الناس عيبه فقد جهل<sup>(٣)</sup>.

(١) إلب - بفتح الهمزة وبكسرهما - أي مجتمعون «يقال: هم عليه ألبٌ وألبٌ واحد، مجتمعون» (قاموس مادة ألب ١ / ٣٨).

(٢) حديث «تلك عاجل البشرى...» رواه مسلم عن أبي ذر بلفظ «قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت الرجل يعمل من الخير ويحمده الناس عليه وفي رواية يحبه الناس عليه قال: تلك عاجل بشرى المؤمن» انظر مشكاة المصابيح ٢ / ٦٨٣ رقم ٥٣١٧ قال الشيخ عبد الغني النابلسي: «حديث الرجل يحب قوماً وفي رواية الرجل يعمل العمل من الخير وتحبه الناس... إلخ أخرجه مسلم في البر والصلة عن يحيى بن يحيى وأبي الربيع وأبي كامل وأبو داود في الأدب عن موسى بن اسماعيل وابن ماجه في الزهد عن عماد بن بشارة (ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث ٣ / ١٦٥ رقم ٦٩٣٩) وهو فيه من أحاديث أبي ذر الغفاري. وانظر رسالة الأخلاق لابن حزم ص ١٣.

(٣) قوله: «من طمع أن يذهب على الناس عيبه فقد جهل»، ورد هذا القول في ط بعد البيت التالي وهو قوله «ومن يتدع ما ليس...» وقد جاء من أقوال بزرجمهر لكسرى في كتابه له، =

قال الشاعر<sup>(١)</sup>: [من الطويل]

ومن يتدع ما ليس من خيم نفسه

يدعه ويغلبه على النفس خيمها<sup>(٢)</sup>

فليعمل على الظاهر لمن تظاهر بالصّلاح؛ فليس للناس من الناس إلا  
ظواهرهم، ويتولى الله سرّاتهم.

في هذا المعنى قوله: «وينبغي لذوي السلطان أن يعلموا أنهم لا يقدرّون على ألا تنطق العامة  
بمعيوبهم وألا يتعنّوا - أي يتجشموا - من ألا يبصر الناس ما فيهم، وليكن اجتهادهم في ألا  
يكون لهم عيب ولا سبيل للفتنة عليهم»، (الحكمة الخالدة ٤٦)، وسئل أنوشروان: «أي  
علم الوالي أنفع له؟ قال: أن يعلم أنه لا قدرة له على سد أفواه الناس عن عيوبه ومساوئه،  
فعند ذلك لا يلتبس إسكاتهم بالوعيد والغلظة، ولا يلتبس رضاهم وانتقاهم عن ذكر  
مساوئه وعيوبه إلا بإصلاح تلك العيوب عن نفسه ورأيه وأخلاقه» (الحكمة الخالدة ٥٥)،  
ومن كلام أردشير: «اعلموا أنكم لستم على ختم أفواه الناس قادرين ولا قدرة لكم على أن  
تجعلوا القبيح حسناً»، (عهد أردشير ٧٠).

(١) قوله: «قال الشاعر» قلت نسب هذا البيت لأكثر من شاعر فهو تارة لكثير وأخرى لسليمان  
بن مهاجر وثالثة لخالد بن عبد الله الطامي ورابعة لحاتم الطائي وخامسة للأعور الشني،  
انظر التخرّيج.

(٢) قول الشاعر: «ومن يتدع ما ليس من خيم نفسه.»، نسبة الماوردي في الأمثال والحكم،  
الورقة ٥٤ب، إلى كثير، وقد ورد منسوباً إليه في عيون الأخبار ج٢، ص ٥، وهو عنده  
بلفظ «ومن يتدع ما ليس من سوس نفسه»، والسوس والخيم بمعنى الطيبة، وقد ورد في  
اللسان (مادة خيم)، والحماسة البصرية (٢ / ١٧٣)، وفيها تخرّيج، ونسبه إلى كثير بن أبي  
جمعة، وقد نسبه البحري إلى سليمان بن المهاجر وأورده بلفظ «ومن يتدع ما ليس فيه  
سجية»، ونسبه المبرد إلى خالد بن عبد الله الطامي وأورده مع ثلاثة أبيات أخرى،  
وهو عنده بلفظ «ومن يتدع خيماً سوى خيم نفسه»، قال ويقال لحاتم الطائي، انظر  
الفاضل ص ٤٠، وهو في الحماسة لحاتم ٤ / ١١٧ / ولم يوجد في ديوانه وفي الكامل ١ / ١١  
عن أم الهيثم، وأورده صاحب الوساطة منسوباً إلى الأعور الشني (ص ١٥٦). وقد روى  
جامع أشعار الأعور الشني، بشر بن منقذ بيتين بهذا المعنى بلفظ:

ومن يقتصر خلقاً سوى خلق نفسه يدعه وتغلب عليه الطبائع

وأدوم أخلاق الفتى ما تشأ به وأقصر أفعال الرجال البدائع

انظر بشر بن منقذ الشني - أخباره وما تيسر من شعره لضياء الدين الحيدري مجلة البلاغ،  
العدد الأول، السنة الخامسة ١٣٩٤-١٩٧٤، ص ٣١، وفيه تخرّيج. وقد ورد غير منسوب في  
العقد الفريد، ج٢، ص ٢٤، وج٣، ص ٣، والكامل ١ / ١٧، وهو فيه بلفظ «ومن  
يتخذ».



وقد روي<sup>(١)</sup> عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:  
«الناسُ كأسنانِ المشطِ، وإنما يتفاضلون بالعلانية»<sup>(٢)</sup>.  
فليعظم<sup>(٣)</sup> حق علانيتهم، وليكل ضمائرهم إلى عواقبها فيستجلي<sup>(٤)</sup>  
عن أحد الأمرين، فقد روى عن النبي عليه السلام أنه قال:  
«المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور»<sup>(٥)</sup>.  
يعني [بالمتشبع بما لا يملك]<sup>(٦)</sup> المتظاهر بما ليس فيه، [وقوله:]<sup>(٧)</sup>  
«كلابس ثوبي زور» هو الذي يلبس ثياب<sup>(٨)</sup> الصلحاء ويفعل أفعال الطلحاء.  
روى أبو هريرة قال:

- (١) ط: وروي سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم..  
(٢) حديث «الناس كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعلانية»، أخرجه الديلمي عن سهل بن سعد وفيه «وإنما يتفاضلون بالعافية»، وفيه زيادة «انظر كشف الخفاء ٢ / ٤٥١، رقم (٢٨٤٧)، وكنوز الخلائق من حديث خير الخلائق ٢ / ١٣٣. وفي نسخة ط: الناس سواء كأسنان المشط.. قال أبو الوفاء محمد بن أحمد البساک في معناه «أي متساوون في النسب»، وهو عنده مثل من الأمثال (كتاب الأمثال ٤٢)، وفي التمثيل والمحاضرة بلفظ «وإنما يتفاضلون بالتقوى» (ص ٢٣، وص ٣٠١)، وانظر مجمع الأمثال ١ / ٣٢٩، رقم ١٧٧١.  
(٣) ط: قال أفضى القضاة في أثناء كلامه.  
(٤) غ: فسینجلي عن أحد أمرين.  
(٥) حديث: «المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور»، متفق عليه من حديث أسماء بنت أبي بكر، بلفظ «بما لم يعط»، انظر صحيح البخاري ٣ / ١٧٣، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٤ / ١١١، وأخرجه مسلم أيضاً عن عائشة ١٤ / ١١٠، وقد رواه أبو داود عن أسماء (سنن ٤ / ٢٩٩-٣٠٠)، والترمذي عن جابر (سنن ٣ / ٢٥٥-٢٥٦)، وهو فيه بلفظ «ومن تحلى بما لم يعطه كان كلابس ثوبي زور»، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط والبخاري عن سفيان بن عبد الله الثقفی عن أبيه أن النبي (ص) قال: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»، مجمع الزوائد ٨ / ٩٨، ورواه غيرهم عن جابر وأبي هريرة مرفوعاً بلفظ «من تحلى بباطل كان كلابس ثوبي زور»، وعن عائشة والثوري، انظر كشف الخفاء ٢ / ٣٣٢، رقم ٢٤٣٥، والمقاصد الحسنة ٤٠٧، رقم ١١٠٠، ورواه أحمد (الجامع الصغير ٢ / ١٨٥، والتيسير ٢ / ٤٥٤، وذخائر الموارث ٤ / ١٧٩) وهو في أدب الدنيا والدين ٩٤، ومجمع الأمثال ٢ / ١٥٠، رقم ٣٠٧٢، والتمثيل والمحاضرة ٢٣.  
(٦) الزيادة من ط.  
(٧) الزيادة من ط.  
(٨) ط: لباس الصلحاء ويعمل عمل.

مرّ النبي عليه السلام على ناس وهم جلوس فقال:  
«ألا أخبركم بخيركم من شركم؟»  
فسكتوا.

فقال ذلك ثلاث مرات.

فقال له رجل: بلى يا رسول الله.

فقال:

«خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره  
ولا يؤمن شره»<sup>(١)</sup>.

[ ٩ - رعاية العلم ومراعاة العلماء ]:

وأما العلم فينبغي للملك أن يعرف فضله، ويستبطن أهله؛ لأنهم  
للدين أركان، وللشرع أعوان، والدين أس الملك ونظامه، وقد قاموا فيه  
بحقه، ونابوا عن الملك في حفظه، ولولاهم لما عرف حق أمر من باطله،  
ولا صحة حكم من فاسده، فليحفظ الملك نظام ملكه بمراعاتهم، وليستظهر  
لدينه وملكه باستبطنهم؛ ليكون بالعلم موسوماً، وإليه منسوباً؛ فإن الإنسان  
موسوم بسيما من قارب، ومنسوب إليه أفاعيل من صاحب؛ ولذلك قال النبي  
عليه السلام:

[ «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه السلام: ]<sup>(٣)</sup>

«المرء مع من أحب»<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث «مر النبي عليه السلام على ناس وهم جلوس...»، لم يرد في ط، وقد رواه أبو يعلى  
عن أنس، (كشف الخفاء ١ / ٤٧٢، رقم ١٢٥٢)، ورواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة،  
(الجامع الصغير ٢ / ١٢)، وانظر التيسير ١ / ٥٣٤.

(٢) حديث «المرء على دين خليله...» مرّ تخريجاً سابقاً.

(٣) الزيادة من حاشية الأصل غ، ومن ط.

(٤) حديث «المرء مع من أحب» متفق عليه من حديث أنس وأبي موسى الأشعري وابن مسعود،  
(كشف الخفاء ٢ / ٢٨٣، رقم ٢٢٨٤)، والمقاصد الحسنة ٣٧٩، رقم ١٠١١، ورواه  
كثيرون (الجامع الصغير ٢ / ١٨٥).

وقالت الحكماء:

يظن بالمرء ما ظن بقربينه<sup>(١)</sup>.

وقد يخص الملوك من هذا بما يباينون (٦٢٢) به من سواهم؛ لخفاء أحوالهم عن الرعية، فيقضون عليهم بما علموه من أحوال بطائنتهم:

فإن استبطنوا العلماء قضوا عليهم بالعلم، وإن جهلوا.

وإن استبطنوا الجهال قضوا عليهم بالجهل، وإن علموا.

وليصر بمكانرتهم مستظهِراً، وبمذاكرتهم مستبصراً، وهم أنفع له في دينه ودينياه؛ لأنهم في الدين دعاة، وفي الدنيا هداة، مع ما ينشر من الفساد بإهمال العلماء، وترك مراعاتهم، وذلك أنهم ربما بعث بعضهم قلة المادة، وضعف الحال على مسامحة النفس والتبذل، وارتكاب الشبهة.

فإذا وافق ذلك إعراض السلطان عنهم فتحت آثارهم عند العامة، وتقاصرت رتبهم عند الخاصة، فهجروا هجر الأعداء، وزجروا زجر السفهاء، ثم سرى ذلك في خواصهم ومتصونيتهم، وعم في خيارهم ومتدينيتهم؛ لأن نقص الجنس يسري فيه، فذهبت بهجة العلم وبهاؤه، وقل طلابه وعلمائؤه، وصار ذريعة إلى انقراضه ودراسته.

ثم لا يبعد أن يظهر أهل نحل مبتدعة، ومذاهب مخترعة، يزوقون كلامهم مموهاً، ويزخرفون مذهباً مشوهاً؛ لأن ما صحَّ من المذاهب قد اعتقد، وما سلم منها قد استقر، ولذلك قال النبي عليه السلام:

«خير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها»<sup>(٢)</sup>.

فهم لا يستحدثون إلّا ما ابتدعوه، ولا ينصرونه إلّا بما اخترعوه،

(١) قولهم: «يظن بالمرء ما ظن بقربينه»، ورد في أدب الدنيا والدين ١٥١، وهو من أمثال المولدين (مجمع الأمثال ٢ / ٤٢٩)، وهو فيه بلفظ «ما يظن بقربينه».

(٢) في الأصل غ: خير الأمور عوامها. . وقد سقط من ط. وحديث «خير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها»، رواه الديلمي (كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق ١ / ١٢٥).

يعدلون به عن ظاهر جلي إلى باطن خفي، يجلبون به قلوب الأعوام، ويعتضدون على نصرته بالغاغة الأشرار، فيشعرهم أنهم أظهروا لهم الحق بعد كمونه، وأوصلوهم إلى ما استأثر الله به دينه، فيصبوا إليهم الغر المختدع، ويميل معهم الجاهل المتبع، إلى أن يتكاثر جمعهم بخلافة كلامهم<sup>(١)</sup>، ولطف بيانهم (٦٢ب) مع أن لكل جديد لذة، ولكل مستحدث صبوة، وقد قال النبي عليه السلام:

«إن من البيان لسحراً»<sup>(٢)</sup>.

و[قال]<sup>(٣)</sup>:

«إن أخوف ما أخاف على أمتي مناقع عليم اللسان»<sup>(٤)</sup>.

فتصير البدع حينئذ فاشية، ومذاهب الحق واهية، ثم يفضي بهم الأمر إلى التحزب، ويؤول إلى التعصب؛ لأن لكل مذهب شعاراً، ولكل شعار أنصاراً، ولكل أنصار صولة، ولكل صولة دولة، فإذا رأوا ظهور شعارهم وكثرة أنصارهم، داخلهم عزة القوة، ونخوة الكثرة، فتضافر جهال نساكهم، وفسقة علمائهم بالميل إلى مخالفتهم.

فإذا استتب ذلك لهم، رابحوا<sup>(٥)</sup> السلطان في رياسته، وقبحوا عند العامة جميل سيرته؛ فربما انفتق منه ما لا يرتقى؛ فإن كبار الأمور تبدو صغاراً، وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال:

«أهلك أمتي رجلان: عالم متهتك، وجاهل متنسك».

(١) غ: كما لهم.

(٢) حديث «إن من البيان لسحراً»، رواه مالك وأحمد والبخاري وأبو داود والترمذي بحديث صحيح (الجامع الصغير ١/٩٨)، وكشف الخفاء ١/٢٩٦، رقم ٧٨٠، والمقاصد الحسنة ١٢٩، رقم ٢٥٥، وهو لديهم عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما، وانظر سنن أبي داود ٤/٣٠٢ و٣٠٣، رقم ٥٠٠٧ و٥٠١١.

(٣) الزيادة ليست في غ، ولا في ط.

(٤) حديث «إن أخوف ما أخاف على أمتي مناقع عليم اللسان»، رواه الإمام أحمد بحديث صحيح (الجامع الصغير ١/٨٧)، وكنوز الخلائق ١/١٠، عن عمر رضي الله عنه.

(٥) غ: راحوا.

وسئل عن شرار الأشرار فقال:

«شرار العلماء»<sup>(١)</sup>.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:  
قسم ظهري رجلاً: ناسك جاهل يدعو إلى الجهل بنسكه، وعالم  
فاسق يدعو إلى الفسق بعلمه<sup>(٢)</sup>.

وقد قال المنصور في عهده إلى ابنه<sup>(٣)</sup>:  
وكل همومك بأمورك، وتفقد الصغير بعد الكبير، وخذ أهبة الأمر قبل  
حلولة؛ فإن ثمرة التواني الإضاعة، وكن عند رأس أمرك لا عند ذنبه؛ فإن  
المستقبل لأمره سابق، والمستدبر له مسبوق.

(١) حديث «أهلك أمي رجلاً..» تجده في إحياء علوم الدين ٦ / ٦٣، بلفظ «هلك أمي علم  
فاجر وعابد جاهل وشر الشرار، شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء»، قال زين الدين أبو  
الفضل عبد الرحيم العراقي: «أخرجه الدارمي من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه  
مرسلاً، (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ٦ / ٦٣).

(٢) قول الإمام علي: «قسم ظهري رجلاً.. إلخ»، أورده ابن أبي الحديد في مستدركه على  
نهج البلاغة بلفظ «قسم ظهري رجلاً: جاهل متنسك وعالم متهتك»، (شرح نهج البلاغة  
٤ / ٥٤٤)، وأورده عبد الواحد الأمدي ضمن كلماته بلفظ «ما قسم ظهري إلا رجلاً:  
عالم متهتك وجاهل متنسك، هذا ينفر حقه بهتكه، وهذا يدعو إلى باطله بنسكه»، (غرر  
الحكم ٣١٢)، ونسبه الطرطوشي في سراج الملوك إلى جعفر الصادق وهو عنده بلفظ «قطع  
ظهري وأفسد الدين رجلاً: جاهل ناسك، وعالم فاجر، هذا يدعو الناس إلى جهله بنسكه  
وهذا ينفر الناس عن علمه بفسقه»، ونجد معنى هذا الكلام في كلام طويل للإمام علي، في  
نهج البلاغة (شرح نهج البلاغة ١ / ٩٤).

(٣) قوله: «وقد قال المنصور في عهده إلى ابنه..» هو عهد أبي جعفر المنصور إلى ابنه محمد  
المهدي الذي قال فيه: «هذا ما عهد به عبد الله أمير المؤمنين إلى المهدي محمد بن أمير  
المؤمنين ولي عهد المؤمنين حين أسند وصيته إليه بعده، واستخلفه على الرعية من المسلمين  
وأهل الذمة، وحرّم الله خزائنه وأرضه التي يورثها الله من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.  
إن أمير المؤمنين يوصيك بتقوى الله في البلاد والعمل بطاعته في العباد.. في كلام طويل،  
انظر تاريخ اليعقوبي ج٢، ص ٤٧٢-٤٧٤، وقد نقله عن الدكتور حسن إبراهيم حسن في  
تاريخ الإسلام السياسي (ط٥، ج٢، ص ٤٣٧-٤٣٨)، ومن هذا العهد نجد نقولاً،  
انظر المصباح المضيء في خلافة المستضيء، ص ٤٠٢، وتاريخ الطبري ٣ / ١٠ / ٤٠٣،  
والوزراء والكتاب ١٢٦، وسراج الملوك ٢٠٠

قال الشاعر: (١) [من الخفيف]

إِنَّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةً فَاحْذَرْنَهَا  
لَا تَبِيْتَنَّ قَدْ أَمَنْتَ الدَّهَوْرَا  
شَطٌّ وَصَلُّ الَّذِي تَرِيدِينَ مَنِّي  
وَصَغِيرُ الْأُمُورِ يَسْجُنِي الْكَبِيرَا (٢)

وهذا أمر يجب على الملك مراعاته، لما فيه من حراسة الدين وحفظ المملكة.

وحسم ذلك: أن يراعي العلم وأهله، ويصرف إليهم حظاً من عنايته (٦٣٣) ويعتمد أهل الكفاية منهم بالتقريب والصيانة، وأهل الخلة منهم بالبر والمعونة؛ ليكون العلم به أنشر، والتوفر عليه أكثر، والناس له أشكر؛ ففي ذلك بهاء الملك وإعزاز الدين وخلود الذكر.

(١) قوله: «قال الشاعر» قلت هو عدي بن زيد العبادي التميمي، من دهاة الجاهلية وشعرائها قتله النعمان بن المنذر في سجنه بالحيرة وعده القرشي من أصحاب المجهرات، انظر ترجمته وأخباره في الأغاني ٩٧/٢، خزنة الأدب ١/١٨٤، الشعر والشعراء ١١١، طبقات فحول الشعراء ١١٥، ١١٧، ١١٨، شعراء النصرانية ٤٣٩، معجم الشعراء ٨٠، جبهة أشعار العرب ١٧٨، وديوانه قد طبع بعناية زميلنا الأستاذ محمد جبار المعيد في بغداد ١٩٦٥، وربما نسب لابنه.

(٢) قول الشاعر: «إن للدهر صولة..» إلى آخر البيتين، ذكرهما الماوردي في كتابه الأمثال والحكم (الورقة ٢٥ب)، ونسب الأول إلى سويد بن عدي بن زيد ولم يذكر القائل للثاني، وجاءت قافية الثاني فيه بلفظ (الكبارا) واستشهد بالأول في كتابه أدب الوزير، ص ٢١ دون أن يعزوه إلى قائل، والبيتان في ديوان عدي بن زيد، ص ٦٤، ضمن القصيدة التي قالها عدي في سجنه يذكر النعمان به، وفيه تحريج (ص ٢١٢).  
وقد ورد الأول في شرح نهج البلاغة وقد أتى به بلفظ: «إن للدهر صرعة..» مع بيت آخر بعده هو قوله:

قد بييت الفتى معاني فيسر دي وقد كان آمناً مسروراً  
في قصة بين سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه والحرقه بنت النعمان، أو الحرقاء، عند المسعودي، ونسب البيتين إلى عدي (٣١٧/٤)، وفي المستطرف بلفظ «إن للدهر صرعة..»  
قد أمنت السروراء، (٥٩/٢) والأول مع ثلاثة أبيات في الزهرة (النصف الأول ١٠٩)،  
منسوبة إلى عدي بن زيد، والأول في خزنة الأدب (بولاق ١٢٩٩، ج ١، ص ٣٤٣)،  
منسوبة إلى سودة بن عدي بن زيد، وانظر مروج الذهب ١/٢٩٦.

وقد قيل :

إن من إجلال الشريعة أن يجلَّ أهل الشريعة<sup>(١)</sup>، ليكون المعروف من شيمه، والمألوف من أخلاقه أنه يكافيء المحسن بالإحسان إليه؛ ليألف الناس الإحسان رغبة في الجزاء من غير أن يجعل لجائزته حداً، ولصلته قدراً؛ فإن ذلك أبسط للأمل فيه، ولا يعرف منه في المسيء شيمة مألوفة في عفو ولا عقوبة؛ لأن المسيء إن عرف منه العفو اجترأ، وإن عرف منه العقوبة قنط، وإن لم يعرف منه واحداً منهما كان على رجاء من عفوهِ وخوف من عقوبته، فإن ذلك<sup>(٢)</sup> أبلغ في تأديبه ومصالحته.

فإن رآه للعفو أهلاً عفا عنه.

قال النبي عليه السلام :

«عفو الملك بقاء الملك»<sup>(٣)</sup>.

وإن رآه للعقوبة أهلاً مستحقاً عاقبه أدباً له لا غضباً عليه.

قال أنوشروان :

إنني بلغت هذه الرتبة بثماني خصال :

وذلك :

(١) قوله: «إن من إجلال الشريعة أن يجلَّ أهل الشريعة»، أورده الإمام أبو الحسن بن الحسين الرخجي غير منسوب بلفظ: «من الشريعة أن تجلَّ أهل الشريعة، ومن الصنعة أن لا تجلَّ مالك من صنعة»، (أحاسن المحاسن ١٥٩)، وقال أبو الوليد الطرطوشي: «وقال الحكيم: لا يزال السلطان مهملأ حتى يتخطى إلى أركان العمارة ومباني الشريعة، فحينئذ يريح الله منه»، (سراج الملوك ٥٣).

(٢) غ: فإن كان أبلغ.

(٣) حديث «عفو الملك بقاء الملك»، رواه الرافعي عن علي في حديث حسن (الجامع الصغير ٢ / ٦٠)، وهو فيه بلفظ «عفو الملوك أبقى للملك»، وانظر التيسير ٢ / ١٣٢، كنوز الحقائق ٢ / ١٢. وقد جرى هذا الحديث مجرى الأمثال السائرة فقد ورد في التمثيل والمحاضرة وهو فيه بلفظ: «عفو الملك أبقى للملك»، (ص ١٣١ و ٤١١)، وقد أورده الثعالبي ضمن كلام منوهر - أحد ملوك العجم - بلفظ «عفو الملك أبقى للملك» (الإيجاز والإعجاز ٩)، وأورده مرة أخرى على أنه من أمثال العجم بلفظ «عفو الملك أبقى للملك»، (خاص الخاص ١٧).

أني لم أهزل في أمر ولا نهبي قط .  
ولم أخلف في وعد ولا وعيد قط .  
وولّيت [للكفاية  
وأثبت<sup>(١)</sup>] للعناء لا للهوى ،  
وعاقبت للأدب لا للغضب ،

وأودعت في قلوب الرعية شدة المحبة من غير جراءة ، وقوة الهيبة من غير ضغينة .

وعممت بالقوت<sup>(٢)</sup> .

وحذفت الفضول<sup>(٣)</sup> .

وهذا<sup>(٤)</sup> أصح سيرة سار بها ملك في سياسة ملكه وتهذيب<sup>(٥)</sup> دولته .

(١) الزيادة من مصادر التخرّيج وليست في غ ، ولا في ط .

(٢) ط : بالقرب وفي سراج الملوك والعقد ولباب الآداب : بالقوت . وفي موضع آخر من اللباب : وعممت بالعدل .

(٣) قول أنوشروان : «إني بلغت هذه الرتبة بشماني خصال . . .» ، رواه ابن قتيبة بلفظ : «ووصف بعض الملوك سياسته فقال : «لم أهزل في وعد ولا وعيد ، ولا أمر ولا نهبي ، ولا عاقبت للغضب ، واستكفيت على الجزاء وأثبت على العناء لا للهوى ، وأودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت ووداً لم تشبه جراءة ، وعممت بالقوت ومنعت الفضول» (عيون الأخبار ١ / ١٠) ، ونسبه الأمير أسامة بن منقذ إلى كسرى بلفظين قريبين من ذلك (لباب الآداب ٣٧ ، ٥١-٥٢) ، ونهاية الأرب ٦ / ٤٤ ، ونسبه الطرطوشي إلى سابور ذي الأكتاف بلفظ : «ولما غزا سابور ذو الأكتاف ملك الروم وأخرب بلاده ، وقتل جنده وأفنى بطارقه ، قال له ملك الروم : إنك قد قتلت وأخربت ، فأخبرني ما الأمر الذي تشبثت به حتى قويت على ما أرى وبلغت في السياسة ما لم يبلغه ملك ، فإن كان مما يضبط الأمر بمثله ، أدبت إليك الخراج وصرت كبعض الرعية في الطاعة لك ، فقال له سابور : إني لم أزد في السياسة على ثمانين خصال . . . وذكرها قال : فأذعن له وأدى الخراج» ، (سراج الملوك ٥٩-٦٠) ، والقول في العقد الفريد ١ / ٢٨ بنفس لفظ ابن قتيبة . وفي نهاية الأرب : قال أنوشروان : ثمانية أشياء هي أساس الملك . . . « (٦ / ١٦) ، وقد نسب السعودي القول إلى سابور بن أردشير (مروج الذهب ١ / ١٥٤-١٥٥) .

(٤) ط : قال أفضى القضاة وهذا أصح سيرة .

(٥) ط : وحراسة دولته .



قال النعمان بن المنذر<sup>(١)</sup> وهو ملك العرب: [من الكامل]  
 تعفو المملوك عن العظيم ..  
 من الذنوب لفضلها  
 ولقد تعاقب في اليسير ..  
 وليس ذلك لجهلها  
 إلا ليعرف فضلها  
 ويخاف شدة نكلها<sup>(٢)</sup>

(٦٣ب)

ولا يعلن عقوبة من لم يعلن بذنبه، ويجعل لذنوب السر عقوبة السر،  
 ولذنب العلانية عقوبة العلانية؛ لأن عقوبة الذنب بحسبها، والمقابلة في  
 الجزاء معتبرة؛ لتكون أشباهاً لها.

ولا يعاقب بالظن حتى يستيقن الذنب؛ فإن أكثر الظنون كاذبة.

فإن عاجل بالعقوبة وضعها في غير حق<sup>(٣)</sup>، وجنى على غير مستحق،  
 فصار الذنب متوجهاً لله، واللوم عائداً عليه.

(١) ط: قال الشاعر، وما أثبتناه عن غ، والنعمان بن المنذر اللخمي أبو قابوس ملك الحيرة  
 والمعروف بيوميه، قتل عبيد بن الأبرص في يوم يؤسه، وقاتل عدي بن زيد وصاحبه النابغة  
 الذبياني. كان ملكه بعد أبيه طيلة اثنتين وعشرين سنة وقتله كسرى أبرويز بن هرمز فانقطع  
 الملك عن لحم، وبسبب قتله وقعت حرب ذي قار، انظر بعضاً من أخباره في تاريخ سنن  
 ملوك الأرض والأنبياء ٩٤-٩٥، مروج الذهب ١/ ٢٩٣-٢٩٦، ونجد بعضاً من أقواله في  
 البيان والتبيين ١/ ١٧١، ٢٢٢، ٢٣٧، ٢٦٥، ٢٦٦، ٣٠٣، ٣٤٩، ٣٦٠، ٢٧٦/٢، ٣٢٥،  
 ٣٢٥، ٢٤٦/٣، ٤٣/٤، ٧٣، وفي العقد الفريد ١/ ٣٨، وفي عيون الأخبار:  
 ١/ ١٣٨، ١٨٣، ١٨٤، ٢٢٧، ٢٣/٢، ٢٤، ٧٧، ١٨٩، ٣٠٤، ٦٥/٤، المعارف  
 - عكاشة - ٦٤٩ - ٦٥٠.

(٢) قول النعمان بن المنذر: تعفو المملوك عن العظيم... إلخ، الأبيات في حماسة الظرفاء  
 ١/ ١٧٨ - وفيها تحريج - وهي منسوبة إليه وكذا في نهاية الأرب، ج٦، ص٧، وقد جاء  
 الثالث بلفظ: لكن ليرجى عفوها. والبيان الأول والثاني في التمثيل والمحاضرة ١٣٤، وهما  
 بلفظ «يعفو المملوك عن الكثير..» وقد نسبها إليه. لكن ابن قتيبة قد نسب الأبيات الثلاثة  
 إلى أعرابي، قالها بحضرة النعمان في قصة طويلة فلترجع في عيون الأخبار ١/ ١٠٠.

(٣) قوله: «فإن عاجل بالعقوبة وضعها في غير حق..»، قال ابن المعتز: «لا تعاجل الذنب =

قال الشاعر<sup>(١)</sup>: [من الطويل]

إذا أنت لم تبرحْ تظنْ وتقتضي  
على الظنّ أردتكَ الظنونُ الكواذبُ<sup>(٢)</sup>

وليعلم الملك أن الذمّ في الظلم بقدر الحمد في العدل، والزهد في ولاية الظالم بقدر الرغبة في ولاية العادل.

وكل مذموم ممقوت،

وكل محمود محبوب،

والممقوت مباحد،

والمحمود مساعد،

وناهيك بطرفيهما خيراً أو شراً، ويعقباهما نفعاً وضراً.

وقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال:

== بالعقوبة» (الأدب ١٢٥)، وقال هرمس: «لا تعاجل الذنب بالعقوبة واجعل بينها للاعتذار طريقاً» (مختار الحكم ٢٥)، وقال بطليموس: «ينبغي لذي السلطان العالم إذا رأى الذنب من أصحابه أن لا يعجل عليهم» (مختار الحكم ٢٥٧)، وقال ابن المقفع: «ليعرف الناس - فيما يعرفون من أخلاقك - أنك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب؛ فإن ذلك أودم لخوف الخائف ورجاء الراجي» (الأدب الكبير ١٠٨)، وفي غرر الحكم: «إياك والتسرع إلى العقوبة فإنه ممقوت عند الله ومقرب من الغير» (ص ٧٦)، ومن كلام يزيد جرد: «الملك الحازم من يؤخر العقوبة في سلطان الغضب، ويعجل مكافأة المحسن» (الإيجاز والإعجاز ص ١٣).

(١) قوله: «قال الشاعر» ذكر الماوردي أنه الربيع بن أبي الحقيق اليهودي، (انظر الأمثال والحكم، الورقة ٨ب)، وهو من يهود بني النضير كما ذكر الجاحظ في البيان والتبيين ١ / ٢١٣، وابن سلام في طبقات الشعراء ١١٠، وابن هشام في السيرة ٢ / ٥١٥، ٥٥٠ إذ ذكر ابنه الربيع وكنانة، وذهب الأصفهاني إلى أنه من بني قريظة، في الأغاني ٢١ / ٦١، وأنه كان أحد الرؤساء يوم بعث، وهو آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام. له شعر في المصادر السابقة وفي ديوان المعاني ٢ / ٣٩، والبيان والتبيين ٢ / ١٤، والأمثال والحكم، الورقة ٦٥أ، ومصادر التخريج.

(٢) قول الشاعر: «إذا أنت لم تبرح تظن. . .» ذكره الماوردي في الأمثال والحكم منسوباً إلى الربيع بن أبي الحقيق اليهودي (الورقة ٨ب)، وذكره في أدب الوزير ص ٥١، ولم ينسبه، وورد في نهاية الأرب ٦ / ١٣٥ دون نسبة، وهو غير منسوب أيضاً في التذكرة السعدية ١ / ٣٥٠، بلفظ «لم تبرح بظن. . . الظنون الحوادث».

«إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه»<sup>(١)</sup>.

فينبغي للملك أن يختار لنفسه الرغبة في أيامه، والحمد لسيرته، بتسليط العدل<sup>(٢)</sup> على ملكه، وتحكيم الدين على سلطانه.

قال الشاعر<sup>(٣)</sup>: [من الطويل]

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه

ففي صالح الأخلاقِ نفسك فاجعل<sup>(٤)</sup>

[١٠ - الإحسان إلى الرعية]:

وليحسن إلى رعيته إحسان من يؤدي حق الله فيهم، ويملك به خالصة قلوبهم؛ فإنه إن قدر على ملكة أجسادهم بسلطانه، فليس يقدر على ملكة قلوبهم إلا بإحسانه<sup>(٥)</sup>.

(١) حديث: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه»، مرّ تخريج هذا الحديث من تعليقات موضوع (أسباب الكبير)، وقد سقط هذا الحديث هو والكلام الذي جاء بعد بيت الشعر السابق - من نسخة ط.

(٢) غ: بتبليط الحمد وما أثبتناه عن ط التي جاء فيها: قال أفضى القضاة في أثناء كلامه: فينبغي للملك أن يختار لنفسه الرغبة في أيامه...

(٣) قوله: «قال الشاعر» نسب هذا البيت إلى شعراء كثيرين فقد نسب إلى حزن بن جناب التميمي مرة وإلى المنع الكندي مرة ثانية، وإلى أبي الميالح العبدي مرة ثالثة، وإلى منقر بن فروة المنقري وغيرهم، انظر مصادر التخريج.

(٤) قول الشاعر: «وما المرء إلا حيث يجعل نفسه...»، البيت ذكره الماوردي في الأمثال والحكم، الورقة ٤٦ب، دون أن ينسبه لقائل وهو فيه بلفظ «...ففي صالح الأعمال...»، وهو في البيان والتبيين ٢ / ١٠٣، دون نسبة وبنفس ما ورد هنا وقد نسبه في الجزء الثالث، ص ٢٢٨ منه مع بيت آخر قبله هو:

وإن خفت من أمر فواتنا فوله سواك وعن دار الأذى فتحول  
إلى منقر بن فروة المنقري، وقد مرّ هذا البيت بلفظ (واترك محل السوء...)، وقد استشهد الأوزاعي بالبيت بلفظه في المستطرف ٢ / ٥٥، وهو من شعر حزن بن جناب التميمي الشاعر الجاهلي في التذكرة السعدية ١ / ٣٢٢، بلفظ (صالح الأعمال)، منسوباً إليه بعد خمسة أبيات أخرى، وهو بلفظ «صالح الأعمال» أيضاً في الحماسة البصرية من شعر المنع الكندي ج ٢، هامش ص ٣، مع بيتين آخرين وفي ج ٢، ص ٢٣، منها من شعر أبي الميالح العبدي.

(٥) قوله: «وليحسن إلى رعيته... إلى قوله إلا بإحسانه»، هذا القول هو معنى ما أشر عن =

وقيل:

قلوب الرعية خزائن ملكها، فإن أودعها من شيء فليعلم أنه فيها<sup>(١)</sup>.

(١٦٤)

وقيل:

من خاف إساءتكَ اعتقد مساءتكَ<sup>(٢)</sup>.

فإن استقامت له ظواهر رعيته، وأقاموا على أحكام طاعته، لم يفتش سرايرهم، ولم يؤاخذهم بما يخفونه في ضمائرهم؛ فإن ضمائر القلوب لا يؤاخذ بها إلاّ علام الغيوب.

ومتى تكلف ذلك كثر ارتياجه، وقلت ثقته، ولم يقف على صحيحه من فاسده، والتمس من العناء المضاع ما هو غنى عنه، واستفسد من قلوب الأعوان ما هو حذر منه، وعدل عما يستصلح به السرائر من الإحسان إلى ما يستفسد الظواهر من المكاشفة.

= أرسطوطاليس فيما كتبه إلى الإسكندر: «املك الرعية بالإحسان تظفر منهم بالمحبة؛ فإن طلب ذلك منهم بالإحسان هو أدوم بقاء منهم بالاعتساف، واعلم أنك إنما تملك الأبدان، فتخطاها إلى القلوب بالمعروف»، سراج الملوك ١١٨، والعقد الفريد ١ / ٢٥ باختلاف.

(١) قولهم: قلوب الرعية خزائن ملكها، فإن أودعها من شيء فليعلم أنه فيها، ورد هذا القول في ط بلفظ: وجد في حكم الفرس مكتوب: قلوب الرعية خزائن ملكها، من أودعها من شيء فليعلم أنه فيها، وقد أورده الثعالبي منسوباً إلى خسرو بن فيروز بلفظ «قلوب الرعية خزائن ملكها فما أودعه إياها وجده فيها»، الإيجاز والإعجاز ١٢، ومن الكلام المنسوب إلى علي قوله: «قلوب الرعية خزائن راعيها، فما أودعها من عدل أو جور وجده» (غرر الحكم ٢٣٧)، وفي لباب الآداب غير منسوب وهو فيه بلفظ: «وقالوا: قلوب الرعية خزائن ملكها، فما استودعها من شيء فليعلم أنه فيها» (ص ٧٢)، وفي سير المتقدمين هذا الكلام بلفظ «فليعلموا» (سراج الملوك ١١٨)، وفي عيون الأخبار ١ / ١٠ بلفظ «فما أودعتها».

(٢) ط: اعتمد مساءتكَ، وقولهم «من خاف إساءتكَ اعتقد مساءتكَ» ذكره الماوردي بلفظه في أدب الوزير ص ١٧ وفي أدب الدنيا والدين (٣١٠) بلفظ: «من نالته إساءتكَ همته مساءتكَ» وقد ذكره ابن مسكويه ونسبه إلى قيس بن عاصم بلفظ «من خاف إساءتكَ اعتقد مساءتكَ»، ومن خاف صولتكَ ناصب دولتكَ (الحكمة الخالدة ١٤١) وأتى الرخجي بقول قيس بن عاصم بلفظ «من خاف صولتكَ ناصب دولتكَ» (أحاسن المحاسن ١٤٧) وأورد القول نفسه ونسبه إلى معاوية وهو عنده بلفظ «إن من خاف إساءتكَ اعتقد مساءتكَ» (أحاسن المحاسن ١٤٧).

وحكى اليزيدي<sup>(١)</sup> أن كسرى قباذ<sup>(٢)</sup> رفع إليه رجل من أصحابه: أن  
في بطانة الملك جماعة قد فسدت نياتهم، وخبثت ضمائرهم، وقد هموا بما  
[لم]<sup>(٣)</sup> يفعلوا، وهم غير مأمونين على الملك، فوقع:

أنا ملك الأجساد لا النيات، وأحكم بالعدل لا بالرضى، وأفحص عن  
الأعمال لا عن السرائر<sup>(٤)</sup>.

قال سليمان بن داود عليه السلام:  
كما أن الوجوه لا تشبه بعضها بعضاً، كذلك القلوب لا يشبه بعضها  
بعضاً.

ليكن الملك بالظالم عسوفاً، وبالمظلوم رؤوفاً، لا يعلق عن  
المتظلمين باباً، ولا يضيق عليهم حجاباً؛ فإن في عوادي النفوس سرّاً لا

(١) غ: البريدي، وما أثبتناه عن ط.

(٢) كسرى قباذ بن فيروز وقد ملك بعد أخيه بلاس بن فيروز. وفي زمنه ظهرت فتنة مزدك الدينية. وقد استمر حكمه ثلاثاً وأربعين سنة. انظر مروج الذهب ١ / ١٦٤، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ص ٥٠.

(٣) الزيادة من لباب الآداب ٣٧ وفي ط بما لا، ولا يصح لأن الفعل بعدها قد ورد بحذف تونه.

(٤) قوله: وحكى اليزيدي أن كسرى قباذ رفع إليه رجل... ذكر ابن قتيبة أن ذلك قد قرأه في كتاب الأبين لبعض ملوك العجم، وأورده بلفظه (عيون الأخبار ١ / ٨) وانظر كتاب الترجمة والنقل عن الفارسية ص ٢٥٩، وقد ورد في لباب الآداب بلفظ «وقع بعض العمال إلى كسرى قباذ في إنطاكية: للملك جماعة قد فسدت نياتهم... وهم غير مأمونين على المملكة وهم فلان وفلان وفلان، فإن رأى الملك أن يعاجلهم فعل. فوقع في رقعته: إنما أملك الأجساد... إلخ» (ص ٣٧-٣٨) وفي موضع آخر غير منسوب بلفظ «إنما سلطان الملك على الأجساد دون القلوب» (ص ٧٢) وثالثة منسوبة إلى الحكيم (ص ٧٢-٧٣) وقد أورده أبو حيان التوحيدي بلفظ مقارب لما في المتن (البصائر والذخائر ٤٨٧) وقد ورد القول في أدب الوزير ص ٢٦ وفي سراج الملوك ١١٨ و ٢٠٠ وتفسير روح البيان ١ / ٣٩٢ ونهاية الأرب ٦ / ١٦، ١٢٣، ونسبه الثعالبي إلى أنو شروان (خاص الخاص ٨٥)، وفي عهد أردشير ص ٥٦ من كلام أردشير، وفي الإيجاز والإعجاز ١٣ من كلام هرمز بن سابور وفي الحكمة الخالدة ٤٧ من كلام بزرجهر الذي كتب به إلى كسرى قباذ، وفي عيون الأخبار ٢ / ٢٣٩ من خطبة لعتبة بن أبي سفيان في أهل مصر، وانظر القول في العقد الفريد ١ / ٢٩، وغرر الخصائص ٦٢ ومحاضرات الراغب الأصفهاني ١ / ١٦٧.

يكفه إلا الحذر، ولا خير في ملك لا يتناصف أهله، فإن أهملوا ارتبعوا<sup>(١)</sup>، وإن خافوا ارتدعوا.

فليوقظ عزمه في تصفح المظالم، وإنصاف المظلوم من الظالم؛ ليكون أمراً بالعدل كما كان به مأموراً، وزاجراً عن الظلم كما كان عنه مزجوراً؛ فإن مراعاة المظالم من قواعد السياسة (٦٤ب) في انتظام الملك ومصالح الرعايا.

حكى<sup>(٢)</sup> أن بعض الملوك ذهب سمعه فبكى، وقال:  
لم أبك من ذهابه إلا لأني كنت أسمع ظلامة المتظلم فأنصفه، وقد صرت لا أسمعها وأنا أعتاض عن<sup>(٣)</sup> ذلك ببصري، وقد حرمت لباس الحمرة إلا على متظلم لأعلم بحاله<sup>(٤)</sup> إذا رأيت لباسه فأنصفه<sup>(٥)</sup>.  
فلا خير في ملك لا ينصف الرعية، ولا تتنصف به الرعية.

وسنّ أردشير بن بابك في ملكه، وعمل به أكثر ولده من بعده، أن يجلس في يوم النيروز جلوساً عاماً للخاصة والعامّة؛ ليتقدم الخاصة للتهنئة، ويعقبهم العامة للمظالم، فإذا وصلت إليه رقاعهم جمعها وميزها؛ فإن كان التظلم فيها من غيره نظر فيه بنفسه، وأوصل المتظلم إلى حقه، وإن كان التظلم منه قام مع خصمه، وجثا بين يدي الموبذ وقال:

أيها الموبذ: ما من ذنب أعظم عند الله من ذنب الملوك، وإنما خولكها الله تعالى برعاياها، لتدفع عنها الظلم، وتذب عن بيضة الملك جور

(١) غ: ارتعوا، وارتبعوا أي أقاموا.

(٢) ط: ذكر أن...

(٣) ط: عنه.

(٤) ط: إلا على المتظلم لا علم بتظلمه إذا رأته.

(٥) قوله: «حكى أن بعض الملوك ذهب سمعه...» روى هذا القول ابن قتيبة في قصة طويلة بين المصور ورجل، فلتنظر في عيون الأخبار ٢ / ٣٣٥، قال الطرطوشي: ولقد بلغنا أن ملكاً من ملوك الهند نزل به صمم فأصبح متوجعاً مهتماً بأمور المظلومين... (سراج الملوك ٥٤) وأورد الغزالي شيئاً يشبه ذلك (نصيحة الملوك للغزالي ٦٨).

الجائرين، وظلم الظالمين، فإذا كانت هي الظالمة الجائرة، فحق لمن دونها أن يجور ويظلم، ومجلسي هذا منك وأنا عبد ذليل يشبه مجلسك من الله تعالى غداً، فإن آثرت الله تعالى آثرك، وإن آثرت الملك عذبك.

فيقول له المويذ: إن الله تعالى إذا أراد سعادة عباده اختار لهم خير أهل أرضه، وأجرى على لسانه ما أجرى على لسانك؛ ثم ينظر في أمره مع خصومه بالحق والعدل.

فإن صح على الملك شيء أخذ به بأدائه<sup>(١)</sup>، وإلا وكل بمن ادعى عليه باطلاً، ونادى عليه: هذا جزاء من أراد شين (١٦٥) الملك والمملكة، والقدح فيهما بالباطل.

ثم يقوم أردشير، فيحمد الله تعالى، ويضع التاج على رأسه، ويقول لأهل بيته وخاصته:

(١) في تاريخنا نماذج رائعة لعدلم، لا سيما في القضاء، فكانوا مثلاً يحتذى في العدالة والمساواة: فقد تحاكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته مع أبي بن كعب فأتيا زيد بن ثابت في بيته ففضى بينهما وقال لعمر: لو أمرتني لجئت، فقال عمر: في بيته يؤتى الحكم (انظر أدب القاضي للماوردي بتحقيقنا / ١٩٨، ٢ / ٢٥٢، ٣٧٩) وانظر (سنن البيهقي ١٠ / ١٤٤). واختصم علي رضي الله عنه في خلافته مع يهودي وجد معه درعاً ضاعت منه يوم الجمل إلى شريح القاضي (سنن البيهقي ١٠ / ١٣٦) وانظر (أخبار القضاة لسوكيع ٣ / ١٩٤ - ١٩٥ و ٢٠٠) وانظر (أدب القاضي للماوردي ٢ / ٢٥٠ - ٢٥١، ٤١٦).

وتحاكم المهدي وهو خليفة مع خصوم له بالبصرة إلى قاضيها عبيد الله بن الحسن العنبري، فلما رآه القاضي مقبلاً أطرق إلى الأرض حتى جلس مع خصومه مجلس المتحاكمين، فلما انقضت الحكومة قام القاضي فوقف بين يديه، فقال المهدي: والله لو قمت حين دخلت إليك لعزلتك، ولو لم تقم حين انقضى الحكم لعزلتك، ... (أدب القاضي للماوردي ٢٤٨ - ٢٤٩).

وتقاضى المأمون بين يدي يحيى بن أكثم كما تحاكم كثير من الخلفاء مع خصومهم أمام القضاة (انظر التاج في أخلاق الملوك حاشية ١٦١ وحاشية ص ٢٠٨).

وقد صنف أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري كتاباً خاصاً في هذا الموضوع سماه: كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة؛ ذكره ياقوت الحموي ص ١٣٧ من القسم الأول من الجزء الثالث من معجم الأدياء.

ولئن سن هؤلاء الملوك يوماً واحداً في السنة، فإن السنة كلها في التشريع الإسلامي وقت ملائم لمحاكمة رئيس الدولة في ظل هذا التشريع الحكيم.

إني لم أبدأ بنفسي فأنصفت منها إلا لثلا يطمع أحد في حيف، فمن كان قبله حق فليخرج إلى خصمه منه<sup>(١)</sup>.

فهذه السيرة أبقى فيها للعقل، وتفرد فيها بالسياسة من كان الله تعالى أمره والوعيد زاجره.

(١) هذه القصة وردت في كتاب التاج في أخلاق الملوك المنسوب للجاحظ ببعض الاختلاف (ص ١٥٩-١٦٣) وعبارة المؤلف في نصيحة الملوك على الوجه التالي:

«وكذلك لم تزل الملوك الحزمة يتواصون به -أي العدل- ويأمرون به في عهدهم، ويحشون [به] كتبهم، ويرسلونه آثاراً على وجه الزمان لهم في سيرهم، فقد كان ملوك [أل] ساسان الذين بقيت آثارهم على وجه الزمان لهم في السنة يومان في النيروز والمهرجان يظهران فيهما للخاصة والعامة فلا يجيب عنهم في هذين اليومين أحد من صغير ولا كبير، ولا شريف ولا ضيع. وكان يأمر الملك منهم بالنداء في مملكته قبل قعوده بأيام؛ ليتأهب الناس ليوم المحفل، فيعد المظلومون حججهم، ويكتبون قصصهم، ويحضرون خصومهم. وربما اصطاح كثير من أهل المظالم قبل ذلك اليوم؛ خوفاً من الفضيحة والتنكيل والعقاب الشديد، وأصلحوا تبعاتهم، فلما كان ذلك اليوم أمر الموبدان -وهو قاضي قضاتهم- أن يوكل رجلاً من ثقات أصحابه، فيقف بباب العامة، فلا يمنع أحداً من الدخول على الملك، وينادي مناديه: من حبس أحداً عن رفع مظلمة فقد عصى الله، وخالف سنة الملك، ومن عصى الملك فقد أذن بخزي منه ومن الملك، وأمر الملك أن يؤذن للناس ويأخذ رقاعهم ويتأمل فإن كان فيها مظلم من الملك بديء به أولاً، وقدمت على كل مظلمة، ويحضر الملك الموبد الكبير والديريذ ورأس سدنة بيوت النيران ثم يقوم مناد فينادي: ليعتزل المظلومون من الملك، فيعتزلون، ويقوم الملك مع خصومه حتى يجثو بين يدي الموبد فيقول: أيها الموبد إنه لا ذنب عند الله أعظم من ذنب الملك، وإنما خوفاً رعاياه ليدفع عنها الظلم ويذب عن بيضة الملك الظالمين وجور الجائرين. فإذا كانت هي الظلمة الجائرة فيحق لمن دونها هدم بيوت النيران وسلب ما في النواويس من الأكفان، ومجلسي هذا منك وأنا عبد ذليل شبيه بمجلسك من الله غداً، فإن آثرت [الله أثرك، وآثرت] الملك عذبك. فيثني عليه الموبد خيراً ويقول له جميلاً. وربما قال: إن الله إذا أراد سعادة عباده اختار لهم خير أهل الأرض، وإذا أراد أن يعرفهم قدره أجرى على لسانه ما أجرى على لسانك. ثم ينظر في أمره وأمر خصمائه بالحق والعدل، فإن صح على الملك شيء أخذ به، وإلا حبس من ادعى عليه باطلاً ونكل به، ونادى عليه: هذا جزء من أراد شين المملكة والقدرح فيها بالباطل.

فإذا فرغ من مظالم الملك قام فسيجد لله طويلاً، وحمد الله كثيراً على ما رفع عنه من المظالم، وحط عنه من الأوزار، ثم وضع التاج على رأسه، وجلس على سرير الملك والتفت إلى قرابته وخاصته وحامته فقال: إني لم أبدأ بنفسي فأنصفت منها إلا لثلا يطمع طامع في حيفي، فمن كان قبله حق فليرد إلى خصمه منه إما بصلح وإما بغيره.



## [ ١١ - فعله للخير دائماً ]:

وليكن<sup>(١)</sup> من دأبه فعل الخير، إما ابتداء من نفسه أو اقتداء بالأخيار<sup>(٢)</sup>؛ ليكون في الخير تابعاً ومتبوعاً، وفي العمل به حامداً ومحموداً.

فقد قيل:

الناس في الخير على أربعة أقسام:

منهم من يفعله<sup>(٣)</sup> ابتداء.

ومنهم من يفعله اقتداء.

ومنهم من يتركه حرماناً.

ومنهم من يتركه استحساناً<sup>(٤)</sup>.

فمن يفعله ابتداء فهو كريم.

ومن يفعله اقتداء فهو حكيم.

ومن يتركه حرماناً فهو شقي.

ومن يتركه استحساناً فهو ردي<sup>(٥)</sup>.

ليكن ما يخلفه الملك من جميل الذكر وحسن السيرة، إماماً يقتدي به

== ثم كان أقرب الناس إلى الملك في الحق كأبعدهم، وأقواهم كضعيفهم قالوا: فلم تزل الناس على هذا من لدن عهد أردشير إلى أن ساسهم يزجر الأثيم، ثم غير هذه السيرة العادلة، وقتل أباه وكان من أمره ما كان...» (نصيحة الملوك للماوردي الورقة ٦٣-٦٤ ب).

ووردت هذه القصة في كتاب السعادة والإسعاد ص ٢٨٦-٢٨٧ وفيها زيادة «وكان أمرهم على هذا إلى أن ملك يزجر فامتنع من التحاكم وقال: ليس للرعية أن تتصف من الملوك، فيينا هو في إيوان له إذ دخل فرس ملجم مسرج فرمحه وقتله».

وتجد هذه القصة في نصيحة الملوك للغزالي، ص ٨٤.

(١) ط: قال أفضى القضاة في آخر هذا الكتاب: وليكن من دأبه فعل الخيرات.

(٢) ط: بالأخيار من سلفه فقد قيل الناس في الخير أربعة أقسام...

(٣) ط: ومنهم يفعله.

(٤) قوله: «ومنهم من يتركه استحساناً» غير واضحة في نسخة ط.

(٥) قوله: «ومن يتركه استحساناً فهو ردي» غير واضحة في نسخة ط.

وكذا ما بعدها بمقدار سطر واحد ثم قال والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله أجمعين.

وقولهم: «الناس في الخير على أربعة أقسام... إلخ» انظره في أدب الدنيا والدين ==

الأخيار، ومثلاً يزدجر به الأشرار، فيكون بالحمد مذكوراً، وعلى الخير مشكوراً، قد أرشد بعد رشاده، وسدد بعد سداذه، فسعد بعمله حياً ومفقوداً، وصار بعمل غيره مأجوراً ومحموداً، فإن ذلك أنفس ذخائره يوم معاده، وأنفع ما يخلفه لمن اقتدى به؛ فخير الناس أنفعهم للناس. أمده الله عز وجل بتوفيقه وتسديده، وتكفل بمعونته وتأنيده، وكان له على الخير ظهيراً مرشداً، وعلى العدل معيناً مسعداً (٦٥ب) وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(١)</sup>.



= ص٩٦-٩٧ بتقديم وتأخير، وفي أحاسن المحاسن غير منسوب وفيه «... ومن يتركه استحساناً فهو غيبي (ص١٦٢) وفي المستطرف بلفظ؛ «ومن تركه استحساناً فهو دني» ولم ينسبه لفتايل (١/ ٢٦).

(١) جاء في نهاية نسخة غ ما نصه:

تم الكتاب، والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلامه. وكان الفراغ في ليلة الاثنين حادي عشر رجب الفرد الحرام، المنتظم في شهر سنة ١٠٥٢ هـ على يد أفقر العباد، وأحوجهم إلى رحمة ربه الفقير عبد الرحمن الكني بيبي هادي بن محمد بن أحمد بن الجيعاني الوراق الشافعي، أحد العدول بحكمة مصر القديمة، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين.

# محتويات الكتاب

٣	..... مقدمة
	<b>الباب الأول - في أخلاق المُلْك</b>
٥	تمهيد:
٦	الفصل الأول - أخلاق الذات:
٧	..... من هو الفاضل؟
٧	..... إلى أي شيء تعود الأخلاق
٨	..... لأي شيء تراد فضائل الذات؟
٨	..... إلى أي شيء تتوجه السعادة؟
٨	..... وجوب اهتمام ذي الإمرة بمراعاة أخلاقه
٩	..... أنواع الأخلاق
١٠	..... تفاضل الأخلاق
١٢	..... الفصل الثاني - أوائل الفضائل وأواخرها:
١٢	..... مبادئ الفضائل
١٣	..... أوائل الرذائل وأواخرها
١٧	..... ما هي الفضائل؟
١٨	..... تركيب الفضائل مع غيرها
١٩	..... نتائج كثير من الأخلاق تؤول إلى رذائل
٢١	..... أقسام الخلق الذاتي
٢٣	..... الفصل الثالث - أفعال الإرادة:
٢٣	..... أسبابها
٢٣	..... الفرق بين العقل والرأي
٢٦	..... الهوى
٢٨	..... الفصل الرابع - الكرم والمروءة:
٢٨	..... بين الكرم والمروءة

٣٠	انقسام الفضائل مع الكرم والمروعة
٣٢	الفصل الخامس - السجايا والأخلاق:
٣٢	الفرق بين السجايا والأخلاق:
٣٣	أحوال الإنسان في أخلاقه
٤٤	الفصل السادس - الأفعال الشريفة بالأخلاق الشريفة:
٤٤	شريف الأفعال وشريف الأخلاق
٤٦	أول ما يبدأ به الملك سياسة نفسه وتقويمها
٤٨	إساءة الظن بالنفس
٤٩	أسباب حسن الظن بالنفس
٥٠	الكبر والإعجاب
٥٢	من أسباب الكبر والإعجاب
٥٨	الفصل السابع - شواهد الفضل:
٥٨	الوقار
٥٨	الثبت والصمت
٦٧	الفصل الثامن - الصدق:
٦٧	اعتماد الصدق
٦٧	الحذر من الكذب
٧٠	الترغيب والترهيب
٧٢	الفصل التاسع - توقي الغضب:
٧٢	الحذر من الغضب
٧٥	الحذر من المحل واللجاج
٨١	الفصل العاشر - الصبر:
٨١	الصبر والامثال
٨٢	أقسام الصبر
٨٩	الفصل الحادي عشر - كتمان السر:
٨٩	الكتمان والإفشاء
٩٣	من يستودع السر
٩٤	التحفظ في إيداع السر
٩٩	الفصل الثاني عشر - المشورة:
٩٩	فوائد المشورة
١٠٥	مباحثة ذوي الرأي

١٠٩	.....	الفصل الثالث عشر - الأخلاق المتقابلة في الملوك :
١٠٩	.....	الرقّة والرّحمة .....
١٠٩	.....	القسوة والغلظة .....
١١٠	.....	السماحة والعطاء .....
١١٢	.....	البخل والإمساك .....
١١٦	.....	الفصل الرابع عشر - الوفاء بالعهد :
١١٦	.....	مزايا الوفاء بالعهد .....
١١٧	.....	مساويء الغدر .....
١١٩	.....	الفصل الخامس عشر - الحسد :
١١٩	.....	تجنب الحسد .....
١٢٠	.....	المنافسة .....
١٢٢	.....	الامتنان .....
١٢٤	.....	الفصل السادس عشر - تصفح لأعمال :
١٢٤	.....	اعتیاد تصفح الأعمال .....
١٢٧	.....	الحذر والاحتراص .....
١٢٩	.....	الوعد والوعيد .....
١٣١	.....	الفصل السابع عشر - الطيرة والفأل :
١٣١	.....	اعتقاد الطيرة .....
١٣٢	.....	التفاؤل .....
١٣٥	.....	الفصل الثامن عشر - الملوك قدوة للناس :
١٣٥	.....	البدء بالنفس .....
١٣٧	.....	الرجوع إلى الحق .....
١٣٩	.....	الاعتدال .....
١٤٠	.....	السواسية .....
١٤١	.....	محاسبة النفس .....

### الباب الثاني - في سياسة الملك

١٤٣	.....	تمهيد .....
١٤٣	.....	الفصل التاسع عشر - أن يكون الملك أفضل الناس ديناً :
١٤٨	.....	الدين والمُلْك .....
١٥٠	.....	الدفع عن الدين بألْمُلْك .....
١٥٢	.....	الفصل العشرون - قواعد الملك :

١٥٢	..... تأسيس الملك وأقسامه
١٥٢	..... تأسيس الملك على الدين
١٥٤	..... تأسيس الملك على القوة
١٥٥	..... تأسيس الملك على المال والثروة
١٥٨	..... الفصل الحادي والعشرون - سياسة الملك :
١٥٨	..... قواعد سياسة الملك
١٥٨	..... عمارة البلدان
١٦٧	..... حراسة الرعية
١٧٠	..... تدبير الجند
١٧٦	..... تقدير الأموال
١٧٩	..... مقابلة الدخل بالخارج
١٨١	..... الفصل الثاني والعشرون - أصل ما تبني عليه السياسة العادلة :
١٨١	..... الرغبة
١٨١	..... الرهبة
١٨٢	..... الإنصاف
١٨٧	..... الانتصاف
١٩٢	..... الفصل الثالث والعشرون - تهذيب الأعوان والحاشية :
١٩٢	..... سياسة الملك بالأعوان والحاشية
١٩٤	..... أصل ما يبني عليه قاعدة أمره في اختيارهم
٢٠٢	..... من يتفقدهم الملك من أعوانه؟
٢٠٨	..... تفقده لمن سوى هؤلاء
٢١٠	..... من يجذر الملك أن يجعلهم في بطائته؟
٢١٤	..... الفصل الرابع والعشرون - أشد ما يبغي به الملك في سياسة ملكه :
٢١٤	..... فساد الزمان
٢١٨	..... تغير الأعوان
٢٢٢	..... الفصل الخامس والعشرون - سياسة الملك وأحواله :
٢٢٢	..... بم يساس الملك؟
٢٢٢	..... أحوال الملك
٢٢٢	..... تثبيت قواعد الملك
٢٢٣	..... تدبير الرعية
٢٢٣	..... أحوال الملوك مع رعيتهم

٢٢٥	استقامة الأعوان .....
٢٢٣	استعمال الخزم وبسط العدل .....
٢٢٤	نصفح أحوال الحاشية في زمان السلم .....
٢٢٦	حسم مواد الفساد .....
٢٢٧	الفصل السادس والعشرون - دوام تفقد الملك الأحوال العامة :
٢٣٧	تفقد الملك سيرة حماة البلاد وولاية الأطراف .....
٢٤٨	استخبار الملك عن رعيته وحاشيته والنائبين عنه .....
٢٥١	مراعاة أخبار البلاد المتاخمة وملوكها .....
٢٥٢	حذر الملك قبول السعاية في أصحابه .....
٢٥٤	مراقبة أحوال النقود وأمر جبايتها .....
٢٥٨	الاهتمام بأمن السبل والمسالك .....
٢٥٩	مداهنة الأعداء .....
٢٦٥	مساواة الملك نفسه مع الرعية .....
٢٧٤	رعاية العلم ومراعاة العلماء .....
٢٨٣	الإحسان إلى الرعية .....
٢٨٩	فعله للخير دائما .....

